رواية

للأديبة الصينية: وانغ آن يي

عشاق من الشرق

ثلاث حكايات حب

طبعة جديدة



ترجمة: آية طلعت

تحرير وتقديم: محمد ماهر بسيوني

منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef

بيت الحكمة

دار الأمان
الرباط

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING

عشاق من الشرق
للأديبة الصينية: وانغ آن يي
ترجمة: آية طلعت
تحرير وتقديم: محمد ماهر بسيوني

This Arabic edition published in 2018

by Bayt Alhekma



中国洲际传播出版社
China Intercontinental Press

三恋

"عشاق من الشرق"

Copyright ⓒ China Intercontinental Press, Beijing, China, 1/2018

All rights reserved.

تمت الترجمة بشركة بيت الحكمة للترجمة

Sponsored by B&R Book Program

وانغ آن يي

كاتبة وأديبة معاصرة، ونائبة رئيس اتحاد كتاب الصين، ولدت في سبتمبر 1954 في مدينة نانجينغ بمقاطعة جيانغسو. وفي عام 1972 انضمت للعمل في فرقة شيوي جاو للرقص والغناء. وفي عام 1976 نشرت عملا نثريا بعنوان: "المضي قدمًا". وانخرطت في العمل الإبداعي عن طريق اتحاد الكتاب بشنغهاي. وفي عام 1996 نشرت رائعتها الأدبية: "أغنية الندم الأبدي"، والتي حازت على "جائزة ماودون في الأدب"، وهي الجائزة الأدبية الأرفع في الصين. وفي عام 2004 حازت على "جائزة لوشون في الأدب"، عن روايتها: "حديث العشاق". كما حازت في عام 2013 على وسام الفارس الفرنسي للأدب والفنون.

وتشغل الآن منصب نائبة رئيس اتحاد كتاب الصين، ورئيسة اتحاد كتاب شنغهاي، ومحاضرة بجامعة فودان.

وبالنظر من زاوية النقد الأدبي، كما جاء على لسان الناقد "ليانغ يونغ آن"، فإن "وانغ آن يي" تعد من نوعية الكتاب الذين من الصعب جدًا "اقتفاء أثر مسارهم الأدبي"، فموضوعات رواياتها تضاهي الجبال ثقلا والمياه تعقيدًا، ومساراتها القادمة دائما ما يصعب التكهن بها، وعندما تعتقد أنك قد استوعبت مسارها الأدبي بناء على عملها الجديد الذي قد قمت بتلخيصه لتوك بواسطة استخدام إحدى المصطلحات النظرية، فسوف تجد عملها القادم مغايرا تماما عما سبق، وكأنها طفل مشاغب يلعب معك.

المحتويات

مقدمة
الحكاية الأولى: حب البلدة الصغيرة
الحكاية الثانية: حب الجمال
الحكاية الثالثة: حب الجبل العاري

مقدمة

إن الحبَّ في الواقع حربٌ، تلك الحربُ أبدية وشرسة حقًّا.
الكاتبة الصينية: وانغ آن يي
هل يمكن حقا الحديث عن الحب؟
يبدو السؤال غريبا، فالحب موضوع خالد، وكان دائما موضع اهتمام الفكر البشري بكل تجلياته عبر العصور، فقريحة الفيلسوف وخيال الشاعر وريشة الرسام ونغمات الموسيقي وحنجرة المغني والفنون الحديثة كالرواية والسينما؛ كلها قد ناقشت موضوع الحب وعبرت عنه. فالحب هو أسمى العواطف وأشملها عند الإنسانية كلها، وقد تعددت مفاهيمه، وتدرجت من اللعب واللهو إلى الطقوس والعبادة، فهو حينا "لعبة الحب"، وحينا "دين الحب"، وهو حينا الداء وحينا الدواء. وقد فهم كل شعب الحب بطريقته الخاصة واكتسى حديثه عنه بخصائص ثقافته الوطنية وعاداته وتقاليده.
والقارئ العربي يستمد معرفته بظاهرة الحب من ثلاثة مصادر، هي: التراث العربي والأدب الأوروبي والسينما الأمريكية، وهو غافل عن طرق التعبير عنه فيما سوى ذلك من تراث الشعوب الأخرى وفنونها.
والكاتبة الصينية "وانغ آن يي" في نوفيلاتها الثلاث: حب البلدة الصغيرة، وحب الجمال، وحب الجبل العاري، تحاول مقاربة ظاهرة الحب من منظور ثقافتها الصينية، وهي في سبيل ذلك تحكي لنا عنه عبر ثلاث تجارب مختلفة، بوعي منها لتعقد تلك الظاهرة وعدم قابليتها للتكرار، فكل علاقة حب هي تجربة خاصة وفريدة لا تتكرر وإن بدت غير ذلك. فالحب لا يولد في فراغ، بل هو يعبر عن نفسه كحدث يجري في إطار اجتماعي ونفسي يتغير حسب سيرورة المجتمعات وتطورها، فعلاقة الحب المكتوب لها النجاح في مسار اجتماعي ما قد تعد مستحيلة في سياق اجتماعي آخر.
تطرح علينا الكاتبة قضية الحب مجسدة في شخصيات روائية، تحمل بالتأكيد ظلالا من خبرتها الشخصية مع تلك العاطفة الإنسانية، وتعرض تفاعلات متناقضةً تناقُض النفس الإنسانية في جدليتها مع المؤثر الواحد الذي تنتج عنه استجابات متغايرة، شارحة حقيقة أن كل قصة حب هي عالم قائم بذاته ومستقل بنفسه وإن تشابهت العناصر وتماثلت الحوادث، التي تعطي لكل تلك التجارب العاطفية مسمى واحد.
حين نقرأ تلك النوفيلات الثلاثة - الأقرب إلى سيمفونية من ثلاث حركات، تمنحنا كل حكاية منها تجربة حب مختلفة وفريدة - سوف نجد وصفا لتلك العاطفة التي خضناها يوما ما -أو ظننا أننا خضناها- دون أن نقدر على التعبير عنها أو تفسيرها، وذلك هو سحر الأدب الذي يتكلم عنا وينطق بلساننا عما ذقناه وعرفناه وسبرنا أغواره، مع عجزنا عن الإفصاح عنه.
في حكايتها الأولى "حب البلدة الصغيرة" تقص علينا الروائية حكاية عن الحب في انفجارته العصبية، أو ذلك النمط من الحب الذي أسماه عالم علم النفس الشهير "إريك فروم": "التجربة البذيئة للوقوع في الحب"، وهي تلك التجربة التي تندلع "إذا حدث لاثنين يكونان غريبين -شأننا جميعا- أن سمحا فجأة للحائط بينهما أن يسقط ويشعرا بالقربى، شعرا بأنهما أصبحا شخصا واحدا، فإن هذه اللحظة الخاصة بالشعور بالواحدية هي من أشد التجارب في الحياة

انبعاثا للبهجة والإثارة. وهذه التجربة تكون باعثة أكثر للدهشة والإعجاز بالنسبة للأشخاص المنعزلين المتوحدين بلا حب" (إريك فروم، فن الحب، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد). وإذا ما نظرنا إلى بطلي الحكاية الأولى نجد البطلة تعاني الوحدة، حتى إن جارتها في الغرفة تشعر بالقرف منها، وتعتقد أنها تقريبًا تحوي قملاً وما شابه، وترفض أن تقترب منها بسريرها أو أن تنام بجوارها نظرا لرائحتها الكريهة التي تشبه بول الثعالب، الأمر الذي يحزن بطلتنا ويشعرها بالنقص وإن أظهرت خلاف ذلك. وكذلك نجد البطل يشاركها تلك الوحدة، فلا نعرف له حياة خاصة خارج غرفة التدريب على الرقص. وحين تتوطد علاقتهما ويبدءا في الشعور بالانجذاب الجنسي يدخلا في الطور الثاني من ذلك النمط من أنماط الحب، والذي وصفه إريك فروم: "وهذه الأعجوبة الخاصة بالصميمية الفجائية غالبا ما تكون أمرا سهلا إذا ما اقترنت أو صدرت بجاذبية وتحقق جنسيين". وقد وصفت الكاتبة الخطوات البذيئة والانفجارات العصبية التي شكلت حب بطلينا في مشهد بديع لا يمكن لمن يقرأه أن يتخيل أن يكون فاتحة لقصة حب: "وحين يساعدها في فتح قدميها، تتولد في قلبه أفكار شريرة، فيريد إيذاءها، ويبذل قوة خارقة؛ فتصرخ صراخًا حادًّا كالصفارة، يصيبه بالذعر، وتلين يداه، ويترك ركبتيها؛ فتقرب ركبتيها من بعضهما، وتحتضنهما بذراعيها أمام صدرها، وتستمر في الصراخ، ثم تشتمه، تشتمه بكلام قبيح للغاية لا يتفوه به سوى الرجال، على سبيل المثال: اللعنة عليك. إنها لا تفهم مطلقًا المغزى الحقيقي لذلك، فقط، تهاجمه بكل قوة، وتنفس عن غضبها، ولم تتوقع أن هذا سيثير خياله، ويجعله أكثر قلقًا، فيشتمها بالكلام القبيح نفسه، لكن هذا يمثل المغزى الفعلي الحقيقي، الذي لم تفهمه بعد، وما زالت تستند على الأرض ولم تقم، محتضنة ركبتيها لكن ليس احتضانًا صادقًا، فأحيانًا تمد إحداهما، وتحتضن واحدة فقط، وأحيانا تمد الثانية، وتحتضن الركبة الأخرى. وأثناء مدها لساقها، تحدث تقلبات قوية جدًّا لصدرها وبطنها بالكامل. وتعاود شتمه حين تراه. وكلما غضبت، شتمت بكلام قبيح مروع وغير منطقي، على سبيل المثال: "اللعنة عليك!"؛ فيزيد هذا من إثارته، ويرد عليها بكلام أكثر قبحًا ذي مغزى حقيقي. ولم تدعه هي يتحدث ثانية، فكانت تشتمه باستمرار، وصوتها حاد وطويل، محاولة قمع صوته الموبخ. صوته منخفض وقوي، فقدرته على التغلغل بطيئة. وحين تعتقد أنها نجحت في إسكاته وسيرتاحون، يتردد صوته بقوة. وهنا تدرك حقًّا أن لعناته لن تتوقف أبدًا، فيلاحقها كفرقة تشيلوا الموسيقية، على الرغم من ضعف اللحن، فإن الصوت لم يختف. هي لم تتمكن من أخذ نفسها، واستمرت في التوبيخ المتواصل، محاولة قمعه، فإنه لم يتراجع، فقابل ضجيجها بهدوء، إلى أن بح صوتها، واستلقت على الأرض تبكي وهي تتقلب هنا وهناك، هنا توقف عن الكلام، ونظر إليها بصمت. لقد طلي جسدها باللون الأسود بفعل تقلبها، وحكت يداها السوداوان عينيها دون خوف؛ فصبغت دموعها باللون الأسود، وامتلأ وجهها بدموع متسخة. حينها شعر قلبه ببعض من الحزن؛ فحمل برميلها وملأه مياهًا دافئة مناسبة، وطلب منها أن تغسل وجهها، لكنها لم تستمع إليه، واستمرت في البكاء. بسبب المواساة، أصبح بكاؤها أكثر جرحًا، وأصبح هذا الجرح أكثر واقعية". وتتوالي المقاطع السردية التي تؤكد على على حبهما لبعضهما باستماتة دون تلاشي للحب أو اعتدال فيه. لقد

شعرا بوحدة كبيرة، فلم يملكا نفسيهما من التشبث ببعضهما بإحكام، والاتكاء على بعضهما لمواجهة العالم أكمل بشكل عدائي.
ولكن إريك فروم في حديثه عن هذا النمط لا يتوقع له الاستمرار، فهو يقول: "وعلى أية حال، فإن هذا النمط من الحب لا يدوم بطبيعته نفسها"، ويعلل ذلك قائلا: "فالشخصان يزدادان تعرفا على بعضهما، وتشرع صميميتهما في فقدان طابعها الإعجازي إلى أن يقتل تطاحنهما وخيبات أملهما وهمهما المشترك ما يتبقى من الإثارة الأولي". وقد بدأت خيبة الأمل تلك بعد أن "اندفع الجسد بجنون ناحية الطرف الآخر، وفي لحظة التلامس، شعرا ببرود، لكن لم يعد الشعور غريبًا، ولم يعد هناك أي فضول جديد، ذعر وألم. وكأنهما تحولا تحولاً كاملاً، ولا يوجد بقلبيهما سوى الكآبة. ولم يستطيعا الحصول ولو على القليل من السعادة، بل لطخا جسديهما بالقذارة، ولم يعودا قادرين على أن يكونا أشخاصًا أبرياء. في هذه اللحظة فقط، شعرا بالحزن والندم، لكن، كان الوقت قد تأخر بالفعل". فقد استنفدا استمتاعهما بالسعادة مبكرًا، والآن لم يتبق سوى الخجل والمرارة. وتحول الحب إلى خوف.
في ذلك النمط من الحب، تتبدى لحظات السعادة قصيرة كحلم ليلة صيف، مع توالي نوبات الإثارة الجنسية التي يليها الشعور بالإثم والإحباط الشديد والبكاء المرير. وهو ما عاناه بطلانا حين تأكد حمل بطلتنا. حقا لقد قاومت الفضيحة ورفضت إجهاض حملها ولكنها عادت لتواجه الوحدة حين هرب بطلنا من تحمل مسؤوليته واندفع في طريق تدمير الذات عن طريق الإغراق في القمار وشرب الخمر والتوقف عن التدريب، بل والزواج من أخرى، حتى أصابه المرض وقرر العودة لقريته.
لقد ذهبت سكرة الحب، وعادت الوحدة، فعلى الرغم من رغبتها في الزواج، فإن أحدا لم يعد يرغب في الزواج من فتاة اشتهرت في المدينة بسوء السمعة، وحملت بطفلين سرا. لقد كانا – حسب وصف إريك فروم – "يعتبران شدة الافتنان، هذه "الجُنَّة" ببعضهما دليلا على شدة حبهما، بينما لا يبرهن هذا إلا على درجة وحدتهما السابقة". وحين التقيا قبل رحيله كانا كغرباء لم يعرفا بعضهما يوما قط، فالحب الذي بدأ بآمال عظيمة وتوقعات السعادة القصوى قد فشل بشكل تراجيدي.
وفي الحكاية الثانية "حب الجمال"، نرى نمطا آخر من أنماط الحب، وهو ذلك الحب المفاجئ الذي يأتي فجأة وعلى غير انتظار، حتى ليعد ظرفا قدريا للسعادة، بقدر ما يبدو غامضا، مقاوما لكل أشكال العقلنة، لا يدري أحد سببه، أو كما قال بطلا الحكاية بطريقة مرتبكة ولكن في لهجة حاسمة، وقد أصيبا بالدهشة لوقوعما في الحب: "الحب لا يحتاج سببا".
لقد منحتنا الكاتبة فرصة التأمل فيما تضمنته حكايتها الثانية من درس قدري عن عبثية الحب العابر، فقد نشأ حب بطلينا نتيجة لقاء استثنائي، رحلة عمل، كان يمكن ألا تكلف بها، ولكنها حدثت، وأعقبها كل ما كان. أما ما يجعل ذلك الحب غير مرغوب فيه، فهو حقيقة أن بطلتنا متزوجة. ولكن ما هو غير مرغوب فيه اجتماعيا، سوف يكون دافعا لها للوقوع في هذا الحب، فهو حصاة يقذفها القدر في موج أيامها الروتينية، بعد أن ملت من الحياة الزوجية التقليدية، فالكاتبة تصفها قائلة: "إنها امرأة متزوجة، وبسبب كونها متزوجة، اعتادت كثيرًا على الرجال، لدرجة أنها لم تعد تشعر بالفرق واللقاء الجنسي.

فقد عاشت تحت سقف غرفة ضيقة مع رجل طيلة حياتها، ولم يعد هناك غموض بينهما منذ زمن، فكشفا كل شيء، ولم يعد هناك سرّ يمكن قوله. لقد فقدت هي وهو الاختلاف الجنسي مبكرًا، تبعه فقد الارتجاف الفضولي الناشئ عن هذا الاختلاف أيضًا بينهما. لقد نست ذلك الارتجاف الفضولي وأصبح غريبًا، وعند مجيء هذا الارتجاف ثانية، تولد لديها شعور الحب الأول. وكأنه أول جنس آخر لها. لكنه في النهاية ليس جنسها الآخر، فقد دفنت ذلك الارتجاف الذي مرت به في أعمق مكان بذاكرتها وجسدها، واستعادت تجربتها تلك كالشبح، ورحبت بدعوتها تلك المرة، لذلك، تجاوزت هذه الهزة جميع هزاتها السابقة. واقتلعت عدة حبال، فشعرت بقوة هذه الهزة، لكنها لا تعرف خفاياها. لقد تحمس شعورها النائم طويلاً تحمسًا شديدًا، بسبب راحتها الكافية، وبسبب وحدتها الكثيرة أيضًا، ويحتاج فقط إلى حركة قليلة ليحفز السعادة الملموسة بكامل جسدها. لقد استغرقت في النوم لفترة طويلة بعد زواجها، وانكشفت جميع أسرار الجنس الآخر، فلا تحتاج لاستهلاك الخيال والفضول لاكتشافه ومعرفته. لقد كُشف كل شيء بين الزوجين، ولا يحتاج إلى بذل الجهد الكبير، ولا يحتاج أيضًا للخجل، بل هناك الكثير أو القليل من الشعور بالراحة يصاحب الخجل، فإذا لم يوجد الخجل، سيصبح كل شيء مملاً رتيبًا". إن ما كان كامنا في أعماق نفسها قد طفا على السطح بغتة مع أول تغيير عابر في روتينها اليومي، ما يدل على هشاشة أسس حياتها، التي انهارت أمام أول معول من ضربات الحب القدري. ولذا فإن أول تلامس مع عشيقها قد جعلها تستعيد كل أحاسيس أنوثتها التي غيبتها الاعتيادية، وتظل "أحيانًا، تتذكر بعقلها الكسول أول تلامس بينها وبين ذلك الرجل، لكنها لا تتذكر وإن بذلت جهدها، ولا يمكنها التخيل أيضًا، ما سبب إصابة هذا الرجل لها بالخجل، يبدو أنه ولد معها وخرجا كالتوأم. إنها لا تشعر أنه رجل، وفي الوقت نفسه لا تشعر بأنها امرأة. الآن، قد عبرت نصف الغرفة، ونظرت إليه وهو يدخن سيجارته، وإلى يده الممسكة بعلبة السجائر، واكتشفت رجلا مرة أخرى، وأدركت ثانية أنها امرأة، واستعادت الجنس ثانية. آه! كيف حضنها وقبلها بحماسة بالأمس! ما أسعد أن تُحب المرأة من قبَل رجل!". لقد بدأت حياة جديدة و"ظهرت شخصية جديدة وسط الجبال تدريجيًّا. وأدركت بوضوح تام خلال حياتها الجديدة ثانية أنها امرأة، امرأة، إنها محظوظة جدًّا بكونها امرأة، يمكنها حب الرجل، وأن تُحَب من قبَل رجل"، وصار ذلك الحب العارض، الذي تكون في خمسة أيام، يجمع جميع مذاقات الحياة، ويلخص جميع التجارب الحياتية. لقد أغواها ذلك الحب وأيقظ أحاسيسها، ولكن ما إن استسلمت له حتى أوشك أن ينتهي، فرحلتها لن تزيد على عشرة أيام! لقد كان هذا الحب كالحلم، ما لبث أن انتهى حين فتحت عينيها، فحين انتهت الرحلة " عادا إلى عالم، تظهر فيه الأشياء بوضوح، فشعرا بالحيرة أحيانًا، وتبددت طاقتهما، فهما بحاجة إلى مرحلة للاعتياد، وكأنهما استفاقا من حلم فجأة، حتى إن كلًا منهما نسي الآخر لفترة مؤقتة". لقد كانت فترة حبهما مرحلة هدنة قبل العودة إلى عالم محكم من الأسباب والنتائج، حيث كل سلوك لديه علاقة سببية واتصال، ولا بد أن يسير كل شيء فيه طبقا لقواعد، أو كانت فترة حبهما نزهة في حدائق الخيال قبل العودة إلى صحراء الواقع. لقد مضى الحب ولكن أثرا كأثر الفراشة ما زال باقيا منه. حقا لقد عادت إلى

حياة زوجية تقليدية وعمل أكثر تقليدية، ولكنها عادت بروح جديدة تتقلب ما بين الهدوء الشديد، حين تمتلئ بالأمل أن يتواصل معها عشيقها، والغيظ والمرارة حين تفقد الأمل في ذلك، دون أن تتوقف عن التفكير في ذلك الحب الضبابي الذي تبدد سريعا.
أما الحكاية الثالثة "حب الجبل العاري"، فتحوي حكاية عن الحب يظهر فيها التأثير الاجتماعي والثقافي على مسار الحب ومصيره، فهي قصة صينية خالصة لا يمكن تصور حدوثها إلا في الصين، بما تحمله من أصداء للأعمال الكلاسيكية العظيمة، مثل: "رحلة إلى الغرب"، و"حلم القصور الحمراء"، وغيرها. فجندي الجيش مثلا حين يحاول أن يلفت انتباه بائعة الثمار المجففة - تلك التي تراهن صبيان مجمع مجلس الثورة بالمدينة، أن من يتحدث معها ثلاث جمل، يذهب للجبل يوم الأحد للعب الدومينو الصينية وليس بحاجة لإخراج المال، والمياه الغازية، والخبز، فيأكل ويشرب دون مقابل، كما يضرب المسدس هباء، دون تألم مهما بلغت كمية الضرب - يسألها عن جبل يطل عليهما من عل، قائلا: "أليس هذا جبل الأزهار والثمار في (رحلة إلى الغرب)؟"، بينما هي لا تعيره انتباها وتنشغل بغناء الأناشيد الوطنية بينما تبيع له ما يحتاجه! كما أن مشاعر بائعة الثمار المجففة تمتلئ بتراث الصين الذي يحدد ما تحبه وما تكرهه في الرجال، فهي " ترفع عينيها وتنظر لكل شيء داخل المنضدة، لا تحرك ملامح وجهها، لكن قلبها يضحك بسخرية. من لا يعرف هؤلاء الجماعة من الطبقة الأرستقراطية؟ لكن، من يحبهم أيضًا! إنها تلعب مع الأولاد لأنهم أولاد، بغض النظر عن كونهم أبناء الإمبراطور أو فقراء، فهي لا تلعب مع أبائهم. بالإضافة إلى، ما بهم الأباطرة؟ وما بهم الفقراء أيضًا؟ الإمبراطور يتزوج، والفقير أيضًا يتزوج. الإمبراطور ينجب أطفالا، والفقراء ينجبون أطفالا أيضًا. يرى الإمبراطور المرأة ناعمة الساق والقلب، ألم تتلاعب المحظية يانغ بإمبراطور أسرة تانغ، وكاد يفقد دولته. إن جميع الرجال يتشابهون أمام المرأة. لقد رأت أولادًا كثيرين، جميع الأشكال والأنواع، لكنها تحتقر هؤلاء أصحاب الطبقة الأرستقراطية، فتشعر أنهم طائشون، مثل الديك الذي تعلم الصياح للتو، ولم ينم شعر ذيله بشكل كامل، إنها تحب الرجال الكبار، الذين عاشوا عمرًا، وعلى وجههم التجاعيد، وذقنهم صلبة سوداء، مروا بصعاب كثيرة، وتحملوا معاناة كبيرة. هذا ما يشبه الرجال. إن زي هذا النوع من الرجال، يسمى زي المهارة، ويدعو الناس للحماسة. من وجهة نظرها، الشخص الذي يعتمد على سلطته لإغراء النساء، لا يعد رجلا في الأساس. إن الرجل الجيد يجب أن يكون أعزل، لا يعتمد على أي شيء خارجي، يعتمد فقط على كونه رجلا، للحصول على المرأة".
تحفل هذه الحكاية بالمواقف الثانوية التي تتكون منها مشهدية سردية جديدة المذاق على القارئ العربي، تطلعه على ثقافة شديدة الاختلاف في التأثر بالحب والتعبير عنه، تتفاعل مع تحولات اجتماعية شديدة التأثير على حياة شخوص حكايتنا، تمنح تلك الحكاية فرادتها. فالحب لا يتشكل بمعزل عن بيئته المحيطة، بل هي تؤثر فيه وتعمل على إتمامه حينا أو إنهائه حينا آخر. "دائما ما تتقدم آراء الناس خطوة نحو الحقيقة. فحين قال من في الفرقة إنهما يحبان بعضهما، كانا في الواقع يتحدثان فقط في حجرة تدريب الفريق الموسيقي، وحين أذاع من في الفريق أنهما يتمشيان معًا في الغابة

المشجرة يوميًّا صباحًا ومساء ويداهما مشتبكتان، كانا يتناولان البيض بالخمر للتو في حجرتها. وحين أقر من في الفرقة بالفعل أن لديهما حياتهما الخاصة، ويجب أن يتزوجا، حينها ذهبا في الواقع أخيرًا إلى الغابة المشجرة في موعد غرامي. لذلك، حينما كانا مترددين وليس لديهما الجرأة لإظهار سلوكهما، ساعدهما العالم الخارجي لكشف هذه الطبقة من الغطاء، ودفع علاقتهما للتطور سريعًا. وبعد عرض استقبال عيد الربيع، منحت الفرقة إجازة للموظفين الذين يسكنون بعيدًا لزيارة أقاربهم، فعادا معًا للجنوب. ذهب معها أولا إلى نانجينغ، وقابل والديها، وبعد حصوله على القبول، أحضرها معه إلى منزله".

ولكن القصة الرئيسية في الحكاية الثالثة تحمل بعدا تراجيديا واضحا، فإذا كانت الحكاية الأولى "حب البلدة الصغيرة" قد انتهت بالفضيحة والفراق، والثانية "حب الجمال" قد انتهت بالفراق وما يتبعه من ألم، فإن تلك الحكاية "حب الجبل العاري" قد انتهت باختيار العاشقين الموت معا هربا من الفراق في الحياة!

في ختام هذه المقدمة القصيرة، أشير إلى أننا في حاجة إلى التعرف على أدب مغاير لما تعودنا عليه، له خصوصيته الثقافية الشديدة، الزاخرة بالظواهر الأدبية الفريدة. ولكنه على خصوصيته يبدو أقرب إلى ثقافتنا من الأدب الغربي الذي شكل وحده ذائقتنا الأدبية، حتى حسبناه الأدب الوحيد في العالم وغفلنا عن كنوز الآداب الأخرى التي ننتظر من يترجمها، خاصة الأدب الصيني، الذي زاد الاهتمام به، بعد أن حققت الصين معجزتها الاقتصادية وفرضت نفسها كقوة اقتصادية وسياسية مركزية عالميا.

محمد ماهر بسيوني
باحث وناقد مصري

الحكاية الأولى

حب البلدة الصغيرة

(1)

كانا معًا منذ الصغر، يرقصان في فرقة مسرحية. كانت ترقص رقصة "المحارب الصغير"، وكان يرقص رقصة "الأطفال". تدربت على تلك المهارة المعتمدة على أصابع قدميها ضمن فريق الدعاية بالمدرسة، وبسبب وقوفها على أطراف أصابعها لفترات طويلة؛ أفسدت العديد من الأحذية القماشية محلية الصنع، أما حين ترتدي حذاء الباليه المسطح المدبب، فكان يعمل ككيس رمال، يساعد في تدريب قوة القدم، ومن ثم يخف جسدها كالسنونو، وتؤدي رقصاتها بمرونة ويسر. أما هو فتدرب على مهارة الخصر مع أستاذ الملاكمة منذ الصغر، فيمكنه القيام بكل شيء: إنزال خصره حتى تصبح قمة رأسه مساويةً لقدميه، الركل حتى تصبح أصابع قدمه عند الجزء الخلفي لرأسه، إنها حقًّا مهارة حقيقية.

في ذاك العام، كانت هي تبلغ الثانية عشرة، أما هو فكان يكبرها قليلا، حيث كان يبلغ السادسة عشرة. وبعد مرور عامين، تراجعت شعبية "الجيش النسائي الأحمر"، وحين بدأت مسرحية "قصيدة جبال أي مينغ"، جاء معلم من قسم الرقص بمدرسة الفنون بإحدى المحافظات، ليدربهم ليوم كامل، فقط في هذا اليوم. رأى هيئتهم المتعبة بفعل التدريب، واكتشف أن جسدهم يملؤه اللحم المستدير دون أية عضلات، ولا يمتلكون أية مرونة وقوة. وعلى الرغم من ذلك، تعمد سحبها لمنتصف غرفة التدريب، وقد تورمت قدماها، واستدار كتفاها، وكبرت مثانتها، واستدار خصرها، وارتكبت أخطاء كبيرة في التدريب.

ولكن نهديها مرتفعان، ضعف الأشخاص العاديين بمقدار مرة أو مرتين، فهما عاليان كالجبل، ولا يشبهان نهدي فتاة في الرابعة عشرة من عمرها. وبتوجيهٍ من معلم مدرسة الفنون بالمحافظة، تفحص المدربون جسدها، فوقع ذلك في قلبها وقعًا غريب المذاق، حيث شعرت تلقائيًّا بالخجل، وحتى تتغلب على هذا الشعور، تظاهرت بالعجرفة وعدم الاهتمام، فرأسها مرفوع، وتبدو بمعنويات عالية، وتنظر بطرف عينيها لهم وكأنها لا تنظر لأحد. وفي ذلك الوقت، كانت تحتل أكثر من نصف عقله تقريبا.

لا يُعرف في أي موضع من جسده حدثت المشكلة، فقد توقف نموه، وعلى الرغم من أنه يبلغ الثامنة عشرة، فإن هيئته ما زالت تشبه الأطفال، ولا يمكنه رقص أي شيء سوى رقصتهم، ويرتدي ملابس الأطفال، ولكن وجهه كالبالغين تمامًا، يبدو أكبر من سنه الحقيقي. ولم يكن لديه مهارة مميزة، لكان لفريق الرقص رأي آخر حياله منذ فترة.

وعلى الرغم من أنهما لا يمثلان الدور الرئيسي في العروض، فإنهما يتدربان باجتهاد. فلا يُرى سواهما صباح مساء في غرفة التدريب. ففي الطقس القارس البرودة، يخلعان ملابسهما ولا يبقيان على جسديهما سوى ملابس التدريب الخفيفة، حتى وإن لم يقتربا، يمكنهما تبادل شم رائحة العرق النتنة ورائحة الجسم. رائحته قوية جدًّا، ورائحتها ليست بأخف منه. وقد قالت لها الفتاة الصغيرة التي تسكن معها في غرفة واحدة، وهي محتارة بشأنها، إن رائحتها تشبه رائحة بول الثعلب، ولم توافق مطلقا على اقتراب السريرين

والنوم إلى جوارها. أما هي فلا تهتم بالأمر، فقط فكرت: "ما المشكلة في بول الثعلب، ليس لديكم مثله! فلنكثر من الأشياء التي لا يملكها البشر، فحين نمتلك مالا يملكه أغلب البشر، نصبح نادرين حقًّا!".
ولكنها حين تفكر، تشعر بقليل من الحزن في قلبها، وتشعر بالنقص. ألا يعلمون أن هذه الرائحة ليست لها صلة برائحة الثعلب الكريهة، فقط رائحة جسدها قوية قليلا. ذات مرة، وقفت في منتصف غرفة التدريب لتأخذ نفسها، وتبادلا النظرات والشم؛ فشعرت بغرابة، وقالت: "إن رائحة جسدك تشبه البطيخ". فأخفض رأسه ورفع ذراعيه وشم تحت إبطه وقال ضاحكًا: "إنها رائحة عرقي الحلوة المذاق، فمن الأفضل للناموس أن يأكلني في فصل الصيف". نعم، هذا الجلد الأبيض تملؤه الندب البنية هنا وهناك، وتظل في الصيف ولا يتراجع لونها البني. بعد ذلك، قال مندهشا: "إن رائحة جسدك تشبه خبز البخار!". فرفعت ذراعيها وشمت أسفل إبطها وأجابت قائلة: "إن عرقي حامض، لن يأكله الناموس". إن إبطها نظيف حقًّا، فلا توجد به أي بقعة بحجم خرم الإبرة، فهو أسمر لامع. ضحكا ثم استكملا التدريب، فكلٌ منهما يتمرن على ما يخصه من حركات، وفي بعض الأحيان يتبادلان المساعدة.
وحين يلتصق وركاها، يساعدها في فتحهما. حيث يجعلها تستلقي على الأرض، ويطوي قدميها، ويفتح الجانبين بقوة، حتى تتفرق ركبتاها على الأرض، كل واحدة على حدة. وبعد نهوضها، تبقى على الأرض الحمراء آثار جسد مبلل، وتُفتح القدمان المطويتان في الجهتين، مثلها مثل الضفدعة. وتجف تلك الآثار بعد فترة وتختفي. أما هو فيتدرب على دوران القدم. فدائمًا، حين لا يلف جسده أثناء الدوران، يضرب الحائط كالعفريت، حتى يختفي جسده داخل شريط واسع على الأرض، ويتطلع بذلك إلى زيادة نموه عدة سنتيمترات، حيث يعتقد أن الحل في مرونة الأربطة؛ لذا يجتهد في سحبها. ويقف مسندًا ظهره إلى الحائط، ويطلب منها مساعدته في رفع قدميه المربوطتين تجاه قمة رأسه؛ فترفعها بقوة حتى يلتصق وجهه بثنية ساقيه. إن تلك المساعدة التي يعتمد عليها دائمًا جعلت لون أحجار أعلى ذلك الجدار البيضاء يتحول بعد فترة طويلة إلى لون الجسد الأصفر، وآثار الأقدام لا تختفي من عليه. وهي تشعر بالمتعة حين تقف عند الجدار وترفع قدمه للأعلى، حيث تنظر له من أسفل قدمه حتى تصل إلى أعلى ساقه. واستمرا في التدريب الشاق، لكنه لم يزدد طولا بالتدريب، أما هي فيزيد اللحم المستدير بجسدها، وتطول قامتها، وأصبح هناك فرق كبير بين أطوالهما. وطبقًا للزمن، كبر كل منهما عامًا آخر.
وهذا المكان: مدينة صغيرة، محاطة بثلاثة أو أربعة أنهار، وبامتدادها طريق سيارات ضيق يتقاطع مع خط السكك الحديدية. وأهم ما يميز المكان هو الأشجار، والجراد، وأشجار الدردار، والصفصاف، والحور، والتفاح، والخوخ، والبرقوق، والمشمش، والعناب، والبرسيمون، وجميعها شديدة الخضرة والبهاء. وعلى طول سير باخرة بمحاذاة النهر، تظهر في وقت مبكر واحة صغيرة كثيفة الأشجار، وبالاقتراب تدريجيًّا، يمكننا رؤية القرميد الأحمر من خلال خضار الأشجار، وبالاقتراب أكثر يمكننا سماع صوت غنائي مميز، إنه صوت الأمواج. لقد اعتاد سكان هذه المنطقة استخدام مياه النهر في الطعام، وبمجرد تناولهم مياه الآبار تؤلمهم بطونهم ويصابون بالإسهال.

ويعتمد التجار على حركة المياه لكسب لقمة العيش. وتحمل العربات براميل من خشب الأرز بداخلها مياه الأنهار، ومع المطبات الموجودة بالطرق غير المستوية، تتسرب المياه للأزهار.
وفي طريق على جانب النهر، الكثير من الحفر، منها العميق ومنها الضحل، صنعتها عجلات السيارة. وغالبا ما تتشابك العديد من الحفر معًا؛ فتنتقل عجلات السيارة من هذه الحفرة لتدخل في أخرى، وتغرس العجلات وسط الحفر؛ فتصدر أصواتًا وكأنها تهتز على نغمات إيقاع. وبمجرد الذهاب بعيدًا، يمكننا أيضًا سماع الصوت من الخلف، صوت يتوحد دائما مع صوت الشجيرات الكثيفة الخضراء ويجذب الناس إليه. ثم تتحرك العجلات وتترك عشرات الأشخاص، وعشرات الشيالين، يأتون على الأرض المهتزة دائمًا، ويسيرون حتى يصلوا للضفة، باتجاه الطريق المركزي.
وطرق المدينة ممهدة بالحجارة المتشابكة، وقد أصبحت ملساء بفعل أقدام المارة، وتسخن حجارة الطرق بفعل حرارة الشمس، وتتخلل بواطن الأحذية القماشية للمارة فتُسخِّن الأقدام؛ فيرتاح الجسم بالكامل. ويرتعش الشيال وهو يحمل على كتفيه البضائع، وتصطدم قدمه بالطريق الحجري؛ فيصدر صوتًا يصل لمنتصف الشارع، ثم ينزل الشيال حمولته من الكُرَّات الطازج، وتظل قطرات الندى عليه حين يُقطع. في هذا اليوم يتناول سكان تسعة منازل من أصل عشرة بالمدينة أطعمة محشية بالكرات؛ فيمتلئ الشارع برائحته. حيث تصب تلك الحمولة من الكرات الطازج على الخضروات المقلية وينتهي أمرها.
دخل الحنطور الذي يشتري العشب من أقصى الجنوب، وسار في هذا الشارع، والعشب على العربة مفروشًا كالشراع. يخفض الحصان رأسه ويسير متناولا طعامه، ويجري بجانبه جحش غير مقيد مرحًا مترنحًا؛ فتخطو أرجله الأربعة الرفيعة الطويلة خطوات سريعة، وفجأة يجري للأمام، وفجأة يتراجع للخلف؛ فيسير بشكل عشوائي في الأربع جهات تقريبًا، ليصدم كشك المكرونة التابع لامرأة عجوز، ولكنه لم يهتم، فالجميع يوسع له الطريق، ليسير كما يريد.
لقد تساقط الجير، وظهر حائط القرميد، ملصوقا عليه إعلان كبير عن الفيلم الذي يُعرض في السينما، والمسرحية التي تُعرض بالمسرح. يحتل الفيلم جانبًا واحدًا، أما المسرحية فثلاثة جوانب. الفيلم عبارة عن حركات لخيال الممثلين، الذين يتميزون بمهارة غير عادية، أما المسرحية، فعلى الرغم من انخفاض المستوى القتالي بها بمراحل، فإن الممثلين أناس حقيقيون. والأسعار معقولة جدًّا. وبحلول المساء، تمتلئ القاعات امتلاء مناسبًا.
وبحلول المساء، يغادر الشيالون الشوارع، وتُغلق المتاجر، ويحل الظلام، ويلمع الطريق الحجري كلآلئ تحت نور القمر. لقد أغلقت الأبواب، وأقفلت النوافذ، وبعد فترة انطفأت الأضواء. وبدأ الأطفال في أحلامهم، يحلمون بصورتهم في الكبر، أما كبار السن فيفكرون في شبابهم المنير، بينما الشباب لديهم سعادة أخرى، فيتحركون في الظلام، ويزرعون ثمرة حياتهم. ومع بداية العام، يأتي مولود جديد للبلدة الصغيرة، ويبكي بكاءً شديدًا.
في هذه اللحظة، يحل هدوء مظلم.

توجد في السينما شاشة واحدة مضيئة، تظهر عليها خيالات متحركة، وتحكي هذه الخيالات قصص الأفراح والأتراح. أما المسرح، فيحوي خشبة مسرحية متألقة، والأشخاص الحقيقيون يمثلون أدوارًا مزيفة.
إنهما يتدربان دائمًا، حتى وإن أرادا التوقف فلن يمكنهما ذلك. فإذا توقفا يومًا، سيسمن جسدها أكثر، أما هو فلن ينمو خصره، بل سيزداد عرضه ويقل طوله. فليس أمامهما سوى الاستمرار في هذا التدريب الشاق.
في الحقيقة، إن الأمر ليس شاقًّا جدًّا، فهو ممتع كثيرًا. لقد وصل جسدها إلى مرحلة عدم تناسب أي شيء ترتديه، كما أنها تكره فعل الأشياء بحماقة، فتشعر بالانزعاج الشديد. فقط، حين تخلع ملابسها ليتبقى زي التدريب على جسدها، تظهر بشكل مناسب قليلا. وحين تفعل أي شيء في حياتها اليومية، لا تحتاج مطلقًا إلى بذل جهد للقيام بحركات الرقص، فازداد شعورها بالرضا تدريجيًّا. وحين تنظر للمرآة في كل مكان، تفكر: إن شكلها القبيح هذا ليس عادلا، وتعتقد أن غباءها الشديد ليس من العدل أيضا. انزلقت قطرات العرق من على جسدها الأملس كالساتان، وكأنه حبات لؤلؤ. وابتل شعرها بالعرق، والتصقت خصلاته برقبتها الطويلة المتورمة. جذور شعرها قصيرة جدًّا، فتمتد تقريبًا للمنطقة الواصلة بين رقبتها وكتفيها، وقد جف شعرها القصير على رقبتها ثانية بعد أن ابتل، وتغير كل شيء، وسطعت الشمس في الأعلى، فتشبه حين رؤيتها من الجانب نعجة جبلية.
وهو أيضا لا يظهر أطول قليلا إلا حين يرتدي زي التدريب، وماذا يعني جسده القصير، وهو يمتلك قدرات فنية قتالية لا يمتلكها الأشخاص العاديون. وحين يقوم بتدريب في غاية الصعوبة، يمتلكه شعور مهيب. وحين يخلع ملابسه العلوية، يظهر ظهرة الأبيض الخشن. إن وجهه يمتلئ بحب الشباب مثله مثل باقي جسده، وكان ما يمتصه من مغذيات تخرج دائمًا، إنه ليس طويلا، لكنه سمينًا، إن مغذياته وطاقته جميعها تقوي هذه البثور التي تشبه الفاصوليا الحمراء، وتملأه، مما يدل على قوته وطاقته الشبابية العالية. وحين تهدأ هذه الحبوب تدريجيًّا، تترك حفرًا بنية اللون كالبئر، وتملأ هذه الحفر ظهره بالأخص، فتجعل سطحه يشبه الصخرة الصلبة الخشنة. وتظهر على تلك الآبار البنية قطرات عرق هائلة، وواضحة جدًّا.
يتصبب العرق كالاستحمام، فتخترق قطراته أعمق مكان متسخ بالجسد وتغسله، وبعد انتهاء العرق، يتولد شعور كبير بالسعادة والراحة.
هناك غرفة صغيرة واحدة فقط من الإسمنت تُستخدم للاستحمام، مستندة على موقد المياه، وموقد المياه قريب من البئر، فيمكنه إدخال المياه الممتزجة بكمية مناسبة من المياه الباردة والساخنة، ويستند على طاولة صغيرة من الإسمنت، أسفلها مزراب يمكنه إمداد المياه.
بالإضافة إلى ذلك، يوجد خلف الباب مجموعة من الخطاطيف تستخدم خصيصًا لتعليق الملابس، وهذا كل شيء. الرجال والنساء جميعهم يستخدمون هذه الغرفة، وإذا كان الباب مغلقًا، لا بد من السؤال بصوت عال: "هل يوجد أحد؟".
ويجيب من في الداخل: "يوجد أحد". إذا كانت امرأة، يقف الرجل ويخفض رأسه منتظرًا، والعكس. وإلا يسحب من في الداخل القابس، ويضيء خلف الباب، ثم يُغلق الباب بعد دخول أحدهم. وفي الطقس الحار، يزدحم هذا

المكان كثيرًا، لذا من الطبيعي أن ينشأ خلاف. أما بحلول الشتاء، يتفرق الجميع. لأنها غرفة مواجهة للشمال، وليس بها نوافذ، ولا تدخلها أشعة الشمس طوال اليوم، فتكون باردة جدا، كما لا يوجد بها أية معدات للبرودة.

(2)

فُتحت الأبواب غير المطلية نصف فتحة، وظهرت الأرض الإسمنتية البيضاء التي غُسلت بفعل تدافع المياه. ولولا أنهما يتبادلان تنظيفها يوميًّا، لتركت عدة برك مائية، وأصبحت أكثر وحشة. هو دائمًا ما يدعها تغتسل أولاً، لتستفيد من عرقها الساخن، ولا تشعر بالبرودة القارسة، ولكن لا يجرؤ أيضًا على تركها فترة طويلة، فسريعًا ما يشعر بضغط البرودة.

أثناء انتظاره لها، يستمر هو في تدريبه حتى يحافظ على درجة حرارة جسده، فيرقص في جميع أنحاء غرفة التدريب، وكل رقصة يذهب فيها ناحية النوافذ الشمالية، وكأنه يستمع إلى صوت رش المياه بغرفة الاستحمام. ولا يمكن تجنب ظهور مشهد انسياب المياه على ظهرها الأملس المثمر أمام عينيه، وتتفرق المياه لتسير في طريقين، فتتبع قدميها غير المتناسقتين اللتين يشبهان قدمي الفيل، وتستمر إلى أن تصل لنهاية المطاف، وتدخل في الأرض الخرسانية. وفي أحد الأيام - بسبب أنها لم تحرك قدميها مطلقا - أثناء نقله للماء للداخل، شاهد آثار قدمين جافتين على أرضية الحمام، إنها آثار أقدام كانت ترتدي نعلا إسفنجيًّا، فأخذ يحدق في آثار الأقدام، وتدريجيا مد كاحليه ثم قدميه وركبتيه وجسده تجاه تلك الآثار بشكل عمودي، واستمر في الصعود، وكأن هناك شخصا كاملا حقيقيا يقف أمام عينيه؛ فلم ينتبه سوى والمياه قد بردت دون أن يشعر.

وبعد مرور يوم، أهدى لها دلوا بلاستيكيًّا أخضر بلون التفاح، لأنه تذكر أنها اشتكت من قبل من حجم الحوض، وأن طرفيه غير كافيين للغسيل؛ ففكر أن دلو مياه سيكون كبيرًا. وحين تكون المياه كثيرة، ستغسل بسعادة، ومنذ ذلك، لم تعد هناك آثار أقدام جافة على الأرض الرطبة، فقد اختفت تلك الآثار تحت الماء.

حين تبقى المياه الساخنة قليلا في الدلو، لا بد أن يتغير شكله، فحين يُحمل باليد، يتحول إلى شكل دائري، وتسقط أشعة الشمس على جانب الدلو الأخضر التفاحي؛ فيصبح لون المياه عذبًا نقيًّا، ثم يظهر تدريجيًّا بخار لونه أخضر فاتح. وترتجف المياه في يديها إلى أن تصل للغرفة الصغيرة المظلمة، وتختبئ خلف الباب نصف التالف غير المطلي. الغرفة مظلمة جدًّا، ولا يوجد بها نوافذ أو إضاءة، فقط يتسرب من أسفل الباب شعاع رفيع. أما برميل المياه فهو واضح قليلا كالضوء اللامع يشع خضارًا.

مسحت كتفها بالمنشفة المبتلة بالمياه الساخنة؛ فنزلت المياه على صدرها وظهرها، كأنها عشرة ملايين إبرة وخزت جلدها؛ فأصدرت صوتًا أجشَّ متعبًا، واستمرت في مسح المنشفة، وسكبت المياه على جسدها. المياه، أصبحت ضحلة تدريجيًّا، ومظلمة. حينها بدأت في ارتداء ملابسها. وحين فتحت الباب ألمت الشمس عينيها، وكأنها عانقتها بحماسة وقوة؛ فشعرت بسعادة غامرة.

رأته مبللاً بالعرق، ولا يزال يرقص دون توقف، ويلتف حول ساقه السوداء المتسخة، فشعرت بالأسف، وأعارته الدلو بكرم ليستخدمه. وفي اليوم الثاني، حملت الدلو الذي أعاده إليها لتحضر المياه، فاكتشفت أن الدلو لم يغسل بعد استخدامه، وفي قاعه مياه فاسدة رمادية، وتحيط بجدرانه أيضا

طبقة من الجسيمات الرمادية الفاتحة؛ فأرادت أن تسبه، ولكنها توقفت وتنفست. وأمالت الدلو ولفته، فرأت بالمياه الرمادية بعض الجسيمات الضئيلة، وحاولت معرفة ماهية تلك الأشياء، مستحيل أن تكون بقايا جلده؟ إن الجلد الذي تعرفه لا يسيل منه العرق فحسب، بل به أيضًا حبيبات جلدية. إنها ليست غبارًا أو رمالاً، إنها جسيمات جلدية. حين فكرت في ذلك شعرت بقرف شديد، وأحضرت مياهًا عذبة وسكبتها، ثم غمرت نصف الدلو بها، ثم غسلت جدرانه بيدها، جدار هذا الدلو البلاستيكي يبدو في قبضة اليد وكأنه خشن قليلا، فهناك أشياء لا يمكن غسلها وإزالتها، وتحك في اليد. وكل مرة تحمل فيها مياهًا نقية، ترى داخلها رقائق صغيرة، وكأنها سمك يسبح بنشاط، تراها مهما كانت الغرفة مظلمة.
في هذا اليوم، اغتسلت. ودائمًا ما يمتلكها شعور بعدم النظافة، فتشعر بحكة في ظهرها، ودائما تهز كتفيها، وتفعل حركات تبدو غير محتشمة. والفتاة التي تشاركها الغرفة فتشعر بالقرف منها، وتعتقد أنها تقريبًا تحوي قملاً وما شابه، على الرغم من أنها تستحم يوميًّا، أما هن فيذهبن لحجرة الاستحمام مرة في الأسبوع.
حجرة الاستحمام تشبه غرفة استحمام الرجال، فتقع أيضًا في بركة كبيرة، فيدخلون إليها كالعجين المطبوخ بالبخار، ويسخنون. وبحلول الظهيرة، تصير المياه مشابهة للهريسة المنصهرة. وبسبب امتلاك الفرق المسرحية هوية خاصة بهذه المدينة الصغيرة، لذا ففي فجر أيام الأحد، وقبل دخول أبناء القرية للمدينة، تُفتح حجرة الاستحمام لهم مبكرًا ساعتين، حتى يتمكن الممثلون والممثلات من الاستحمام. ويحملون جميعا دلوا ليحملوا به المياه من البركة ليستحموا بها، وبعد انتهائهن من الاستحمام جميعًا، يخرجن من الغرفة بشعورهن المبللة، ووجوههن الحمراء، ممسكات بحوض الملابس المتسخة على وسطهن بإمالة، وكأنهن رائعات الحسن، مثل: شيشي خوان شا. وبعد خروجهن يكون المدخل قد امتلأ بسكان المدينة الذين ينتظرون بشدة ويرتعشون رغبة في التبول، فينظرون إليهن بإعجاب، فلا يمكنهم تخيل شعرهم المنشى الذي يشبه الملكات.
في مساء أيام الشتاء، دائمًا ما يسير في الشارع رجال القرية ونساؤها محمرة وجوههم بفعل البخار الساخن بغرفة الاستحمام، يحملون حمولتهم على الأكتاف، ويمسكون السلال بأذرعهم، أو يجرون عربات مستقيمة، إنهم يملؤون الشوارع، ويسيرون في طريق الخروج من المدينة: هناك طريق يؤدي إلى ميناء السفن، وطريق آخر يمر عبر هويس ضخم، ويتجهون إلى الشمال. وفي الغروب، ترتفع الشمس فوق الهويس، وتغادر تدريجيًّا من خلف أعلام الثلاث جهات العالية المصنوعة من الصلصال، وتعيد احمرار العلم الأحمر الذي بهت لونه منذ فترة، وهذه هي أكثر اللحظات العصيبة أسفل الهويس، حيث تمر السيارات واحدة تلو الأخرى، ومن بينها الأجراس المتفرقة للدراجات، وتخطو بطون الأحذية المريحة للنساء على الأرض الخرسانية الرمادية، فتترك آثار أقدام مرتبة أو غير مرتبة، محاولين اللحاق بالشمس، ويسيرون بطول الطريق إلى أن يصلوا للطريق الترابي، فتختفي آثار الأقدام وسط الأتربة الطائرة.

إنه موسم الجفاف، لا تمطر فيه السماء لثلاثة أشهر متواصلة، وتظهر على الطرق الكبيرة أتربة سميكة يصل سمكها إلى بوصة، يُدفن فيها سطح القدم، وتتصدع الأرض. جفت مياه البرك، وتعكرت مياه الآبار، وانخفض النهر الموجود أسفل السد، وظهرت طحالب خضراء غامقة. يكون غروب الشمس أحمر ناريًّا، وبعد غروبها من أعلى الهويس، تختبئ خلف الشجيرات الخضراء البعيدة، وكأنه سحر، تلك الأشجار الخضراء تبدو كقرية، يمكن رؤيتها لكن لا يمكن الوصول إليها كالسراب، وبالوصول للحظة الهدوء العميق بالليل، يظهر صوت نباح طويل. وإذا لم تنبح كلاب المدينة، تصاب آلاف القطط بالغليان. في هذا الوقت، تصدر في الليل أصوات حادة، كالبكاء والضحك واللهاث والتنهد؛ فتثير المدينة بأكملها ولا يتمكن سكانها من النوم الآمن.
وهناك ذلك الرجل الأعزب، الذي يستيقظ متأخرًا، ويحمل عصا الحمل فيهوي به، ولكن مهما يهوي به لا يتركه، وكأنه ولد وترعرع معه. وبتدقيق النظر ثانية، نكتشف كلبين صامتين. وقد هربت القطط مبكرًا، لتواصل الصياح بألم. وفي صباح اليوم التالي، يحك عينيه المحتقنتين بالدماء، فيلعن القطط أولاً، ويشتم الكلاب، ويرفع رأسه وينظر للسماء، ليس لأنها تمطر، بل ليلعنها.
في النهاية، يفكر في الولد والفتاة القادمين خارج المدرسة الإعدادية الأمامية، وهما في الواقع يرتديان سروالين مخططين مزخرفين. على الرغم من أنه ينام في الغرفة ولا يرى الأشخاص خارجًا، فإنه سروال في النهاية، كيف يمكن استخدام القماش المخطط والمزخرف مع بعض، مهما كان كيفية ذلك فهو أمر خاطئ.
لقد قضوا الشتاء القارس بصعوبة، واستقبلوا موسم الربيع الجاف، لقد نمى جسدها لدرجة استحالة نموه ثانية، وكأنها ثمرة كبرت قبل موعدها، إن هذا فقط غير مناسب. أما هو فجسده يشبه إرادته الصلبة القوية، فلم ينمو ثانية ولو القليل. هي تكبر كالبالغين، ولكن مزاجها ما زال كالأطفال، فتسعد حين تشاء، وتحزن حين تشاء، وبعد الضحك تحزن، وبعد الحزن تضحك، فتتغير كثيرًا في لحظة واحدة، لكنها طبيعية كطقس الصيف، فلا تجعل الناس يشعرون بغرابة وتزييف. إنها فقط حمقاء بما فيه الكفاية.
الأطفال يمزحون في غرفة الدعابة، يمزحون في كل شيء، مزحوا قائلين تلك الجملة: "أبي يعض فم أمي في المساء". حين يسمع الآخرون ذلك، تسعد قلوبهم سرًّا، لكن تبدو وجوههم وكأنهم لم يسمعوا شيئًا، فهناك فرق بين الشيئين.
هي ما زالت، منذ صغرها، تطلب منه المساعدة في فتح قدميها. إن هذا العمل يزداد صعوبة بالنسبة إليه، لكن لا يمكنه الرفض. وبسبب عدم قدرته على الرفض، أصبح هذا الطلب أكثر عذابًا له. هي تستلقي أمامه، وتضم قدميها أمام صدرها، وتفتحهما تدريجيا على الجانبين، أما هو فلا يتمكن من كبح جماح اضطراباته الداخلية. إنه يلهث بشدة، لأنه يحتاج لقوة كبيرة، وكأنه يختنق، ويسيل عرقه على رأسه ووجهه وكتفيه وظهره والجزء الداخلي لقدميه. وفي جسده الذي يشبه الأطفال، بدا قلبه وكأنه تعويض، فنمى بسرعة كبيرة، وأصبح قلب رجل ناضج تمامًا. وحين يساعدها في فتح قدميها، تتولد في قلبه أفكار شريرة، فيريد إيذاءها، ويبذل قوة خارقة؛ فتصرخ صراخًا حادًّا كالصفارة، يصيبه بالذعر، وتلين يداه، ويترك ركبتيها؛ فتقرب ركبتيها من

بعضهما، وتحتضنهما بذراعيها أمام صدرها، وتستمر في الصراخ، ثم تشتمه، تشتمه بكلام قبيح للغاية لا يتفوه به سوى الرجال، على سبيل المثال: اللعنة عليك.
إنها لا تفهم مطلقًا المغزى الحقيقي لذلك، فقط، تهاجمه بكل قوة، وتنفس عن غضبها، ولم تتوقع أن هذا سيثير خياله، ويجعله أكثر قلقًا، فيشتمها بالكلام القبيح نفسه، لكن هذا يمثل المغزى الفعلي الحقيقي، الذي لم تفهمه بعد، وما زالت تستند على الأرض ولم تقم، محتضنة ركبتيها لكن ليس احتضانًا صادقًا، فأحيانًا تمد إحداهما، وتحتضن واحدة فقط، وأحيانا تمد الثانية، وتحتضن الركبة الأخرى. وأثناء مدها لساقها، تحدث تقلبات قوية جدًّا لصدرها وبطنها بالكامل. وتعاود شتمه حين تراه. وكلما غضبت، شتمت بكلام قبيح مروع وغير منطقي، على سبيل المثال: "اللعنة عليك!"؛ فيزيد هذا من إثارته، ويرد عليها بكلام أكثر قبحًا ذي مغزى حقيقي. ولم تدعه هي يتحدث ثانية، فكانت تشتمه باستمرار، وصوتها حاد وطويل، محاولة قمع صوته الموبخ. صوته منخفض وقوي، فقدرته على التغلغل بطيئة. وحين تعتقد أنها نجحت في إسكاته وسيرتاحون، يتردد صوته بقوة. وهنا تدرك حقًّا أن لعناته لن تتوقف أبدًا، فيلاحقها كفرقة تشيلوا الموسيقية، على الرغم من ضعف اللحن، فإن الصوت لم يختف. هي لم تتمكن من أخذ نفسها، واستمرت في التوبيخ المتواصل، محاولة قمعه، فإنه لم يتراجع، فقابل ضجيجها بهدوء، إلى أن بح صوتها، واستلقت على الأرض تبكي وهي تتقلب هنا وهناك، هنا توقف عن الكلام، ونظر إليها بصمت.
لقد طُلي جسدها باللون الأسود بفعل تقلبها، وحكت يداها السوداوان عينيها دون خوف؛ فصبغت دموعها باللون الأسود، وامتلأ وجهها بدموع متسخة. حينها شعر قلبه ببعض من الحزن؛ فحمل برميلها وملأه مياهًا دافئة مناسبة، وطلب منها أن تغسل وجهها، لكنها لم تستمع إليه، واستمرت في البكاء. بسبب المواساة، أصبح بكاؤها أكثر جرحًا، وأصبح هذا الجرح أكثر واقعية.
لم يكن أمامه سوى الذهاب للأمام وسحبها. على الرغم من ثقل جسدها، بالإضافة إلى صلابته وتشبثه بالأرض، فإنه بذل قصارى جهده، واستحوذ عليها بسهولة، ودفعها داخل حجرة الاستحمام.
وحين سمع أصوات القابس، وبعدها صوت رش المياه المغلي المنتحب، هدأ قلبه وامتلأ بالرقة واللطف.
نزلت المياه على جسدها، وتلاشى العرق الطيني كالتقشير؛ فشعرت بالاستجمام.
لقد جفت دموعها منذ فترة، إنها فقط تجهش بالبكاء، وكأنها تتظاهر. أما قلبها فيمتلئ بالدفء بغرابة، وهذا الدفء ملأ جسدها بالكامل تدريجيًّا، وكأن هناك شخصًا قام بتدليكه بحب. فشعرت تقريبًا بالسعادة، فإنها لم تتوقف عن البكاء، معتبرة إياه بمثابة مواساة لها.
منذ ذلك الحين، لم يتحدثا ثانية، وأصبحا أعداء.
على الرغم من أنهما لا يتحدثان، فإنهما ما زالا يتدربان معا. هو يؤدي تدريبه، وهي تؤدي تدريبها، فكل منهما يتدرب ما يخصه، هو لا يساعدها في فتح قدميها، وهي لا تساعده في تحريك ساقه، فكل منهما يتدرب بمفرده. ويرسم كلاهما وجهًا صارمًا، فهما جادان جدًّا، وكأنهما يعقدان نشاطًا مهمًّا وفخمًا.

فلم يعد في غرفة التدريب أصوات حديثهما وضحكاتهما التي كانت من قبل، وكانت تصدر صدى ضئيلًا في غرفة التدريب الفارغة. أما اليوم، فلا يتبقى سوى صوت دبدبة القدم على الأرض، وصدى الفراغ، فيبدو الأمر أكثر رتابة.
أما قلبهما، فعلى عكس ذلك الجو الهادئ، فهو مليء بالضجيج والقلق. فما زال قلبها يتشاجر معه بعنف، واستخدمت آلاف الكلمات البذيئة التي تعرفها وتلك التي لا تعرفها لتوبخه بها. وبعد انتهائها من التوبيخ، شعرت أنها تحملت الإهانة، وشعرت بالأسف والضعف، وأصبحت تحب نفسها كثيرًا. وفي كل رفعة يد وركلة قدم تستخدم في فعلها سلوكًا يجمع بين المتضرر واحترام الذات، فلم تنتبه إطلاقا لسلوكها، بل شعرت بقوة إن التدريب له هدف جديد، ومغزى أعمق. ولم يكن هذا من أجل التسلية أو النمو فقط، فبدا وكأنه يمتلك معنى خاصًا للعرض.
لذا، أصبح تدريبها أكثر اجتهادًا من الأيام العادية، وتشددت في طلباتها من نفسها، فحين يفشل جسدها وتقع على الأرض، تتألم بشدة وتكاد تصرخ، لكنها تتحمل، وتكافح للنهوض، ثم تقوم بالمحاولة الثانية التي تفتقد أية أمل في النجاح. تقريبًا كل هذا لتجعل شخصًا ما يتأثر بقوة، لكن في الحقيقة، هي من جعلت نفسها تتأثر لدرجة تكاد تدمع لها. في الوقت نفسه، كان هو يعذب نفسه أكثر، فيثني جسده دون الحاجة إلى ذلك، فتصبح هيئته في شكلٍ لا يصدق.
لقد ثنى خصره، ووصلت رأسه لمنتصف قدميه، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل مدها من وسط قدميه ورفعها، ونظر للعالم باستقامة. وأصابت هيئة جسده الناس بالحيرة، فأي جزء هو الأعلى، وأي جزء هو الأسفل، فتحيروا للحظات. ومرت عينه بدورة كاملة قدرها 360 درجة، ونظر لهذا العالم في سكون. وبعد انقلابه مرتين، غيّر هيئته تقريبًا، وأمكنه الحفاظ على هذه الهيئة بسكون لمدة تصل إلى عشرين دقيقة، وكأنه يكره جسده، وتقريبا يتعمد معاقبته. إن ذلك الجسد الذي يحيط بروحه من الخارج، يتعارض مع الروح، فصارت روحه هي الحكم. ولأن عقابه كان متجاوزًا، لم يتجنب وجود بعض عوامل التكلف به. لقد كافح كل منهما بمشقة، من أجل عاطفتهم غير الواضحة.
واستقبلا أول أمطارٍ تهبط منذ الربيع الماضي.

(3)

بدأ المطر في الهطول بكثافة.
كان الافتتاح في طقس يشبه حر يوليو الشديد، والوقت لا يتسع لخلع بلوزتين، حتى التيشيرت لا يمكن تحمله. لقد بدأ ظهور تنورة أنيقة على المسرح، لكن ليس لها الجرأة على الخروج من باب المسرح، فقط تتبختر بأسف داخل الفرقة المسرحية. بعد ذلك، غيمت السماء فجأة، وظلت الغيوم طوال اليوم، وسقطت أمطار هائلة، وبرد الجو سريعًا. وفي لمح البصر، اختفت التنورة الجميلة، وجُمعت جميع الملابس التي كانت معلقة بالمسرح بأكمله، وظهرت الأرض الخرسانية مبللة. هناك أماكن مرتفعة، وأخرى منخفضة، فتجمعت المياه بالمناطق المنخفضة، وظهرت أمواج دائرية على البرك التي تكونت تحت المطر. في هذه اللحظة، حلت ساعة الغروب، وفي ظل المطر، كان الغروب يحمل برودة دافئة، أو دفئًا باردًا.
لقد دخلت الأمطار من سطح غرفة التدريب ممتدة على أضلاعها ملتوية متعثرة، وفي لحظة، علقت الستارة المائية على أطراف جميع البيوت، وفتح الناس نصف الباب، واتكأوا على نصف إطاره، منعزلين عن الشلالات، متحدثين لبعضهم البعض، ولم يخرج موضوع الحديث عن جفاف الربيع وأمطاره. يتحدثون تارة ويتناولون الطعام تارة أخرى، فيملأ الطعام صحنًا من الخزف، ممسكين به باليد اليسرى، وفي اليمنى عصا الطعام الملتوية المصنوعة من الخشب الأبيض. أمسكت عصا الطعام الخشبية بعصيدة من الأرز، ولأنها قلوية، ظهر الطعام باللون الأحمر البني، وكان مذاقه حلوا للغاية، ويوجد بجانب الصحن الفاصوليا المخللة والخضار المملح، تتناثر منه رائحة العفن، وحين تشم هذه الرائحة طويلا، تشعر في الواقع بالنشوة.
لقد هطلت الأمطار على الأرض الحجرية، وكان وقعها رنانًا، فغطت على الصوت، واستوجب التحدث بصوت مرتفع حتى يتم التواصل. وإذا كان بيت أحدهم مغلقًا، فهذا يعني أن صاحبه لم يعد بعد، ولم تُجمع الملابس المعلقة أمام المدخل، فتبللت بفعل المطر، وهذه الملابس عبارة عن سروال قماشي مزخرف. وبسبب ابتلال الزخرفة بفعل الأمطار، أصبح لونها زاهيًا للغاية.
برد الجو ثانية، ولا بد من ارتداء بلوفر، ومن لا يملك واحدًا من أبناء القرية، يرتدي سترة مبطنة بالقطن. الستارات جميعها تقريبًا سوداء اللون. وتغلب على الشوارع القتامة بعد المطر. وقد غسلت الشوارع الحجرية بالكامل بفعل الأمطار، فظهرت الأحجار السوداء سوداء، والبيضاء بيضاء، فبدت لامعة ساطعة بحيث لا يمكن وصفها.
لقد ارتفع منسوب مياه النهر، وغمر ضفته المغطاة بالطحالب، فكانت واضحة للغاية. وغلب اللون الأبيض على الطرق الإسمنتية أسفل البوابات، أما الأتربة فغلب عليها اللون الأسود، وازداد لمعان خضرة أوراق الشجيرات والأعشاب. إنها قرية. لقد مات طفل في هذه القرية أثناء المطر الشديد، نزل إلى البحيرة لتقطيع اعشاب تأكلها الخنازير، فانزلقت قدماه أثناء خوضه المياه. وبعد انتشار القصة على بعد أميال اختفت كسرعة الرياح. وما زال سكان المدينة يمدحون المطر، فحين يسقط يصبح الطقس رطبًا، ويرتاح الناس. كما يتباهى سكان القرى بخضار قمح الأرض.

ما زالا لا يتحدثان، وكأنهما أعداء. وقد لاحظ مَن بالجوار، وشعروا بالغرابة. شعروا بالغرابة لفترة ثم اعتادوا، ولم يصبح الأمر غريبا. وبعد أن اعتادوا لفترة شعروا مرة أخرى بالغرابة بعض الشيء، لأن فترة عداوتهم طالت قليلا، فعلى ما يبدو أن هناك سببًا عجيبًا في ذلك، وطبيعيًّا لا يمكن الاستمرار في تلك العداوة المتعمدة. حين يتم سؤالها لا ترد؛ وحين يتم سؤاله، لا يرد. وبسؤالها مرة أخرى، بسبب موقفهما الجاد، أصبحت صارمة دون أن تشعر، وسلوكها حاد وصارم. لقد جعلهم هذا السلوك أكثر اهتمامًا، واعتقدوا أنها ستفتح قلبها، فسألوها بجهد أكبر. فأشعروها بالظلم دون إدراك منهم، وبسبب سلوكهم الصارم تضخم ذلك الظلم، فبكت. لقد عزز هذا البكاء ثقة الناس، وقوى الجذور. ولكنها حركت رأسها بالرفض باكية: "لن أقول، ليس لدي ما أقوله".

في الواقع، كانت تلك هي الحقيقة، ولكن بسماع ذلك يبدو السبب عميقًا جدًّا. فاستمروا في السؤال، ولكنها لم تتحدث أيضًا، واستمرت في البكاء فقط، بل وبكت بجرح. إن جزءًا صغيرًا من هذا الجرح سببه الظلم، والجزء الأكبر بسبب الحيرة والحرج؛ لأنها في الواقع تعرف أنه لم يحدث شيء.

لم يحدث شيء من قبل، وأصبح الوضع قاسيًا هكذا، فتعتقد أن هذه مسئوليتها، لذلك، كانت خائفة قليلا. وموقفها هذا على الأقل أرضى الجميع للنصف، وذهبوا لسؤاله ثانية وهم يملكون الحجة، فحاصروه ولم يعد بوسعه سوى توبيخهم، فجز على أسنانه لاعنًا شاتمًا بعنف. بماذا يشتم ولماذا؟ هو نفسه لا يفهم، فشعر بالسخافة، ولكن لا يمكنه التحكم في فمه. فصرخ في وجهه الجميع، وأمروه بالصمت وبتبادل الاحترام معها. أي احترام يبادله، فعلى ما يبدو أن هناك شيئًا بقلبه. هما فقط من لا يفهمان، في الواقع هما فقط أيضًا من يفهمان الحقيقة. ولكن كل منهما لا يعتقد نفسه فاهمًا، ويعتبران نفسيهما لا يفهمان أي شيء، وتعرضا لظلم كبير، وتحملا العبث بهما. لقد احتُضنوا من قبل الجميع، وأمسك رئيس فرقة الرقص بيد كل منهما وقربهما بقوة، قربهما حتى تصافحا بسلام.

لقد قاوما، قاوما مقاومة شرسة، فالكثير من الأشخاص بذلوا جهدًا ليتصافحوا. هي تبكي، وهو يشتم، وبسبب عدم قدرتهما على المقاومة غضبا كثيرا، وتضايقا كثيرا. وأخيرا تلامست أيديهما، وهما ما زالا يقاومان ويراوغان، ولكن هذه المراوغة بها شيء من الافتعال. لقد تبادلت أيديهما الملامسة، وكأن قلبيهما تأثرا فجأة قليلا، وبدت المقاومة ضعيفة. وأخيرًا تصافحت أيديهما بفعل قوة مدير الفرقة، والتصقت قبضة يديهما.

لم يعد الآن يشعر بجسدها، وهي أيضًا لم تعد تشعر بجسده. وشابهت لمسة أيديهما صدمة كهربائية قصيرة وسريعة جدًّا، ووسط ضحكات الجميع، فك الطرفان أيديهما فجأة وهربا. ولكن هذه اللحظة كانت بطيئة جدًّا، بطيئة لدرجة تكفي خبرتهما وتعلمهما مدى الحياة. وكأنه في هذه اللمسة التي تشبه البرق أدرك أن هذه يد فتاة، وهي أدركت أن هذه يد رجل. لقد هربا، وحين يلتقيان ثانية يشعر كل منهما بالخجل، ولا يجرآن على رفع رأسيهما والنظر لبعضهما، ولا يجرآن على الحديث.

لذلك، ما زالا لا يتحدثان. ولكن، عدم حديثهما هذه المرة حظى باعتراف أصدقائهما، فلم يعودوا يهتمون بالأمر كثيرًا، وتركوهما كما يريدان. والتدريب

كما كان في السابق، ما زال شاقّا. فتتغلب على نفسها باستمرار، وألم جسدها يعطيها متعة رائعة، فتقريبًا يثملها هذا الألم. فكلما تألمت أشفقت على نفسها، وتغلبت على قهرها. أما هو فيحاول ثني جسده بجد، وحين يصبح جسده على هيئة غير معقولة يهدأ ويستقر. لقد جعلته قسوته على نفسه مغرورًا. وحين يغادر أحدهما، ويبقى الآخر وحيدًا، تختفي الثقة والعزم على تعذيب النفس، وتهدأ حماسة الجسم بالكامل وتوتره. إنهما يعذبان نفسيهما هكذا، في الأساس ليظهرا شيئًا مؤسفًا، فتفكيرهما يتركز بالكامل على جسديهما، فلا يمكن القول إن حتى عُشر أو واحد في المائة من تركيزهما يذهب لمشاهدة الطرف الآخر وإظهار الإيثار. لقد تعبا هباء. فكل منهما يحتاج الآخر من أجل نفسه. فبوجود الآخر، يصبح هذا الجهد والتحمل ممتعًا وذا مغزى وفائدة. في النهاية، إنهما يفعلان ذلك ليظهرا ويبرهنا لنفسيهما قدرتهما على الثقة بالنفس والتأثر.
ولكن، هذان الشابان السطحيان لا يدركان هذه الأشياء، إنهما فقط سعيدان ببراءة بالتدريب. فأثناء التدريب يجب أن يكون الاثنان معًا. وبسبب احتياجهما غير المبرر لوجود الآخر في ساحة التدريب، انسجما معًا، وإذا وُجِدَ إحداهما فقط، لا يمكنه التدريب، فمجيء أحدهما أولا للساحة، يفرض على الآخر المجيء، ثم لا يستطيع أحدهما المغادرة بسهولة.
لقد نزل المطر للمرة الثالثة، وصار الطقس حارًّا تدريجيا، وحل الصيف. وبدأت حشرة الزّيز بالغناء الطويل من الفجر إلى حلول الظلام. وقد اخترقت حرارة الشمس سقف غرفة التدريب الرقيق، وأحاطتها الحرارة، التي تدفقت داخلها من خلال الأبواب والنوافذ المفتوحة. إن عرقهما يغسل الأرض يوميًّا، حتى بهت لونها الأحمر تدريجيًّا، وظهر لونها الأصلي الباهت.
لقد تدفق العرق بغزارة من جميع المسام، ما أشعر الناس باللذة، والتصقت ملابس التدريب المبللة على جسدها بشدة، فلم تترك أية منحنيات دقيقة. فتقريبًا ظهر جسدها، على الرغم من عدم ظهور أي شيء، فإن جميع الأجزاء الضمنية ظهرت بوضوح بالغ. إن هذه الأشياء المخفية أثارت فكر ورغبة الناس أكثر من الأشياء الظاهرة. إن جسدها غير متناسق على الإطلاق، فكل جزء يشبه رسومات الكاريكاتير الذي يُتعمد تضخيمها وتغيير ملامحها، فكل شيء ظاهر بشكل مبالغ فيه، أو مخفي بشكل مبالغ فيه. وبالنظر طويلا، يمكن مشاهدة تلك الأجزاء المعيارية المتناسقة لجسدها، ويمكن الشعور بالملل والغموض. أما هو فلا يوجد على جسده سوى سروال ألعاب القوى، كما يوجد على ساقه اليسرى واقي ركبة بالٍ، وعظامه الهزيلة تكاد تخرج من جلده الأبيض الخشن، وتتحرك عظامه مع حركاته. ويمكن رؤية ضلوعه بوضوح مصطفة صفين منظمين، ويكاد جلده أن يكون قد تلاشى بالفعل، وتلك الضلوع صلبة كالحديد، فتحجز العرق. فإما يتدفق العرق نقطة فنقطة للأسفل، أو يتوقف، فيكون العرق على جسده خيالات واضحة وغير واضحة. أما هي فلامعة وملساء كالمخمل، فيسيل العرق على جسدها بشكل مستقيم. إن هذين الشخصين المبللين بالماء، تشتت تركيزهما في هذه اللحظة، ونظر كل منهما للآخر. قبل ذلك، لم ينظرا لبعضهما، كان كل منهما ينظر ويتمتع ويشفق على نفسه فقط. والآن نظر كل منهما للآخر فجأة في لحظة من اللهاث؛ فانعكس كل شخص منهما عاريًا تقريبا في عين الآخر،

وكأنهما رأيا نفسيهما العاريتين من خلال جسد الآخر المبلل؛ فشعرا بشيء من الخجل، وتجنبا النظرات دون أن يشعرا. ولم يتوقف اللهاث، والطقس حار جدًّا، وصوت حشرة الزّيز صاخب.
وفي وقت الظهيرة، لا يوجد سوى صوت الزيز، وجميع الأبواب في الشارع مفتوحة، ولكن داخلها هادئ. حتى صوت الشخير لا يوجد بالقيلولة، يوجد فقط لعاب سال من غير قصد، يمتد بلمعان على الوسادة، ويبدو أن الطقس ما زال حارًّا. أما ساحة المتاجر الموجودة في المول الكبير فيسود فيها هدوء بالغ، ويطير الذباب مصدرًا أزيزه راسمًا شكلا دائريا. فقد ذهب العمال إلى طاولة العرض كي يناموا بهدوء، وتظهر وجوههم عبر الزجاج دون تعبير، فالخدود دافئة والزجاج رطب. وبالمصادفة وُجِد شخص في وقت غير ملائم، يتجول بصمت في ساحة المتاجر، فحكت قدماه بالأرض الحجرية المائية، وانزلق دون صوت. لم تصل سفن إلى الميناء، وتعكس مياه النهر بقوة تحت أشعة الشمس الحارقة طفلاً عاريًا يسير بعيدًا بمحاذاة ضفة النهر، محاولا مد قدمه لينزل المياه، والمياه ساخنة وكأنها مغلية. وتوقفت عدة عربات مسطحة تجر المياه، وينام أسفل ألواح السيارات المرفوعة صيادون.
كانت تريد القيام برقصة "التاج الأرجواني المقلوب"، لكنها لم تنجح في النهاية، ووقعت عدة مرات، وكأن الأرض ترحب بها، فتربت على جسدها مرارًا وتكرارًا، فتلمس الأرض الساخنة، وتضعف فجأة، ثم تستعيد جسدها وتمد ذراعيها وهي مستلقية على الأرض، وتنظر عيناها إلى سقف غرفة التدريب الهرمي، فتلك العوارض الخشبية السميكة مواجهة لجسدها، وكأنها ستسقط عليها وتسحقها.
السقف المظلم يشبه الملجأ الواسع البعيد، قلبه فارغ ومنير. وبالتحرك للأسفل بمحاذاة العوارض الخشبية المظلمة، نجد أشعة الشمس، على عكس المتوقع، تؤلم العين، وتلك الأشعة الموجودة أسفل الإفريز بمثابة ضوء استثنائي، لكنه يُشعر الناس بالكآبة، وكأنه يأس وإحباط. وهي تستلقي على الأرض بهدوء، ويمر الوقت بجانبها، ويتوقف، وقد أسقطت الشجرة الصفراء الطويلة القديمة الموجودة بالساحة ظل أوراقها جانب النافذة، فلم تر تقريبًا سوى خيال حشرة الزيز المغردة طويلا بأجنحتها المفرودة. في هذا الوقت، وقف فوق رأسها ساقان حادتان كالخرسانة. هذان الساقان يظهران بشكل حاد، وعضلاته تتقلص بسرعة ناحية ظهره، ثم تختفي. لقد أدارت رأسها ونظرت للخلف، ورفعت عينيها تجاه تلك الأرجل ذات الشعر المتعرق الخشن والمتناثر، الذي ينمو من جلد أبيض طُلي باللون الأسود. لقد حدقت في صمت، وشعرت بالفكاهة. الساقان مالتا إليها، فجلس القرفصاء أمامها، ونظر في عينيها، وسألها فجأة: "هل تريدين مساعدتي في النهوض؟".
"لا أريد".
لقد أرادت الصراخ، لكن صوتها أبكم على عكس المتوقع، ولم تستطع الصراخ. لقد بذلت قوة كبيرة لتنهض، أما هو فأمسك بها من تحت إبطها بيده على الفور، ولم ينتظر جلوسها ودفعها لتنهض. لم تستطع الاتزان في وقوفها؛ فسند إبطها بيده كالكماشة، وساعدها لتتزن قدماها في الوقوف. لقد أمسكت يده بإبطها، فسخنت كثيرًا، أما باقي أجزاء جسده فعلى العكس باردة. سخونة هذين المكانين فاقت كل شيء بمراحل، هي لا تشعر

بالسخونة، فقط العرق يسيل بمتعة كالغناء. وبعد اتزانها في الوقوف، تركت يداه إبطيها، وانخفضت، انخفضت جانبي ركبته. وابتلت قبضة يديه وما بين اليد والإبهام بعرق إبطها، أما سخونة إبطها فأحاطت يديه بالكامل. في تلك اللحظة، خفض يديه فشعر بوحدة وبرودة. فرفع يده عدة مرات بصورة غير إرادية، وكأنه يحاول إمساك شيء ما، ولكنه لا يمسك شيئًا. لقد وقفت بثبات، وذهب مباشرة لآلة المساعدة، وركل بقدمه مرة تلو الأخرى.
لقد شكلت أطراف أصابعه شكلا هلاليًّا مفرغًا، وعلقت أشعة الشمس بإبهار على أطراف أصابعه، فكونت في الهواء نصف دائرة متوهجة. لقد ظهرت بوضوح، ظهرت لدرجة جعلت حركة الأرداف التي تغيرت بالفعل تشكل هيئة قبيحة، فتمنى بشدة أن يركل بقدميه للأعلى. لقد شعرت بنظراته، وفرح قلبها كثيرًا. إن نظراته لمست بدفء ساقيها الخشنة البدينة، لقد فقدت هاتان الساقان خطوط الجمال مبكرا، فظهرتا بشكل فطري قبيح.
ظلت تركل دون توقف، وأربطتها تشتد وترتخي، فشعرت بالاسترخاء والسعادة، وأعادت النظر إليه دون أن تشعر. وما لم تتوقعه أنه قد غادر مبكرًا، ذهب لإجراء واجباته. فغضبت للحظة، وظلت قدمها تركل مرة تلو الأخرى، ولكنها فقدت الروح التي كانت لديها للتو. أما هو فيفتح قدميه لتشكلا خطًّا مستقيمًا يمينًا ويسارًا، فاستلقى جسده على الأرض تدريجيًّا، وامتدت ذراعاه لتصيرا مساوية لقدميه، والتصقوا بالأرض، أما يده فأمسكت بأطراف أصابع قدميه الملتفة للأعلى. لقد شعر بهجوم نظراتها، فقد هاجمته في أضعف وأكثر الأماكن الحساسة فيه، فاقشعر جسده بفعل الإثارة التي لم يستطع السيطرة عليها، وتقلصت أطرافه الأربعة، وأصبحت مجموعة دائرية واحدة، وكانت نظراتها قد تلاشت من فترة.

(4)

يلف جسده بيأس على الأرض. يلفه بعضًا من الوقت، ثم يقف، ويستعيد معنوياته المرتفعة مرة أخرى. لقد سار ناحيتها ووقف بجانبها، وكافح بجهد لفترة، فاحمر وجهه دون أن يشعر، وغمغم قائلاً: "ما الذي لا يرضيك فيَّ بالتحديد؟".

إنها لم تتأهب لحديثه، ولم تتأهب أيضًا لكلامه الجاد هذا، وأصابها الإحراج كذلك دون شعور منها، وانكمشت أصابع قدميها تدريجيًّا، واحمر وجهها، وأجابت قائلة: "لا يوجد ما لا أرضاه". ثم ضحكت لسخرية الأمر.

قال: "لا داعي أن نكون هكذا". واستدرك قائلا: "علينا تبادل المساعدة".

فقالت: "لا يهمني". لكن قلبها كان يقفز، وشعرت أن الأمر ليس عاديًّا.

هكذا، منذ ذلك الحين، استعادا الحديث ثانية. لكن، يبدو أن عالم الحديث ليس ساحرا كعالم الصمت. فبمجرد حديثهما، تلاشى التوتر، وتلاشت تلك الحماسة، وتلك الإثارة والفضول للانتظار المحير لتطور الأحداث، كما تلاشى أيضًا ذلك النوع من الإدراك الباطني الذي استوجب تفاهمًا ضمنيًّا لإيصاله. ولكنهما استرخيا في النهاية، فتحمل ذلك النوع من التوتر صعب جدًّا، وخطير للغاية أيضًا. أي نوع من الخطر هذا، لا أحد يفهم، لكن حالة المغامرة هذه يملكها الجميع.

لقد عاد التواصل بينهما، ولكنهما لم يستعيدا ذلك النوع من المزاج الساطع، فكأن كل منهما يضمر شرًّا، فهناك القليل من المراوغة، ولم يعد كل منهما يساعد الآخر في التدريب. فهما يتحدثان فقط. يتحدثان بكلام قصير وصلب. فحين يرغب في إخبارها أن المطعم قد جهز الطعام وعليها تناوله، وإلا فإنها في المساء لن يمكنها شراء الطعام اللذيذ، يتضح من هذا نيته الحسنة، لكن حين يتحدث يتحول وكأنه تحذير: "العشاء!". فتجيب بقرف: "من لا يعرف!". وحين تنتهي من الاستحمام وتناديه ليستحم، تتحول لهجتها كلهجة التحذير الأخير: "لقد انتهيت من الاستحمام!"؛ فيجيب هو أيضًا بضيق شديد: "من لا يعرف أنك انتهيت من الاستحمام!"، وكأنه لا يمكنهما التحدث بلهجة أخرى، أما كيف كانا في السابق يتحدثان بلطف وبصورة طبيعية، فلا أحد يتذكر. إنهما يتحدثان بطريقة مقززة، لكنهما لا يتشاجران. لا أحد منهما يريد الشجار، ولا يرغبان في عدم الحديث كالأعداء ثانية. فليس من السهل كسر حاجز الحرج ذلك، فهما يفهمان معنى الحرص. لكن، تحول الحالة الحرجة هذه، جعل قلبهما يحوي القليل من الأسف. فاعتقدا أن الأمر يتطور تطورًا غريبًا، فكل منهما ينتظر بارتجاف وخجل. أما الآن أصبح كل شيء طبيعيًّا، ولا يمكن حدوث أي شيء غريب، أو يمكن القول إن الشيء الغريب قد حدث قليلا ثم توقف، وكأن تطلعاتهما ذهبت هباء، فكانا يتبادلان حقدًا عجيبًا. لذا، فإن لهجتهما الصلبة تلك ليست مصطنعة، إنما يوجد بها بعض الأسباب الحقيقية. إنها دائمًا تنظر إليه باستحقار غريب، ولأن عينيها تظهر وسط جسدها الغامق ظهورًا لافتًا للنظر، فتأثيرها واضح جدًّا. أما وجهه فهو دائمًا قاتم، وكأنه مليء بالسحب، ولأن جسده أبيض، تظهر هذه القتامة بلون أسود شديد، أحيانًا يخيفها قليلاً، فلا تجرؤ على إطلاق العنان لأهوائها تجاهه.

ولكنهما في النهاية يتحدثان معًا، منذ ذلك اليوم الذي بدءا فيه بالحديث لبعضهما، أصبح تدريبهما يحوي القليل من التراخي، وفقد هذا العذاب النفسي مغزاه، فقد غيرا طريقة التواصل والصراع. لكنهما لم يجدا طريقة جديدة، فكلا الطرفين مصاب بشيء من الارتباك. وخلال أيام قليلة، بدا عليهما وكأنهما فقدا هدفهما من الحياة، وصارا بائسين. أصبح الطقس حارًّا جدًّا ثانية. هناك أشخاص يقومون بتسوية بيضة على الطريق الحجري تحت شمس الظهيرة. يحيطها مئات الأشخاص ينظرون إليها، ويسيل العرق الغزير من رؤوسهم، وقد نسوا الحرارة من دهشتهم، ويوجد طفل صغير فقط يعوي بشدة بسبب صديد الدمامل التي تملأ رأسه من التعرق. وبحلول المساء، تغيب الشمس، ولا يمكن للأرض المتشبعة بالسخونة التنفس، فتخرج هذه السخونة تدريجيا، ليملأ البخار السرائر والحصائر التي تملأ الشارع. في الواقع، سواء خارج الغرف أو داخلها، فإن الحرارة واحدة، فهي ساخنة لدرجة عدم وجود الناموس حتى. وظلت صعوبة التنفس عدة أيام متواصلة، وبعد ذلك، غيمت السماء، وسبحت بها سحب ممطرة، وسقط المطر، وإذا انسحبت قوات الجيش، لن يمكن رؤية السرائر والحصائر المبللة، فيتم إدخالها للغرفة، وينام الكبار والصغار في غمضة عين كأنهم ميتون. وبحلول منتصف الليل، يستيقظ الجميع مرة أخرى بفعل الحرارة، ويملأ العرق الوسائد وأسفل أجسادهم، ويغمسهم. فتفتح الجفون المتورمة، ولا يرون سوى القمر خارج النافذة، وسماء صافية ليس بها أي آثار للسحب.
أما المحاصيل في خارج المدينة فتنمو بشكل يسر الناس كثيرًا، ففول الصويا أخضر اللون، ويخرج قرن فول نضر. ويشعر كبار القرية بالحر الشديد فيمدون ألسنتهم ويلهثون كالكلاب، ولكنهم يقولون: "عندما يحين الحر لا بد أن يكون شديد الحرارة، وعندما يحين البرد، لا بد أن يكون شديد البرودة، هكذا يكون الطقس مثاليا". وينمو البطيخ أيضا بصورة جيدة، فيحوي بذورًا صغيرة، ويمكن شراء واحدة بثلاثة قروش، قشرها رقيق، ولحمها أحمر طازج، وبذورها شديدة السواد، ينادون لبيعها أثناء السير في الشوارع وعبور الأزقة. منذ الصباح والطقس حار جدًّا والعرق يتصبب، حيث دخل بائع البطيخ الساحة، فاقترب الجمع من سلته وأخذوا يأكلون حتى تضخمت كروشهم، ثم طلبوا منه حساب التكلفة، فحسب مباشرة تكلفة تجنب الحر وانخفاض الحرارة.
وقف بائع البطيخ قليلاً، وجلس في ممر مظلل بجانب المطبخ، وامتلكه شعور بالرضا عن النفس وسط التيار الهوائي، وبدأ في سرد قصة حقل البطيخ، حيث كان هناك رجل وامرأة يحرسان حقل البطيخ، ووقع بينهما ما يقع بين الرجل والمرأة، كما كان هناك سيدة كبيرة السن تجمع البطيخ فأكلت بشراهة إلى أن تبولت في سروالها، وجميع أنواع الفضائح السيئة. وهناك شخص ذهب ليبلغ قائد المجموعة، فكاد يخصم منه أموال بطيخهِ.
إنه لا يزال رخيصًا، فلم يتحمل المشقة وباع حمولة البطيخ، وأنهى عمل اليوم. وحمل الحمولة الفارغة وخرج من المدينة بهدوء. يوجد في ذلك الطريق بئر للمياه العذبة كل سنتين، مياهه باردة ومنعشة، وتناولها يزيل حرارة الصيف.

فكر بائع البطيخ: "لماذا يتحمل من في الشوارع هذا الذنب؟ إن الجو حار جدًّا، ويسكنون متجمعين في كومة، ولا يوجد حتى ظل شجرة ليستريحوا تحته، إنهم لا يعملون طبقًا لعلو أو انخفاض الشمس، بل يعتمدون على الساعات. ولكن، الأخوات في تلك المدينة جيدات حقًّا، فجلدهن ناصع البياض، ولحمهن لين نضر. هذا من نعم رجال المدينة".

إن أهل القرية هم المساكين من بين الناس بالشوارع، فلا يوجد لديهم مكان ليختبئوا فيه من أشعة الشمس الحارقة، فأذرعهم وأرجلهم تقرحت، فظهرت عليها طبقة من الجلد الباهت. كما فقدت ملابسهم أيضًا لونها، ولم نر من قبل ألوانًا لامعة على الجسد، ما المتعة في ذلك! إن تلك البطيخة جيدة. إن الشيء الغريب هو هذان الزوجان بالمدرسة الإعدادية بالمحافظة، فهما يغلقان الباب غلقًا محكمًا في هذا الحر الشديد، يمكن تخيل ذلك في المساء، لكن ما الداعي له في وضح النهار، فلا يمكن تحمل ذلك في الجو الصافي، فما بالنا مع حر غير عادي! لكننا لا نرى في الصباح أو المساء أحدًا منهم يلد طفلاً واحدًا، فبطن المرأة مستقيمة كبطن الفتيات، وخصرها رفيع وتبدو حساسة كالبنات.

جاء الموسم الأشد حرارة في العام، وحل الخريف، وبقيت ثمانية عشر يومًا شديدة الحرارة!

وفي الأيام الثمانية عشرة بعد انقضاء الحر الشديد، أوفد المسرح أشخاصًا إلى المسرح الكبير بمكان يقترب من البحر في الجنوب لتقديم فقرات. من ذهبوا جميعهم ممن يمثلون أدوار البطولة والأدوار الرئيسية، ولم يأت الدور عليهما، فما زالا يتدربان يوميًّا. ما زالا يتدربان بصورة غير مناسبة. فهي تبدو طويلة كبيرة، أما هو فلم ينمُ ويبدو صغيرًا متقلصًا. هي تشعر أنها تبدو كبيرة وطويلة، وأصبح جسدها عبئًا عليها. وأثناء الاستحمام، تنظر إلى ثدييها الكبيرين الفريدين، فتندهش رغما عنها وتتضايق ثانية، إنها لا تفهم كيف ينموان هكذا، لا تفهم كيف سيستمران بالضبط؟ حتى أنها إعتقدت أن هناك مرضًا عجيبًا قد أصابها. حين تفكر في هذا، يضيق جلد رأسها، وتبكي من الخوف. إنها تقيس بعينيها كل جزء متضخم بها، حتى أنها تشعر بالخوف، فتعتقد أنها كبيرة جدًّا، ولا توجد طريقة لتقليل حجمها. فوسط زميلاتها الرشيقات، لا يسعها سوى الشعور بالنقص والرخص بسبب حجمها الكبير. بالإضافة إلى عدم امتلاكها للعقل والمخ، أو إدراكها حدودًا للكلام، فتطلق عليها رفيقاتها الذكيات: الساذجة الكبيرة.

ومن حسن الحظ أنها ليست من الأشخاص الذين يستخدمون عقولهم، إن شعورها بالخوف والنقص لم يضر صحتها ولو قليلا. فطاقتها نشيطة جدًّا، وشهيتها كبيرة. وفي المساء، تنام داخل الفراش وذراعاها يحتضناها، فيدللها قلبها كثيرًا. وبعد ذلك، تستغرق في النوم بلذة دون التفكير في أي شيء كالأطفال. أما قلبه، فاعتاد تقريبا على احتواء رغبات مخزية كثيرة، إن تلك الرغبات دنيئة لدرجة تدعوه للارتجاف رعبًا. إنه لا يعرف من أي جزء من جسده تأتي هذه الرغبات، إذا كان يعرف، كان بالتأكيد سيهدم هذا الجزء بحزم. بعد ذلك، في أحد الليالي، استيقظ في وقت كان لا بد ألا يستيقظ فيه، وفجأة عرف مصدر تلك الخطيئة، فهو يعتقد أن كل ذلك خطيئة. ولكن في

ذلك الوقت، اكتشف فجأة أنه من المستحيل هدم ذلك الجزء، كما أن تلك الرغبات حُببت إليه بسبب قيمة هذا الجزء. إنه لا يفهم سبب هذا.
في هذا الوقت، عاد من كانوا يدرسون في الخارج، مرتدين ملابس أنيقة نموذجية، حاملين حقيبة سفر جديدة، ونزلوا من السفينة، وخطوا على المعبر المهتز، وصعدوا الضفة خطوة خطوة. وقد ذهبا هما أيضًا لاستقبالهم. هي دائما لا تشق الزحام للأمام، ولا يمكنها انتزاع ولو حقيبة واحدة، لكنها تبقى بنفس الإثارة والحماسة، إما تسير إلى الأمام وكأنها تفتح سبيلاً، وإما تسير في الخلف كحرس المؤخرة، وتهمهم بكلام ليس له صلة ببعضه، فلا أحد يجيبها، ولا أحد يسمعها. ولكن، إذا لم تكن موجودة هي وضجيجها، لكانت ساحة الاستقبال هادئة كثيرًا. أما هو فيسير في المنتصف بصمت، ويربت على كتفه ذلك الشخص الذي يمثل البطولة - خونغ تشانغ تشينغ أو فانغ باي تجانغ - ويسيران معًا. إن ذلك الحقير، هو الصديق الصدوق لهذا البطل الذي يعتبر في مكانة المستشار العسكري. وفي طريق العودة من الميناء إلى المسرح، أخبره ذلك البطل: "هناك دور لك".
إن ذلك الدور هو في الجيش الأحمر الصغير داخل الرقصة الثنائية: "الفترات العصيبة"، فلا يمكن إيجاد ممثل صغير قصير وماهر في الفنون القتالية مثله. في الكثير من المسارح الأخرى، يلعب هذا الدور دائمًا ممثلة. إن هذا الدور كأنه صُمم خصيصًا له، فقد حُدد دون مباحثات ومناقشات تقريبًا. فهو يخص دوره في الأساس. إن كل شيء ميسر جدًّا، لكن هناك صعوبة واحدة فقط، ألا وهي وجود الكثير من الرفعات في الرقصة، كما أن هناك واحدة طويلة جدًّا، ويجب على أفراد الجيش الأحمر القديم حمل أفراد الجيش الأحمر الصغير على ظهورهم والسير بهم، كما يجب السير بخطوات راقصة جميلة، والقيام بحركات قوية ثابتة. في هذا الوقت أظهر فانغ عدم رغبته. إنه يبدو صغيرًا نحيفًا، ولكنه يملك وزنًا يدهش الناس. "الجيش الأحمر القديم" لا يمكنه حمله والسير به، فبمجرد صعوده على كتفه ينحني خصره، ويستحيل سيره بخطوات راقصة. كما أن الجانبين لم يتلقيا تدريبًا على الرفع من قبل، فلا يمكنه استخدام ذكائه لجعل جسده خفيفًا، إنه يمكنه فقط الصعود على كتف الشخص الآخر بصلابة. إن الخوف والاعتذار في النهاية لا يجدي. وعندما يقفز ثانية من أعلى كتف الآخر، يلومه ذلك الشخص باستمرار قائلا: "أنت ثقيل جدا". فاحمر وجهه، والتف ورد عليه قائلا: "أنت ضعيف جدا".
بدا على ذلك الشخص السخط، وأوشك نشوب صراع في الساحة، فخرج البطل الرئيسي ليزيل التوتر ويمنع التصادم: "دعني أجرب". لذا حمله على ظهره وسار به بمشقة، لقد سار به ولكنه كان يلهث دون توقف. وبعده جاء من في الجوار للأمام متتاليين ليجربوا أيضًا، وحملوه على ظهورهم وساروا به، ثم ضحكوا بصمت. في النهاية لم يستطع هو كبح جماح نفسه، وصارع للقفز على الأرض، ودفع الشخص الواقف أسفله حتى ترنح. حينها تلاشى الجميع.
في مساء ذلك اليوم، لم يتناول طعامه، وبقي في غرفة التدريب يتدرب على الوثب. إنه يعرف أن الوثب العمودي الأول هو الأساس، فإذا صعد على كتفه بسهولة، سيكون السير بعد ذلك سهلا. أما إذا صعد على كتفه بقوة كبيرة، ولم يستطع تنظيم أنفاسه وخطواته، سيكون الأمر مزعجًا. ذلك بالإضافة إلى

أنه يتمنى من نفسه الاسترخاء قليلا. لكن بعد لحظات جاءت هي الأخرى للتدريب، وكأنها تريد المساعدة على الهضم، فبعد كل وجبة تأتي لتتدرب. هكذا يكون لديها حجة لكثرة الطعام. إنها تحب تناول الطعام كثيرًا، فتأكل الكثير. لقد استبدلت اليوم زي التدريب بلون الجسد، لقد اشتراها من كانوا يدرسون بالخارج ووزعوها عليهم جميعا. فهي ملابس التدريب الرسمية بالمسارح الكبرى، إن رقبتها بها فتحة عميقة جدًّا، بالأخص الظهر، فيُظهر تقريبًا حتى الخصر. والسروال مسطح على القدم، وضيق جدًّا، فيلتصق بشدة على الفخذين.
لقد طلب منها فجأة وبلطف أن تساعده في تدريب الرفع هذا. وبسبب لهجته اللطيفة التي كانت غريبة عنه لمدة طويلة، وأيضًا بسبب المزاج الأبله القوي الذي تخفيه في قلبها منذ الظهيرة، وافقت بسهولة. لقد قام أولا بإعطائها بعض الحركات، وهي على عكس المتوقع وقفت في جانب وحفظت تلك الحركات سريعًا، وفعلتها دون أية أخطاء. ثم جرى ليطلب من الكهربائي البحث عن التسجيل والشرائط، وإحضارها لذلك المكان سريعًا، لتشغيل الموسيقى.
لقد صعد على كتفها، ولم تشعر هي بصعوبة، بسبب مرافقة نغمات الموسيقى الشديدة له، فشعر بسعادة كبيرة. وكان يتحرك على كتفيها، فشعر بمصداقية كبيرة، إنه لم يتخيل أن كتفها عريض وقوي هكذا. لقد أنهيا السير لأول مرة بيسر كبير، وكانت تلهث لهاثًا ضئيلاً كالطبيعي. ولم تنتظره حتى يتكلم، وقفزت للتو قائلة: "لنفعلها ثانية". هذه المرة، بدءا من الصفر، لقد تعلمت حركات الجيش الأحمر الكبير بالكامل، وفعلتها دون أية أخطاء أو حركات قبيحة، مفعمة بحماسة شديدة، وحين وصلوا للرفع، صعد على كتفها بتلقائية كبيرة.
إن ذراعها صلب وقوي. ولأنها تحملته بسهولة، تولدت لديه الثقة، وتجرأ على الحركات، وأصبح بارعًا ورشيقًا، فخفض من حملها. وأصبحا ماهرين تدريجيًّا، وانسجما مع بعضهما أكثر من شريكه الأصلي. وبعد خمس أو ست مرات، أمكنهما فعل جميع الحركات دون مشقة وبيسر وسهولة. وقد نسيا صعوبات التدريب، ونسيا الاستعداد الفكري الذي يلزم وجوده قبل الرفع. وكانا يقومان بكل رفعة يد وركلة قدم كأنها مهارة طبيعية لديهما، كما أن الموسيقى مثيرة جدًّا للنفس، وإعادتها تجعلها أكثر متعة وحميمية. لقد نست أن ذلك الدور هو للجيش الأحمر الكبير، وظنت فقط أنه لها. هو أيضا نسي أن ذلك الدور هو للجيش الأحمر الصغير، واعتقد أنه له هو. فكل حركة تعتبر حركتهما الخاصة، ومصدرها هو رغبتهما وموهبتهما. لقد رقصا بثمالة، وعكست المرآة الكبيرة خيالهم، فكان يتحرك بسرعة من مرآة إلى أخرى، وقد أحاطهم خيالهم، فشعرا أنهما في شدة الجمال. ولا يوجد في ساحة الرقص شعور أفضل من الشعور بالذات، علاوة على ذلك، وجود الموسيقى بصحبتهم.
عندما صعد على منكبيها مرة أخرى، شم رائحة عرق قوية. وشعر صدره بظهرها السميك، ذلك الظهر عار أسفل الرقبة، دافئ ورطب. وصدره أيضا دافئ ومبتل بالعرق، فيصدر صوتًا حين يحتك بعمودها الفقري، فيصدر عنه ألم مشترك طفيف. وشعرت ركبته بخصرها النشيط المجد، وشعرت يده بكتفها الدائري المتين ورقبتها الخشنة، تلك الرقبة تشتد وترتخي بسبب

اللهاث. وبمحاذاة شعرها المتعرق، شعرت أنفه بلمسة ضفائرها المجدولة خلف رأسها، وبها نكهة العرق الغزير، ويوجد فوقها قصاصة باردة تؤلم خدها. فاستعادت جميع حواس جسده وعيها، فتحرر من مهارة الرقص، لذا عاد توتره ثانية. ذلك التوتر معاكسا للتوتر الذي قمع جسده وعاطفته بالكامل للتو، في هذه اللحظة، تحركت جميع حواسه ومداركه بتوتر، ونشط وعمل باجتهاد. وتحول الرقص إلى حركات آلية، ولم يتشتت تركيزه ولو قيد أنملة، فهو يُحمل على جسد ساخن، جسد ساخنٍ يتحرك تحته بنشاط، حتى أن اللهاث الضئيل ينتقل لأقل المناطق إدراكًا لديه، فيشعل رغباته المشتعلة، ويندلع الضوء كالحريق.

(5)

إن هذا الضوء والحرارة انتقلا إليها، لم تشعر بأي شيء، شعرت فقط بأن ظهرها يحمل شرارة كالمبخرة، شرارة لا يمكن تحملها. ولكن بمجرد نزوله تتلاشى هذه الشرارة، ويعود ظهرها فارغًا ثانية، ويمتلئ بتطلعات لا حد لها، يتطلع إلى صعوده مرة أخرى عليه. وبمجرد صعوده، يحترق قلبها ورئتيها، فتكاد تتمنى النوم على الأرض وتتدحرج حتى ينطفئ اللهيب المحيط بها. لكن الموسيقى والرقص لم يسمحا لها بالاستلقاء. وكأن هناك إرادة عظيمة غير مرئية تدعمها، فتسيطر على الأمر وتتحرك مرارًا وتكرارًا، فتحمله على جسدها وتلقيه على الأرض ثانية، وقد قامت فجأة بسهولة، ولم تعد تلهث، وتنفسها معتدل، فيناسب لحن الحركات. تبدو حركات الجسدين متناغمة هكذا. ففي كل مرة يقفز على جسدها تكون بسهولة وأمان، فيستحيل وجود ولو جزء صغير من الخطأ، إن هذا تقريبًا كل ما يحتاج وجوده، كما أصبح القفز على الأرض انتظارًا مقلقًا. فحين يصعد على ظهرها، تشعر هي بالاطمئنان، إن هذا العبء الثقيل أوجد عندها نوعًا من المتعة القمعية. إن جميع حركاتهما تصدر وكأنها متصلة، كالصمغ والطلاء، فمن الصعب التفرقة بينهما، فهما متصلان بدقة متناهة كنسيج الحرير. إنه يتحرك ويتقلب على ظهرها، وظهرها يمده بحكة محببة، خففت من عطش جلده وروحه. إن دحرجة وزنه بالكامل، يعد مداعبة لطيفة بالنسبة إليها. من الواضح أنه آلمها، وضغط عليها لدرجة عدم إمكانها من استقامة خصرها، وارتعشت قدمها، فإنها لم تتوقف ولو خطوة في هذه الرقصة. وتتوالى الموسيقى وتعيد نفسها، وفي كل مرة تحمسهم عن المرة السابقة، مما يؤدي لعدم رغبتهما في الراحة. لقد تعمق الليل، فهناك أشخاص يصرخون من الغضب أمام حجرة التدريب، ويوبخونهما لإزعاجهما لنومهم، وهناك أشخاص يفتحون النافذة ويغلقونها بقوة. لكنهما لم يسمعا كل هذا، فالموسيقى تحيط بالعالم أجمع، عالم متحمس لدرجة عدم القدرة على السيطرة على نفسه.

وأخيرًا، سحب شخص المفتاح الكهربائي، فانطفأ الضوء وتوقفت الموسيقى فجأة، وعم الظلام. لقد أطفئت جميع الأضواء بالساحة، حتى القمر لم يعد موجودًا، إن الليلة التي تخلو من القمر، لا يمكن فيها رؤية أصابع اليد، وكأنها سقطت في الهاوية. إنه بالفعل فوق ظهرها، وقد توقفت الحركات والموسيقى معًا، فلم يتحرك وكأنه متجمد. وبعد نصف دقيقة نزل من فوق ظهرها ووقع على الأرض. ولم يهتم الطرفان بالتحدث ولو بجملة واحدة، وجريا مفزوعين. الأمر الغريب هو أنهما لم يصطدما ولم يسقطا وسط هذا الظلام الحالك، فهربا بسرعة وتركا وراءهما غبارًا كالدخان.

وبعد ذلك، اختيرت ممثلة للجيش الأحمر الصغير بمسرحية "الأوقات العصيبة". هو ثقيل كالرصاص، كما أن وزنه يزيد يومًا بعد يوم، ويزداد غباء يوميًّا، فلا أحد يمكنه حمله، وهو أيضًا فقد تلك الخفة التي كانت لديه من قبل، ولم تعد هناك طريقة للاسترخاء على ظهر أي أحد، فقد زاد هذا التوتر والغباء من وزن جسده. لم يعد يجد الليلة المربكة الشبيهة بالكابوس، ولا الشعور الذي يشعر به فوق ظهرها. فباستثنائها لم يستطع إنشاء تناغم متصل مع أي أحد. ولكنها تختبئ حين تراه، وهو كذلك، يخاف من رؤيتها. حتى أنهما لم

يجرؤا على التدريب معًا. فوجودها يمنعه من الذهاب، ووجوده يمنعها أيضًا من الذهاب. وبالتدريج وُجِد انسجام جديد بينهما مرة أخرى، انسجام دون التقاء في أي مكان. ولكنه يشتاق إليها بعمق، وعلى الرغم من أنها لا تشتاق إليه بوضوح مثله، فإن قلبها مضطرب. لقد أصبحت سريعة الغضب، فتتشاجر مع الناس دون سبب واضح، تتشاجر للنهاية، حتى أنها تصرخ بطريقة مروعة حين تقف وسط الرياح. فصرخاتها الافتراضية تدخل كل زاوية تقريبًا من زوايا الحجرة الصغيرة. وهو يختبئ بعيدًا في الغرفة، يسمع ذلك البكاء، ويملأه شعور بالأسى والسعادة.
وفي الخريف الذي يأتي بعد حر شديد، يكون الجو صافيًا ومنعشًا، وأشعة الشمس شفافة والهواء كأنه غُسل بالماء مسبقًا، ويسيل على أشجار الحور العالية شعاع من أشعة الشمس، حتى أن وجوه أهل القرية تبدو بيضاء. وفي هذا اليوم الخريفي انتشر ثوب رمادي كلون الحديد، ثوب ضيق ممسك بالخصر قليلا. إذا ارتدى شخص هذا الثوب وسار في الشارع، يقف جميع من في الشارع وينظرون إليه بغيرة. إن أول شخص ارتدى هذا الثوب تلك الفتاة بالمدرسة الإعدادية بالمحافظة التي جاءت من الخارج، إنها تسير في الشارع متبخترة، حاملة سلة خضار، وتشتري الكابوريا من "ماو تسي" بمدينة موخهكو. إن هذه المنطقة تطلق على الصيادين: "ماو تسي"، إنهم يتعاطفون معهم من أعماق قلبهم، فليس لديهم بيت آمن، فيطوفون على المياه طيلة العام، وكأنهم لا يملكون جذورًا. استقرت الكابوريا في سلتها بعد محاولات من جانبها للهروب، فقد أمسكت بخيزران السلة وأخذت تصعد للخارج. لكنها لم تخف، وأعادتهم واحدة تلو الأخرى.
وبحلول الظهيرة، تنتشر الناس في الشارع، وذلك الولد وتلك الفتاة بالمدرسة الإعدادية بالمدينة، يتناولان ذلك الشيء. حين يقال هذا الكلام، يكون الصيادون قد عادوا إلى السفينة، وجدفوا حتى ذهبوا بعيدًا. إنه يعتقد أن هؤلاء الأشخاص يصدرون ضجيجًا بشكل مضحك، إنهم يمكثون في مكان واحد عدة أعمار كالجذور، ولا يرون العالم. لقد نظر إلى المرأة الجالسة القرفصاء ترضع طفلها بمقدمة السفينة، إنها تنظر باطمئنان للمياه الخضراء أسفل السفينة، فتتأرجح بفعل أمواجها، وترتفع تنورتها، وترفع هي سبابتها وتخطط على خد طفلها. يوجد على جانبي الضفة شجر الصفصاف الكبير المرتب، وتتدلى أغصانه على المياه، ويبلغ طول الغصن الواحد عشرات السنتيمترات، فيشعر "ماو تسي" بالسعادة.
لقد أتمت السابعة عشر في هذا اليوم الخريفي، أما هو فيبلغ واحدًا وعشرين عامًا. وما زالا يتبادلان الاختباء والهروب. إن تلك الليلة تحيط بقلوبهم دائمًا، ولا يمكنهم التخلص منها مهما أرادوا. إنهم يريدان التظاهر بالنسيان وعدم الاهتمام، حتى يستعيدا التعامل معًا بسماحة. لكن بعد برهة، لم يعد بإمكانهما الاستمرار في التظاهر، فيعودان فجأة ولا يجرؤان على المقابلة. ولكن، بالرغم من أنهما لا يلتقيان، فإن كل منهما يحتل الآخر. إن خياله طليق وجريء، فاستعرض مشهد تلك الليلة آلاف المرات، وفي الإعادة إفادة، فهذا المشهد امتلك فجأة معانيَ كثيرة أذهلته. أما هي فلا تفهم الخيال، ولم تفهم من قبل كيفية استخدام عقلها وتفكيرها، فشعور تلك الليلة يُعاد دائمًا بجسدها، فتولدت به رغبة شديدة. إنها لا تعرف ماهية تلك الرغبة. تشعر فقط

أن جسدها يتعرض لبرودة، وتحيطها وحدة كالصحراء، وفراغ من الداخل للخارج. إن ذلك الاشتياق الغريب كان يعذبها، ولا تملك طريقة للتخلص منه سوى مضاعفة الطعام، فحين تأكل تخفف عن نفسها كثيرًا، لذا تأكل كثيرًا، وتشبع كثيرًا حتى تنفجر بطنها، وتكسل عن التدريب. فزاد وزنها سريعًا، وتضخم كل جزء بقوة، فصارت قبيحة وغبية، أما هو فينحف، وظهرت كل عظامه، وخرجت من جلده، وظهرت الحبوب على جميع مسام جلده، وأتعبته الندبات. ببساطة أصبح يشبه الكتكوت المنزوع ريشه. لقد فقد شهيته، وحتى يستعيدها يشتري أفضل الأطعمة وبكثرة، ويضعها على الأرض الإسمنتية خارج باب حجرة التدريب، ويجلس هو على عتبة الباب يحدق في الطعام باستياء، ولا يحرك عصا الطعام لمدة طويلة. كما أنه لا يذهب لحجرة التدريب دائمًا.
تبدو حجرة التدريب مقفرة.
والجميع يشعر بالوحدة.
وبعد ذلك، قُدم العرض على المسرح الوحيد بالمدينة، وهو يشبه المخزن الكبير، على شكل غرفة مثلثة تحتلها عوارض خشبية ضخمة، وترتفع إنارته شيئًا فشيئًا على أعمدة خشبية غير مطلية، تقف داخل المسرح كالعادة، فتحجب الرؤية عن المقعدين الأخيرين، فلا يخلو أي مسرح من شجار جمهور هذين المقعدين، لكن كل العروض تبيع تذاكر هذين المقعدين ، ولا يوجد من يتذكر أرقامهما. تلتصق بالأرض الإسمنتية أعقاب سجائر وبصاق، ويعوم فوقها دائمًا طبقة من الأتربة والإسمنت الذي لا يُنظف أبدًا. ودائمًا ما ينقطع التيار الكهربي، وبمجرد انقطاعه، يحل الظلام على الساحة، وتعم الفوضى، ويضاء مصباح الكيروسين، لينير الستارة الأمامية الأرجوانية التي صُقلت في المخملية. ثم يُضاء المصباح الثاني والثالث والرابع المصطفين على طول الستار، فتنير أوجه الناس من الأسفل للأعلى، لتترك خيالات قبيحة.
لا توجد أدوار لهما، فيوجدان خلف المسرح؛ هي تعتني بالأزياء، وهو يعتني بالمعدات.
وحين يفرغان، يركضان جانب الستار ليشاهدا العرض، حيث يوجد صف من اللوحات الصلبة، تفصل بين المداخل والمخارج، تقف هي على خيال هذه اللوحة، وهو يقف على خيال تلك اللوحة، يفصل بينهما مسافة خطوتين فقط. ولكن الأضواء على المسرح زادت من ظلمة جانبي الستار، فلم يشعر أي أحد منهما بالآخر، فكانا يشاهدان العرض المسرحي بوحدة وعزلة.
تتابعت عروض البرنامج، ووصلت أخيرًا رقصة "الأوقات العصيبة". وبدأت فجأة الموسيقى المألوفة ، فلم يمتلكا نفسيهما وارتعشا في الوقت نفسه، لقد شابهت تلك الرعشة التيار الكهربائي، فتقابلا وانتشرا في الهواء، فشعرا فجأة أنهما متقاربان. فقفز قلباهما، لكن لم تتحرك أقدامهما. ونظر للوراء فرأى نظراتها، فتراجعت هي خطوة للخلف فجأة، تراجعت حتى دخلت تحت ستار لوحة كبيرة، تلك اللوحة كانت كثكنة. فتبعها في الدخول. يعم الظلام خلف اللوحة، وقد انتقلت الموسيقى الحماسية من أمام الستار وملأت المسرح بالكامل، وأحاطت كل شيء. لقد وقف لحظة، ومد يده في الفراغ ليتحسس، لكنه لم يلمس شيئًا، بل شعر بمراوغتها.
مراوغتها الحمقاء هزت التيار الهادئ، فقد سمع بوضوح صوت كالأمواج المتدفقة. ثم تقدم للأمام نصف خطوة، ومد يده فمسك يدها، فانكمشت

للخلف، فإنه تشبث بها، وقرص عليها. فاندهشت تقريبًا، والتصق ظهرها بمقدمة صدره على الفور. لقد قرص على ذراعيها بقوة، ولم يعد بوسعها سوى الاستناد بكامل جسدها على جسده. لقد بذل قوة لا نهائية، لا أحد يمكنه اختراقها. ويده الأخرى سحبت على شعرها وعلى وجهها. ووجد فمه فمها، فعضها تقريبًا عضة شرسة، ولم تقاوم هي ثانية. لقد وصلت الموسيقى إلى نهايتها، وتصاعدت الشعارات والطبول بصورة صاخبة جدًّا، مفعمة بالقوة والهيبة، وابتُلعت جميع الأصوات التافهة الوضيعة.
مثل ذوبان الجليد، وتدفق أنهار الربيع، لا أحد يمكنه فهم الوجه المشرق بينهما فجأة. فبشرتها مشرقة بشكل يجعل الأشخاص يعفون عن بدنها الضخم، فلمعت عيناها السوداوان لمعة لم تكن موجودة من قبل، ورُطبت شفتاها عن ذي قبل، وصار لونها صافيًا، وشعرها أسود كثيفًا، وجلدها طفيف السواد أملس ناعما كالحرير. ما زال جسدها غير متلائم، لكن كل جزء غير متلائم أصبحت خطوطه ناعمة، مختلفة عن تلك الخطوط المحرجة سابقًا. كما أن ملامحها تغيرت بشكل ملحوظ، فبدت عليها الثقة، فيمتلئ وجهها دائمًا بابتسامة غير مبالية تشي برضا عن النفس. وعلى الرغم من حماقتها الشديدة، فإن تلك الإشراقة تدعو الناس للتأثر رغمًا عنهم.
أما هو، فاستعاد الحبوب في وجهه وجسمه بالكامل، وخف لون الندب البنية عن غير عمد، وتوقفت مسامه عن إفراز العرق الدهني الأصفر، ونضرت بشرته كثيرًا، وظهرت ملامحه المنسجمة جدًّا طبيعيا. إن أنفه طويل مستقيم، وحاجبيه بارزان، وعينيه منغمستان، فهو يشبه الألبان كثيرًا. لقد كانت الأفلام الألبانية في تلك الأعوام هي الأفلام الغربية الوحيدة التي يمكن مشاهدتها، وبذلك صار البشر الموجودون داخلها تدريجيًّا هم معيار الجمال. إن عينيه بهما نوع من إشراقة التفكير الطبيعية، فيظهر وقورًا وعميقًا جدًّا، ليس به ذرة استهتار، بهيئة طفل في الخامسة عشر، تحوي ملامح الرجال.
يبدو أن حياتهما عبرت الحواجز، وعادت طليقة مرة أخرى، مظهرة حيوية مفعمة بالسرور والابتهاج. لم يعودا خائفين، وأصبح الاختباء قاصرًا على أعين الجمهور. ولأن الاختباء صار أمام الناس فقط، فقد أصبح له مذاق غامض، وكأنهما يسخران من البشرية بأكملها. لقد تظاهرا بالعداوة فصارا يتجاهلان بعضهما عند السير كتفا بكتف، ولا يتبادلان النظرات، لكن روحيهما تتبادلان النظرات والابتسامات سرًّا، فقلباهما مليئان بالفخر والغرور. وأثناء عدم وجود الناس، يصيران كالصمغ والطلاء لا يفترقان. إنهما لا يفهمان معنى الحب، يعرفان فقط أن كليهما يحتاج الآخر احتياجًا لا يقاوم.
وفي مساء كل يوم، حين يقبل الليل، لا يراهما أحد، ويغادران غرفة التدريب الكبيرة المظلمة، إلى أن يظهر الضباب ويضيء الليل، وتقبل الشمس على الأرض، فيظهر الطرفان في الساحة متتابعين كالأشباح، بشعر غير مرتب وملابس فوضوية، وعيناهما تلمع في الظلام، لقد خطوا على الأرض الحجرية المبتلة، وعاد كل منهما إلى غرفته خلسة في الظلام. لقد كانت هذه الليلة ليلة سعيدة بشكل غريب، فبعد لمسات مثيرة وجسد محتك، شعرا بتعب مفرح وكسل يدعو للفخر. يبدو أن تلك المداعبة تغلغلت عبر المسام وحقنت الدم، فغنى الدم عاليًا فرحًا متدفقًا في الأوردة. إنهما سعداء لدرجة رغبتهم في تنفس الصعداء، وتمنيهم الشديد بإخبار كل فرد بتلك السعادة، وجعل

الجميع يغار منهما، لكن يجب أيضًا إخفاء تلك السعادة بحزم داخل قلبيهما، فلا يمكن تسربها شيئًا فشيئًا؛ لأن كل هذا يعد خطيئة. على الرغم من أنها لا تفهم شيئًا، فإنها تفهم أن ذلك جريمة. إنها لا تعرف ما يجب فعله، لكنها تعرف ما لا يجب فعله. أما هو المدرك لكل شيء، يفهم أن ذلك ذنب عظيم، لكنه ممتع هكذا، وجاذب للناس، فلا يمكن مقاومته. فحين يتلامس جسداهما ويصبحان شيئًا واحدًا، يختفي أي ذنب، وأي شيء لا يجب فعله، وأية خطيئة، وحدها فقط، البهجة: الإثارة المبهجة، الألم المبهج، والخوف المبهج. أما صاحب العقل فهو يعرف كيف يتغلب على الخوف. وعندما ينتهي هذا الخوف، يشعران بالأسف بعض الشيء، والأسى على رحيله.
وبغض النظر عن غبائها وحكمته، كلاهما يتذكر دائمًا ذلك الحب داخل رعشة الخوف، فهي سعادة رائعة. وخلال هذا التنازع الشرس بين المقاومة العنيدة المرعبة، والهجوم العنيد للرغبة، يحصل الجسد على شعور بسعادة قوية عميقة.
هكذا أحب الجسدان بعضهما وتقاربا، أحبا بعضهما حبًّا شديدًا، واشتركت روحهما أيضا في الحرب. وهكذا التصقا ببعضهما فجأة، كما أنهما لم يعودا يهابان أي أحد، ولم يكن لدى أي شخص استعداد فكري. لقد عادا يتدربان معًا، ويتبادلان المساعدة مرة أخرى، ويتبادلان الاهتمام الشديد، حتى الكلام الجاد الصارم يكون به حميمية. وقد اختلطت بطاقات الطعام ببعضها، فيشتريان الطعام ويتناولانه معًا. تقوم هي بغسل جميع ملابسه، ووقت تجهيز وتفريغ المسرح، يقوم هو بعملها، وعلى الرغم من أنه أضعف منها، فإنه لا يجعلها تتدخل فيه. فلا يكن بوسعها سوى الاستراحة، وتناول القلب الأحمر المقدد للفجل الأخضر. وحين يلومها أحد الأشخاص، ترد عليه دون تكلف، وحين تخسر في النقاش، يدعمها هو من تلقاء نفسه، فأصبحا الاثنان تحالفًا قويًّا، ببساطة يمكنهما الوقوف على أرض لا تُقهر أبدًا. لكن، حين يمتزج الجسد والروح، ولا يزال ذلك الحب غير قادر على التفرقة بينهما، يتخذان وضعًا معاكسًا تمامًا للتنفيس عن نفسيهما، وضعًا غير متوافق، وكأنهما يلفتان الأنظار بقوة إليهما، فهما دائمًا سيئان لدرجة تثير نقد الآخرين. لقد صارا في تلك الأيام عدوين حقيقيين، فحين يكونان بمفردهما فقط، يفرز الجسد إحساسا بالنفور القوي والجاذب أيضا، وكأنهما يتصارعان، ويتبادلان المقاومة، ويرفض كل منهما المغادرة والانقسام والانزعاج، حتى يتعبا بشدة، بعدها يصبحان أحباء مفعمين بالمشاعر الرقيقة، وبعد انقضاء المحبة يعودان للصراع ثانية. وأمام الناس يتقابلان بفتور، ويتبادلان السخرية، ولا يتفوهان بكلمة طيبة، ويستخدمان كلمات قذرة للتوبيخ، فينزعج الآخرون ويرغبون في البحث عن رئيس الفرقة لمعاقبتهما، ولكن دون جدوى. هكذا، يتحسنان ويسيئان، يسيئان ويتحسنان، وكأنهما مدينان لبعضهما، ولا نعرف متى سينهيان الحساب بينهما.
إنه خريف مليء بالأحداث.
لقد استمر المطر عدة أيام متواصلة، واختفى النهر وسط الأمطار والضباب، وشابهت السفن الأشباح، ترسو بالميناء وسط المياه الشاسعة، ثم تغادره ثانية. نزل المطر على الأرض الطينية خارج المدينة بالكامل، وأدخلتها أقدام أهل القرية، فاختلطت المدينة كلها بالطين والماء الأسود. والتصق الطين

بالشارع، كما اكتُشفت ديدان جنوبية بالطين، فذعر أبناء المدينة، فمن المعروف أن تلك الديدان أتت من إصلاح فريق الضاحية للجفاف بهدف زراعة فدادين من حقول الأرز، ولكن ما زال الخبر لا يستطيع طرد الحدس بكوارث قادمة لدى سكان المدينة. إن تلك العلقة تتحرك بيقظة، وبمجرد عضها للقدم، لا ترخي فكها ثانية، وتضرب بقوة، حتى تصبح الساق حفرة عميقة لا حدود لها، وبعد وقت طويل، يسيل الدم بغزارة.
لقد توقف المطر تدريجيًّا، وجفت الأرض رويدًا رويدًا، وأصبح الطقس باردًا، وحل الشتاء.
إن شتاء هذا العام، كحرارة الصيف الغريبة، لكنه بارد برودة غير عادية. لا تهب الرياح، والشمس جيدة لدرجة تسعد الناس، والسماء صافية كفصل الربيع، لكن هناك ألم باليد والقدم والوجه يشبه ألم قطع السكين. والأنف والأذن كلاهما أحمر اللون كالفجل. حتى وإن وُجِد مكان للشمس في مركز الشارع، لا تظن أنك قادر على الوقوف لنصف دقيقة، فالبرد قوي جدًّا لكنه هادئ تمامًا.
وكأن هناك شيئًا غريبًا سيحدث، فهناك شعور بالقلق، وكأن هناك أرواحًا تطوف في الشوارع.
وبالفعل، وبعد مرور عام ، توفي رئيس الوزراء.

(6)

لقد وُجدت الإجابة على هذا الشيء، وهدأ ذلك القلق تدريجيًّا.
ثم توفي سيادة القائد رئيس الوزراء تشو إن لاي، بعدها حدثت هزة أرضية، ثم توفي الزعيم ماو، ثم سقطت "عصابة الأربعة".
في هذا الخريف، كبر الاثنان عامًا، فصارت في الثامنة عشرة من عمرها، وهو في الثانية والعشرين من عمره، لكن كأنهما كبرا مائة عام، فبتذكر ما حدث في الخريف الماضي، يبدو كأنه حدث في العمر السابق.
إنهما يحبان بعضهما باستماتة، وبشكل يفوق الهوى، دون معرفة التلاشي والاعتدال، فاستهلكا الكثير من الطاقة والحب، حتى تعبا قليلا. ومن أجل مقاومة هذا التعب، أحبا بعضهما باستماتة وجنون أكبر. إن الشحذ الذي يحمله الجسد كثير وكبير جدًّا، فأصبح متخدرا، ويحتاجان لإثارة جديدة ليستعيدا المشاعر والحيوية. فوجها خيالهما لطريقة جديدة. فالألفة التي يتبادلانها فقدت غموضها تدريجيًّا، كما قل الشغف. لكن لا يمكنهما الرحيل، فلا يمكن أن يتخلى أحدهما عن الآخر. وعلى الرغم من أنهما يشعران بالتعب والضجر في كل مرة يعودان فيها، بالإضافة لخيبة أمل غير ممتعة على الإطلاق، فإنهما في كل مرة ينطلقان فيها، لا يزال ذلك التطلع حماسيًّا ومُلحًّا.
لقد عادا والعرق يملأ جسديهما، وصعدا على السلم الخشبي الضيق، يصر السلم تحتهما، فحك باطن أقدامهما، فشعرا بالتعب والقذارة، لكن ليس لديهما الرغبة في الذهاب لحجرة الاستحمام. فقد انطفأ المشعل مبكرًا، وأثناء خروجهما في عجالة نسيا سكب المياه الساخنة، فزجاجة المياه فارغة، ولا يجرآن على سكب زجاجة مياه تابعة لشخص آخر، خوفًا من اكتشافهما لأمر ما. يملأ الهدوء الساحة. واستلقيا على السرير بتعب، وجلدهما لزج لدرجة غير مريحة، حتى أن الفراش قد ابتل. إنهما لا يفهمان كيف لا يصلان للحالة الأولية برغم هذه القوة، إنه أمر مؤلم جدًّا، فيشعران بالخجل الذي لا يمكن تحمله، ويرغبان بشدة في تغيير نفسيهما وميلادهما من جديد، وقررا هذا في الخفاء. لكن بحلول اليوم التالي ورؤيتهما لبعضهما، يصدران، دون اتفاق مسبق، إشارات ونظرات معروفة فيما بينهما، ويحددان موعدًا للمقابلة سرًّا. وخلال الساعات القليلة السابقة للموعد، يملأ قلباهما القلق فيضطربا، ومن حسن الحظ أنهم يتدربان بالفعل، يتدربان دون أية أخطاء، فقضيا تلك الساعات المقلقة دون شعور، ثم خرجا من الساحة.
اندفع الجسد بجنون ناحية الطرف الآخر، وفي لحظة التلامس، شعرا ببرود، لكن لم يعد الشعور غريبًا، ولم يعد هناك أي فضول جديد، ذعر وألم. وكأنهما تحوَّلا تحوُّلاً كاملاً، ولا يوجد بقلبيهما سوى الكآبة. ولم يستطيعا الحصول ولو على القليل من السعادة، بل لطخا جسديهما بالقذارة، ولم يعودا قادرين على أن يكونا أشخاصًا أبرياء. في هذه اللحظة فقط، شعرا بالحزن والندم، لكن، كان الوقت قد تأخر بالفعل.
ازداد الأحبة في الفريق المسرحي تدريجيًّا، فصاروا جميعهم تقريبًا أزواج، يدخلون ويخرجون معًا. ويجب في الأساس أن يدخلا ضمن طريق الأزواج هذا، بل صارا أيضا قادة له، لكنهما يشعران بالخجل بعمق، وكأنهما غير مؤهلين إطلاقًا، فينظران للآخرين على أنهم أكثر منهما نقاءً وبراءة، فجميعهم يملك

مستقبلاَ جميلاَ، لكنهما سقطا مبكرًا في الطين، ولا يمكنهما تنظيفه ثانية. لذلك، اختبئا بهدوء وسط جو الحب الكبير هذا، وصارا غرباء. واعتقد الآخرون أن بينهما نزاعًا جديدًا فقط، ولم يشعروا بالغرابة، أو يهتموا بهما، لا أحد يعلم مرارة قلبيهما.
ولأن هذه المرارة تخصهما هما الاثنين في الأساس، أصبحت مزدوجة، ناهيك عن الألم والحزن اللذين يحملانه أيضًا على أجسادهما، كما أنه لا يمكنهما التواصل ثانية، ومواساة بعضهما. إنهما يدركان جيدًا أن القليل من التخلي سيُكوِّن حزنًا وألمًا لا حدود لهما. ولا توجد أية طريقة للحل. لذلك، صارا وحيدين وسط هذه المرارة. فتحمل كل منهما مرارته بوحدة، ولم يشعرا سوى أن جميع الأشخاص في العالم سعداء أكثر منهما. إنهما متعجلان جدًّا، لا يعرفان الصبر، ولا يعرفان التوفير، فقد استنفدا استمتاعهما بالسعادة مبكرًا، والآن لم يتبق سوى الخجل والمرارة.
بسبب هذه المرارة، وبسبب تحمل كل منهما مرارته وحده، حملا ضغينة متبادلة. إنها ضغينة حقيقية وخطيرة. إن المغزى الصارم الذي تحويه جعلهما لا يتخاصمان أمام الناس ثانية، فالخصام أمام الناس يجعلهم يعتقدون أنهما يعبثان ويتصنعان؛ لذا يتصارعان حين لا يوجد أحد فقط. يتشاجران بعنف، ويتفوهان بكلام خبيث للغاية، ليؤلما به الجزء الذي يسهل جرحه في الطرف الآخر. هي تبكي وتصرخ تجاهه قائلة: "أنا أكرهك، وأريد قتلك!"؛ فيضع يديه على رقبتها ويقول بصوت منخفض مكتوم: "إذا صرخت مرة أخرى، سأخنقك".
إنها تكرهه حقًّا، وهو يريد خنقها بالفعل، لذا كل ما يتبادلانه مرعب. لقد نزلت الأيدي الناعمة. لقد تأثرا تأثُّرًا حقيقيًّا، وتبادلا التوبيخ، واشتعل الغضب فيما بينهما، وفي النهاية أمسكا بعضهما وتبادلا الضرب. لقد بذل كل منهما قوته، وانفعالاتها الحادة جعلتها وكأنه لا يمكن الإيقاع بها. وصل الضرب إلى نهايته، فهدأ الغضب تدريجيًّا، لكن التأثير ما زال موجودًا. إنهما لا يعرفان أهذا ضرب أم حميمية، من الممكن أن يكون ضربا وحميمية، مرت اللحظة، وحل الظلام، وتراجع كل شيء، ولم يتبق سوى جنون مجهول. في تلك اللحظة، شعرا داخل جسديهما بسعادة غريبة، فقداها منذ فترة طويلة، وناديا بها كثيرًا، إن السعادة المنتظرة بيأس منذ زمن، جاءت دون توقع أحد، جاءت في وقت لم يستعد له أحد. لقد تصارعا أخيرًا حتى تعبا وضعفا، لكنهما رضيا رضًا افتقداه منذ فترة طويلة. لقد هدءا تدريجيًّا، وتبادلا النظرات، نظرات ليس بها حقد، بها حب حميم فقط. هنا أمسكا بيد بعضهما، كطلاب المرحلة الابتدائية خلال عودتهم للمنزل في الإجازة، يمسكون يد بعضهما ببراءة ويعودون على مهل. إن تلامس اليدين فقط جعلهما يشعران بالحب أيضًا. لقد سارا حتى غادرا المسرح بمسافة مائة متر، ثم تركا يديهما، وشعرا فجأة بالنقص والاكتئاب ثانية. إن البيانو والأغاني المنقولة داخل الساحة، كأنها قادمة من عالم آخر. لقد شعرا بقذارة جسديهما مرة أخرى، ككلبين بريين تسلقا من وسط الطين، ففقد كل منهما ماء وجهه أمام الآخر، فكلاهما يتذكر التاريخ القبيح للطرف الآخر، وكل منهما يتمنى أن يسير الآخر بعيدًا ويطير، أو يغادر هذا العالم ببساطة، ويأخذ معه عارهما، ليكونا قادرين على فتح صفحة جديدة نظيفة. لقد اشتدت تلك الكراهية ونمت، ولا يمكن إخمادها مرة أخرى.

تحت هيكل سد الفيضان طريق كبير تسير عليه الجرارات دائما ذهابًا وإيابًا، ودائمًا ما يوجد أشخاص يرون شبح رجل وفتاة يتشاجران، شبح الفتاة بشعر أشعث، وشبح الرجل يلقي شتائم دنيئة، ويتشاجران بصوت حاد. لقد سارت هذه القصة بعيدًا بمحاذاة الطريق الكبير، وأضيفت إليها غصون وأوراق، وحين التفت لتدخل الشارع، أصبحت ذات ملامح غريبة بالكامل. لقد سمعا هذه القصة مع بقية الأشخاص بخوف شديد، في ليلة هادئة سالمة نسبيًّا.
أراد كل طرف منهما ترك الآخر، فأهملها هو أولاً، ثم أهملته هي، إن هذا الإهمال لم يغضبهما، بل أراحهما قليلا، وكأنه استراحة بعد المعركة. لقد استعاد أسلوب حياته السابقة، فما زال يتدرب يوميًّا، وبعد التدريب يذهب للاستحمام، وتناول الطعام، ثم ينام، ينام بهدوء، ومزاج سعيد، وحالة سالمة. لكن بعد المرور بهذه الفترة، بدا عليهما الكبر، وتجاوز عمرهما الحقيقي. لقد نحفت وارتخى جلدها، وظهر أعلى فخذها خطوط كالأمواج، أما هو فقد سمن. لقد كبر قلباهما من الداخل قليلا، وأصبح الحب بين الأولاد والفتيات الصغار بالفرقة كاللعبة الصبيانية في نظرهما، فقد رأيا المشهد مبكرًا، وتعرفا على معناه الحقيقي. لقد فقدت الشعور بالخزي بعض الشيء، ونست أنها لا تزال فتاة غير متزوجة، وكالعادة هناك بعض القصص التي لا يجب سماعها وقولها.
لكنها لا تهتم بشيء، وتشعر أن كل هذا طبيعي جدًّا، حتى دخول مرحاض الرجال بالخطأ أمر طبيعي جدًّا. إنها لا تفهم مطلقًا سخرية الآخرين منها. فقط يشعر قلبها بالظلم والارتباك. أما هو فيعتبر أن المحرمات بين الرجال والنساء مُزقت إلى قطع منذ وقت طويل. جميع الفتيات في نظره عاريات، ويمكنه بنظرة واحدة رؤية الأجزاء الأكثر خصوصية. إنه لا يتمكن من إبقاء مسافات بينه وبين الجنس الآخر، كما ملأ قلبه بمشاعر نقية مقدسة، مما جعله يتألم ألمًا شديدًا، لقد كشف له هذا العالم السر مبكرا، فيعيش حياة واضحة، فما الذي يمكن أن يثير فضوله ومتعته؟ فلم يسعه سوى الشعور باليأس الشديد، وكأن الحياة وصلت للنهاية وهي بادئة للتو. في هذا الوقت، أصبحا، بغض النظر عن برودهما وعدم وجودهما معًا، مذنبين بالفعل، وما زالا مذنبين. فهما في النهاية أشخاص أنجاس، في عمرهما الصغير هذا، وهم غير أنقياء، فكم من العمر سيقضونه بهذه النجاسة! لذلك، حين افترقا، ظلت روحاهما مترابطتين. ولكن، ما زالا لا يمتلكان الجرأة على السير معًا، فكلاهما خائف بعض الشيء، خائفان من الاستمرار هكذا، فماذا ستكون النتيجة في النهاية. ولكن في أكثر أوقاتهما حزمًا، لم يصدق أحدهما من قبل حقًّا ومن أعماق قلبه أن علاقتهما ستنتهي هكذا. إنهما ينتظران فقط، ينتظران اليوم الذي ينتهي فيه انتظارهما، ثم يتحدثان. إنهما ما زالا يعيشان أيامًا سالمة، ويعود كل منهما إلى حجرته آجلا أم عاجلا، وينامان على الفراش، ويعتقدان أنهما هادئان وسعيدان كثيرًا. في الواقع إنهم يقضيان فقط فترة التعاهد بينهما سرًّا. إن كلا منهما لديه شعور مسبق أن الأمر لن ينتهي هنا، في الحقيقة، كل منهما لا يريد أن ينتهي الأمر هكذا. ولكن، استرخاء وهدوء هذه الفترة ليس مزيفًا أيضًا. إنهما متأثران جدًّا في الواقع، ومتعبان كثيرًا، ويحتاجان لراحة جيدة حتى يقدران على العودة.

إن هذه الخطيئة مثل البذور، إذا سقطت على الأرض، فمن المستحيل أن يعني ذلك فناءها. إنهما في فترة الجهل، فلم يُنر أحدٌ من السابقين عقليهما. إلى جانب أن بعض الأشياء، لا يمكن للقديسين حتى إنارتها، فالذات وحدها هي القادرة على إيجاد طريق للخروج من الوحل عن طريق التخبط في الظلام. كآدم وحواء اللذين تناولا الثمرة المسروقة المحرم أكلها، ولم يجد الإله طريقا لإنقاذهما، وكان لا بد من طردهما من الجنة، ومعاناة ذريتيهما. إنهما مثل أطفال عاديين حقراء، فكيف نتوقع منهما التنافس مع قوة الطبيعة. لقد اعتمدا فقط على طبيعتيهما الصغيرتين من الخير والشر وذكاءيهما، في تقلب مزاجهما.
لقد انقضى هذا الربيع بسلام.
لقد وصلا تقريبًا إلى هدوء عالمي، فعلاقتهما ليست جيدة وليست سيئة، علاقة هادئة عادية، فأحيانا يتفوهان بكلام تافه، وأحيانا يقومان معًا بعمل تدريبات ليست فعالة. حتى الشائعات التي تدور حولهما هدأت تدريجيًّا. حتى هما اعتقدا أن الأمر قد انتهى، وشهوتهما العاجلة مضت بالفعل كالعاصفة، ولم يعد هناك خطر. كما استرخت الروح رويدًا رويدًا، وانقضت حالة التأهب. لدرجة أنهما استعادا المرحلة الأولى، فلم تعد تصرخ في وجهه دون تفكير، وهو أيضًا صار يتراجع بسماحة، وكأن شيئًا لم يحدث مطلقًا. حتى حينما يكونان بمفردهما، كانا يتعاملان بلطف.
إنهما ببساطة يرتابان، هل كان بينهما تلك العلاقة من قبل؟ حين يتذكران، كل مرة وكل تفصيلة يمكن رؤيتها بوضوح، لكن دائمًا ما تشبه الحلم. في الحقيقة، كلاهما موجود في مرحلة الراحة والتعافي، فقد زال التعب والتوتر للتو، لكن لم تُستعد الحيوية بعد، فما زال الجسد ضعيفًا، وكسولا مثل السكارى، فاقدًا للقوة، وكأنه مستيقظ للتو. إن هذا في الحقيقة عالم مبهج، لكن تلك اللحظة قصيرة جدًّا، فتختفي بلمح البصر، ثم توشك تقلبات أعنف على المجيء، فسيكتشفان أن كل ما مضى هو برق مضيء للسماء قبل العاصفة، صوت رعدي أتى من بعيد، مقدمة، استهلال، تمهيد، نبوءة.
وبسبب ضعفهما وجبنهما، أضاع كل هذا رشدهما تقريبا، وأوشكا على الانهيار، لحسن الحظ أنهما ما زالا صغيرين وصحتهما جيدة، وتفكيرهما بسيط، ومفعمان بحب الاستطلاع، لذا يستطيعان المعافاة بسرعة، وكأنهما ينتظران تقبل جنون الحياة، والتجارب القاسية الرسمية.
لقد بدأ التدريب اليومي ثانية، وكأنهما يتذكران معًا الحياة الجميلة الماضية. وخالف ذلك الجسد المبادئ الأساسية للتمديد والانكماش اللذين يقتضيهما التدريب، وبعد ألم وتعب المسرح يتنفسان بسعادة واسترخاء، فيسيل العرق الغزير الذي ينظف الأوساخ داخل الجسم، والاستحمام الذي يأتي بعد انقضاء العرق، والمياه الساخنة التي تدخل للعظام كالإبرة، فتستيقظ السعادة التي نُسيت، بفعل التدريب مرة أخرى. لقد شعرت أن جسدها خفيف كالسنونو، فيمكنها فعل حركة لف القدم أكثر من مئات المرات متواصلة دون راحة، حتى يصل الجسد في النهاية لعدم القدرة على الصمود وتسقط على الأرض، ولا تزال أسقف الأركان الثلاثة لغرفة التدريب بالكامل تلف باستدارة. لقد شعرت أن صحة جسدها وقوته تطيع إرادتها، فتفعل جميع الحركات بسهولة ويسر. فيستحيل أن تنسى جميع الحركات بسبب طول الوقت وإتقانها

الحقيقي الشديد لها، فصارت مألوفة بشكل خاص وجديدة. وتعكس مرآة غرفة التدريب عشرات الخيالات لها وهي تدور، فترى نفسها عشرات المرات في كل الاتجاهات وهي تدور، وكأن هناك العشرات منها ترقص، وكأن هناك العشرات منها تستمتع بنفسها. لقد ثملت بعمق شديد.
أما هو، فجسده رشيق صلب لدرجة لم تكن موجودة سابقًا، فيستقيم بسهولة ويحدق للأمام بهدوء، ثم يميل جسده ببطء شديد للخلف، ويميل رأسه للأسفل، فينقلب العالم بنظراته الهادئة. وهنا يرفع يداه، يرفعها بطول الكتف، فأثناء ميل الرأس للأسفل، تكون اليد مستندة على الأرض في الوقت المناسب، ويتحرك للأمام ببطء، ويتحرك كعب قدمه، ثم يرفع رأسه ثانية. ويعود كل شيء مقلوب لوضعه مرة أخرى، مستقيمًا في نظره. إنه ينظر بهدوء، ولا يشعر جسده بأي ألم عصيب، فكل شيء طبيعي جدًّا، وكأن هذه الوقفة هي الأكثر طبيعية. إنها تدور كالرياح وتدخل بسرعة البرق في آفاق نظراته الهادئة، وتدور كالرياح ثانية لتخرج بسرعة البرق. ومع دورانها الذي يشبه الدوامة، وبمحاذاة طريق انحناء جسده، هناك شيء يتدفق ببطء وسلاسة. ويبدو أنهما قادران على تجربة ذلك النوع من التدفق الذي يشبه النهر الجوفي، وسمعا صوت خرير مياهه تقريبًا.
في هذا الوقت، ستتحرك الفرقة المسرحية لتقديم عرض في الجنوب.

(7)

في يوم المغادرة، كانت جميع المنازل بالشارع تغلي أوراق الخيزران لعمل مثلثات الأرز، وكانت تلك الرائحة تعطر الشوارع. وحين حل الفجر، اتكأت السفينة ببطء على المرسى، وتدفق الناس منها مغادرين، وخطوا على المرسى المتحرك، تتصادم سلالهم التي يحملونها على أكتافهم. ثم صعد الفريق المسرحي بمجرد نزول الركاب، ونقلوا صناديق المعدات والملابس والإضاءة والتصميمات وشرائط الستائر لأعلى السفينة. لقد تم نقلها بصعوبة بالغة، وصعد الجميع وتحركت السفينة، وكانت الشمس قد أشرقت بالفعل، ولكن حجبتها غصون الصفصاف المتدلية بالمرسى المقابل، وكأنها عذراء في خِدْرِها. وبدأت شعارات الصيادين ترن بصوت عال وصوت منخفض، وسط أصوات محركات السفينة التي تتهادى فوق سطح المياه الذهبية اللامعة.

اختفي الضباب، ووضحت صيحات العمال فجأة، فصارت عالية جدًّا، لكنها تحمل في طبقاتها نوعا من الخوف العجيب، وكلما قفزت على مقربة من سطح المياه، تعالت أكثر. تسير عجلات العربات وسط أخاديد صنعتها عجلات العربات السابقة، فتتدحرج من أخدود إلى آخر، وفي كل مرة تتدحرج فيها، يهتز جسد العربة، وتومض المياه، وتنسكب من ثقب الدلو، وترتعش الصيحات. ومنذ ذلك الحين، والهتافات تتأرجح بين الانقطاع والارتعاش، لتسجل وعورة الطريق.

يتزايد ارتفاع الشمس تدريجيًّا.

تسير السفينة ببطء مواجهة لانسياب المياه، وتتبعها الشمس، فتسير وسط ممر ستائر الصفصاف. وتدور ومضات الأمواج، والمياه العذبة والعكرة أسفل قاع السفينة. وقد ابتلت الكابينة بفعل غسيل المياه لها، وكأنها لم تُغسل من القاذورات من قبل. فأعقاب السجائر، والبلغم، وقشر اللب، وروث الدجاج تملأ الأرض. والناس تزدحم بالجلوس في المقاعد النصف قذرة، وقد سدت الأذن بصوت الموتور العالي، فلا يدخل أي شيء بها. إنهم يجلسون في قاع الكابينة، لا نعرف إذا كان عن عمد أو دون قصد، لكنهم يجلسون معًا. وقد تضاعفت الكآبة والرطوبة بقاع الكابينة، فالعوادم خارج النوافذ تبدو وكأنها عالقة على أقدام الناس على حافة السفينة، وفوق أكتاف الناس بالكابينة، تسير ذهابًا وإيابًا، تتجمع أحيانًا، وتتفرق أحيانًا أخرى، والضوء ينفذ أحيانًا، ويُحجب أحيانًا أخرى، أما داخل الكابينة فمظلم دائمًا، وينيره مصباح كهربي، ويغلف المصباح طبقة من الغبار، ويملأه دخان الكابينة. وهناك أوراق تبغ متدنية محشوة داخل الغليون، تُشرب بالفم، وتخرج من الأنف، فتدخينها يُشعر الأنف بعدم الراحة، وحين يطول الوقت، تصاب الرأس بالدوار القليل.

لقد اهتزت السفينة قليلا، واهتزت الإضاءة الخافتة بخفة، كما اهتز دخان الكابينة ببطء، وأقدام الناس تسير على أكتاف ناس، في مشهد يشبه الحلم. الجميع لديه رغبة في النوم. المقاعد مزدحمة بالأشخاص، وتلتصق الأكتاف ببعضها كالكساح، كما أن المسافة بين صفي المقاعد متقاربة جدا، فتتداخل الركب في بعضها، فلا يوجد شيء أصعب من السير بين الصفين.

لقد أنزل الناس جباههم على ركبهم وناموا بصعوبة. تتدحرج الرؤوس على ركبهم ذهابًا وإيابًا، فتتبادل الاصطدام.

إنهما يلتصقان ببعضهما بإحكام، فالذراع ملتصق بالذراع، والقدم ملتصقة بالقدم. وهي وضعت حقيبة كتبها على ركبتها ونامت تقريبا. وهو اخترق المقدمة، ونظر من بين الفراغات الصغيرة بين أقدام الناس على المياه والسماء البيضاء الشاسعة وسرح فيهما، وأوشك هو أيضًا على النوم تقريبًا. وملأت ضجة الآلة رأسه بالكامل، وغرق العالم بأكمله وسط هذا الصخب. وفقد مذاق التبغ الرديء مرارته الحارة تدريجيًّا، وتحول إلى مذاق حلو، حلاوة تدخل الناس في غيبوبة. لقد أوشكا على النوم، ولم يتبق سوى خط من الإدراك ما زال مستيقظا قليلا، كتطاير خيوط العنكبوت. أحاط هذا الخط من الوعي المستيقظ جسديهما المسترخيين تمامًا، خاليين من أية استعدادات، وكأنه يثيرهما دون مبالاة. وتحت الشمس الدافئة، صعدت حشرة صغيرة على الأيدي الصغيرة للطفلين المستغرقين في النوم ببطء، وكأنها قد تربت عليهم، كأنهما عشب بارد على الأرض. مثل وقت الطفولة، حين يخرج ثدي الأم اللبن كخيوط رفيعة وتطلقها بلطف داخل الحلق الحساس، وكمطر الربيع الذي يرطب الأرض الجافة بهدوء، وكالليلة الحارة والنسيم المتسلل من أوراق الشجر، والجسد الذي تفوح منه رائحة العرق.
كلما ناما بعمق، تحرك ذلك الإدراك بحيوية وجرأة، وزاد عمقًا، عمقًا يصل لأكثر مكان حساسية وخصوصية في جسديهما. وأخيرًا سار في جسديهما بالكامل، فلمسهما وداعبهما؛ فشعرا براحة لم يشعرا بها من قبل، فناما وكأنهما ثملان، حتى بدأ الشخير الهادئ. على ما يبدو أن ذلك الإدراك أنهى مهمته وتعب، وتراجع تدريجيًّا، واستراح، ودخل في النوم هو أيضًا. في هذا الوقت، بدا أنهما دُفعا بشيء ما، وفزعا بحدة، واستيقظا. قفز قلباهما بسرعة، وتحركا كبندول الساعة، وسخن الدم بكامل جسديهما، وتدفق بسرعة وهدوء في الشرايين. لقد شعرا أن هناك شيئًا استيقظ داخلهما، ونشط وتحرك. نعم، هناك شيء استيقظ ونشط وتحرك. لم يجرؤا على التحرك، ولا على النظر لبعضهما، وكأن أذرعهما وأرجلهما الملتصقة تجمدت ولا يمكن تحريكها. وبسبب التصاق نصف جسديهما، سخن فجأة كالنار، وبرد مرة أخرى. لقد احمر وجهاهما، وأراد كل منهما التحرر، ولكنهما لم يقررا، وظلا جالسين محدقين فحسب. أشرقت فجأة الرافدة الأمامية، ولم يعد هناك ولو القليل من الحجب، وكل ما حولهم ماء أبيض شاسع، وكأن السفينة تسير وسط خزان من الأنهار، إنهما ملتصقان ولا يستطيعان التحرك، وكأنهما مربوطان. وكأن هناك حبلا غير مرئي يربطهما من الرأس إلى القدم، يربطهما بإحكام شديد، فلا يمكنهما التحرر ولو قليلا.
لقد غربت الشمس منذ فترة، غربت في مكان بعيد جدًّا عن مقدمة السفينة، وتعب التبغ من كثرة امتصاصه، لكن الدخان كأنه متصلب، لا يتبدد، ويغطي أعلى الرؤوس، مما أشعر الناس بالضغط. لقد تصلبت الرقبة قليلا، وكأنها تعلو الطاحون. والبطن تصدر صوتًا، لا نعلم أهو صوته أم صوتها، فقد غطى على ضجيج الآلة تقريبًا. إنهما جائعان، فقد كانوا نائمين أثناء فترة الطعام، ولم يوقظهما الرفاق، ففاتهم الطعام. الجيد هو أن السفينة ستصل الميناء.
في هذا اليوم، نسج الأطفال كيسًا شبكيًّا من خمسة ألوان، بداخله قشر بيضة بطة أخضر اللون، ومعلق على الصدر، ويزين أسفل الكيس الشبكي أهداب ملونة، تتحرك مع اهتزاز بيضة البطة أمام الصدر. مر القطار مباشرة وسط

الشارع، فاهتز الرصيف بالكامل، ودُهنت أنف الجميع باللون الأسود كالمدخنة. والمباني لا حصر لها، هناك العالية والمنخفضة، تقف جوانبها وزواياها الأربعة كعلبة الثقاب، متعجرفة وبليدة. وبحلول المساء، ظهرت في الأربعة جوانب نوافذ منيرة، وصار الشارع شديد الصخب. مصابيح الطريق تشبه هيئة بتلة البامبو، تختبئ داخل أوراق الشجر، بعد مسافة يضيء مصباح، وبعد مسافة مثلها يضيء مصباح آخر. وتسير السيارات ذهابًا وإيابًا، وتتدفق العجلات مثل الأمواج على جانبي السيارات لتفتح لهم الطريق، وتصدر أصواتًا مرة واحدة. وتضيء نوافذ المطبخ بإضاءة فلورسنتية كالثلج، وألوانه زاهية براقة. ويلصق على النافذة المجاورة طبقات من البوسترات المثنية، ويُستعار ضوء نافذة المطبخ لإنارة جميع اتجاهات الفرقة المسرحية، وجميع أنواع الألعاب بالجنوب والشمال والشرق والغرب، والبرامج المتنوعة. إنه حقًّا مشهد رائع يشي بالازدهار.
طُبعت ملصقاتهم صغيرة، أصغر من ملصقات الآخرين بمقدار النصف. ورقها أصفر خافت رقيق، من السهل جدًّا أن تقطعها الرياح. فلا تستطيع الثبات فوق الملصقات القديمة للآخرين، فتعرض فقط على الحافة كطفل صغير أمام أبويه. لكن امتلأت أول ثلاث ساحات. الناس هنا كثيرون جدًّا، وازدحم بهم المكان كله، وهم يعبرون بين العربات السريعة بهدوء ورصانة، بينما تطلق العربات نفيرها بصوت حاد خارق للأذن، ويدوي في السماء. وفجأة صدر صوت صفير، وتلاشى صوت النفير على حين غرة، فمر دوي قطار سريعًا، وبعد ذلك ظهرت أصوات نفير السيارات مرة أخرى، لكن دائمًا ما يكون هناك متلصص. وكلما مررنا بالمباني المضيئة، ونظرنا للأمام، نجد فوق السماء شديدة الزرقة عمودًا دخانيًّا أسود، يرتفع ببطء ويتموج تدريجيًّا، ويرفرف بصورة غاية في الجمال، ويتوسع ويتفتح ليصير زهرة مودان صينية جميلة سوداء اللون. إنها تتحرك ببطء، ويمكن رؤيتها، ويزخرف محيط السماء من الأربعة جهات بهذه الصورة السوداء الجميلة، وتتقلب لتنسج إطارا رائعا كالأساطير. ويذوب الدخان الأسود في الهواء الأزرق، فيضيف لونًا قاتمًا تدريجيًّا على لون السماء، لذا يمتزج ذلك الضوء بخيام الليل السوداء، فيضيء إضاءة خاصة.
يوجد بالميناء يوميًّا سبع أو ثماني سفن ترسو به وتغادره ثانية، فلا تتوقف الصافرات، وتطلق أصواتًا طويلة وقصيرة.
في هذه المدينة، يتدفق ما يزيد على نصف سكانها، تحضرهم السيارات وتأخذهم السفن، أو تحضرهم السفن وتأخذهم السيارات.
هذه المدينة صاخبة جدًّا.
لقد استأجروا مسرحًا صغيرًا جدًّا، به ثمانمائة مقعد، لكنه يسمى بغرابة: "مسرح الشعب". لا توجد به غرف خاصة، فقد قدم لهم المسرح نُزلا قريبا، وتكلفة الغرفة للشخص في اليوم الواحد كافية للقضاء على دخل العرض، فلا يسعهم سوى الرفض بطريقة ملتوية، وحل الأمر بأنفسهم. واستقرت حجرة الفتيات في غرفة العرض، ذلك الممر الضيق، ولا توجد على الحائط سوى عدة فتحات لترتيب آلة العرض، كما أنها تنقل الضجيج وحماسة الجمهور الحارة من داخل المسرح، إنه صيف غير عادي. هناك لوح خشبي طويل، كالدكة المُدفأة الشمالية، يزدحم الناس عليها.

في أول ليلة، لم ينم أحد نومًا مستقرًا، وأصيبت الأجساد بحكة لا تُحتمل، ففتحوا جفونهم بصعوبة، وأضاءوا الأنوار ليروا، فاكتشفوا أن حشرة الفول الأخضر الكبيرة تزحف بحرية بين فراغات الفراش. أما الرجال فقد ناموا في الجهات الأربعة للمسرح، حيث ينتظرون حتى يغادر الجمهور، وينامون في أي مكان، ولم يعتد الرجال المتزوجون ذلك في أول ليلة يغادرون فيها زوجاتهم، فشعروا بفراغ كبير، وأخذوا يتقلبون في فراشهم، ولم يعد بوسعهم سوى التذكر والتخيل لتشجيع أنفسهم. إن الصوت يتردد بوضوح في ساحة المسرح الفارغة الهادئة، ودائمًا ما يكون صوت ضحكات غير لائقة، وتتخلل جميع الكلمات فتحات غرفة العرض. فلم يكن أمام الفتيات سوى عدم الاستماع، ولم يتمالكن رغبتهن في الضحك، فحبسوا أنفاسهم بقوة، ولم يجرؤن على تبادل النظرات، وبمجرد أن تتواصل أعينهن قليلا، يفتح الستار. إنها ليلة عصيبة. في صباح اليوم التالي، كانت أجفان الجميع حمراء متورمة، وملامحهم باهتة وكأنها مصبوغة.
أقيم العرض كالعادة.
جماهير هذا المكان ليس من السهل إرضاؤهم، فخطأ صغير جدًّا، سيثير رد فعلهم بحساسية، كما يمكنهم قول كلام قاس، لذا لا بد أن يكون العرض حريصًا جدًّا وجادًّا للغاية. فعليهم مقاومة التعب والتمثيل بكل طاقتهم. لقد رُفعت معنوياتهم كثيرًا، وبعد غلق الستار تبقى أناس في الساحة، كما كانوا يتناولون العشاء، ولم تكن لديهم رغبة في النوم حتى الساعة الحادية عشرة أو الثانية عشرة ليلا. كما أن الجو حار جدًّا، وهناك مجموعات قليلة من الناس يتحدثون في تفاهات أمام وخلف المنصة، والبعض خرج من المسرح إلى الشارع لينتعش. في البداية ساروا أمام المدخل، ثم ساروا بعيدًا رويدًا رويدًا، ساروا حتى وصلوا إلى ضفة النهر. إن ضفة النهر هادئة جدا في المساء، ومياهه تتدفق ببطء، وتضرب بعضها بلطف. هناك بعض من الإضاءة الخافتة، والرياح باردة جدًّا، وتجلب معها الرطوبة. في البداية سار الجميع معًا، ثم تفرقوا إلى زوجين بهدوء، ولم يمكن رؤيتهم. عموما، ضفة النهر طويلة هكذا ومظلمة.
في هذا اليوم، خرجا هما أيضًا منفصلين. لقد كانا متأخرين في البداية، يسيران خلف المجموعة. هو لم يكتشف تقريبًا تأخرها هي أيضًا، وهي لم تكتشف تخلفه. فقد افترقا فقط، وسار كل منهما مع نفسه. لم يوجد قمر في تلك الليلة، واختفت النجوم أيضًا، فالسماء شديدة الظلام، وأحاطهما الظلام الدامس، فسار كل منهما على حدة ملتفا بستارة ظلام الليل. في الواقع، المسافة التي تفصلهما هي عشر خطوات فقط. هو يسير داخل غابة الصفصاف على جانب النهر، أما هي فتسير داخل غابات الصفصاف داخل الجسر. والأرض المبللة بالندى تحت أقدامهم ناعمة وحادة، تسقط فوقها خطوات أقدامهما، ولا يوجد أي صوت. لقد فتحت ذراعيها، ولمست أشجار الصفصاف على الجانبين بالتناوب. فتمسك بذراعها الأيسر شجرة، وحين تمسك باليد اليمنى شجرة أخرى، تترك يدها اليسرى، وتذهب للأمام. لقد حك لحاء الشجر الخشن قبضة يديها، فألمتها قليلا، فإنها في غاية السعادة. إنها لدغة لطيفة جدًّا، وكأن يد الجدة بُدلت بيدها. لقد فركت يديها بجسد الشجرة

بشقاوة وعمد، ولا تترك يدها إلا بعد ألم الفرك. أما هو فقد قطع فرع شجرة الصفصاف، ولفها على رقبته، ليشعر بالبرودة.
لقد لف فرع الصفصاف على هيئة أنشوطة المشنقة، وسحب طرفيه بقوة وحرص، فاشتد فرع الصفصاف على رقبته، وكلما اشتد قوة ازداد تعمقا، شعر بانتعاش لحمه مع قرصات الأنشوطة عليه. كاد أن يختنق، لكنه شعر بالسعادة. وإذا لم ينقطع فرع الصفصاف، لظل يشده بقوة. لقد طوى الصفصاف ثانية، وأعاد تلك اللعبة. وبعد لحظة، أصبح فرعا الصفصاف الذي قُطع والذي لم يقطع عالقين بجسده، فبدا وكأنه جنية. تسير المجموعة الأمامية بعيدًا أكثر فأكثر، فإن أصوات ضحكاتهم تُنقل بوضوح، وهناك أصوات أغاني يغنونها بعيدة كثيرًا عن لحنها. إن مياه النهر تتدفق بخفة محدثة رنينًا. في هذا الوقت، لمعت نجمة فجأة في السماء، صغيرة جدًّا وبعيدة جدًّا، ولكنها لامعة بشدة. وتراجع الظلام، ورأى هو خيال شخص يتحرك بحيوية داخل غابة الصفصاف هناك. ورأت هي أيضًا داخل غابة الصفصاف هناك خيال مطرز غريب. كلاهما غير متأكد كثيرًا، ولكن قفز قلباهما. لمعت في السماء نجمة أخرى، هذه النجمة كبيرة قليلا، وقريبة قليلا، وكأنها ستسقط من السماء. وتراجع الظلام ثانية قليلاً، وظهر ضباب أبيض. لقد رآها وسط الضباب، وهي رأته. ولم يتراجع أحد منهما، بل رأى كل منهما الآخر. ما زالت هي تستخدم يدها بالتناوب للمس شجر الصفصاف والسير للأمام، وتلين الأرض أكثر فأكثر، ففي كل مرة ترتفع فيها القدم، يكاد يشعران بالرغبة في البقاء المفعم بالمشاعر الرقيقة. يزداد الشجر لطفًا، وكأنه يقبل قبضة يدها قبلات خشنة نقية. واستمر هو في طي فروع الصفصاف، واستخدامها لصنع مصيدة، تبتز رقبته. إن هذا الاختناق المنعش يجعله سعيدًا، ودون أن يشعر، طُبع على رقبته بالفعل آثار دم. إنه سعيد ومسترخ للغاية فقط، ولم يتمالك التحدث لنفسه قائلا: "الجو جميل جدًّا".
وعلى غير المتوقع صدر من هناك استجابة واضحة: "جيد جدًّا".
لذا استدرك قائلا: "لقد ظهرت النجوم كلها".
صدرت إجابة من هناك: "نعم ظهرت جميعها".
واصل قائلاً: "والقمر أيضًا سيظهر".
صدرت إجابة من هناك ثانية: "نعم سيظهر".

(8)

سار الحديث نحو نهايته، وظهر نصف القمر، وأضاءت السماء فجأة، لكن ازداد ذلك الضباب شحوبًا. لقد خرج تدريجيًّا من أسفل شجر الصفصاف، كما خرجت هي أيضًا من أسفله. سارا حتى منتصف الطريق الكبير، هذا الطريق ترابي ممزوج بالحصى الذي يشع بلمعان تحت نور القمر. "الجو حار جدًّا هذه الأيام". قالها وقد التصق كتفاهما معًا.

أجابته قائلة: "أنا لا أخاف الحر"، ويداها مبللتان لزجتان، وكأنهما ملتصقتان بدموع الشجر. لقد شبكت يداها، وفركتهما بقوة، فركتهما بقوة شديدة حتى صدر صوت لهما، فاستخدم هو فرع الصفصاف وضرب يديها قائلا: "لمَ تفركيهما؟ كفي عن الفرك!". لقد ضرب فرع الصفصاف البارد على اليدين الملتهبتين، فلم يؤلمها ذلك ولو قليلا. لقد خبأتهما وقالت: "سأفركهما".

فاستخدم فرع الصفصاف وضربها مرة أخرى. اختبأت يسارًا ويمينًا، فضربها يسارًا ويمينًا. وركضت، فتبعها. لقد أطلقت قدميها الغليظتين الطويلتين، وركضت كالغزالة، وقلبها يقفز، وكأن ذئبًا يتبعها، فهي قلقة كثيرًا، لكنها سعيدة للغاية، وتقهقه. بينما يثني هو خصره، وكأنه أرنب بري، فكاد يلتصق بسطح الأرض، فهو مثار ومتحمس، ويرتجف قليلاً، ويشد على أسنانه، ولم يصدر أي صوت. تفصل بينهما مسافة خطوة واحدة، فمد ذراعه طويلا، وكاد أن يلمسها، لكنها لم تجعله يلمسها. لقد اقترب صوت الأحاديث والضحك والغناء الأمامي، لقد رأوا من بعيد الجموع، فأبطأت من خطواتها دون أن تشعر، فأمسك بها. ومن مصب النهر البعيد للغاية، جاءت إيقاعات هتافات الصيادين المقفرة، فيصغي لها بعناية، ولكن صوت الرياح يغطى عليها.

لقد ذهب القمر نصف الدائري ثانية، وأظلمت النجوم، وأصبح الضباب أكثر سمكًا، فلا يمكن رؤية أشخاص على مسافة أبعد من خمسة خطوات. تُسمع فقط أصوات الغناء الأمامية تتسلق على السد وتغادر ضفة النهر، وتبعد تدريجيًّا، ويتردد صداها طويلاً. ويتدفق النهر مظلما قاتما، وتنعكس عليه فقط إضاءات خافتة بعيدة.

لقد تعانقت كفَّاهما بإثارة وتعب، وسارا في طريق العودة، واقتربا من المدينة تدريجيًّا، وما زالت المصابيح مضيئة، ومر القطار سريعًا، وملأت أصوات الناس بالمحطات والميناء المدينة بأكملها. حتى الليل لا يمكن أن يكون هادئًا.

لقد سارا في طريق ضيق، ولم يعد الطريق الإسمنتي الصلب يخبئ خطوات أقدامهما ثانية، فأخذ يصدر صوت قرع جلي للغاية. فمهما كانا حذرين، ويخطوان بخفة، دائمًا ما يكون هذا القرع جليًّا وتعشقه الأذن. لقد أضاءت أطراف السماء قليلا، واعتقدا أنه الفجر، فذعر قلباهما رغمًا عنهما، وكأنهما ارتكبا خطيئة كبيرة، فأسرعت خطواتهما، وانفصلت كفاهما، واعتقدا معا أن "الوقت قد تأخر!"، فقد شعرا أن كل ما يحيط بهما يراقبهما في الظلام. "لن يجرؤوا بعد ذلك". لقد اعتقدا معا دون اتفاق مسبق، أنهما ارتكبا جريمة كبيرة، ففروا إلى داخل المسرح.

أضاءت جوانب السماء قليلاً. فالنجوم هي المصابيح التي لا تتوقف طوال الليل. إن ليل هذه المدينة مضيء قليلا دائمًا هكذا.

المسرح مظلم جدًّا، حتى مصابيحه قد أغلقت. أخذت تتحسس في الظلام الدامس الذي لا ترى فيه أصابع يدها، وتسلقت إلى غرفة العرض، ولمست أخيرًا موقعها، وتحسست ركبتيها حتى دخلت. وبسبب خوفها من إزعاج الآخرين، لم تجرؤ على خلع ملابسها، ونامت كما هي. أما هو فما زال يتحسس المنصة المظلمة، ولم يستطع إيجاد فراشه. وفي النهاية تخلى عن جهوده، وفكر في البحث عن صندوق لينام فيه، لكن في كل صندوق شخص نائم، أحدهم انزعج من لمساته، فوبخه بعنف. فلم يكن أمامه سوى إمساك يده، فلمس الستارة، فسحب شريطها المتدلي على الأرض ووضعه على نصف جسده، ولصق وجهه به ونام. يتغلغل بالستارة غبار من عشرات السنين، تطاير على وجهه، لكنه شعر بالطمأنينة.

إنهما يعرفان جيدًا أنه لا الوقت أو المكان يناسبان كل ما حدث بينهما، لكنهما لم يستطيعا التوقف. أصبحا أكثر صحة بعد إعادة التأهيل، ونضجا أكثر بعد تجربتهما، وفهما كيف يحافظان على معنوياتهما العالية، وتركيزهما في المرحلة الأكثر أهمية. إن هذا التطلع القذر يزعجهما، فهما قلقان وكأنهما يجلسان على الجمر، ولا يرغبان في الملبس والمأكل. لكنهما لم يعثرا على أي مكان هادئ، فالناس في جميع الأنحاء وكل الزوايا، جماعاتٍ جماعات، فلم يكن بوسعهما سوى الذهاب إلى ضفة النهر بعد انتهاء العرض. لكن، اكتشفا في هذا الوقت أنه حتى ضفة النهر ليست هادئة جدًّا، فالناس يأتون ويذهبون، كما توجد جرارات، ويجلس فوق العربات سكان القرية المحليون ذوو الطباع الحادة، فهم يتهكمون بشكل وقح على أي شاب وفتاة يسيران بمفردهما. نظرات هؤلاء الناس قاسية جدًّا، واهتماماتهم أيضًا شرسة للغاية. وعلى ما يبدو أنهم يجتاحون غابات شجر الصفصاف بالكشافات الكهربائية، فلا توجد طريقة للاختباء. كما أنه لم تمر بعد ذلك ليلة هادئة كتلك، فالقمر والنجوم دائمًا براقة ومنيرة كالنهار، فحتى العشب الصغير يمكن رؤيته بوضوح.

إن الستارة المضيئة، وإن كانت آمنة تمامًا، ليست بها لذة، فلا بد أيضًا من فصل حالة تأهب القلب، والعار، والذنب، والإدانة، فلا يمكنه تجميع تركيزه ثانية ليتمتع بذلك الشعور الغريب من الألم والسعادة. تلك الليلة الأولى، يتذكرها الآن، وكأنها مستحيلة وغير حقيقية كالأساطير، وكأنها ترتيب غامض للقدر. فمنذ هذه المرة، وهما في أشد لحظة من اللهب المضطرم، ويصرخان عاليا بفعل التيار المار سريعا بهما، إن هذا الإحباط والخزي، جعلهما لا يجرآن على المجيء لضفة النهر ثانية، لدرجة أن ذكر الضفة يشعرهما بالنقص والحرج. ولم يعد بوسعهما سوى المعاناة القاسية في المسرح الصغير المزدحم، والعذاب الذي تضمنه هما من يفهمانه فقط. إنهما يشعران أن هذا العالم كله ألم، كله صبر شاق. إنهما يشعران أن هذا الصبر هو صبر اليائس، فالحياة والقدر هما مجرد إزعاج. إنهما ببساطة يحتضران من الحياة التعيسة عديمة القيمة، ففي النهاية: ما قيمة الحياة بالنسبة إليهما؟ لكن، هذان الشابان لم يكونا راضيين بهذا أيضًا. لقد أجهدا ذهنهما للبحث عن مكان يتقابلان فيه منفردين. والبرنامج الأخير كان عبارة عن رقصة كبيرة نسبيًّا. فصعدت جميع الممثلات تقريبًا، ولم تصعد هي، فعليها مساعدة البطلة في منتصف الطريق على تغيير ملابسها، وبعد تغيير هذه الملابس، توجد رقصة مدتها سبع دقائق قبل الختام. طبقًا للمنطق، فإنه على الممثلات تغيير

ملابسهن ومسح مساحيق التجميل قبل عودتهن لغرفهن، لكن في الحقيقة، كانت المنصة الخلفية مزدحمة بشدة، لذلك فإن بعض الممثلات يفضلن العودة لغرفهن لتغيير ملابسهن. لكن، ذهابهن من المنصة الأمامية والدوران خلف مقاعد الجمهور والصعود لغرفة العرض يحتاج إلى ثلاث دقائق على الأقل، وبتجميعهم معًا، نجد أن كل هذا يحتاج إلى عشر دقائق. إن العشر دقائق هذه ثمينة جدًّا بالنسبة إليهم. لقد حفظوا عن ظهر قلب كل جملة موسيقية تنتقل من نافذة أجهزة العرض إلى المنصة الأمامية، فكل جملة موسيقية تدل على علامة يفهمونها، وتذكرهم بما يجب فعله. فكل شيء يحتاج إلى ترتيبات محكمة لمراحل جيدة. وبعد مضي حالة الجنون، كاد ذلك المزاج اليائس بشدة أن يجعلهما يرغبان في ضرب رأسيهما في الحائط، فإسالة الدماء بفعل ارتطام رأسيهما يجعلهما سعداء. لكن بحلول اليوم التالي، تلتهب رغبتهما تلك بشدة، تلتهب لدرجة أنهما لا يفكران في الحياء.
"ماذا نفعل؟".
لم يهدأ لهاثهما بعد، وقاما بسرعة. وطار هو إلى أسفل الطابق، أما هي فنظفت ساحة المعركة بسرعة كبيرة، ولم تتمالك نفسها من التفكير بذعر: "ماذا نفعل؟".
إن هذا الذل وهذا اليأس في الحقيقة جعل تلك الخالية من العقل تبدأ في سؤال نفسها أيضًا: "ما الذي نفعله؟".
لكن لم تجد إجابة، فهما غير قادرين على إجابة نفسيهما، كما لا يوجد أحد يمكنه الإجابة أيضًا، فلا يمكنهما سوى تأنيب نفسيهما والشعور بالأسي.
لكن عدم تمكنهما من المتعة بسبب السرعة والتوتر، أسر قلبيهما أكثر.
وبسبب شعورهما العميق بإزعاج من في الخارج، شعرا بوحدة كبيرة، فلم يملكا نفسيهما من التشبث ببعضهما بإحكام، والاتكاء على بعضهما لمواجهة العالم أكمل بشكل عدائي. إنه يشتري لها كل يوم عطرًا، أيس كريم، مناديل، مشابك للشعر، ومسحوقا للوجه. فتواجه هي المرآة طوال اليوم وتضع مسحوق الوجه. فالوجه الأسود القاتم يوضع عليه مسحوق أبيض سميك، ليشبه مسحوق كاري المجفف المعلق عليه مسحوق أبيض. تشعر أنها جميلة، ولكنها ليست بحالة مزاجية تسمح لها أن تسعد بهذا الجمال. إنها مهمومة ولا تهتم بأي شيء. وبسبب هذا الهم، تعرف هي أيضًا العناية بلطف. فقد اشترت من السوق كرات اللحم الطازجة، واستعارت موقد الكيروسين من الآخرين، وطبختها ليتناولها هو. طبختها بزيت قليل ودون ملح، على نيران غير مناسبة، لكنه تناولها كلها بامتنان تام. وهي تجلس بالجوار، تحدق إليه بتوتر، وتنتظر رد فعله. لقد تناولها بصمت ولم يقل جملة واحدة. أخذت تنظر إليه حتى انتهى منها رويدًا رويدًا، ثم ارتاحت ورضت. لا يوجد مكان ليتحدثا فيه معًا على انفراد، لكن روحيهما تعاهدتا آلاف المرات. إنهما يشعران بالوحدة والقلق، ويتحمل جسداهما وقلباهما هذا العذاب، لكنهما لا يذبلان، بل يزدادان قوة وازدهارًا. لا يمكنهما التحمل أكثر، لكن لا بد أن يتحملا. وكأن قلبيهما يحويان شعلة من النيران، ولا يوجد مكان لإخمادها، ولا يوجد أمامهما سوى الاستقامة والعيش برغم الاحتراق، فلا يوجد مرارة أكثر من ذلك. وفي المساء، انطلقت صفارة من ناحية الميناء، فخمنا أنها السفينة القادمة من تلك المدينة الصغيرة. كانت لديهما رغبة جنونية لا يمكن قمعها في العودة، ومغادرة هذا

المكان الصاخب. لقد تذكرا في هذا الوقت أن تلك المدينة الصغيرة هادئة وآمنة كثيرًا لدرجة تثير حب الناس لها.
الجيد في الأمر هو أن العرض انتهى بالفعل على خشبة المسرح هذه، وعليهما تغييرها. إنهما ينتظران أن يكون بالمسرح التالي مكان هادئ يمكنهما من قتل تلك الرغبة الملتهبة.

(9)

لقد انتقل أعضاء الفرقة هذه المرة مستقلين القطار، وانتظروا بصبر عملية التفريغ والتعبئة، ليضعوا المشاهد القماشية والمصابيح والأدوات والملابس في حزم بعربة البضائع، ثم وقفوا في محطة القطار غير المحجوبة، متعامدين مع الشمس القاسية، منتظرين قدوم القطار. إن القطار مزدحم جدًّا ولا توجد به مقاعد، فلا يوجد سوى الوقوف في الممر، حتى الوقوف ليس مستقيمًا، فتأتي عربة الطعام، وبعدها عربة المياه، فيطالبونهم بالتنحي السريع، ويزاحمون أقدام الجالسين، فيعانون من تأنيب خال من الصبر. أما هما فكانا صبورين، يقمعان غضبهما، يملأهما أمل كبير في كل محطة قادمة، حتى أنهما كان سعيدين بعض الشيء، فهما، وعلى كل حال، يقفان في مواجهة بعضهما، وظهراهما يستندان على ظهر المقاعد على الجانبين. وجهاهما ملويان، فلا يريان بعضهما، لكن أمنيات قلبيهما مشتركة، فيمكن فهمها دون التفوه بها.

يسير القطار ببطء مصدرًا طنينًا، فيقف في كل محطة صغيرة، لكن لديهما صبر كاف، فيعتقدان بصدق أنه من الجيد الوصول لمكان. يزداد بُعد تلك الضفة النهرية خلفهما، ولا يوجد من يشتاق إليها، لكنهما غير قادرين أيضًا على نسيانها، فهي موجودة معهم، تتبعهم إلى الأبد كأنها تكبلهم.

إنه موسم صيفي شديد الحرارة، والعرق كالمطر. لقد نزلا من القطار وهما متعبين، فقد وصلا أخيرًا إلى المكان: مسرح يضم ألف مقعد، كما يوجد فناء خلفي صغير، وفي الأربع جهات ثلاثة صفوف من الغرف المستوية، تحيط بإحكام ماكينة رفع مياه الآبار التي لا ينقطع صوت المياه بها من الصباح حتى المساء كسقوط المطر. وقد تغلغلت الشمس مبكرًا الأسقف الرقيقة، فداخل الغرف حر شديد كموقد البامبو البخاري. لم يتحمل الرجال هذا الحر، فأخذوا الحصيرة وخرجوا للنوم على الأرض الحجرية للساحة التي امتلأت بالناس. لقد تفاجئا بهذا، فما الأساس لتوقعاتهما السابقة، ما المزايا التي توقعاها في النهاية؟ أيعقل ألا يكون لكل فرد غرفة؟ لقد شعرا بسخافة ووهم تلك التوقعات، ولم يتمالكا نفسيهما من الشعور بالخزي.

لكن، في الحقيقة السابق أفضل كثيرًا من هنا، ففي النهاية سيفترق الجميع. فاليوم وصل الكثير من الناس إلى أرض مستوية، دون حجاب ولا خفاء، فكل شيء على مرأى ومسمع في وضح النهار، حتى البحيرة غير الآمنة على الإطلاق لا وجود لها. فهما لا يتوقفان عن الاشتياق لتلك المدينة التي ذهبا إليها من قبل، واكتشفا فجأة أنه كان يوجد بها الكثير من الفرص ، لكن لم يستغلاها جيدًا. هنا لا يوجد أية فكرة جيدة، ولا يوجد أي أمل ثانية. فالإحباط وخيبة الأمل جعلتهما لا يجرآن على أي تطلع لخشبة المسرح القادمة، فالأيام الحالية عصيبة هكذا. إنهما محبطان كثيرًا، وفاقدان للأمل بشدة، فأصبحا في غاية الاضطراب. وحين يحل المساء، تتشاجر مع الناس على أشياء صغيرة، كاصطدامها بأحد الأشخاص أثناء نصبها للخيمة، فتقع الخيمة المنصوبة للتو وتعم الفوضى. وأثناء الفوضى العارمة، من العادي أن يحدث اصطدام، فتتشاجر شجارًا عنيفًا، وتذرف الدموع، ويجف حلقها، وتختنق لدرجة لا تُمكنها من قول جملة واحدة. فالفتاة التي اصطدمت بها لا تعفو عن الآخرين، فتوبخها. وبمجرد أن غضبت، كانت أشرس منها مئات الأضعاف، وقالت جميع

الكلام الحاد، وكذلك بعض التلميحات الواضحة، حتى هي بغبائها فهمتها، لكن لا يمكنها الرد، فترتعش فقط وتصدر هديرًا كالوحوش. وإذا لم يمنعها الناس بالقوة، لكانت من المؤكد ستندفع لتمزيق تلك الفتاة الغاضبة.
لكن هذا الصراع الأول جعلها تفهم أنها ليست منافسة لجميع الموجودين هنا، ففهمها غبي جدًّا، فما تقوله مضحك وليس له أساس. كما أنه منذ تلك المرة، ابتعد عنها جميع الفتيات بوضوح، يبتعدن تارة، ويتحدثن تارة لتسمع: "ألا يمكننا الاختباء نحن المنبوذون؟"؛ فتغضب حتى تختنق، لكن ليس لديها حجة لمجادلتهن، فيملأ قلبها لهب مجهول، يمتزج بتلك الرغبة المشتعلة، فتحتاج إلى مكان للتنفيس عن نفسها، ولا يمكنها سوى الغضب في وجهه، إنه غضب للمساعدة، فيؤازرها على الفور، ويبدآن العمل معًا. إن قلبه ممتلئ بشعلة من الغضب، ولولا قمع عقله له، لضرب مائة شخص ألف مرة مبكرًا، لكنه في النهاية أعقل منها، ويعرف كيف يسيطر على نفسه. وهذا الاشتعال بالنسبة له أقوى وأقسى منها، فهو لم يستطع كبح جماحه منذ فترة، وقد تم حصاره بهذا الحريق مبكرًا. وإذا لم تكن بدأت هي، لكان سيغضب في وجهها فورًا، إن هذا الغضب هو نفسه من أجل المساعدة. بالنسبة إليه، هي المخرج الوحيد الذي ينفس فيه عن نفسه، وبالنسبة إليها، هو أيضًا المخرج الوحيد. فهما يتبادلان الانفراد، ويغضبان في وجه نفسيهما فقط.
إن الجفاء بينهما هذه المرة كان نادرًا في تاريخ الفرقة المسرحية، إنه يدوس عليها تحت قدمه هكذا، ويركلها فتكاد أن تموت، أما هي فتستطيع القيام، وتلقي به على الأرض، وتمسك بيدها حجر، وتضربه به على رأسه. لا يوجد أي صوت، ويلاحظ سيل دماء حمراء يسيل حتى الأرض الحجرية، ففزع الأشخاص المحيطون، وأمسكته من وسط خصره وهي مفزوعة أيضًا، ورفعته وذهبوا به إلى المستشفى. وفي منتصف الطريق أخذ يكافح حتى ينزل مصممًا على العودة. وغطى الجرح بيده وعاد ماشيًا. يتساقط الدم من بين يديه، ويسيل على صدره العاري. لكن على النقيض يرتاح قلبه، ويهدأ أيضًا قليلاً. وفي يوم، حل هدوء من الصعب أن يحصلا عليه، وهدأ اللهيب الذي أشعل قلبيهما قليلا.
لكن، بعد ذلك أصبحا أكبر وأكثر وألد أعداء في العالم. فلا يمكنهما تقريبًا الالتقاء بمفردهما، وفي حالة مقابلتهما مصادفة، يحدث نزاع كارثي. فلا يحتاجان لتبادل المشاجرات الكلامية، فيشتبكان ويمزقان بعضهما على الفور، ولا يمكن لأحد فصلهما، وكأنهما كلبان بريان يتزاوجان. كم من الناس تذكر هذا التشبيه، لكن لم يجرؤ أحد على القول، فهذا قاس جدًّا، كما أنهما خائفان قليلاً حقا. لذلك، حاولوا عزلهما، وعدم السماح لهما بالوجود في منطقة واحدة، تجنبًا للاحتكاك. لكنهما لا يقدران على الانفصال، فإذا لم يتقابلا يومًا واحدًا، يتبادلان البحث كالعفاريت، وبمجرد إيجاد كل منهما الآخر، يمتزجان معًا ولا يمكن التفرقة بينهما، ففي البداية نجد لكمة أو ركلة، بعد ذلك يبدأ الصراع دون توقع.
إن هذا شجار حقيقي، فذراعها يتداخل مع ذراعه، وقدمها يتداخل مع قدمه، وعنقها يتداخل مع عنقه، ثم بعد هذه المصارعة الحادة الطويلة، في البداية تطغى هي عليه، ثم يطغى هو عليها، ثم تطغى هي عليه، ثم يطغى هو عليها، وهكذا دائما لا يوجد فائز وخاسر، دائما لا تكون هناك نتيجة. فكلاهما يريد أن

يؤلم الآخر، كما يريدان أن يؤلمهما الآخر، وكأنهما إذا لم يتألما لن يتمتعا. إنه ألم حقيقي، كما يصدرون صرخات خارقة تثير طبلة الأذن، مما يدعو إلى الارتجاف خوفًا. أما الأشخاص الحساسون فيكتشفون أن سبب رعب هذه الصرخات هو أنها تخبئ سعادة غريبة. أما جسداهما فيزدادان قوة وتخديرا بمرورهما بهذه التدريبات الصراعية الكثيرة، فيحتاجان لقوة كبيرة جدًّا حتى يشعرا بالألم. إن كلاهما يعرف ما يحتاجه الآخر جيدًا، فيهاجم كل منهما الآخر في أكثر الأماكن حساسية وضعفًا بالنسبة إليه. تقريبا كل منهما يريد قتل الآخر ليسعد. فتبدو على كل منهما ملامح هادئة للموت دون ندم.
إنهما يفقدان السيطرة تدريجيًّا، وافتقدا العقلانية بالفعل، وكأنهما يثيران رغبتهما، ويتبادلان عناء الإثارة، فالجسد متداخل بالجسد، ويحتكان احتكاكًا قويًّا، وكأنهما يتداعبان بجنون. كل منهما يكره الآخر بشدة، دون أي سبب، ويفكر كل منهما في الآخر، فيغضب سريعًا. إنهما يكرهان بعضهما حقًّا، فببساطة تغلغل الكره في عظامهما. وبسبب عدم إيجاد سبب واضح، يزداد الكره شراسة تدريجيًّا. فحين يمزقان بعضهما ويتدحرجان على الأرض، دائما ما ينسيان مكانهما، وينسيان جموع الناس حولهما. إنهما موجودان وسط نوع من الارتباك الجنوني، فيفصل الناس بينهما وكأنهم يزعجون نشوتهما؛ فيثيرون غضبهما ومقاومتهما. أما هما فيعرفان أن غضبهما وعنفهما يمكن أن يصب على الآخر فحسب، لذا يضاعف كل منهما عذابه للطرف الآخر، وهما على وعي بتلك النقطة. إنهما قاسيان للغاية، قاسيان لدرجة لا يمكن قولها، إنهما لا يفهمان هذا العنف الوحشي الذي يدفعهما، ومن أين أتت القوة التي أمرتهما بهذه النهاية. إنهما لا يفهمان من أين ارتقى اللهيب الذي حرقهما بقسوة وشواهما. إنهما لا يفهمان ما بهما؟ ما بهما؟ ما بهما؟
لقد أثيرت حاسة الإدراك لديهما بفعل العبث الخالي من الاهتمام والتعاطف. إنهما في الأساس أطفال أنقياء، لكن في النهاية ما الذي دفعهم وسط الظلام إلى الهاوية القذرة القاتمة. فكأنهما واقعان في فخ، في خديعة، في مصيدة، وليس لديهما القدرة لتخليص نفسيهما منها، كما أنهما لا يملكان ولو القليل من الإغاثة والمساعدة، فلا يوجد شخص يساعدهما. لا يوجد أي شخص قادر على مساعدتهما.
لم يعد بوسعهما سوى الاعتماد على تجربتهما الأليمة لإنقاذ نفسيهما، لا يمكنهما سوى مساعدة نفسيهما.
إن الأمل في العودة ضئيل، فما زال هناك عشرات المسارح تنتظر، فقد تم التعاقد معها في النصف الأول من العام، وختم الطرفان ختمهما الأحمر الزاهي على ورقة بيضاء بخطوط سوداء، ولا يمكن مخالفتها كالقوانين تمامًا. فلا يمكن التغيير من أجل مراعاة رغبة غير معروفة لطفلين غير معروفين. فلا يوجد أمامهما سوى الانتظار، انتظار ليس له نهاية، ولا يسمح لهما بالتواصل ولو بالقليل في منتصفه. إن ظروف كل مدينة وكل مسرح غير متشابهة، فهناك الكبير وهناك الصغير، هناك السيئ وهناك الجيد، ولكن، هناك نقطة متشابهة، وهي عدم وجود مكان يسمح لهما بالانفراد بهدوء معًا، وضفة نهر ستائر الصفصاف تلك تبعد تدريجيًّا، ولا يمكن رؤيتها ثانية.
لقد طُبعت ضفة النهر تلك في ذاكرتهما ولا يمكن محوها، وكذلك الصفارات النابعة من المياه التي تتدفق ضد مصب النهر، وتنقل أخبار المدينة الصغيرة

المألوفة المحببة. إنهما متعطشان إلى الصعاب، فلا يمكنهما سوى تبادل العذاب لإخماد قوتهما الجسدية وطاقتهما الوفيرة الزائدة عن الحد. وبالتدريج، بدأ الناس يعتادون على صراعهما، فلم يجتهدوا في منعهما ثانية وابتعدوا عنهما. وفي ظل عدم وجود مظاهر التدخل الخارجية، كانا يتصارعان بمفردهما، وكان نوعًا من السعادة ينقصهما. فبغياب الصراع مع القوة الخارجية، أصبحت طاقتهما الجنونية لا تُنفس بشكل كامل عن نفسها. فإذا تجمعت قوة كل منهما تجاه الآخر، ستكون كافية لموته، مما جعلهما يشعران بالخوف، فكل منهما يفهم داخله، أن الآخر مهم بالنسبة إليه. فما العمل إذا غاب أحدهما، لذلك، تلاشى الطرفان قليلا دون أن يشعرا، إن الجو حار هكذا، فامتزجت الحرارة الخارجية بحرارة قلبيهما، فكادا أن يموتا، إنهما يعتقدان أن موتهما، على العكس، نعمة. على الرغم من أنها لا تملك حكمة كبيرة للتفكير في مسألة الحياة والموت، فإنها لا تخاف الموت أيضًا.
ولكن حياة شبابهما قوية هكذا، فلا تقهر، كما أنها خضعت لتدريبات، فهما ببساطة لا يموتان. لقد انفجرت في وجهه بثور حمراء، كالثمار الناضجة التي ستتفتح. أما هي فلم يتسبب هذا العذاب في نحافتها، بل على العكس، سمنت بطريقة غير طبيعية. إن اللحم الكثير الذي ظهر يمثل عبئًا كبيرًا جدًّا، فقد تغير شكل جسدها. وعلى الرغم من أنه قيل في السابق إنه غير متناسق، فهي في النهاية فتاة، وتملك دائمًا جمالا هادئًا لا يُمحى. لكن غباءها الحالي، جعلها كالمرأة الريفية، فتلتصق أردافها وتثقل ساقيها، وتسير مترنحة كالبط. كما أنها تزداد قذارة تدريجيًّا، ولا تهتم إطلاقًا بالملابس، فترتدي ملابسها بطريقة فوضوية، وتضع بودرة تلك. كما أن تصرفاتها غير رصينة على الإطلاق، فترفع ذيل تنورتها المجعدة ثم تجلس، وأثناء وقوفها، تبقى على المقعد آثار عرق على هيئة مؤخرة. فتبلغها إحدى صديقاتها بنية حسنة، لكنها لا تهتم، وتنسى بعد قليل.
"إنها تشبه السيدات". لقد قالت الفتيات هذا من ورائها. كما جزم أيضا من تزوجن من قبل إنها ليست عذراء.
إن الجو حار جدًّا في الحقيقة، فهناك عشرات الأسرَّة لا يستطيع الناس النوم عليها ببساطة، فنام الرجال منذ مدة في العراء، وكذلك الفتيات انتقلن خارج غرفهن تدريجيًّا، وانتقلن إلى المنصة التي تعلو المسرح. يأخذ الرجال والنساء كل منهما جانبًا، فلا يزعج أحدهما الآخر، وعلى الرغم من تسبب ندى النصف الثاني من الليل في بلل أجسادهم، فإن أحدًا منهم لا يجرؤ على دخول الغرفة. إن داخل الغرفة مظلم جدًّا، والناموس كعشرة آلاف وتر مشدود للكمان، يصدر صوتًا يملأ الكون. وفي إحدى الليالي الدامسة، نزل الطرفان خلسة دون أي اتفاق بينهما من أعلى المبنى، ودخلا الغرفة الخالية من الناس. فطار الناموس بوحشية، وتسلل إلى وجهيهما وأيديهما وجسديهما. وقف الطرفان بهدوء، يستمع كل منهما إلى اللهاث الشديد للآخر فحسب. وقفا برهة، ثم مسك ذراعها ودفعها داخل ناموسية غير معروف مالكها، وتبعها الناموس في الدخول، وأصدر صوتًا كالقذائف جانب أذنها. وفي لحظة، أصيبت عشرات الأماكن بجسديهما بحكة كالنيران، ولكن، لم يلتفتا لهذا كثيرًا. إن العرق الغزير على جسديهما، يتدحرج وسط عرق قذر كريه الرائحة، لقد انتزعا الحصيرة، وألمت ألواح السرير المكونة من ألواح خشبية خشنة

عظامهما، وكشطت جلدهما، وشكت أجسادهما مئات الوخزات، لكنهما لم يشعرا بشيء. وفجأة، هدأ صوت الناموس، وتراجع الحر الشديد، وشعرا بانتعاش، لقد كانت تلك لحظة عابرة، تبعها ندم مذل. لقد بكت بحرقة، فسال العرق والدموع خطوطًا خطوطًا. وعلى الرغم من عدم بكائه، فإن قلبه كان متأثرًا جدًّا، وتسيل الدموع داخله.
يا إلهي! أسيموتان؟ أيعانيان من مرض مزمن؟ أيريدان الذهاب إلى الطبيب، ألا يجب عليهما سؤال شخص آخر؟ ولكن، هذا عار شديد، لا يمكن السماح لشخص ثالث بمعرفة أمرهما، وبسبب هذا السر الذي يجب الحفاظ عليه، لم يتمكنا ثانية من البعد عن الوحدة والعزلة. إنهما يمتلكان سرًا قذرًا دائمًا، ولا يمكنهما أبدًا التعامل مع الناس بهدوء ورصانة، إنهما وحيدان للأبد! لقد رطم السرير بقوة بقبضة يده دون الجرأة على إصدار صوت. لقد ملأ الناموسية آلاف الناموس، وأحاطهم، وشربوا دماءهم باستمتاع. لقد خدر جسدهم، ولم يعودوا يشعرون بألم أو حكة. وكأن العالم يقع وسط أصوات أنين، ولا توجد به الجهات الأربعة وما بينهما.
ومع حلول الخريف المنعش، عاد الجميع إلى مركز المحافظة. وفي المساء يمكن رؤية كتلة من الأشجار الخضراء الشادية، تغيب الشمس رويدًا رويدًا من خلفها، فتعكس تلك الأشجار الخضراء أشعة ذهبية. يصبح اللون داكنًا تدريجيًّا، إلى أن يتحول في النهاية لكتل سوداء داكنة، تختبئ وسط غسق يتعمق أكثر فأكثر. لقد أظلمت السماء، واستندت السفينة على الضفة، ونزل حشد كبير من الفرقة المسرحية، وحملوا الأمتعة على أكتافهم بتعب، وساروا بممر متحرك ضيق، وصعدوا على المرسى. إن الصيادين يغنون كالعادة، بطريقة طويلة ومتعرجة، وتنتقل الأمواج بعيدة جدًّا وسط المياه المظلمة. لقد ساروا وسط جموع من الناس، ومروا بالممر المتحرك الطوي، إن ذلك الممر المتحرك يهتز بشدة تحت أقدامهم، لكن يستحيل الإطاحة بهم أسفل النهر، فهذا الارتجاف مألوف جدا بالنسبة إليهم، لكنه صار غريبا فجأة. حتى ليلتهم المظلمة لا يمكنها حجب وجوههم المنهكة المرفوعة قليلاً، تنظر إلى هذه المدينة التي فارقوها لثلاثة أشهر ببرود، وكأنه لا يمكنهم التوقف عن الحزن. إن كل شيء ودود هكذا، لكن به قليل من الفتور. لقد صعدوا على المرسى، ووقفوا قليلا، ويوجد في مكان بعيد ناعورة تحاول بجهد التسلق على الضفة المنحدرة، فخفض الصيادون رؤوسهم بعمق، وحلقت أغاني هتافاتهم بقوة في أعمق مكان، واهتزت العربة المسطحة، فانزلقت المياه من الدلو.
إن الطريق الأمامي المؤدي لمركز الشارع مضيء بنور القمر، ويسير عليه أناس متباعدون وعربة، يجرها حمار، تطرق حوافره بصورة جلية على الطريق الترابي مصدرة صوت: "دادا". لقد التحقوا بالطريق الكبير الذي يؤدي مباشرة إلى مركز الشارع، لكنه متفرع أيضًا لعدة طرق فرعية، فذهبوا إلى مكان بعيد لا يمكن رؤيته، وسار الحمار ساحبًا العربة في طريق فرعي، واختفى، دون أثر سوى صوت حوافره الجلي الذي استمر لفترة طويلة.
الطريق الكبير يؤدي إلى مركز الشارع، وقد أغلقت جميع المحال والمنازل، فأصبح هادئًا. فقد أزعجت الخطوات المتنافرة لمجموعتهم هذا الهدوء. فهناك من فتح نصف بابه لينظر، ومد نصف جسده المغطى بالملابس. إن نوافذ

الاستوديو مظلمة، وما زالت تعلق به عدة صور ملونة، معظمها صور لممثلات الفرق المسرحية، وقد رُسمت عيونهم بخط سميك، وفمهم عبارة عن شفتين جميلتين حمراء اللون، وصورتها ضمنهم، لم تضف إليها الألوان، وموضوعة في الزاوية، ولباسها فيها يشبه لباس كشي آر بطل مسرحية "المرأة ذات الشعر الأبيض". لقد سارا ناحية النافذة، ولم يتمالكا نفسيهما من النظر للداخل، وكأن هذا حدث بعيد جدًّا، وكأنهما شخصان غير مألوفين لديهما. لقد نظرا ببرود شديد، ثم سارا.
لقد خطت أقدامهما على الطريق الحجري أسفل نور القمر، والأرض الناعمة الحجرية تعكس النور، فتظهر الخطوط العريضة لحدود كل حجر بوضوح، وبالنظر إليها طويلا لا يبدو أنه حصى، بل يبدو وكأنه شبكة ذات خطوط طولية وعرضية متقاطعة ومتعرجة. فهما يسيران على هذه الشبكة، وكأنهما يسيران داخل أرض الأحلام، أرض أحلام هادئة للغاية. لقد شردا بذهنيهما قليلا. لكن كل شيء حولهما حقيقي هكذا، والأرض تحت أقدامهما صلبة لدرجة أنها تصدر صوتًا. ونور القمر كالمياه ينساب على الجسد ببرودة لكنه دافئ. ويلتصق بجانب الطريق قشر القريدس الزلق، فمشيا عليه دون حرص، وكادا أن يقعا. الموقد المغلق أمام باب المطعم الصغير المقفول بإحكام ساخن، وتومض فيه شرارة خافتة ظاهرة. رائحة المرحاض جانب الطريق قبيحة جدًّا، ومنتشرة على نطاق واسع، لكنهما لا يشعران بقبحها أصلاً.
لقد فكرا في نفسيهما: "لقد عدنا أخيرا".
وفكرا ثانية: "لقد عدنا في نهاية المطاف".

(10)

بات قلباهما هادئين بطريقة غير عادية، وبهما أيضًا بعض من الخيبة. يبدو وكأنهما أضاعا شيئًا ما، فلم يعودا بكل شيء جيد. يشبهان شخصين غريبين دخلا هذه المدينة الصغيرة المألوفة. فالثلاثة أشهر تلك كانت طويلة وكأنها ثلاثة عشر أو ثلاثمائة عام. أما المدينة الصغيرة فما زالت كما هي، زاد بها فقط عشرات الآلاف من القطط البرية في غاية الهدوء، وتجوب في صمت، أو تتسلق على النوافذ وتنظر إلى الناس باهتمام وهدوء. هناك جدار هُدم حديثًا، وأنشئت نصف شقة جديدة، يقع بهدوء بين أرض من الطوب والخشب.
لقد دخلا أخيرًا مجمع الفرقة، وبابه مفتوح على مصراعيه، ومضيء جدًّا، فحجرة البواب وموقد المياه والمطبخ وغرف العائلات جميعها مضيئة جدًّا، ويقف الحارس المُسن عند البوابة منتظرًا بفارغ الصبر. لقد دخلا الساحة وسط ترحاب شديد، وذهب كل منهما لغرفته، وفتحا الباب والنافذة وأشعلا المصابيح. كما أضيئت أيضًا مصابيح حجرة التدريب. لقد عبرا حجرة التدريب وذهبا إلى المطبخ ليتناولا العشاء، سارا على أرض مطلية باللون الأحمر الباهت، تهتز قليلا محدثة صريرًا. ولم يتمالكا نفسيهما من الوقوف أمام المرآة، إن نفسيهما اللتين يظهران في المرآة غريبتان بعض الشيء. ففي مثل سنها الصغير، توجد تحت جفنها ترهلات، وجلد وجهها خشن جدًّا، كما كبرت مسام العرق بفتحات أنفها، وطريقة سيرها حمقاء هكذا، كالإوز المُسن.
أما هو فنحف حتى ظهرت التجاعيد، والآثار العميقة الكثيفة التي تركتها الحبوب تملأ وجهه بالكامل، إنه متعطش جدًّا للاستحمام من رأسه حتى قدمه. يصطف أمام باب غرفة الاستحمام طابور كبير، هناك من لا يمكنه الانتظار، فيأخذ المياه ويستحم في غرفته، فتنسكب على الأرض. مياه الدور الثاني تنفذ عبر الأرض البالية إلى الدور الأول، فيصرخ قاطنوه صرخات عالية تشبه صوت هطول المطر بغزارة، لكن لا يؤدي الأمر إلى نزاعات، فالجميع في غاية المرح بعودتهم أخيرًا، وكأنهم متشردون تجولوا مائة يوم، وعادوا أخيرا إلى عشهم الهادئ، فجميعهم سعداء كثيرًا.
هما أيضًا سعيدان، لكنهما هادئان كثيرًا. فكل يوم خلال الثلاثة أشهر الخارجية يتمنيان العودة، وكأن عودتهما تمثل عالما آخر، وحياة أخرى. واليوم عادا حقًّا، لكنهما لا يفهمان أيضًا، أي وضع جديد وأي حياة تنتظرهما في النهاية. بالطبع، من السهل جدًّا الوجود معًا بعد عودتهما. إن كل شيء بهذا المكان مألوف بالنسبة إليهما، فيعرفان جيدا أي منطقة منعزلة، ويعرفان الكثير من الأماكن الهادئة هنا، ومن السهل جدًّا عليهما ذكر عشرات الأمثلة لهذا. لقد فكرا كثيرًا في أيام وجودهما بالخارج، ألم يكن ما يشغلهما هو العثور، فقط، على مكان هادئ، يمكنهما فيه الانفراد، ويمارسون كل شيء وقح وقذر ويختبئون فيه؟ والآن، هذا المكان متاحًا، لكنهما في غاية الضيق، ومزاجهما السيئ هذا جعل الأيام التي تعطشا إليها طويلا تبدو عادية جدًّا أيضًا. لكن، بحلول مساء اليوم الثاني، خرجا بهدوء، إنهما لا يحتاجان إلى البوح، فهناك انسجام قوي بينهما بالفعل. وبعد ذلك، كانا يخرجان كل مساء تقريبًا، ولا يعودان إلا في وقت متأخر من الليل. لقد أصبح ذلك طبيعيًّا وكأنه نظام غذائي يومي، لا يحوي أي

مغزى خاص، فإنه لا غنى عنه. لا يمكنهما سوى ذلك، وكأنه بغيره يستحيل وجود أيام مغايرة. وكأنهم في ظل دفع شعوري قوي جعلهم يحظون بعادة أبدية لا يمكن الإقلاع عنها. ولكن، السعادة تقل مرة بعد مرة، فتوجد فقط في تلك اللحظة القصيرة، وأحيانًا لا توجد تلك اللحظة أيضًا. ولكن بحلول هذا الوقت، يقلقان ثانية، وكأنهما فقدا شيئًا مهمًّا جدًّا، ولا بد من العثور عليه واستعادته مرة أخرى، إنهم يحاولان بطريقة متواصلة، إلى أن يصلا لتعب يعذبهما ثم يتوقفا. إنهما حقًّا لا يفهمان لماذا يحيا الناس؟ أيعقل أن يكون من أجل هذه الأفعال الخسيسة، لقد استخدما الندم المؤلم مرة أخرى للمعاقبة.
بدا وكأنهما ضلا الطريق، ومشيا داخل فخ مزخرف بالأزهار الزاهية، ولا توجد طريقة لمنعهما من السقوط في الهاوية. وكأنهما انزلقا في تيار عارم يركض سريعًا، ودارا وسط دوامة من المياه السريعة، وكل ذلك لا إراديًّا. فهما يعتقدان أنهما أسوأ شخصين حظًّا في العالم، فيتمنيا الموت ببساطة، لكن أيضًا لم تتولد لديهما النية، ففي الواقع يملكان قليلا من الحب، والحب والألم شيء واحد وهو ذلك المرح القذر. وكان الهلاك الذي قدره القدر لم ينته بعد، ومهما ابتعدا لا يمكنهما الهروب منه.
انتهى الخريف وحل الشتاء، لقد كان هذا الشتاء دافئًا على غير العادة، فحتى الثلوج لم تهطل بغزارة، فهي طبقة رقيقة، وتذوب بمجرد وصولها إلى الأرض، وتتحول الأزهار الجليدية المتلألئة فورًا إلى طين أسود. وبعد ذلك، حل الربيع الذي توالت فيه الأمراض المتعددة. فكل الناس تقريبًا مرضوا، وأصابهم البرد، وألم بالمعدة، والسعال، واللهث، وانتشر التهاب الكبد الوبائي "ب" فجأة.
فصارت المستشفى أكثر الأماكن صخبًا، ومدخلها كالسوق، وهناك نوع من البشر صعب اجتنابهم للأمراض الغريبة غير المستعصية، كالإسهال. في البداية إسهال شديد، ثم إسهال صغير، وفي نهايته يصاب بحرارة طفيفة، ثم يتحسن، ولا توجد أية تأثيرات كبيرة، لكن يصاب الإنسان بالضعف لمدة عشرة أو خمسة عشر يومًا، ويفقد شهيته. انتاب أطباء مستشفى المحافظة القلق كثيرًا بسبب هذا المرض، فبحثوا في جميع الكتب الطبية ولم يجدوا إجابة، وفي النهاية اكتشفوا أن المشكلة في الطعام والشراب. فلا يوجد بهذا المكان مياه جارية، ومياه الآبار مُرة، والمياه المستهلكة جميعها من ذلك النهر الذي يسير به السفن والمراكب طوال العام، وتحرق السفن الديزل، وتتسرب النفايات النفطية في الماء، فيمكن للعين رؤية مجمع من النفط اللامع، وكأن المياه عُقدت طبقات رقيقة.
بالإضافة إلى دفء شتاء هذا العام الذي لم يجمد الكثير من الجراثيم فحسب، بل نتج عنه أيضًا الكثير من الجراثيم الجديدة النشطة، لذا، تلوثت مياه ذلك النهر بشدة. الجميع يستهلك المياه، فطبيعي أن يُصاب الجميع بالإسهال، إذا لم يسهل سيكون الأمر غريبًا. لقد قدمت المستشفى ذاتها وصفات طبية، وصنعت الأدوية العشبية، ووضعوها عند المدخل، لا داعي للتسجيل، فقط على الشخص القول أنه مصاب بالإسهال، وسيوزعون عليه علبة. ومن يعمل في الشارع يقدم، فقط، شهادة محاسبة، أما من لا يعمل، أو أبناء القرية، لا بد أن يدفعوا خمسة قروش فقط. وعلى النقيض فإن القليل جدًّا من أبناء القرية هم من يعانون من هذا المرض، فمن النعم ألا يشربوا مياه الشارع،

لقد قالوا هذا بشماتة، وسعادة غامرة. ولكنهم أيضًا متعاطفون جدًّا بفعل طبائعهم الصادقة.
في هذه الأيام، كان يدخل أبناء القرية للمدينة باستمرار، ويلتحقون بالعربة الكبيرة، وقد وضع على العربة أكياس سوداء صنعت خصيصًا لحمل الروث. وتمتلئ المراحيض في المدينة سريعًا، ومن لا يذهب كثيرا للمدينة لتفريغ الروث، يتحول لمياه صفراء على الأرض، لتخرج ببطء من فوهة المرحاض، وتنتشر بمنتصف الشارع. وقد أصيبت القطط والكلاب بهذا المرض أيضا، ولكن لم يمدهم أحد بالدواء، فملأوا الشارع بإسهالهم، ففي كل مكان يمكن رؤية مظاهر الإجهاد، فالقطط والكلاب الذين يتحركون ببطء يسيرون على مهل بذيل متدلي. فتحولت تلك المدينة الهادئة في لحظة إلى مكان ذي رائحة كريهة، تملؤه القذارة. إنهم ببساطة لا يعرفون أي ذنب ارتكبوه، فكأن الله يعاقبهم.
حتى هذه اللحظة، لا يمكنهما الاستراحة أيضًا. فحتى يبحثا عن مكان نظيف ليس به روث، ذهبا بعيدًا دون أي كلل وتعب، مباشرة إلى ميدان على بعد عشرة أميال للخارج، واختبأ وسط كومة من القش، وقطعا عشب الأبقار الثمين المملوك لأهالي القرية بفعل الضغط. وفي أحد الليالي، بسبب الإسهال المائي المتواصل، وضعف الجسد ضعفًا شديدًا، ناما بفعل الدوار وسط كومة من العشب. ناما في تلك الليلة بتقلبات وخوف، وشاهد الطرفان كوابيس كثيرة، منها الحقيقي ومنها المزيف، فانبثق عرق بارد بكامل جسديهما من الخوف، وعرف الندى طريقه إلى القش المتروك لمدة عام، ويغطي جسديهما وتسلل عبر التيشيرت إلى جلديهما، فارتعشا من برودته، لكنهم لم يستيقظا، فقط، التفا ككرة لولبية محكمة، يتدحرجان معًا أحيانًا، وأحيانًا أخرى ينفصلان. لا نعرف كم من الوقت قد مر، قبل أن يفتحا أعينهما في الوقت نفسه تقريبًا، وقد أضيئت السماء إضاءة خافتة. لقد نظرا إلى السماء الرمادية، وقلباهما لا يفهمان شيء على الإطلاق، فهم يحدقان فقط بها. ثم تذكرا فجأة معًا: لقد مرت ليلة كاملة في الأساس.
فصرخا مندهشين ونفضا جسديهما وقاما على الفور، وذهبا إلى المدينة في حزن وذعر. لقد رأى الفلاحون المستيقظون باكرًا هذين الشابين بملابسهما غير المرتبة، والقش المقطع يملأ أجسادهم بالكامل، فحدقوا إليهما بدهشة، ونظروا إليهما وهم يهربون. وانتقل من بعيد صوت المنبه الذي ضبطه فريق الإنتاج للحاق بالعمل مبكرًا، دانغ، دانغ، دانغ، انتقل لوقت طويل، ويعبر سماع ذلك الصوت بالنسبة إليهم عن سوء الحظ، لكن لا يوجد وقت للتفكير. وحين وصلا إلى المسرح في ذعر وغضب، كان الناس قد استيقظوا، فمنهم من يغسل أسنانه ووجهه عند حوض المياه، ومنهم من يستند على زاوية من الحائط يتناول الفطور وهو جالس القرفصاء، وهناك أيضًا من يتدربون في حجرة التدريب بالفعل. هناك من يأكل، وهناك من يغسل وجهه. هناك من يتحدث ومن يضحك، ويسمع تسجيلا للحن البيانو المستخدم في التدريب، ويشمل مقطوعتين من اللحن الراقص الذي يمتاز بوضوحه وجماله، يبدو أن كل هذا رتبه الجماهير عن عمد، ليعرضوا لهم سعادتهم، وبمواجهة هذه السعادة النقية السالمة، صدموا بخزي، فيعتقدان أنهما أتعس شخصين في العالم. وفي مساء هذا اليوم، قررت أخيرًا أن تموت.

إنها طفلة ذات عقل بسيط، وجاءت لتدرس ضمن الفرقة المسرحية في سن صغير، فقد درست ثلاثة أعوام فقط، ولم تنجح في كتابة خطاب واحد مرتب لوالديها بالمقاطعة المجاورة. لقد كانت طفلة سعيدة في الأصل، لا تعرف أمور العالم ولا تعرف الحزن، فطوال اليوم تجلس وتأكل، تأكل وتنام، ولا تستخدم عقلها في أي شيء. لذلك، كان تدريبها مضاعفًا بمقدار ثلاثة أو خمسة أضعاف عن الآخرين، لكن استفادتها قليلة جدًّا. وكأنها تفكر في الحياة بطريقة بسيطة جدًّا، والموت أيضًا كذلك. إن نيتها هذه لم تكن في غاية الصعوبة، ولا تحتاج إلى شجاعة وتفكير شديد. فهي تعتقد بغموض، أن الموت هو نوم، هو الخروج من باب بعيد، والسير في طريق طويل، إنه كالتحرك. بالطبع، إن هذا التحرك وذلك مختلفين، وهذا الاختلاف يتمثل في عدم قدرتها على حمل أي شيء معها فقط، فأي شيء تمتلكه مهما كان محبب إليها، عليها تركه.
إنها تفكر بعقلها البسيط أن ترك أي شيء لا يمثل مشكلة. لكن، حين تبدأ في الاستعداد للموت بجدية، تكتشف فجأة أن ترك أشيائها بصورة جيدة، لا يعد أمرًا مقلقًا أيضًا. مثله مثل الاستعداد للتحرك في أي مرة، إن أول شيء أعدته هو الملابس. لقد وضعت الأشياء الموجودة داخل صندوق كبير على الفراش، ونفضت قطعة قطعة، وربتت عليها، ثم طوتها مرة أخرى جيدًا، وقلبها يفكر أي شخص مناسب لتعطيهم له. لقد رأت البعض ممن دخلوا الفرقة للتو يرتدون ملابس قديمة، نحيفة وصغيرة، على الطراز الريفي. لقد قاست الملابس على جسدها، ولا يمكنها تصديق أن هذه الملابس كانت تغطي جسدها من قبل، فبالمقارنة بجسدها الحالي، تبدو ببساطة كملابس الأطفال. لقد تذكرت في ذلك الوقت، كانت في الثانية عشر من عمرها. فحين تتذكر وهي في العشرين من عمرها تشعر وكأنه أمر بعيد للغاية، في الواقع إن المدة التي بينهم تسعة أعوام فقط. لقد حركت تلك الملابس وانتبهت للغرز التي فوقها، لقد استخدمت أمها آلة حياكة الفراشة لحياكتها. فسمعت أذنها تقريبًا صوت ماكينة الحياكة الخفيف "تساتساتسا".
أحيانًا يتحول هذا الصوت ويبدو خشنًا، ووقتها يحضر والدها إبريقًا أخضر من الزيت، ويغذي الماكينة، فتنقط فوهة الإبريق الرفيعة في كل جزء من أجزاء الماكينة كنقر الدجاج للأرز، وبعد التنقيط يخف ذلك الصوت، "تساتساتسا"، كالغناء. للأسف هذه الملابس قديمة جدًّا، وقبيحة جدًّا، فمن يريدها؟ لن يوافق أحد على ارتدائها، فنموذج الأحمر والأخضر المبهرج لن يحبه أحد أيضًا. بالطبع، باستثناء أبناء القرية، فكل شيء لدى أبناء القرية نادر. أتذكر ذات مرة، ذهبوا إلى أحد المشاريع المائية للعرض، وكانت ابنة صاحب المنزل لا ترتدي السروال حتى، فلا يمكنها سوى الجلوس في الفراش طوال اليوم، إن الفراش عبارة عن سرير من القطن ليس له بطانة وليس له وجه كشبكة الصيد. لذلك، بحثت عن ورقة، ولفت بها هذه الملابس، وكتبت عليها: "من فضلك، أيها القائد، أهدها إلى الأطفال الفلاحين الفقراء". ثم وضعتها في زاوية الصندوق، واستمرت في الترتيب، وكانت ملابس الجيش الأكثر انتشارًا ذلك الوقت، والسروال الواسع، ما زالا موجودين، إنهما باليان غير جديدين. والخصر رقيق جدًّا، لا يمكنها ارتدائها اليوم. كل هذا يمكن إهداؤه للأخت

الصغرى، فهي أصغر منها بعامين فقط، وتخرجت من المدرسة الثانوية وعملت بالفعل
كاشير في محل لحوم.
وعلى الرغم من عدم انتشار تلك الملابس، فإن الآخرين دائمًا ما يعتقدون أن ملابس الفرقة المسرحية قائدة لموجة جديدة من الملابس. في ذلك الوقت كانت أختها الصغرى تحسدها وتريدها. لقد كتبت على الورقة أيضًا: "لأختي الصغرى العزيزة". لا تعرف لماذا أضافت كلمة "عزيزة" بعد "أختي الصغرى"، أليس هذا ينم عن حزنها. فأختها لا يمكن أن تكون "عزيزة" على الإطلاق بالنسبة إليها. ذات مرة، جاءت أختها لزيارتها، ولم تكن موجودة بالمصادفة، فتولى رفيقاتها في الغرفة مسئولية ضيافتها، واستخدمن تذكرة الطعام التي تركتها الأخت الكبرى على النافذة، واشترين لها أفضل الأطعمة يوميًّا. وبعد خمسة أيام عادت من منزلها، وقد فرغت تذكرة الطعام، فوبخت أختها الصغرى، التي غادرت ذلك المساء.
وبسبب عملها المبكر، كانت لها مكانة خاصة في المنزل، فكانت تحتقر أختها الصغرى منذ زمن. لقد وضعت اللفة الورقية داخل الصندوق، واستمرت في الترتيب. إن تلك السترة الحمراء البالية التي رأتها هي المحببة إليها، فقد وصت أحدهم لجلبها من المحافظة، فكانت مناسبة لحجم جسدها آنذاك، وياقتها ياقة الزي الغربي المنخفضة، وعلى الرغم من أنها ذهب زمانها في معظم الأماكن بالخارج، فإنها منتشرة جدًّا في مدينتهم. فكم من الفتيات يحسدن هذا الزي، ويبتزونها لتتركه، لكن مهما يقولن لا تتنازل عنه، ويعز عليها تركه.
يعز عليها إهداء هذا الملبس لأي شخص، فقررت إبقاءه لترتديه هي، وتطابق عليه ذلك السروال الأسود المصنوع من ثلاثة حياكات، وحذاء جلدي على شكل حرف (T). إن هذا الزي هو أحدث وأفضل زي لها، فبعد ارتدائه تبدو وكأنها تغيرت تمامًا. لقد رتبت أشياءها قطعة قطعة، وكل قطعة منهما تثير ذاكرتها بغرابة. لم تتخيل من قبل أنها تملك كل هذه الذكريات الكثيرة، هناك ما تفخر به، وهناك ما تحزن بشدة بسببه. فامتلكها فجأة شعور قليل بعدم الرغبة في الموت، إنها ليست رغبة بعدم الموت إلى الأبد، لكنها رغبة بعدم الموت اليوم أو غدًا. لقد كانت تغلق الصندوق تارة، وتفكر تارة أخرى، ما زال هناك بعض تذاكر الطعام والنقود لم تعالجها بعد، وسترسلها إلى منزلها. فتذاكر الطعام تحوي أكثر من خمسين كيلو. فلم تستلم تذاكر الطعام لمدة ثلاثة أشهر، ثم ذهبت لاستلامها، فقال لها المحاسب، لأعطيك تذاكر مستخدمة بجميع أنحاء البلاد. لذا لديها تذاكر بقيمة أكثر من خمسين كيلو طعام على مستوى البلاد. إنها لا تفهم أن هذه التذاكر يمكن إرسالها عبر خطاب مسجل بعلم الوصول، لذا فهي خائفة جدًّا من ضياعها، فتبقيها بجانبها، مقررة أخذها معها حين تعود إلى المنزل في المرة القادمة.
لكن لا يوجد وقت، لقد تنهدت، ووضعت الصندوق أسفل فراشها، وبسطت غطاء السرير.
كما عليها تسليم غطاء الفراش والمفروشات المنجدة واللحاف أيضًا، لكن لا بد من غسلها، فلم تغسل منذ عدة أشهر، وقد شمت أخيرًا رائحتها الكريهة.
لقد اكتشفت أن الأمور كثيرة، فاطمأنت، فعلى العموم لا يمكنها الموت

اليوم. وبعد تناولها للعشاء، تذكرت أنه عليها فحص مكان الموت، ورؤية بيئته، لذا، غسلت الأطباق وعصا الطعام، وجعلت رفيقتها تعود أولا للغرفة، وذهبت بمفردها.
إن المكان الذي اختارته هو جانب النهر.
لقد سارت بمحاذاة الطريق الكبير المائل قليلا، ورأت المرسى، ورأت غرفة التذاكر من القرميد الأحمر. إن الطريق مائل ومنحدر تجاه ضفة النهر. ولا يمكنها وقف خطواتها، فركضت للحظة، ركضت باندفاع شديد، ركضت بخطورة حتى كادت تدخل المياه، فأوقفت قدمها بسرعة، في هذه اللحظة، رنت الأرض المنحدرة بشعارات الصيادين العالية. هذه المرة، لا تعرف لماذا كان الصيادون يغنون بصورة عالية مدهشة، تدعو الناس إلى الاستماع، وتهتز لها الأرواح. لم تتمالك نفسها وتوقفت، وتتزايد شعارات الصيادين حماسة، مثلها مثل الصيحات، فنبح حلقهم، وأصدروا صوتًا أجش متعب. لقد تذكرت فجأة حين يأتي الغد ويحل موعد موتها الرسمي، سترن الشعارات أيضًا هكذا، فكيف ستموت بسلام. لذا، سارت بمحاذاة النهر، رغبة في الذهاب إلى مكان لا يصله الشعارات.
في هذه اللحظة، غربت الشمس للتو، وأصبح النهر ذهبيًّا لامعًا. فسارت بمحاذاة النهر الذهبي اللامع، وازداد الظلام رويدًا رويدًا، فغطى النهر المضطرب، وغطى خيالها، وما زالت الشعارات ترن بعيدًا وسط هذا الظلام الدامس. ولا يمكنها الخروج منها، فالشعارات تتبعها، ولكنها مصممة على السير للأمام.
وكان هو حينها يتجول في المكان القديم بقلق. لم تخلف موعدها من قبل، علاوة على أن هذا لا يسمى "موعدًا" في الأساس، فهذه طبيعة الاثنين. إنه لا يفهم ما الذي حدث لها، وحين سطع القمر، ركض إلى مكان آخر كانا يذهبان إليه دائمًا أيضًا، فمن المحتمل أن تكون هناك. ولكن لم يجد هناك أحد، والعشب يتطاير بفعل الرياح، ويرتعش هو وحيدًا، فركض مسرعًا إلى المكان الثالث. لا يمكن أن يذهب هو إلى الموت. فهو حكيم وعقلاني أكثر منها، ويفهم أن الموت أمر مخيف جدًّا. فيفضل العيش بذنب على أن يموت موتة جيدة. إنه يركض وحيدًا مرتعشًا وسط الرياح، يركض من مكان إلى مكان آخر، وتذكر في النهاية ضفة النهر، تذكر ضفة النهر الموجودة هنا، ولكن ظهر في عقله تلك الضفة المغطاة بستائر الصفصاف بمصب النهر. لقد ركض ناحية ضفة النهر دون أي أمل، وحين وصلها ، كانت قد غادرت بالفعل. كيف لا تتخلص من تلك الشعارات الفجائية العالية الناعمة مهما ركضت للأمام، فعادت غاضبة. لقد مرا جنبًا إلى جنب. وكانت هذه المرة الأولى التي يمران فيها هكذا، المرة الأولى التي يفتقدها. لم يعلم أن هذا فقد، لكنه لم يعد يجدها فقط، إنها في توقعاته تنتظر دائمًا، وتسير وفقا لاتجاهه، لكن لم تتمكن من ذلك هذه المرة، إنه يعلم أن بالتأكيد هناك سبب مهم لذلك، فإنه لا يعرف ماهية هذا السبب. هناك هاجس يحيط به، لا يعلم أهو وحشي أم محظوظ، إنه خائف قليلا فقط، ويشعر بشيء من الفراغ، وحيرة مثبطة للهمم. لقد سكنت أصوات الشعارات بالفعل، ولا يوجد سوى مياه النهر التي تصطدم بخفة بالضفة.

في هذا الوقت، كانت قد نامت بالفعل. فمنذ وقت طويل جدًّا، لم تنم بطمأنينة ونقاء هكذا. فلا توجد أحلام مزعجة. لقد فتحت عينيها، وعلى الرغم من أن الوقت ما زال مبكرًا جدًّا، ومضيئًا إضاءة طفيفة فقط، فإنها شعرت باليقظة والبهجة الشديدة. وجسمها كله دافئ جدًّا، وجاف جدًّا، وناعم جدًّا، ومن ثم شعرت بلزوجة اللحاف وغطاء الفراش. لقد تذكرت أن أمور هذا اليوم كثيرة جدًّا، ولا يمكنها تواصل الاستلقاء ثانية، فنهضت من على السرير، وأخذت تمسح السواد الموجود باللحاف وغطاء الفراش. ملمسه في يدها سميك، ثم ناعم، كدهن الزيت تمامًا. وتهاجمهم مياه الآبار الشفافة. لقد استخدمت يديها لفركهما، ونقعتهما في المياه. لا يمكن وصف اليد الموجودة بالمياه المثلجة بالانتعاش. ثم بدأت في الفرك بالصابونة، فركت بها إلى أن وصلت لنصف صابونة، والمياه مغلية جدًّا، وتكونت بسهولة رغوة كثيفة في الغسيل. لقد دفأت تلك الرغاوى يديها، فأخذت تفرك بخفة وتدفع للأعلى والأسفل، دفعتهم صادرة صوت لدغات. إن هذا جيد جدًا! لقد شعرت فجأة بسعادة داخلها.

لقد جاء حاملاً حوض غسيل الوجه وهي تغسل، وتظهر على وجهه الكآبة، وسألها بصوت منخفض: "ماذا كان بك ليلة أمس؟"؛ فأجابت قائلة: "كانت معدتي تؤلمني، تؤلمني بشدة". لقد صدق، لكن ليس تمامًا. وسألها ثانية: "هل ستأتي مساء اليوم؟"؛ فقالت إنها ستأتي. عمومًا، هي تفكر في الذهاب للموت اليوم، فلن تكون مسئولة عن أية أكاذيب تقولها. لم يصدقها تمامًا أيضًا، ونظر إليها خلسة، فوجد ملامحها هادئة. إن هذا الهدوء يصيبه بالقلق، وليس من الجيد أن يستمر في السؤال، بسبب مجيء البواب المُسن ليوقد النار على إبريق المياه. لقد غسلت اللحاف بسعادة، وملأت الرغاوى البيضاء كالثلج الأربعة اتجاهات، كما تطايرت بعض هذه الرغاوى. وعكست الشمس الساطعة للتو، الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والسماوي والازرق والبنفسجي، فتطايرت الفقاقيع وانتشرت. وبدأت تهمهم بالأغاني. إن حنجرتها خشنة جدًّا، لكنها غير مبحوحة، وبسماعها كثيرًا، نجد أن صوتها رخيم ناعم قليلاً. كانت تغسل اللحاف وهي تهمهم بالأغاني، ودفنت اللحاف داخل رغاو بيضاء كالثلج. لقد طويت أكمامها عالية، وأدخلت ذراعيها السوداء الصلبة داخل الرغاوى، فشعرت بانتعاش ودفء لا يوصف. لقد شعرت أن ذراعيها تشبعت بالقوة. لقد فركت كل هذه الكومة من أغطية السرير وكأنها تفرك منديلا، لم تشعر بأي صعوبة. غسلتها مرة بعد أخرى بمياه نظيفة، فأصبح غطاء الفراش واللحاف ناصعي البياض بصورة لم يتوقعها أحد. وبعد غسلها نشرتها لتجف، وكانت الشمس قد سطعت بالفعل، فتساقطت أشعة الشمس الطازجة على غطاء الفراش الأبيض، فعكست خيالها في الأعلى. فنظرت إلى خيالها، ومدت ذراعيها باستقامة وسحبت غطاء الفراش. وقالت داخلها: "أهذا أنا؟"؛ فنظرت إلى خيالها وكأنه غريب، ثم رفعت حوض الوجه وركضت. وأرادت فجأة الاستحمام جيدًا.

لقد سكبت الكثير من المياه، فملأت حوض الوجه، وملأت حوض القدم، وملأت برميلاً بلاستيكيًّا، ونقلتها كلها إلى حجرة الاستحمام الصغيرة، ثم أغلقت الباب. داخل الغرفة مظلم جدًّا، لا يمكن رؤية أي شيء سوى لمعان المياه النقية، دوائر دوائر لامعة، وكأنه يحيطها ثلاث فوهات للآبار العميقة. لقد

وضعت يدها في حوض غسيل الوجه، وغمرت شعرها بالماء الساخن، ونقعت فروة رأسها الحساسة المتسخة، فحكتها بألم كالوخز، لكن هناك راحة لا توصف، ولم تتوقف عن الارتعاش. واستخدمت منشفة لرش المياه على جسدها، فتؤلمها المناطق التي ترش عليها المياه كالوخز، وكأنها أفيقت بعد فترة طويلة من التخدير.
لقد أفيق جلدها بكامل جسدها تدريجيًّا، وتفتحت المسام، وأخرجت بخارًا مائيًّا ساخنًا، وكأن الأوساخ داخل جسدها تتدفق للخارج. فشعرت باسترخاء شديد. ومسحت جزءًا جزءًا من جسدها بالصابونة، وكلما فركت جسدها مرة تلو الأخرى خرجت فقاعات بيضاء وفيرة. وفي ظل غسلها المتكرر لجلدها أصبح رقيقًا ناعمًا أملسًا. وعندما جففت جسدها، وارتدت ملابسها، ودفعت الباب الخشبي، آلمت شمس الظهيرة عينيها، فلم تتمالك نفسها وضيقت حدقتيها. في هذا الوقت، تمالكها شعور بعدم الرغبة في الموت ثانية. فشعرت براحة شديدة بجسدها، ولم تتذكر إذا كان انتابها هذا الشعور بالراحة هكذا من قبل أم لا.
لذا، قررت التأجيل ليوم آخر.

(11)

هشت ونعمت المفروشات القطنية واللحاف بفعل تعرضها للشمس، وتشبعت برائحة أشعتها، فنامت بارتياح على الفراش النظيف المنعش، وفكرت: لقد كان من الصواب إبقاءها في الشمس هذا اليوم، ثم نامت باطمئنان. وحين كانت مستغرقة في النوم، كان هو يتردد على عدة أماكن قديمة للبحث عنها، وقلبه مليء بحدس لا يدري مصيره، فهو في غاية الهلع، لكنه غير قادر على إخماد رغباته. وفكر بامتعاض: بمجرد إيجادها، سيقطعها إربًا بالتأكيد، ويسحقها حتى تصبح هريسة. وقد أدرك سرًّا أنها تخونه، تخون انسجامهما معًا. فازداد الغضب داخله. إن هذه الخيانة بها مغزى للهروب، فتركته تقريبًا وسط الهاوية العصيبة التي لا حدود لها، وهربت بنفسها. كيف تكون قاسية هكذا، كيف تقدر على تركه وحيدًا، يناضل بيأس وسط الهاوية، فلا يوجد أي شيء يمكن أن يساعده على الصعود منها. لقد سار بجنون وسط المراعي المستوية ذهابًا وإيابًا، وخطى على الأوراق الميتة على الأرض، فجُرحت كاحله ونزفت منها الدماء، حينها شعر بالهدوء بعض الشيء، وجلس على الأرض بإحباط، وأمسك رأسه بيديه. لقد صعدت حشرة على قدمه، صعدت حتى وصلت إلى فخذه، لكنه لم يشعر. وبدأت تلك الحشرة مباشرة الغناء "تشيويتشيوي" على أعلى ساقه.

لقد فكرت، لا بد أن تموت اليوم. فلا يمكنها الاستمرار في التحمل، كما لا توجد حجة تجعلها تتحمل أكثر. ولأنها ستموت، يمكنها أن تواصل أكاذيبها بصورة طبيعية في وجهه الغاضب، ويمكنها تناول الطعام مع الجميع بسعادة، والتحدث والضحك معهم، حتى وإن كان لديها شعور محايد. لأنها ستموت، خفت الأحمال الثقيلة داخل قلبها. لم تتخيل من قبل أن قرار الموت سيجعلها سعيدة هكذا، فاعتقدت بسرور عارم أن قرار الموت قرار صائب. وبسبب هذا الاسترخاء والسرور، عز عليها الذهاب للموت، فأجلته يومًا بعد يوم، لكي تطيل هذا الاستمتاع. تستحم كل يوم، وتنظف نفسها جيدًا. وبسبب خوفها من تدنيس نفسها، قمعت رغبتها بوعي تام ضد ذلك الشيء. لكن، دائمًا ما يمتلكها شعور بالخجل بعض الشيء، وكأنها ظلمت أحدهم.

اليوم، ستموت أخيرًا. ذهبت في المساء إلى ضفة النهر بمفردها، لقد كانت الضفة هادئة جدًّا، والسفن قد غادرت، وأغلق شباك غرفة التذاكر المصنوعة من القرميد الأحمر، وذهب الناس جميعًا. والصيادون يرتاحون جميعهم، فأوقفوا الغناء. لقد سارت بمحاذاة ضفة النهر قليلاً، ثم وقفت. القمر غير موجود، وكذلك النجوم، وتتحرك مياه النهر بسواد تام، وكأن هناك وحشًا عملاقًا يتنفس بشدة على مهل. فخافت فجأة وشعرت بقشعريرة البرد.

في هذه اللحظة، ظهر القمر منخفضًا وسط السحب، وتعالت شعارات الصيادين بشكل حماسي لا مثيل له. لم تستطع قمع القشعريرة بكامل جسدها، فقلبها خائف جدًّا. هنا فهمت أن الموت ليس أمرًا بسيطًا، الموت صعب جدًّا، فهذا الموت لا يمكن أن تحيا بعده ثانية، فلن تعود مرة أخرى إذا غادرت؛ فبكت. تدحرجت دموع كبيرة جدًّا على خديها، وبدأت شعارات الصيادين العذبة، بإيقاع منسجم، وترددت على مياه النهر الشديدة السواد.

أنار القمر كل شيء، وأظهر أشجار الصفصاف بالجانب المقابل خيالات مترنحة. أيجب أن أموت حقًّا؟
سألت نفسها: "أحقًّا يجب أن أموت؟".
سألت نفسها باكية: "هل ممكن ألا أموت؟ هكذا جيد جدًا!". لقد شعرت بالإحباط الشديد؛ فبكت بمرارة.
ألا يمكن ألا أموت؟ وتضرعت إلى نفسها، يجب أن أحيا بصورة جيدة وملتزمة فيما بعد. ولم تتلق أية إجابة، ولم يكن بوسعها سوى البكاء بأسى.
في هذا الوقت، كان هو يبكي وحيدًا أيضًا بأسى في مكان آخر، أرض الأعشاب المتناثرة التي كانا يتقابلان فيها دائمًا. لقد فهم أخيرًا بشكل كامل، أنه ظلم نفسه، وأقصى نفسه، كيف يمكنه إقصاء نفسه هكذا؟ إنه ضعيف ومسكين جدًّا، فأخذ يبكي على الأرض متدحرجًا، فآلمته الحجارة والأغصان الميتة، لكنه لم يشعر أيضًا، وأخذ يبكي بحرقة. إنه لا يفهم كيف سيتحمل الأيام القادمة فيما بعد، فالحياة كأنها ليلة طويلة لا حدود لها، ولا يمكن رؤية أي بزوغ للفجر. كيف تكون عديمة الشفقة هكذا؟ في الأساس عليهما المعاناة معًا، لا بد أن يعانيا معًا، فباستثناء المعاناة، أي شيء يمكنهما فعله ثانية؟
إنها تبكي على ضفة النهر، فتجلس جانب مياه النهر، وتحتضن ركبتيها بيديها، وتدفن رأسها بين ركبتيها. كانت أشرعة الصيادين تعلو وتنخفض، وكأنهم يستدعون طفلاً تائهًا. والقمر يختفي تارة بين السحب، ويظهر تارة أخرى، إنه ينير طريق العودة المفقود.
لقد دفن رأسه داخل الأعشاب المتناثرة العميقة، فاستخدم الأعشاب المظلمة لدفن نفسه بعمق. وأخذ يبكي وسط الظلام الدامس الذي لا يمكن رؤية أصابع يده فيه، يبكي على أيامه العصيبة الوحيدة المقبلة.
تسللت إلى الساحة كاللصوص، ثم إلى غرفتها، إنها تعتقد تمامًا أنه ليس عليها الرجوع ثانية، فشعرت بالخجل الشديد. ولكنها جائعة بطريقة غير طبيعية، فبطنها تصدر صوتًا عاليًا جليًّا. ولم يكن أمامها سوى الذهاب لتناول نصف قطعة الخبز الباقية من العشاء، فمضغتها على استحياء. تشعر بالخجل من حياتها، وكأنها حياة مسروقة. كان طعم الخبز حلوًا، فهدأت بطنها، حينها صعدت على الفراش بهدوء وهي تفكر: "كيف ستقابل الناس حين يحل صباح الغد؟!". لكن بحلول صباح الغد كان الناس يعاملونها كالسابق تمامًا، ولا يوجد أي اختلاف، مما جعلها تشعر بالغرابة والامتنان، وكانت دؤوبة بشكل غير عادي هذا اليوم، فساعدت زميلتها بالغرفة في صب المياه الساخنة، وساعدت البواب المُسن في كنس الساحة، وحين غليت المياه، ذهبت مسرعة وأخذت علامة "مياة مغلية" لتعلقها على الإبريق. وقد مر هذا اليوم بسلام، وفي بداية هدوئها، قابلته عند المطبخ، فانزعجت وسكبت الطعام بيدها. لقد كان مستلقيًا في غرفته كامل اليوم، فلم تره يومًا كاملاً، ولم تتذكره أيضًا طيلة اليوم. وفي هذه اللحظة، أدركت فجأة أن هذا هو أكثر الأمور التي لا يمكن تبريرها. نظر إليها بغموض، وسألها: "ما الذي حدث؟"، فتحدثت متلعثمة وألمتها بطنها ثانية، فقال: "سأجعلك تستمتعين بالألم!"؛ فطير قدمه وركلها في بطنها الصغيرة، فانحني خصرها، ووقع الطبق الذي كان بيدها على الأرض. لكنها لم تصدر صوتًا، فهي تعتقد أن حياتها لا بد أن

تتحمل الضرب، فقد قررت الموت لكنها لم تمت. وأحاطهم من بالجانب وهم يصفرون، وأمسكوا به، كما أمسكوا بها. وعلى عكس المتوقع لم تقاومهم، ولم ترد ولو بجملة واحدة، ورفعت طبقها مسرعة فقط، وركضت. أما هو فأخذ يكافح دون هدف في ظل سحب الجميع له، وشتم ببعض الكلمات القبيحة التي لم يفهمها أي أحد.
لقد صعدت الدرج راكضة، ودخلت غرفتها مهرولة، واندفعت ناحية الفراش فجأة، وقلبها يصرخ: "لن أفعل، عمومًا لن أفعل، لن أفعل ذلك الأمر ثانية، إذا استطعت عدم فعله ثانية، سأوافق على فعل أي شيء!". إن بطنها الصغيرة تؤلمها قليلا، فقد استخدم قوته حقا في ركلته، فبطنها تؤلمها بخفة. إن هذا الألم يشبه كائن حي يزحف ببطء، فيحكها، ويثيرها. لقد أصابها الرعب فجأة، فقد اكتشفت إن رغبتها داخل جسدها ظهرت مرة أخرى، وتبعت قرارها بعدم الموت وتم إحياؤها ثانية. كانت قلقة جدًّا هذه الليلة، فهي تعلم أنه ينتظرها بالتأكيد في ذلك المكان القديم. فكادت أن تركض إليه، وهاج قلبها بشدة، وكأن جسدها أصيب بالملاريا، فأخذت تشعر بالبرودة تارة، والحرارة تارة أخرى. إنها سيئة حقًّا، فقد أصيبت بمرض ميؤوس من شفائه. وحذرت نفسها بصوت مرتفع: "لا يمكن أن أذهب، لا يمكن أن أذهب". وهناك صوت آخر يقول: "إنها المرة الأخيرة، فهو مسكين جدًّا!". إنها تعرف جيدًا أن شفقتها عليه مزيفة، وشفقتها على نفسها حقيقية، لقد اكتشفت هذا مبكرًا، ولكن لا يمكنها إطفاء هذه الرغبة الضعيفة القوية. لكنها تعلم أنها إذا ذهبت فلن يمكنها الإلمام بالأمر ثانية.
في هذا الوقت، أصبحت فجأة حكيمة جدًّا، وكأنها أجادت الحق والباطل في العالم بأكمله إجادة تامة. إنها كبرت وسط نوعين من صراع الإرادة الداخلي. في هذه الليلة، لم تذهب أخيرًا، لكن قلبها منفعل كثيرًا. وأقنعت نفسها ألا تذهب، عن طريق مواساتها لنفسها قائلة: "لأذهب ليلة غد".
ظلت طوال يوم غد قلقة خائفة، ونشطت الرغبات داخلها أكثر، وازدادت شراسة، بسبب التعطش الخاص الذي لم تشبعه منذ أيام كثيرة. وبحلول المساء، لم تستطع التحمل حقًّا، وركضت إلى ذلك المكان، لكنها لم تجده. فركضت للمكان الثاني، وما زالت لا تراه، ثم المكان الثالث، ثم الرابع، ولا أثر له. لقد دقت الأرض بقدميها مرارًا وتكرارًا، واستعادت ذكرياتها بيأس. في الليلة السابقة فقد أمله تمامًا فيها، ولم يأت لانتظارها ثانية؛ فأضاعا الفرصة المتاحة مرة أخرى. هذه هي المرة الثانية التي يضيعان فيها الفرصة. وقد حددت إضاعة الفرصة هذه المرة مصيرهما الذي يستوجب انفصالهما. عادت إلى المسرح قلقة، وكانت غرفة التدريب مضاءة جدًّا، ويرن صوت البيانو: "دينغ دونغ"، وهناك أصوات ضحك وأصوات غناء. وارتجفت فجأة ارتجافًا شديدًا، ولحسن الحظ أنه لم يكن هناك، فهو محظوظ! لقد خافت بعد السلوك الذي حدث للتو، وامتلأ قلبها بالذعر، كما امتلأ بالفرح. هو غير موجود، فكأن ذلك حماية إلهية.
لقد أصبحت مياه النهر الجارية نظيفة مرة أخرى، وتوقف الإسهال تدريجيًّا، وأزيل الروث الذي يملأ الشوارع يومًا بعد يوم، وظهرت رائحة زهرة الصفيراء. حل الصيف، كانت حرارته معتدلة كثيرًا، وتنزل أشعة الشمس مستقيمة بشكل واضح، وتنمو النباتات باللون الأخضر الشديد. وتبدو

الخضروات بضاحية المدينة نضرة تسر الناظرين. وأضيف بالمدينة مائة تسجيل، تشغل كل يوم أغاني لنجوم الغناء بتايبيه وهونغ كونغ والبر الصيني، وغير معروف ما إذا كانت الأغاني الشهيرة هي التي نشرت المسجلات، أم المسجلات هي التي نشرت الأغاني الشهيرة. وخلال فترة افتتاح المتجر الجديد، وُضع عند المدخل مسجل للبهجة، ينشد قصائد حب غير عادية ليس لها علاقة بالموضوع. حتى في تشييع الجنازات وفرق المآتم يذيعون أغاني عن الحب أيضًا. فالأغاني الشهيرة لا تبتعد دائمًا عن موضوعات الحب، مثلها مثل الحياة الشعبية التي لا تفتقد الحب كموضوع أساسي لها. لقد فقدت المدينة الصغيرة هدوءها وسط أناشيد الحب، وأصبحت صاخبة. أما السفن، فكعادتها ترسو على الميناء مرتين في اليوم، وتجلب بعض الأشياء الغريبة، كمسجل وأغاني المطرب دنغ لي جيون، وعلى سبيل المثال أيضًا، نوع من الدومينو ذي النصف الأسود والنصف الأبيض التي اختفت منذ فترة طويلة.

في الوقت نفسه، أحضرت أشياء عجيبة، على سبيل المثال: في اليوم التاسع من الشهر التاسع القمري، يحضرون سلة أو سلتين من السرطان ذي الأربعة ملاقيط وثمانية أرجل، وهناك أيضًا، الزوجان قليلا الكلام داخل المحافظة، يقال إنهما ذهبا إلى تلك الناحية من الكرة الأرضية، هنا النهار، فيكون هناك ليل، وحين يكون هنا ليل، يكون هناك نهار، ذهبا ليكونا مع الناس الشقراء ذوي العيون الزرقاء. وهناك أيضًا الأشياء التي تتركها "ماو تسي" حينما تمر من هنا، كالوشاح الصغير الذي يغطي النهدين، والسراويل كبيرة القبضة، وهناك أيضًا مظلة مفتوحة يمكن طيها إلى ثلاثة أجزاء مصدرة رنينًا. "ماو تسي" كلهم أغنياء، ويرتدون بمعصمهم ساعات يد لامعة.

لم ينته الأمر بينهما بعد، فقد أقسم ألا يتركها بهذه السهولة.

هي أيضًا تشعر بعمق أن تركه لها هكذا لا يعد شيئًا، إنما هو مخيف بعض الشيء. إن جسدها هو الذي لم يتحسن. فقد انفصل جسدها عن روحها، فتتعطش بسذاجة وجنون للالتصاق بجسده، والحك به، حتى وإن أساء المعاملة لن تبخل عليه أيضًا. فهي تريد تقريبًا الوفاق، والذي يمنعها عنه هو نظراته الغامضة الشريرة. هي تعرف أنها لن تستطيع إشباع نفسها، وهو يكاد يعلم أنها تعاني، ويعلم أنها ستطلب منه، لذا أصبح متغطرسًا بطريقة استثنائية. على الرغم من أنه أيضًا يعاني، ويحلم كل ليلة أنه يلهو مع هذه الفتاة، فإنه عقد العزم على الانتقام منها، وقرر ألا يجعلها سعيدة. لقد وقفت روحاهما، وقفتا أمام جسديهما لتكونا جبهتي حرب.

هي من أثارت هذا الاضطراب أولاً، فندمت بعض الشيء تقريبًا، ودائمًا ما يظهر مشهد اختلاطها به في حلمها. إنها لا تفهم هكذا أفضل أم ذلك، فصعب عليها تحمل رغبة جسدها التي تظهر بشكل دوري، وفي كل مرة تأتي شهوتها تعذبها وكأنها أصيبت بمرض خطير، ولكنها تسترخي بعد انقضاء كل مرة، وتجمع طاقتها لتنتظر مجيء النشوة القادمة. لقد نحفت تدريجيًّا، في هذا الوقت، لم تنتبه إلى الفوائد التي جلبتها إليها النحافة، فصارت أنيقة بعض الشيء.

كان انتباهها بالكامل مركزًا على كيفية التغلب على رغبة جسدها. في ذلك الوقت، تعطشت كثيرًا لرؤيته، فبمجرد امتلاكه لتلميحات قليلة، تهرع ناحيته دون الالتفات إلى سلامتها. لكنه لا ينظر إليها حتى، فهو يعرف جيدًا أن

اشتياقها شرس كاشتياقه، لقد تحمل كثيرًا اليوم حتى يستعيدها بالكامل، ويلغي أي فكرة للبعد ثانية. إنه متعطش جدًّا لهذه الفتاة، فهو يعرف أن جسدها القوي يحتاج إلى مداعبة قوية. فهو مقتنع أنها ستأتي وترتمي تحت قدميه، لقد لاحظت نظراته الحادة نحافتها وضعفها بالكامل، ففرح قلبه خلسة. وحتى يعاقب قوة عزيمتها تلك، قمع رغبة جسده.
واليوم، تحاول جاهدة الصمود أمام انتقامه. ودون عقابه، لربما كان صمودها قد تحطم بالكامل. إنها لن تعيش حياة جديدة أيضًا. ولكن، هذا الصمود صعب للغاية، وخطير أيضًا للغاية، فهي دائمًا خائفة من عدم قدرتها على مواصلة الصمود، فركضت أمامه، واحتضنت ساقه، ولم تتركها مهما ركلها. لقد ذهبت مرتين إلى ضفة النهر، لكن الموت مرعب جدًّا، ورغبة الحياة شديدة للغاية، وصوت غناء الصيادين يحيط بأذنها، فعادت مرة أخرى.

(12)

لقد تشبث كل منهما بموقفه، فاعتقدت أنه محتقن حقًّا، أما هو فلم يتخيل أنها عنيدة هكذا. لقد ضعف بصورة لا يمكن السيطرة عليها، وتصاعدت شهوته التي تشبه النيران، ولم يعد يقدر على قمع ذلك الغضب والهياج مهما بذل من جهد. فبدأ يراقب تحركاتها عن كثب، باحثًا عن فرصة للإمساك بها مهما حدث. وفي هذه الليلة، رآها تخرج من الساحة بمفردها، فلاحقها بعيدًا.

لقد سارت بالطريق الحجري لمركز الشارع، واستهلت الطريق الكبير المؤدي لضفة النهر، وقد أنار نور القمر الطريق الكبير إنارة بيضاء. إن الطريق الكبير مائل قليلاً. لقد نزلت إلى السد ووصلت لضفة النهر، وسارت بعيدًا بمحاذاة ضفة النهر. هنا عجل هو خطواته، واقترب منها تدريجيًّا. ولكنها لم تشعر، بل أبطأت من خطواتها، ووقفت في النهاية. في هذا الوقت، اندفع ناحيتها؛ ففزعت ثم أخذت تقاوم بقوة، على الرغم من اشتياقها لهذه الدفعة، ومجيئها لضفة النهر منفردة بسبب عذاب هذا التعطش لها، وعلى الرغم من أن اليوم هو أكثر أوقاتها ضعفًا، لكنها فزعت حقًّا بمجرد أن لامست جسده، فهي تعلم أن ذلك سيهدر كل جهودها المبذولة. وكأنها واقفة على حافة الهاوية، وترى تحت قدميها سحبًا سابحة، هي تعلم أن تحت السحب واديًا لا يُسبر غوره. لقد قاومت حقًّا. لكنه فقد عقله تمامًا، فأصبح كالحيوان المتوحش، مصمم على القتال حتى الموت. لقد نفذت قوتها تدريجيًّا، وأصبحت تقاوم دون جدوى، وبسبب عزلة جسدها لوقت طويل، ويأس رغبتها وتلاشيها، وبسبب رفضها الصادق الجاد، وبسبب عدم استعدادها نفسيًّا وجسديًّا في هذه اللحظة، غمر جسدها بالكامل شعور كبير بالسعادة على عكس المتوقع، سعادة لم تحصل عليها من قبل. إن سعادة هذه المرة جعلتها تشعر بأن ما سبق لا يُعد شيئًا، لكن ما سيأتي هو موت دون ندم. لقد انتشرت هذه السعادة في كل جزء من أجزاء جسدها، فلم تشعر بهذا الرضا من قبل، وكأن هذا الرضا له مغزى أبدي، كأنه مراسم وداع ناجحة. حتى هو شعر بغرابة، فاستلقى على الأرض، استلقى بجانبها بنفس الصف، ينظران إلى نجوم السماء. في هذا الوقت، ارتفعت شعارات الصيادين فوق سطح البحيرة الملفوفة بالدخان، وكأن هناك مائة صياد يغنون كشخص واحد، فأسلوبهم بسيط قوي لكنه نقي مرتب أيضًا. إنهما مستلقيان جنبًا إلى جنب، وهناك شعور بداخلهما لم يمرا به من قبل ، فكلاهما يشعر أن الأمر به شيء من الغرابة، ويختلف عما سبق كثيرًا، فهناك حدس قوي يحيط بهم.

طيلة الأيام التالية وهي تشعر بشيء من الغرابة الشديدة. بدأت تشتهي تناول الحمضيات، وباتت اللحوم المحببة إليها دائما تثير اشمئزازها، وتقيأت وأصابها الدوار عدة مرات، ثم تحسنت. حتى التقلصات الطبيعية التي تأتي في أسوأ الأيام قد توقفت، كما هدأت أيضًا رغبتها الثائرة المتغيرة هذا الأسبوع. وشعرت بوجود جزء في جسمها يثقل يومًا بعد يوم، وفي الوقت نفسه شعرت باسترخاء لا يُضاهى، وكأن الحمل الذي استمر طويلا قد تلاشى. لقد فهمت أخيرًا أنها ستصبح أمًّا.

لقد لفت كيسًا قماشيًّا على بطنها بإحكام، تجنبًا لظهور الخلل. فليس لديها أية معرفة عامة، وتعتقد أن هكذا يمكن تلاشيه. لكنها أيضًا تحب تلك الحياة

الموجودة وسط بطنها حبًّا جمًّا، وتشعر بفضول شديد، ففي المساء فكت الرباط في غرفتها، ولمست بطنها، فلمست تقريبًا جسد تلك الروح الناعمة. واليوم هي هادئة جدًّا، وباردة كالمياه، وكأن هذه الروح الصغيرة امتصت كتلة اللهب، وأطفأتها. لكن هذه المرة، خافت منه أكثر. خافت من قتله لهذه الروح. واعتقدت أن قدمه القوية يمكنها القضاء على هذه الروح. لذا أصبحت لا تجرؤ على السير بفوضوية وحدها، لم تجرؤ على الذهاب في أي مكان، فبقيت دائمًا في غرفتها، ولم تفكر ولو قليلا فيما عليها عمله بعد ذلك، حتى أنها لم تتخيل أنه سيأتي اليوم وتتدفق هذه الروح، فكيف سيعاملها الآخرون؟ فلم يمكنها سوى الاحتفاظ به فقط بقوة في معدتها، حفظته في قلبها الهادئ بشكل لا يُضاهى.
بعد ذلك، ارتفعت بطنها رويدًا رويدًا. وكان هو أول من اكتشفها، لذا حدق إليها بشدة، باحثًا عن فرصة ليسألها ما بها. وفي هذا اليوم وقت راحة الظهيرة، نزلت لتذهب إلى المرحاض، فقابلته في الساحة. كان جالسا القرفصاء عند مدخل غرفة التدريب وكأنه ينتظر أن تمطر السماء خبزًا، وسألها: "بطنك...". لم تنتظر حتى الانتهاء من سؤاله، وأجابته مسرعة: "ليس من شأنك"، واستدارت بسرعة عائدة إلى غرفتها. لقد خافت أن يجرح بطنها، فلن تسمح لأي شخص بجرح هذا البطن. ثم حدثت بعض الجدالات، واستدعاها المدير أخيرًا ليتحدث معها. لقد أنكرت في بادئ الأمر، لكنها لم تستمر في إنكارها واعترفت، لكنها لم تقل أيضًا مع من، قالت فقط عن نفسها. إن هذا أمر يدعو للسخرية تلقائيًّا. قال المدير اسمه، فكل شيء حدث على مرأى من الجميع، لكنها استمرت في الرفض خائفة: "لا، لا، لا، لا، إنه لي، لي وحدي". وبكت وهي تتحدث، بكت بجرح شديد، فطالبها المدير بإجهاض الجنين، لكنها رفضت وإن ماتت، وركعت على الأرض تستسمحه. هددها المدير بطردها، فقالت له: "كما تشاؤون"، لكنها لم تبك.
كان يختبئ في حجرة الأدوات المليئة بالأتربة الملاصقة للمكتب، ملقى على الحائط، لاصقًا أذنيه بإحكام، ومعلقًا فوق رأسه نصف شبكة عنكبوت بالية. لقد سمع حديثهما من خلال التشققات الجيرية. ففي هذا الوقت، عرف أنه في مأزق، أنهما في مأزق! أي مأزق هذا! لقد نزل تدريجيًّا بمحاذاة الحائط، نزل حتى جلس على الأرض، وتكور كالكتلة. لا بد أن يأتي يوم ويُعاقبان فيه على خطيئتيهما، إنه لم يشك قط في هذا. لكن في الواقع، لم يستعد مطلقًا لهذا اليوم، ولم يتخيله أيضًا. الآن، انتهى الأمر وجاء العقاب. ووُجدت ثمار لرغباتهما، فقد نشرا بذور روح دون قصد. ما أمر هذه الروح؟ ما مغزاها، وماذا ستفعل بهما؟ إنه مرعوب جدًّا حقًّا. لقد تحولت هذه الروح غير المتوقعة بالنسبة إليه إلى هوة سحيقة خطيرة، ستفصل بينهما بالكامل. إنه يعتقد أن هذه الروح قد باعدت بينهما، لكنه لم يتخيل ولو قيد أنملة أنها في الأساس تمثل أكثر طرق الاتصال تلاحمًا. لقد تسرب صوت بكائها لتشققات الحائط، واخترق قلبه، فلم يتمالك نفسه وانهمر في البكاء، وملأته رحمة يائسة، إنه يعرف أن كل شيء بينهما انتهى أخيرًا بالنسبة لها وله.
ولد الطفل في فجر أحد أيام الخريف. وذهب جميع أعضاء الفرقة إلى المستشفى، ولم يتبق سواه، فجلس في منتصف غرفة التدريب المظلمة الفارغة، وبدت تلك الأرض الصلبة كالصحراء الجافة. تحتضن يداه ساقه،

ورأسه متدلية وسط ركبتيه، ويحيطه الهدوء التام، حتى صوت الحشرات قد تلاشى، وتحول إلى بليد، لا يمكنه استخدام عقله، ووقع في حيرة شديدة، لا يفهم ماذا سيحدث، ولا يفهم ما به. إن تلك الروح تكونت في جسدها، ولا يمكنها إمداده بأي إلهام، ولا يمكن لدمها الطازج التواصل معه بأي طريقة، فلا يمكنه الشعور بنموها ونضجها، لا يمكنه الشعور بحب هذه الروح ومسئوليته تجاهها التي لا مفر منها. في الواقع، إن نصف هذه الروح له، لكنه ما زال يحتاج للاستكشاف منفصلا عن جسده. إن الدرس الذي أعطته الروح واضح جدًّا. ذلك بالإضافة لسيطرة ألامه عليه، وعدم حصوله على أية مساعدة، فشُلت حركته. ومنذ هذه اللحظة، تجاوزته هي.
إنها مستلقية وسط لطخات الدماء، وتتألم دون إصدار صوت. لقد ولد الطفل وسط بقع من الدماء، لقد كانا اثنين على عكس المتوقع، إحداهما ولد، والآخر بنت.
وبعد سماع صرخات نزول الطفلين، لم يتحمل أحد طردها، سجلوا عليها ذنبًا خطيرًا فقط، ثم رتبوا لها حراسة الباب. فقبل ميلاد الطفلين بعدة أيام، ذهب الحارس المُسن ليوقد إبريق المياه، سار للمنتصف ثم وقع في مركز الساحة، وحين اكتشفه الناس كان قد مات بالفعل. والتشخيص هو نزيف في المخ.
تحمل هي الطفلين وحدها، وتسكن في غرفة البواب. تقوم كل يوم بجمع الجرائد والخطابات، وتوقد إبريق المياه، وترسل المكالمات، ويعيشون هم الثلاثة بمرتب ضئيل، هذا أمر صعب جدًّا. ونصحها الفضوليون أصحاب النية الحسنة بأن تتخلى عن طفل، لكنها رفضت بإصرار؛ لأنها سمعت أن التوائم لا يمكن أن ينفصلوا، ولا بد أن يتربوا معًا، بالأخص حين يكون التوأمان ولدًا وبنتًا، فلا يمكن التفريق بينهما، وإذا افترقا سيموتان.
على الرغم من صعوبة الأيام، فإنها سعيدة جدًّا، وقلبها نظيف كالمياه النقية، لم تصل حالتها المزاجية لهذا النقاء من قبل. فقد انطفأت أخيرًا كتلة اللهب التي عذبتها سنوات كثيرة، وعلى عكس المتوقع ظلت على قيد الحياة وسط احتراق رغباتها. إنها تعتقد أن ذلك حدث بمساعدة هذين الطفلين، فهي ممتنة لهما كثيرًا وتحبهم حبًّا لا يُضاهى، فتحميهما بإخلاص تام، ولا تدعهما يتحملان أي جرح، كما أنها تعتقد بغرابة أنهما يعيشان وسط بيئة خطيرة، ويُعتبر هو أكبر خطر، فلا تدعه يراهما، وتخاف أن يقرصهما حتى الموت، مثلما كان يقرصها، فتنكر الصلة التي تجمعهما به إنكارًا شديدًا، إنها لا تعرف أنه فضولي قليلا فقط لهما، حتى أنه خائف بعض الشيء. أما هما فكأنهما يريدان الإمساك به وعدم تركه، فكلما كبرا وهما يشبهانه. فكل من يشاهد جبينهما وأنفهما وفمهما يلاحظ الشبه بينهما وبينه، فلا يمكنه الهروب من مصيدة النسب هذه. فيمكنه أن يلمحهما من بعيد وبصورة سريعة فقط، فهي دائمًا تختبئ، وتهرب منه قلقة حين تراه. إن هذه اللمحة فقط كافية للسيطرة على هذا الانطباع، ويريد الطفلان ملاحقته بروحيهما، لكنه لا يملك سوى الهروب.
إنه لا يتمكن من الاعتراف بهذا الواقع، ألا وهو امتلاكه لطفلين. لا، لا، لا يملك، إنه غير مستعد على الإطلاق، ولا يمكنه فهم المغزى الداخلي لهذا قط، لذا لا يمكن إنقاذ مصيره، فكتب عليه استمرار ذلك اللهيب الذي يحرقه. ولأن عودة روحها إلى الحياة يجب أن يتحمله هو وحده، ازداد ذلك الحريق شراسة،

فحاول بكل وسيلة التنفيس عن الحرارة بداخل جسده، والتي تشبه الصخور المنصهرة.
بدأ يقامر. ولا يوجد أحد على طاولة اللعب أشد قلقا منه. فعيناه صارتا بلون الدم، وأصابعه متشنجة، وقدماه يرتجفان بعنف أسفل الطاولة، فاهتزت طاولة اللعب بالكامل وأصدرت صوتًا. لقد كسب الكثير، وخسر الكثير أيضًا، فخسر كل ما كسبه، وخسر ما يملكه، وباع ساعة يده أيضًا، وأصبح مديونًا. ثم أراد الزواج؛ فعرّفه بعد ذلك شخص قروي بزوجة قروية، وتزوج الطرفان بعد ثلاثة أشهر.
كانت فترة ما بعد الزواج صعبة جدًّا، وفي كل مرة تذهب لزيارة أقاربها، لا تكمل يومًا ثم تريد العودة. وحين يسألها من في الجوار عن سبب استعجالها، تدمع وتقول إنها لا تتحمل، لكنها لا تقول ما الذي لا تتحمله، وتمسح دموعها وتغادر. هو أيضًا لا يحثها على البقاء، ويضحك خلسة. لم يعد يتدرب، بل يشرب الخمر، يشرب حتى الثمالة. ثم أصيب بالتهاب الكلى، وبعد علاجه، لم تبقه الفرقة المسرحية أيضًا، وأرسلته لحراسة خزانة المتجر الكبير. إنه يكره حراسة الرجال الوقورين للخزانة ويعتبره فقدًا للكرامة، وفي ظل غضبه عاد لقريته، فوفرت له زوجته عملا في إدارة الأطعمة بالقرية، ألا وهو إعطاء الفواتير وجمع المال. في يوم رحيله، ودعه الكثير من الناس، وحين عبر حجرة البواب، كانت هي واقفة عند المدخل حاملة طفليها كل واحد في يد، وتشاهد أطفال الشارع وهم يلعبون لعبة طي الورق على هيئة مربعات، ولم تختبئ بشكل غير متوقع، لكنها نظرت إليه. وهو تطلع إليها أيضًا، ثم غادر.
في هذا الوقت، كانا قد كبرا بالفعل، فكان في الثامنة والعشرين من عمره، وهي في الرابعة والعشرين. هناك من أراد تقديم شريك حياة لها، فلم ترفض، ففي النهاية تشعر بالوحدة الشديدة بمفردها. لكن لم يوافق أحد، فهي فتاة اشتهرت في المدينة بسوء سمعتها، حملت بطفلين سرًّا، ولا أحد يعلم والدهما، فيبصقون ثلاث مرات بمجرد ذكرها، لإزالة سوء الحظ والهواء الملوث. لكن في الحقيقة، بعد غسلها لرغباتها العنيفة، أصبحت أنظف وأنقى من أي وقت مضى. لكن لا يوجد من يفهم هذه النقطة، حتى هي لا تفهمها أيضًا، فتشعر بالنقص الأعمى فحسب. لا يوجد أحد يرغب في الزواج منها، وهي لا تكره هذا. فقط تحمل الطفلين، وتقضي الأيام في العمل الشاق. مر الزمن ببطء كانسياب المياه، ومرت المياه الجارية تدريجيًّا كالزمن. وتضاءلت أصوات غناء الصيادين يومًا بعد يوم، وبُني في المدينة برج للمياه الجارية، تجلب المياه مباشرة، فلم يعد للصيادين سُبل للعيش، لذا تلاشى غناؤهم، ولم يستمع أحد إليه ثانية، ولم يعد هناك من يحفظه أيضًا. وفي أيام انطلاق الفرقة فقط، تحمل بمفردها الطفلين وتحرس الساحة الفارغة، وفي وقت نومها، ترن تلك الأغاني العالية المنخفضة سرًّا في أحلامها العميقة الهادئة. كبر الطفلين يومًا بعد يوم، وصار يمكنهما مناداتها: "أمي"، فذكرهما كلمة "أمي" ترن بالجبل، وأحبا اللعب على الأرض باهتة الاحمرار بغرفة التدريب. فتلك الأرض تبدو واسعة في عيونهما، فجوانبها الأربعة جميعها مرايا، وبوقوفهما في المنتصف، تصبح جميع الاتجاهات ملكهما، فيهربان خائفين، لكن لا يمكنهما كبح جماح فضولهما، فيعودان ببطء ممسكين يد بعضهما البعض، ويقفان بثبات وينظران. تتكئ هي على إطار الباب منتظرة غليان المياه، وتحمل بيدها

تلك اللوحة الخشبية المكتوب عليها "ماء مغلي"، وتنظر إلى طفليها وهما يلعبان على الأرض، مبتسمة بأسف.
نادى الطفل قائلا: "أمي".
فأجابته: "نعم". إن هذا الصوت يكفي لإيقاظها من أي نوم.
نادى الطفل ثانية: "أمي".
فأجابته: "نعم".
نادى الطفلان مرتين دون خجل: "أمي"، فتردد صدى صوت في غرفة التدريب الفارغة، وكأنه صوت قادم من السماء، جعلها تشعر بنوع من المهابة المقدسة الكبيرة، فلم يسعها سوى السكون المهيب.

الحكاية الثانية

حب الجمال

إنها حكاية امرأة توشك أن تنتهي في وسط النهار!

لقد مر آخر إعصار، ووقعت أوراق بدايات الربيع في الشرفة مصدرة حفيفًا، وسقطت أضواء النجوم على الأبواب والنوافذ، حتى بدت كمتجر ذهب مليء باللون الذهبي اللامع. وبعدها هطلت الأمطار، وسقطت قطرات المطر الكبيرة بثقل على الأوراق المتساقطة؛ فرنَّت كقصف الرعد. لم يُرَ المطر يتوقف، بل لم يُسمع صوته وهو يصمت تدريجيًّا. وبحلول الصباح، بدت أشعة الشمس وكأنها قد غُسلت، وكانت الأوراق المتساقطة قد تعفنت بالفعل، والتصقت بالأرض، لا هي بصفراء ولا بنية.

سأحكي قصة؛ قصة عن امرأة. كانت رياح بداية الخريف منعشة، والشمس ساطعة واضحة، والمزاج هادئًا، هادئًا لدرجة تسمح بالتفكير في هذه القصة. أعتقد أن القصة بدأت أيضًا بعد سقوط مطر الخريف.

بعد انقضاء مطر الخريف، أشرقت أشعة الشمس وكأنها مغسولة، وقد تعفنت الأوراق المتساقطة، والتصقت بالأرض، لا هي حمراء ولا صفراء. لقد استيقظتْ المرأة، وجلستْ في البداية بجانب الفراش، وهي تشعر بالنعاس، وفمها منقبض، تتثاءب ودموعها ملتصقة بعينيها. تلف إحدى ساقيها جانب السرير، وتمد الأخرى عموديًّا لتلمس أصابع قدمها الأرض، وتنظر إلى زوجها بزاوية عينها.

زوجها مستلقي على الفراش مواجهًا السماء وقدماه ممدودتان على شكل الرمز الصيني "大"، حيث يحتل نصف السرير الذي تركته للتو. والرياح تكاد تطير الستائر، وتهز أشعة الشمس الصباحية؛ فيومض جسده تارة ويظلم تارة أخرى، وكذلك قلبها يومض لحظة ويظلم لحظة، وكأنه متعلق بأرجوحة، يعلو وينخفض؛ فتشعر بالقليل من الغثيان. أما هو فلم يكن يتحرك قط. ثم سمع تقريبًا في حلمه صوت نداء؛ فتحرك فجأة، وانزلقت أطرافه الأربعة للأسفل كالمياه، وتدحرج جسده، وجلس القرفصاء. في البداية فتح عينيه وحدق بالفراغ وكأنه يتأمل، ثم مد يده، وتحسس الخزانة الصغيرة بجوار السرير، ولمس في المرة الأولى مُنظِّفة الأذن ثم نظف أذنه. ومع عمل المنظفة داخل أذنيه، تتحرك عيناه، ويُظهر القليل من التعابير. هكذا تُبث به الحيوية. لكنه غرق بعد ذلك في نوع آخر من الخَدَر.

جالسة هي بهدوء تشاهده في الضوء الوفير، وانشرح قلبها كثيرًا. لقد استيقظ أخيرًا، وأدركت عيناه الضوء، فرآها وهي جالسة على الفراش، سألها: "ماذا سنتناول في الصباح؟"، أجابته ثم قامت. لقد أنزلت ساقًا على الأرض، والساق الأخرى مطوية على الفراش. ونفذت أشعة الشمس من خلال الستائر وأضاءت الغرفة؛ فوقفت في منطقة مضيئة، تلف على رأسها ست لفائف للشعر، اثنين في الأمام، واثنين في الخلف، وواحدة في اليمين، وواحدة في اليسار، وكأنها ترتدي قبعة غريبة. جلس هو على الفراش يعد بصمتٍ لفائف الشعر فوق رأسها. لقد وضعت إناء الطعام على الموقد، ثم غسلت أسنانها ووجهها على مهل. وقف هو وسار للخارج، وسارت هي نحو الداخل؛ فمروا بجانب بعضهما. لقد غسل أسنانه بجانب الحوض، ورن داخل الغرفة صوت مجفف الشعر الكهربائي.

حين يجتمعان على جانبي المنضدة المربعة، يهندم كل شخص نفسه ليكون براقًا للغاية. فياقة قميصه الناصع البياض مثنية قليلا على خده المحلوق، وتنبعث من وجهه ويده رائحة صابون الصندل الدافئ الطازج، ويستخدم هذه اليد للإمساك بعصا الطعام. وشعرها الأسود الداكن ملفوف خلف أذنيها، وتنسدل أطراف شعرها المجعد على خدها الناعم، بصورة طبيعية وفطرية. لكن كلا منهما لا يولي اهتمامًا للآخر، فكلاهما يعرف تفاصيل الآخر بعمق، فمن الصعب أن يعجبا ببعضهما ثانية؛ فيتناول حساء الأرز بعجلة في صمتٍ فقط. إن الحساء المغلي ساخن جدًّا لدرجةٍ أحرقت فمهما، وكان من الصعب تناوله، وسرعان ما تحدرت قطرات العرق على جبهتيهما؛ فأوقفت عصا الطعام، ونهضت لتفتح المروحة الكهربائية، وقالت: "حار جدًّا"؛ فأجابها كصدى الصوت قائلا: "حار جدًّا". لقد انتهيا من تناول الطعام، وخرج هو في تمام الساعة السابعة والنصف، وخرجت هي في الثامنة إلا الثلث.

ارتدت تنورة زرقاء وقميصًا أبيضَ، وكأنها فتاة لم تتزوج بعد، ونزلت بأناقةٍ على الدرج المتسخ. تبدو أشعة الشمس وكأنها شفافة، وتخترقها الرياح المنعشة. رفعت وجهها، ليتطاير شعرها للخلف بفعل هبوب الرياح، وينتعش مزاجها.

إن هذا الصباح مماثل لجميع الصباحات، ومشابه للصباحات الجيدة نسبيًّا وسط كل الصباحات، وإذا ذكرنا الاختلاف الموجود، نجد أنه يتمثل في زيادة الأوراق المتساقطة المتسخة في الشرفة، لكنها لم تنتبه لهذا. لقد اعتادت كثيرًا على هذا المنزل، ولم يعد هناك شيء يثير فضولها واهتمامها، فلا داعي للانتباه، فكل شيء تعرفه جيدًا. ولا تبدأ حياتها إلا بعد خروجها من باب المنزل، فعلى النقيض، تستعد للحياة فقط في المنزل وكأنه كواليس للتمثيل.

جفت الأوراق المتساقطة تدريجيًّا في الشرفة خلف الطريقين المغلقين، والتفت وانعزلت عن الطبقة الإسمنتية المطلية، وانجرفت بخفة وخرجت من بين الحواجز الحديدية.

لقد رأت الأوراق الجافة بالطريق، تنزلق بخفة بين الأشجار، وقد أضاءتها أشعة الشمس ثانية باللون الأصفر الذهبي، وأخذت تتقلب بتباهٍ وأنارت الطريق بلمعان.

لم يمكنني سوى اتباعها، ومشاهدتها وهي تتبع الأوراق الملتفة الذهبية بأطراف قدميها بشقاوة، ثم تدوس عليها وتؤذيها، وكأنها فتاة جامعية خالية من الهموم، فتقريبًا اعتقد كل المارة هذا؛ لأن قوامها ما زال رشيقًا لكونها لم تلد بعد، ولأن ملابسها بسيطة مرتبة، ولأنها تحمل حقيبة أكسفورد الكبيرة المنتفخة، ولا تحمل تلك الحقيبة الجلدية بحجم حقيبة النقود التي اعتاد النساء على حملها. هناك من ينظر إليها ولا يتوقف عن حسدها، يحسدونها على أنها تظهر كشابة ولا تحمل همومًا هكذا. وهي أيضًا تشعر بنقاء قلبها. لكن، لا بد من وجود شيء ما، نعم، سيحدث حدث ما.

تقريبًا لا أحد يعرف هذا الطريق سواي. إن هذا الطريق هو أكثر الطرق المشجرة بالمدينة والتي نادرًا ما تكون هادئة، وبه أكثر المباني رفيعة المستوى في هذه المدينة، وبه الطراز الفرنسي، والطراز التقليدي. ومعلقة على شجرة المظلة الفرنسية بالشارع فروع الشجرة الخضراء، مكونة ممرًّا أخضر لأشعة الشمس البهية، مهما كان طوله، تسير فيه حتى ينتهي، فهي لم تركب سيارة من قبل. لكنه قصير جدًّا للأسف. وعندما تخرج منه وتفقد المأوى المظلل،

يتدنى مزاجها بعض الشيء، وتشعر بالتعب. لكن البناية التي تعمل بها تشبه الباخرة، فهو مبنى أبيض مكون من أربعة طوابق، وعلى مسافة ليست بعيدة، تومض أشعة غريبة ليست بيضاء، بل لونها أزرق سماوي؛ فتبتهج مرة أخرى. وتتولد في قلبها حماسة قليلة طبيعية. ستدخل المبنى، هذا المبنى الذي يضم الكثير من زملائها الجدد والقدامى. فحينما تكون بينهم تشعر دائمًا بهذه الحماسة، فيكاد ألا يكون هناك مرة استثنائية.
لقد مشطت شعرها المجعد فطريا بيديها، ناظرة إلى أشعة الشمس المنعكسة من الطريق المقابل عابرة للجدار؛ فيتدلى خيالها على هذا الجدار، وكأنه مرآة، ورأت خيال جسدها الجميل؛ فتأثرت قليلا. وصعدت الدرج بالفعل دون أن تشعر. ودق جرس بدء العمل؛ فصعد الناس الدرج مسرعين، أو نزلوا الدرج، ممسكين بأيديهم زجاجات المياه الساخنة، ذاهبين إلى غرفة غلي المياه ليصبوا الماء، ولم يهتموا للحظة بإلقاء التحية. وصعدت هي للدور الثاني بخطى فوضوية، ودخلت مكتبها.
ما زالت هناك آثار شرب الشاي من البارحة، وتغطي طبقة رمادية رقيقة الأرض الزجاجية، وينظف "لاو وانغ" الجالس أمامها الأرض حاليًا. أخذ ينظف حتى وصل إلى أسفل قدمها، وكان لا بد من أخذ المكنسة منه، لكنها لم تأخذها تلقائيًّا، إنما حملت كوب الشاي ودخلت المرحاض لغسله. باب المرحاض مغلق، ويوجد شخص بداخله؛ فانتظرت وهي تنظر إلى الجريدة المسائية الموجودة على منضدة أحدهم والتي قُرئت بالأمس، كما رأت أيضًا موضوعات جديدة. سمعت من الداخل صوت المياه، ثم فُتح الباب، وخرج "لاو لي" بالفعل، تبدو عليه الغرابة، ولم يرها؛ فمرت بجانبه ودخلت. هناك رائحة دخان بالداخل، وعقب سيجارة بالمرحاض الأبيض الخزفي، يطفو على المياه التي ترتفع تدريجيًّا. سكبت آثار الشاي، ونظفتها بإصبعها، وغسلت كوبها بعناية. ثم دخل شخصٌ ليسكب بقايا الشاي، ووقف معها في مكان يغسل كوبه. إنها "شياو تشانغ" التي غيرت شعرها حديثًا، فصار مموجًا أسودَ لامعًا؛ فأثنت على تسريحتها بكرم وسماحة. ردت "شياو تشانغ" قائلة: "أنت الأفضل!"؛ فتراجعت وقلبها مشرق كالمرآة. وأخذت "شياو تشانغ" تخبرها بمراحل الحلاقة وما شاهدته وسمعته في محل الحلاقة، فكانت تسمعها بصبر، ثم دخل أحدهم ليغسل يده؛ فانتهزت الفرصة ودعت لإفساح طريق الخروج.
كان موزع الخطابات قد غادر بالفعل، وترك على مكتبها عدة خطابات، فاستخدمت إصبعها المبلل وتفحصتهم قليلا. لقد خمنت تقريبًا اسم مرسل الخطاب وما يتحدث عنه، ثم صبت الشاي. أوراق الشاي لنوع جديد اشترته حديثًا، ويغلفها برطمان حديدي صغير، كان موضوعًا في أول درج بالجانب الأيسر من المكتب، بمكان واحد مع الطبق وعصا الطعام المغلفة بالشاش. وبعد صب الشاي، جلست على مقعد بمسندين. توجد عشرة مقاعد ذوات مسندين، من يأتي أولا هو من يجلس عليها حتى ينتهي، ومن يأتي بعد ذلك يجلس على مقعد صغير ضيق ذي مسند خلفي. لقد أصبحت محررة في بداية إعادة النشر، وأكثر الأعضاء المؤسسين شبابًا، وفي الأعوام التالية، جاء الكثير من طلاب الجامعات متتالين، وأكثر شبابًا عنها، فهي بعيدة تمامًا عن كونها الأصغر. لكنها دائمًا تتذكر أنها أصغر محررة في عالم النشر، وطبقًا للأسبقية الزمنية، يمكنها ألا تكبر للأبد. إنها تستند على المقعد الدوار، وتنظر خارج

النافذة، وتوجد خارج النافذة أشجار ضخمة، انتقلت من مكان بعيد بالشمال الغربي. ويمكن من خلال أوراقها الكثيفة رؤية مبنى صغير من القرميد الأحمر داخل الساحة المجاورة، به ذلك السقف المدبب للأكواخ التي بالأساطير، وشرفة نصف دائرية.
ونظرت أنا أيضًا معها، خلف ظهرها، واجتزت كتفها، واخترقت أوراق الشجر؛ فرأيت فتاة صغيرة تخرج عدوًا من ذلك المبنى الصغير من الطوب الأحمر، وقفت طويلاً عند درج المدخل، ثم واصلت العدو، ركضت بالساحة، وخرجت من البوابة الحديدية السوداء المزخرفة. بعد ذلك، وُجد شخص مُسنٌ ضئيل الحجم يقف متباطئًا عند تلك البوابة الحديدية، مترددًا.
مر الترام من الشارع، وضرب بائع التذاكر بعنف على حاجز العربة الحديدي موضحًا أنه سيقف في المحطة.
لقد حولت نظراتها، والتقطت خطابًا موضوعًا على المنضدة بكسل، واستخدمت مقصًّا غير حاد ولا بليد أيضًا، وفتحت مظروف كل خطاب، ثم فتحت الخطابات واحدًا واحدًا وقرأتهم. كان قلبها يحمل تطلعًا خفيًّا، لكنه ضئيل للغاية، فلا تعرف إلى أي شيء تتطلع، ولا تعرف أيضًا سبب تطلعها. وفعلا ذهبت تطلعاتها هباء، وانتهت من قراءة الخطابات، كأنها ترفض إخماد تطلعاتها، فرن جرس الهاتف. إن الهاتف قريب جدًّا منها، فيمكنها التقاط السماعة بمجرد مد يدها، لكن المتصل لا يبحث عنها، بل يبحث عن "لاو وانغ" الجالس أمامها، إنه صوت فتاة، من الممكن أن تكون زوجته، ومن الممكن ألا تكون هي. لقد سمع بالفعل الصوت المنتقل عبر السماعة، وأوقف ما بيده مبكرًا، منتظرًا أن تعطيه السماعة. وبعدما فعلت ذلك، لم يعد هناك سبب لتجلس فارغة، فلا بد أن تفعل شيئًا ما؛ فأخذت من المخطوطات المتراكمة كالجبل الصغير بالدولاب الموجود خلفها الكومة العلوية ووضعتها أمامها. كتبت تلك المخطوطات بطريقة مملة وعادية، كما أن الخط غريب، وشكله عجيب، ومختلف. وحاولت بجهد دفن رأسها.
هدأ المكتب الصاخب فجأة - كالخطأ الذي يحدث في الكثير من الأحيان أثناء عرض فيلم، ألا وهو استمرار الحركة كالمعتاد دون صوت - هدأ بطريقة غريبة، وكأن هناك شيئًا سيحدث. لكن لم يشعر أحد بشيء غير معتاد، فجميعهم ينكفئون على عملهم، ومشغولون جدًّا. فكل شخص يعتقد أن عمله الذي يقوم به هو الشيء الأعظم والأهم على الإطلاق. لكن هذا الهدوء كان لفترة قصيرة جدًّا، ثم دخلت نحلة طائرة، ترقص مصدرة أزيزًا، وتلف؛ ففجرت شغبًا قليلا؛ فوقف الجميع تقريبًا. هناك من حوّل المخطوطات إلى مروحة يلوح بها، وهناك من لف الكتب ولوّح بها، وهناك من دعا لقتلها، وهناك من قال ليس من الجيد إيذاؤها، فإذا لم تؤذ سلامتهم فلا توجد مشكلة. وعلى الرغم من وجود من لا يصدقون، فإنهم لا يجرؤون أيضًا على التحرك بتهور. إنها ترقص بحركة دائرية فقط، ثم طارت خارج النافذة، وما زالت هناك أمام أعينهم دوائر ذهبية رائعة، لم تتلاش لفترة طويلة. وأعيد الهرج والمرج ثانية، مثلما يتم تدارك الخطأ في الفيلم، ويتماشى الصوت مع الصورة.
لقد أخبرها "لاو وانغ" أن هناك مؤتمرًا فنيًّا سيُعقد يوم الاثنين القادم بمنطقة لو شان، على الرغم من أنه ليس على نطاق واسع جدًّا، فإن الحاضرين من كتاب الطبقة الأولى والثانية في البلاد، كما أنهم سيناقشون الكثير من الموضوعات

الأدبية التي تكاد تكون حيوية جدًّا، وربما يذهب أحد أيضًا من قسم التحرير. لم تتوقف عن التخيل بعد سماعها، إذا اشتركت في المؤتمر بنفسها، فكيف سيكون الوضع؛ فرفرف قلبها فرحًا قليلا. تتحدث "لاو لي" و"شياو تشانغ" في مجموعة حكايات، وصوتهما منخفض كثيرًا، منخفض لدرجة تسمح لمن في الغرفة فقط بسماعه، ولا يُسمع بعدها. فجذب انتباهها أيضًا دون قصد. في هذا الوقت، رنت موسيقى استراحة العمل، ووقف الجميع على التوالي، وطرقت المقاعد الأرض ذهابًا وإيابًا. سقطت أشعة الشمس مستقيمة على جانب النافذة بجانبها؛ فبعثت النافذة ضوءًا أبيضَ مبهرًا، سار تجاه تلك الناحية من الغرفة، وواجهت ممرًّا مظلمًا، به صوت غرغرة مياه، عبرت أنبوب المياه، وتدفقت تجاه الأرض. لا تدخل أشعة الشمس داخل الممر، فهو رمادي منعزل، كما أنه مقفر ودافئ قليلا، فيمكن إخفاء الأشياء به، فهو آمن جدًّا. ولا يوجد أحد يسير به. تستند هي على تلك النافذة المضيئة المتألقة بالغرفة، تحدق بالممر الضيق المظلم، وسرحت قليلا. وسمعت خلسة شخصًا ينادي على اسمها، لكنها لم تجب، وانتظرت أن ينادي للمرة الثانية والثالثة أو لا ينادي ثانية، لكنه لم ينادها ثانية، لذا واصلت سرحانها بمفردها.
لذا، واجهتُ أنا الممر الضيق، وواصلتُ التفكير في قصتي.
لا يوجد أي شيء داخل الممر الضيق، به فقط طريق مكسر، ومزراب للمياه، تنزل فيه المياه بهجوم شرس، وحين يمتلئ عن آخره، تنزل المياه بسرعة في حفرة أسفل الأرض، وتصدر صوتًا يثير الأذن، ثم ينتهي. لقد عاد الهدوء ثانية.
إنها مواجهة للممر الضيق، وظهرها لتلك النافذة اللامعة كالثلج. انتقلت أشعة الشمس قليلاً، وهدأ ذلك الضوء قليلاً أيضًا، فلم يعد يثير العين. في هذا الوقت، انتهت موسيقى استراحة العمل، وتحركت المقاعد مرة أخرى على الأرض، وجلس الجميع على التوالي. إنها تنتظر شخصًا يناديها، لكن في النهاية لم يوجد أحد، وتركت النافذة، وعبرت المكتب بأكمله بالعرض، وسارت تجاه نافذتها المضيئة.
لقد سارت نصف المسافة، في مكان أبعد قليلا عن النصف، هنا الآن، يوجد على اليمين باب، يمتد منه ممر قصير، ولا بد من صعود درجتين على السلم، والسير يسارًا، لنجد غرفة رئيس التحرير. إنها تسير لمكان قريب من غرفة رئيس التحرير.
ستكون هذه الرحلة، وهذا العبور طويلا للغاية في أيامها المقبلة، وذاكرتها المستقبلية، طويلا وكأنه نصف حياة شخص.
لقد سارت نصف المسافة، وعند مرورها بمدخل غرفة رئيس التحرير، في هذا الوقت، خرج نائب رئيس التحرير من الغرفة - لا يوجد رئيس التحرير، فرئيس التحرير افتراضي، يوجد فقط نائب رئيس التحرير - ووقف على السلم المكون من الدرجتين، قريبا منها، وقال:
"فلتذهبي أنت إلى مؤتمر الفنون بمنطقة لو شان".
وقف نائب رئيس التحرير عند مدخل الممر المظلم، وانعكست عدة خطوط لأشعة الشمس من الباب الموارب خلفه، وعكست ظله الخلفي، فهو واقف ضد أشعة الشمس، ينقل لها عددًا من التعليمات، منها على سبيل المثال: ميعاد التجمع، والمكان، والشخص الذي يتم التواصل معه لدور النشر المضيفة للمؤتمر الفني، وغيرها. ثم نزل نائب رئيس التحرير الدرج، وسار مسرعًا، ذاهبًا

إلى فندق لرؤية كاتب من المستوى الثالث جاء من بعيد، وقد علق حقيبة يده مبكرًا، متحدثًا معها وهو يحملها. بعد ذلك، واصلت تكملة نصف الطريق الآخر، وعادت أمام مكتبها. انتقلت الشمس، وأنارت الجهة الأخرى من النافذة، ثم أنارت الجانب الآخر، ثم دق جرس انتهاء العمل. وعاد من يتناولون العشاء بالمنزل، ولم يعد من لا يفعلون مثلهم. هي لم تعد للمنزل لتناول العشاء، وأخذت إناءً من الخزف بكيس من الشاش، ونزلت لشراء الطعام. المطعم موجود أسفل المبنى مع قاعة الاحتفالات، تتصاعد منه أبخرة الطعام ودخان الخضروات.
لقد وقفت في طابور مكون من عشرين شخصًا، ويتحدث العشرون في الطابور معًا، إنها الشخص الحادي والعشرون، الصوت الحادي والعشرون الذي يتحدث. ظهرت منطقة لو شان في عقلها وهي تتحدث. إنها لم تذهب إليها من قبل ، كما لم تذهب إلى أي جبل، وتعتبر لو شان في بحر عقلها المنطقة الوحيدة التي تحوي كهف الجنيات المتطايرة كالسحب. وتقف هي في مدخل الكهف، ترتدي تلك التنورة التي صنعتها منذ وقت طويل ولكن لم تسنح الفرصة كثيرًا لارتدائها، ذلك النوع من الفساتين المكونة من قطعتين علوية وسفلية، إنها أكثر شيء مناسب لارتدائه في لو شان التي يتميز صيفها بالانتعاش غير العادي دون شك. لكنها لم تر هيئتها بوضوح، ويعد هذا الفستان غريبًا جدًّا، وكأنه لشخص آخر، وهي أيضًا غريبة مثله. إنها متحمسة بعض الشيء، فتتحدث بصوت أعلى، تكاد تغطي على أصوات الجميع. ونظروا إليها؛ فشعرت بالخجل. في هذا الوقت، حان دورها لشراء الطعام.
وفي نصف اليوم التالي، صار لديها موضوع يكفي أن يشرد ذهنها به، فلم تعد هادئة، ودائما تبحث عن موضوعات للتحدث مع الآخرين. وأحيانًا، تقرأ مستندات، فيكون هناك فعالية أيضًا، ولكن لو شان تسبح في عقلها سرًّا. فعليها قراءة المخطوطات تارة، والتفكير في لو شان تارة أخرى. أحيانًا تشعر بالتعب، وتشعر أنه من الصعب القيام بعملين، فترفع رأسها وتنظر خارج النافذة وتفكر فقط، لكنها لا تعرف ما الذي تفكر به، وكيف تفكر؟ فيصعب عليها أيضًا القيام بعمل واحد، فلا تملك سوى خفض رأسها وقراءة المخطوطات، وانتقلت قمم الغيوم خلف الخطوط المختلفة بالمخطوطات المتنوعة هيئتها.
لم تعد مهتمة بذلك الممر الضيق، لكن الممر الضيق به شخص. في البداية كان طالبًا عائدًا إلى المنزل بعد مدرسته، دق الباب الخلفي بقوة، وصرخ صراخًا مستمرًا حتى نبح صوته. ثم دخله شخص من تشجيانغ يريد استبدال إناء غير مستعمل ببطاقة، دخل مناديًا وكأنه يغني أوبرا، وخرج مناديًا أيضًا. امتلأ الممر بأشعة شمس الغروب المنتقلة من الغرب؛ فعكس ضوءًا أصفر يدعو الناس لتذكر الليل.
بدأت السماء تظلم رويدًا رويدًا.
قاربَ النهار على الانتهاء، وشعرت بالتعب القليل، وبدا عليها الوهن، حاملة طبقة من الغبار غير المرئي، وبفستانها تجاعيد قليلة وكأنها مفروكة جدًّا، والناس جميعهم محبطون. في هذا الوقت، كانت ترغب بشدة في العودة للمنزل. ترغب كثيرًا في المغادرة. وكأنها تشعر بالذنب، فتود العودة للمنزل بإحباط.

إنها ترغب في العودة للمنزل، وفكرت بهذا ساعة تقريبًا، حتى دق جرس انتهاء العمل.
إن الطريق المشجر هادئ ولطيف وقت المغرب، لكن خطواتها سريعة جدًّا، مثلها مثل أي مار في هذه الساعة. وليس لدى أي شخص الرغبة في الانتباه للآخرين أو لمن يراقبه، فالجميع يسيرون بسرعة في طريقهم، إنه طريق العودة. ولحسن الحظ، هبت الرياح لطيفة منعشة، وكأنها تواسي الأجساد المتعبة المحبطة. وقد سقطت الشمس مبكرًا في نهاية الشارع الخلفي، كما لو أن هناك مدينة تؤوي الشمس. سارت هي بسرعة أبعد وأبعد وخلفها الشمس، وحين شعرت بالتعب الشديد، وصلت إلى المنزل. في البداية أخرجت المفاتيح وذهبت لفتح صندوق البريد، لم تجد شيئًا سوى الجريدة المسائية، ففكرت مليًّا، ووجدت أنه من المستحيل وجود شيء آخر حقًّا.
شعرت بالتعب أكثر. ذلك التعب يشبه كائنًا ضخمًا خاليًا من الملامح، ينصب عليها بسرعة ويقمعها، وعليها تحمله بكامل جسدها ومقاومته. تسلقت الدرج ببطء. لم يكن بإمكانها الاستناد على الدرابزين بسبب امتلائه بالصدأ، والجانب الآخر من الحائط مرسومة به صور قذرة، تستند عليها كومة من الأنقاض كالقمامة، فلا يمكن حتى السير على مقربة منها، ولا يمكنها سوى الصعود ببطء بنفسها. هناك نوافذ أضيئت بها الأنوار، وهناك نوافذ مظلمة. والنافذة بالممر المواجه لمنزلها مظلمة جدًّا جدًّا. إنها تعرف جيدًا أنه يأتي متأخرًا عنها ربع ساعة، لكن لا يمكنها قمع غضبها العجيب وقلقها. فتحت الباب، واندفعت كتلة من اللهيب الساخن، وأحاطت بها، وسال عرقها في لحظة كالمطر. فالجسم الجاف طيلة اليوم، بلله العرق في لحظة. وامتلأ قلبها بالتذمر، ودخلت الغرفة وفتحت النافذة، ثم فتحت باب الشرفة. وكانت الأوراق القذرة المتساقطة تملأ الشرفة تمامًا، فتذكرت بغموض فقط رياح الخريف وأمطاره التي هبت مساء أمس.
سينقضي النهار وقلبها مستاء جدًّا، وجسدها مبلل بالعرق.
إن قلبها مستاء جدًّا، وجسدها مبلل بالعرق. بدأت في غسل الأرز، وبدأ قلبها التحدث بشراسة، فتتنفس بصورة سريعة بعض الشيء. كانت تنتظره بفارغ الصبر، لكنه لم يعد. إنها تعرف جيدًا أن عشر دقائق لا تزال متبقية على عودته، لكنها تنتظره بقلق، وفكر قلبها في الكثير من الأشياء الخبيثة، وتخيلتها حتى أثارت نفسها، واحمرت عينها دون أن تشعر.
ما زالت هناك خمس دقائق على عودته للمنزل. لكن في هذا الوقت، تمنت فجأة أن يتأخر، يتأخر عشر دقائق أو عشرين دقيقة، أو حتى دقائق أكثر. هكذا سيكون لاستيائها وغضبها سبب، ويمكنها الاستمتاع بالتنفيس عنه. لكنه عاد في الموعد، ففي تمام الساعة السادسة، دق الباب بصوت دخول المفتاح في ثقب الكالون؛ فشعرت بخيبة أمل تقريبًا، وازداد لهب غضبها حريقًا. لقد حاولت، يمكن القول إنها صبرت بألم. فتح الباب، وحتى لا يطفئ الموقد الغازي بجانب الباب، فتحه بمساحة قليلة جدًّا، فأدخل رأسه أولا، وعلى وجهه ابتسامة رقيقة لكنها قاسية، ثم أدخل جسده ببطء، أما هي فنادت عليه بغضب شديد: "بسرعة، ستنطفئ النيران!"؛ فأدخل جسده بقوة سريعًا، وأغلق الباب بسرعة شديدة على عكس المتوقع، وهاج كأمواج البحر، وكافحته ألسنة النيران قليلا،

تلك التي تنطفئ مرة كل أسبوع؛ فشعرت فجأة بالتأثر الشديد، لذا تدفقت سلسلة من اللوم والشكوى كالنهر المنفجر بعد تكدسه.
اختبأ بسرعة داخل الغرفة، وازدادت هي غضبًا، ورنت الملعقة رنينًا شديدًا ليس له داع داخل الإناء الحديدي. وأخذت تثرثر دون توقف، فمن الأفضل أن تشرح لنفسها على أن تنفس غضبها تجاهه، فلا بد أن يكون لديها سبب قوي، وإلا ستخسر، لقد حكمت بعدل على نفسها بالخسارة أولا. ولم يتمالك الصبور نفسه وتحدث أخيرا قائلا: "حسنا، حسنا"، لقد استخدم لهجة تصالحية، لكن يظهر بها الملل واللامبالاة، فازدادت ضجرًا وشعورًا بالظلم.
إنها دائمًا تفكر، إذا كان باستطاعته العراك معها بقوة على نطاق واسع وحماسة، من المحتمل أن تهدأ، لكنه يصبر فقط. لقد عبرت له عن هذه الأمنية من قبل وقت السلم، لكنه لم يتحل بالجرأة الكافية لتجربة هذا، وبالتالي لا يمكن تأكيد فرضيتها، لذا، فقدت الأمل به. ولا يوجد أحد يساعدها في التحكم والسيطرة على نفسها، ونما مزاجها المتوتر سريع الغضب بصورة لا يمكن تحجيمها، مما يثير كره الآخرين، ويثير كرهها أيضًا، لقد ملت وتعبت كذلك، لكن لا يمكنها السيطرة وحل الموضوع. ولكي تثبت أن إثارتها لكره الآخرين بلا مبرر، والمسئولية لا تقع عليها، تضاعفت مبرراتها المزعجة. تمتلئ الغرفة بأصوات قلي مزعجة، ولحسن الحظ أن لديه صبرًا وثباتًا شديدًا، يكاد يشبه الأعصاب المُخدرة. لقد تحمل بصمت، وحين رأت ثباته الصامت وعنايته، حزنت من أجله، وحزنت أكثر على نفسها، وتحولت إلى هذا الشكل من الشعور بالذنب والإحباط، حتى تعطشت إلى تغيير صورتها. لكنه اعتاد عليها كثيرًا، فما الذي تخفيه عنه؟! فهي هكذا بالفعل، إنها هكذا! هكذا، هكذا! وتدفق بقلبها الغضب والدموع. لا يوجد أحد يسمع هذا الصوت، بل يسمعون فقط ضجيجها، ضجيجها الذي أفسد ليلته، وأفسد ليلتها أيضًا.
لقد تعبت يومًا بعد يوم، وتولد لديها إحساس آخر تدريجيًّا، فصارت تتمنى مواساته لها، فهي تحتاج إلى مواساة لطيفة، ومن ثم يمكنها الراحة والعودة. لكن لا يوجد. لقد أصبح مخضرمًا بالفعل ولا يُقهر، وتخدر منذ زمن بضجيجها، لا مفر له من التخدير، ويجب عليه غلق عينه وأذنه وجميع حواسه، ليحمي نفسه جيدًا، ويستقبل الثورة المفاجئة القادمة، فيثابر ليقضي هذه الفترة العادية العظيمة بهدوء. لذلك، كافح الاثنان منفردين تحت سقف غرفة واحدة. فهما يحتكان لكنهما منعزلان تمامًا، ولا يمكنهما تبادل ولو القليل من المساعدة.
ثم تناولا الطعام. فعلى النقيض، بعد المرور بهذا الحدث ما زالت لديهما شهية للطعام، وبعده لديهما رغبة في مشاهدة التلفاز. لقد هدأت أخيرًا، كان هدوءًا كالعزلة، ولم يعد هناك سوى صوت مذيع التلفاز الناعم الجميل. على الرغم من أنهما يشعران بالامتعاض، فإنهما لم يخرجا من هذا الجحر الضيق، فيبحث كل منهما عن السعادة على حدة. يبدو وكأنهما متعلقان ببعضهما، لا يمكنهما سوى البقاء معًا، يبقيان معًا في السراء والضراء. لذلك، هما هكذا، يحيان في غرفة صغيرة مظلمة لا ينيرها سوى مصباح، أحدهما يتكئ على الفراش، والآخر يجلس على المقعد. هو يقرأ الكتب، وهي تقرأ الجريدة المسائية، ثم يقرأ هو الجريدة المسائية، وتقرأ هي الكتب. والتلفاز دائمًا مفتوح، لا يشاهدون بجدية الأفراح والأتراح الركيكة به، فهو يعطي ضجيجًا فقط، وإلا ستصبح الغرفة باردة جدًّا.

لقد هدأت بالكامل، وبدأت تفكر في جبل لو شان. في هذا الوقت، سعدت قليلا. وصار مزاجها مشرقًا جدًّا ولطيفًا بعد انقضاء ثورة الغضب العارمة، وصارت مسكينة بعض الشيء. في هذا الوقت، أخبرته بخبر سفرها؛ فسألها: "متى ستسافرين؟ فأجابته قائلة: "ما زالت هناك خمسة أيام". هكذا بدأ الحديث معًا، تحدثا بسلام وهدوء تام. واتكأ هو أيضًا على الفراش، وهنا استندت عليه، وامتصت دفء تعطشه طويلا. في هذه اللحظة، حصلت على دفء ومواساة بلا حدود. وأخذ يواسيها كالقطة الصغيرة التي لا مأوى لها، وردت عليه هي أيضًا بحركات صغيرة لطيفة. لقد شعرا بسعادة وقيمة بالغة، وحصل تعب اليوم والإثارة التي حدثت للتو على مواساة. لقد تركا كل شيء غير سعيد جانبًا، واهتما فقط بالسعادة الحالية، وامتصا طاقة من خلال هذه السعادة القصيرة المؤقتة، لكي يتعاملا مع ما تبقى من الفترات المملة الطويلة. شعرت بالقليل من النعاس، وهو أيضًا؛ فدخلا في سبات عميق، وغرقا وسط أحلامهما، وافترقا دون أن يشعرا، واستلقى كل منهما على جانب، حتى الصباح. وتسلل ضوء النهار عبر الفتحات الرفيعة لستائر الخيزران، ونسجت أخيرًا شبكة من الضوء، أحاطت بالغرفة. ثم جاءت الشمس أيضًا. واستيقظت، وجلست في البداية على الفراش. هزت الرياح ستائر الخيزران، وتحركت أشعة الشمس، فأضاء جسده تارة وأظلم تارة أخرى. بعدها تحرك قليلا، ودفع أطرافه، وجلس القرفصاء. لقد نظرا لبعضهما بصمت، وقد تلاشى غضب الأمس وعواطفه ولم يعد لها أثر كالحلم.
وبعد خمسة أيام، حان موعد تحركها أخيرًا. قطارها هو قطار الساعة الثامنة مساء السريع، وتم شراء تذكرة النوم. في هذا اليوم، لم تذهب للعمل، واستيقظت في وقت متأخر صباحًا. وبعد استيقاظه، سقطت في النوم ثانية، وحلمت حلمًا طويلا، لكنها لم تتذكره بعد استيقاظها.
فتحت عيناها، واجتازت الشمس ستائر الخيزران، وارتقت جانب الفراش. لقد رأت بعيدًا على خزينة الفراش مذكراته، لكنها لم تمد يدها كسلاً. إنها مرتاحة جدًّا، ولا تريد الحركة. فهي تعتقد أن النوم شيء جيد جدًّا. لقد حركت ذراعها وساقها ببطء، فشعرت بانتعاش حصيرة البامبو ونعومتها. إنها ترغب بشدة في العودة إلى النوم، لكنها حصلت على قسط كاف منه، ولا يمكنها النوم مجددًا، حتى عيناها لا تُغلقان بإحكام. لقد رأت انعكاس أهدابها من خلال جفنها نصف المغلق، وحركت عينها ببطء دون وعي من خلال انعكاسات أهدابها. توجد فوق خزينة الكتب كومة من الجرائد التي يعلوها التراب الذي يتطاير وسط أشعة الشمس؛ فتنعكس عليه وتتسبب في لمعانه. وعلى باب الشرفة عُلِّق وعاء نباتي مذهل، لكنه ذبل بالكامل، ولم تتبق سوى عدة ورقات كالبصل، وبالمصادفة سقط الظل على التسريحة. توجد على التسريحة ماكينة حلاقة متصلة بالكهرباء، ولم يتم نزعها. لقد تذكرت بشرود ذهن انبعاث ضجيج مفاجئ للتو؛ فكادت تصدر صوتًا ما. مُلقى أمام الباب حذاؤه شرقًا وغربًا، وهناك إناء موضوع على الموقد الغازي. لقد نظرت حولها، ثم عادت إلى خزينة الفراش، فهناك مذكرته موضوعة أسفل ساعة يدها. فاستجمعت شجاعتها ومدت يدها وأمسكت بالمذكرة. كتب فيها أنه اشترى خبزًا، وضعه داخل الإناء على الموقد الغازي، كما قال إنه سيطلب إجازة بعد الظهر ليعود للمنزل لمرافقتها؛

فابتسمت، ومدت ذراعها بكسل، وقلبت جسدها، وتحولت إلى وضع مريح جدًّا لكنه قبيح جدًّا.
شعرت فجأة أنها لا تود الذهاب، لماذا ستذهب؟ أليس كل شيء في المنزل على ما يرام، فلماذا تتحمل هذا التعب؟!
فكرت في زحام القطار، وبعد نزولها ستذهب للبحث عن دار النشر، وتتفاوض معهم بعد إيجادها، كما أن عليها البحث أيضًا عن فندق، فشعرت بالقلق فجأة، أين ستسكن مساء اليوم؟ إنها لا تعرف شيئًا. ستكون وحيدة في ذلك المكان الغريب، ولن تحصل على أية مساعدة. لقد شعرت بالندم القليل، لكن الوقت يقترب، وهناك الكثير من الأشياء لم تفعلها بعد، فعليها ترتيب الحقائب وغيرها، يا إلهي، إنها منزعجة جدًّا! في هذا الوقت، تذكرت مزايا الزوج، وتذكرت أنها ستتركه بالمنزل عشرة أيام، لكنها غير سعيدة أيضًا، وأكثر تعبًا! فهي تشعر بالتعب الشديد، وتشعر بضيق الوقت؛ فاستيقظت مسرعة، وانتهت من كل شيء بعجلة، لكن لم تحل الظهيرة، لذا، ازداد قلقها قليلًا، إنها تنتظر المساء على عجلة من أمرها، تنتظر لحظة التحرك، تنتظر بقلق. وبحلول المغرب، أتعبها هذا القلق، وظهرت آثار الإرهاق غير المفهومة، لذلك، انفعلت ثانية، وأوقد بقلبها حريق غريب، وأخذت تثرثر كثيرًا من أجل شيء صغير جدًّا. حتى هو الذي اعتاد ذلك منذ زمن، لم يتمالك نفسه وشعر بالإحباط، وخفض رأسه وأخذ يشرب الخمر في سكون. إنها تثرثر وكأنها تتناول الطعام، ومرتدية فوق رأسها لفائف الشعر. كما لم تكن لفائف الشعر لونًا واحدًا، بل ألوانًا كثيرة، فظهرت بشكل عبثي وفوضوي للغاية.
وفي النهاية، لم يتحمل، ورفع رأسه، وتردد عدة مرات، ثم قال:
"لننس الأمر، ستغادرين، ولن أتشاجر معك".
خفض رأسه مرة ثانية بعد انتهاء كلامه، وواصل شرب الخمر. بعد هذه الجملة، لا تعرف كيف توقفت عن الكلام، في الحقيقة، كان يمكنها الرد قائلة: "إذا لم أذهب، هل ستتشاجر معي؟ لِمَ تتشاجر معي، أنا موافقة على سماعك". منذ ذلك، بدأ موضوع آخر جديد، يمكنها ألا تنتهي. لكنها على العكس صمتت، ولم تتفوه بجواب واحد قوي. يعد هدوءها هذا غريبًا بالنسبة له، فرفع رأسه ثانية دون أن يشعر، ونظر الاثنان لبعضهما بانسجام، ثم خفضا رأسيهما ثانية وتناول كل منهما طعامه، وهنا توقفت ثرثرتها.
لقد شعرت بسعادة بالغة، ولا يسعها سوى الطاعة، بل شعرت بخجل.
وبعد فترة طويلة، كانت دائمًا تتذكر هذه الليلة، ففي العشاء الأخير قبل سفرها، قال عن غير عمد هذه الجملة لكي تتراجع فقط:
"لننس الأمر. ستغادرين. لن أتشاجر معك".
تحولت كل جملة من هذه الجمل القصيرة في الأيام التالية إلى نذير. لكن في هذا الوقت، لم يفهم أحد، وشعرا فقط بقلق غامض، لم هذا القلق؟! حين يفكران بروية، يختفي هذا القلق، ولا يمكن الإمساك به. بعد ذلك هدأت، ومر الوقت بسلام حتى قبل ركوبها للقطار. وحين دق الجرس وأوشك القطار على الانطلاق، تذكرت فجأة رغبتها في إخباره بجملة؛ فدفعت النافذة بسرعة، ومدت رأسها وقالت: "عليك إخراج الضلوع واللحم الموجود في الفريزر قبل تناولهم بساعتين أو ثلاث حتى يذوبوا، هكذا عليك العودة للمنزل مرة في الظهيرة، حتى يخرج اللحم من الفريزر ليذوب، تذكر، عليك وضعهم في إناء

وإلا ستملأ مياه الذوبان كل مكان". كان الجرس يدق، فلم يسمع بوضوح، وكان عليها إعادة كل جملة عدة مرات. وقبل الانتهاء من حديثها، توقف الجرس، وتحرك القطار، وسار هو معه، سار ثم ركض. تشبثت هي بإطار النافذة، وأخرجت جسدها بقوة، وهي تود إنهاء الحديث قدر المستطاع، لكن القطار سار أسرع، وأصبحت المسافة بينهما أبعد، وصفرت الرياح في آذانهم، حتى هي لم تسمع صوتها. لكنه ركض باستماتة؛ فقالت له: "لا تركض!". حين رأى فمها يتحرك، اعتقد أنها تقول شيئًا ما؛ فركض بقوة أكبر. وازدادت سرعة القطار، وتركه في الخلف سريعًا؛ فصار نقطة سوداء تتحرك وتصغر رويدًا رويدًا. لقد شعرت بالحزن فجأة، ونزلت دموعها. وغادر القطار المحطة المضاءة بالمصابيح، وسار في حقل يحيطه ظلام الليل، وهي لا تزال تخرج جسدها، وتنظر للخلف؛ فرأت نهاية العربة تسير بسرعة فائقة في الحقل المظلم بمحاذاة القضيب. كانت الحقول الزراعية تومض بضوء خافت، وبدا على الأفق البعيد ضوء يظهر ويختفي. ارتقى القمر وأنار السماء؛ فرأت ظل القطار الخافت تحت نور القمر، يسير وسط العالم الواسع.

لقد فكرت، لماذا يركض؟! وتحملت دموعها الساخنة، إذا كان هناك أمر استثنائي، يمكن قوله عبر خطاب فور الوصول إلى هناك. لم عليها القول في هذه اللحظة! لكنها شعرت فجأة أن هذا ليس ما تود قوله فقط، وليس جملة أخرى أيضًا، فما تقوله كله ثانوي. شعرت فجأة بإحساس غريب ملح، حين دق الجرس، كان عليها قول جملة له، إذا لم تقلها الآن، ستكون متأخرة. كيف تكون متأخرة؟ إنها أيضًا لا تفهم. لأن الجرس دق، وبمجرد وقوفه يتحرك القطار، وبمجرد تحرك القطار، ستغادر هي، ويبقى هو، لذلك كانت ترغب بإلحاح في قول شيء له، كما فكرت بقلق. نعم، فكرت ماذا تقول. وكأن قلبها مذعور لا يتذكر شيئًا، وتذكرت فجأة أمر ذوبان اللحم المجمد في الفريزر، فقالته له بمستوى صوت الجرس. يا إلهي، صوت الجرس ذلك الذي يستعجل الناس يشبه الفراق الحقيقي. إن قلبها يسكنه نوع من الشكوك الغريبة للغاية.

أحاطتها هذه الشكوك للحظة، حتى أنها شعرت بمرارة، وأخرجت من حقيبتها قصة لتقرأها. وشعرت بالنعاس بعد قراءتها قليلا، فقامت ورتبت الفراش ونامت. نامت نصف مستيقظة، ورأت بعض الأحلام، كان الحلم يهتز مع القطار، وامتلأ بأصوات ضجيج. لقد نامت متعبة جدًّا. امتزجت الرياح بالضباب الليلي، وهبت على جسدها منعشة رطبة، والتصق بجسدها اللزج الكثير من الجزيئات السوداء الموجودة داخل الضباب. لقد استحمت في الحلم، وغسلت شعرها أيضًا، استحمت بسعادة بالغة، لكن دائمًا يتملكها شعور بالأسف، تقريبًا لأنها تفهم جيدًا أن هذا مجرد حلم. حين وصلت أخيرًا للفندق، وكانت تستحم بقوة في غرفة الاستحمام، تذكرت هذا الحلم. لم تحفظ أي حلم من قبل.

سيتجمع أعضاء المؤتمر الفني أولا في المحافظة، ثم يذهبون إلى جبل لو شان في اليوم التالي. لقد جاء جميع الكتاب تقريبًا، كما وصل شخصان كانا يستقلان الرحلة المسائية. وجاء أيضًا المحررون والصحفيون تباعًا، ولم يكن المؤتمر مسئولا عن إقامتهم. لكنها محظوظة جدًّا، بسبب وجود فراش إضافي في حجرة زميلتها، فجهزته لها. أما باقي المحررين، فسكنوا جميعا في دار ضيافة ليست قريبة جدًّا، وهناك من ذهب إلى لو شان مباشرة وانتظر هناك. تيسرت لها الأمور، فأمكنها التواصل مع الكتاب ليلاً نهارًا، وعلى الرغم من أنه ليس

جيدًا إعطاء الأسئلة للكتاب في وضح النهار، كما تضايقت دور النشر المضيفة، فإن ذلك أثر تأثيرًا فعالا في التواصل العاطفي، فوضعت قاعدة أساسية للموضوعات التالية. علاوة على ذلك، فهي وقورة سخية، وتتحدث بذكاء بالغ، ويمكنها معرفة أوقات دخولها وتراجعها، فتركت انطباعات جيدة. وفي وقت انشغالها، كانت تستقبل الناس، وترتب لهم وقتًا للاستراحة، كما تتحدث معهم قليلاً. وعلى الرغم من الانتظار ليلة كاملة، فإن الكتاب لم يشعروا بالملل، وذهبوا لشراء تذاكر للأوبرا، فأرادوا مشاهدة أوبرا جيانغشي المميزة للمكان، فاستفسروا كثيرًا، فهناك مسرح واحد فقط في المدينة يقدمها، ثم ذهبوا لشراء التذاكر. وهناك أيضًا بعض الكتاب ارتفعت حرارتهم من تعب الطريق، والباقي ليست لديهم رغبة في المشاهدة. كان هناك انشغال وفوضى عارمة، فكان من الأفضل الإمساك بها لتذهب مع رؤساء دور النشر لاستقبال الضيوف بالمطار، فوافقت على الرحب والسعة.

ولأن كل شيء سار بسلاسة غير متوقعة، كما أنها استحمت باستمتاع؛ انتعش مزاجها كثيرًا، ودبت بها الحيوية، وتولد لديها صبر جيد، وأخذت تفكر: من الصائب حقا أنني أتيت. ما الوضع إذا لم آت؟ إنها ببساطة لا تود التفكير في هذا. لم تضع شعرها المجعد المغسول في لفائف الشعر، إن هذا الشكل مضحك وقبيح، لقد استخدمت فقط منشفة جافة لتجفيف شعرها، ومشطته، ثم حزمته خلف رأسها بأستيك الشعر الجلدي، وعلى النقيض بدت جميلة. ثم ارتدت فستانًا أصفر دون أكمام، وصندلاً من الحبال؛ فبدت في غاية الشباب والنشاط. وبعد وقت قصير من تناولها للعشاء، دعاها شخص للذهاب إلى المطار.

ركبت هي ومساعد رئيس الغرفة الفنية بدار النشر عربة صغيرة وذهبا إلى المطار، وأخذت تثرثر معه في الطريق. تحدثا عن أوضاع عالم النشر، والتطورات والتغيرات المرحب بها للقصة القصيرة، وعن بعض الشائعات التي تناولت شخصيات ونوادر عن الكاتبين اللذين سيصلان على رحلة رقم 1157، كما تناولا تعريفا عن الأماكن والآثار التي ذهب إليها "لاو" بالعربة من قبل، ثم وصلا المطار دون شعور، وما زال هناك ما يقرب من الساعة على وصول الطائرة، فجلسا منتظرين. انتظرا قليلا، ثم شعرا بالقلق، وذهبت هي للاستفسار من مكتب المعلومات، وبعد أن تأكدا من عدم تأخير هذه الرحلة، جلسا مطمئنين على الأريكة، وواصلا الانتظار والحديث. السائق معتاد كثيرًا على الطريق، فقابل الكثير ممن يعرفهم ولف بهم في طرق عديدة، ثم أوصلهم إلى ساحة الوقوف لاستقبال الضيوف.

بدا المطار واسعًا جدًّا، لدرجة لا حدود لها، بل ويقرب إلى السماء. كانت السماء كثيرة السحب، وخالية من النجوم، والقمر أيضًا، وتقف في مكان بعيد جدًّا طائرات تشبه الطيور الكبيرة، وعدة عربات تتحرك بصمت كالجعرانة. لا يوجد أحد، والرياح تهب وتحيط بأقدامهم. ويقفون هم هناك بإحباط، لا يعرفون إلى أي مكان يذهبون. فالمطار واسع جدًّا، والسماء فوق رؤوسهم، والناس يقفون بين السماء الشاسعة والأرض الواسعة بغموض يشبه المصير. كاد الشعور بالغموض يستولي عليهم، فلم يتحدثوا. وقفوا صامتين، وقد وقفوا كثيرا بالفعل. السماء تحيط بهم قريبًا وبعيدًا. في هذه اللحظة، قال أحد الأشخاص لهم، إن الطائرة الأمامية هي الطائرة 1157 التي يبحثان عنها، فساروا باتجاهها.

إنها طائرة صغيرة جدًّا، تكاد تختفي بصورة تامة وسط الظلام. لقد عبروا حاجز الليل، ورأوا الطائرة بوضوح، هناك من خرج من باب طوله خمس أو ست أقدام، ونزلوا درجا قصيرا، حتى وصلوا إلى سطح الأرض، وساروا ببطء، يحملون في أيديهم حقائب مختلفة الأحجام. كانت هناك عربة حقائب تقف بالجوار، تنتظر بهدوء تفريغ الأمتعة. فسارت هي ببطء للأمام، وفجأة وقف السيد لاو لي بجانبها، ثم رنت أصوات تحيات حارة، وانتشر بسرعة في المطار الشاسع صوتان أو ثلاثة؛ فوقفت بسرعة، وأدارت رأسها لتنظر. كان يقف في الأمام شابان بنفس الحجم تقريبًا، أحدهما يرتدي نظارة، والآخر دون نظارة. قام لاو ياو بتعريفهما لها، فابتسما لها ابتسامة لطيفة. ومد من يرتدي نظارة يده الكبيرة الدافئة وصافح يدها الباردة قليلاً. ثم مد من لا يرتدي نظارة يده أيضًا، لكن، لم يتصافحا بصورة سلسة؛ فتلامست أصابعهما، وذعر كل منهما؛ فتركا أيديهما بسرعة، ثم عاودا البحث عن قبضة الآخر، ولم يصلا ثانية إلى هدفهما، بعدها تصافحا، وشعر كل منهما بالحرج. وشعرت هي بالحزن قليلا، في هذه اللحظة انتهى اليوم الميسر نهاية صغيرة، وبعد وقت طويل، فهمت أن بإمكانها تذكر هذه النهاية. لكن في تلك اللحظة، شعرت فقط بالقبح، والقليل من الإكتئاب. لقد أدارت جسدها وسارت معهم تجاه غرفة الانتظار.

حين أدارت جسدها، ظهرت فجأة نجوم في السماء، خرجت هذه النجوم من طبقة سحابية، مواجهة للأرض. تبدو النجوم قريبة هكذا، لكنها تبدو بعيدة بمجرد رفع الرأس ومشاهدتها. تألق ضوء النجوم، وبدا المطار أكثر اتساعًا، وقفرًا لا يوصف. لقد ساروا تجاه المكان المضيء في الأمام، ودخلوا غرفة الانتظار، لينتظروا الحقائب ثانية، إنها حقيبة جلدية سوداء صغيرة تابعة لذلك الذي يرتدي نظارة. لذا سألت من لا يرتدي نظارة: "وأين حقيبتك؟"؛ فربت على حقيبة سفر برتقالية يحملها خلف كتفه، ذلك النوع الذي أسفله أربع عجلات، ولم يقل شيئًا آخر. فقط الذي يرتدي نظارة هو من يتحدث، ويضحك، كما ربت على كتف لاو ياو الرفيع الصغير الذي بدا بجانبه أكثر نحافة. أما هو فيقف جانبًا يستمع فقط، ويضحك بصدر رحب، حاملا على كتفه تلك الحقيبة؛ فأمسكت بالحزام الخلفي وراء ظهره، وطلبت منه الانتظار منزلا إياها، لأن ما زال هناك وقت حتى تصل الحقيبة. وأمسك هو بالحزام الموجود أمام صدره، وأنزل الاثنان الحقيبة بقوة ووضعاها على الأرض، وأثناء استقامة جسدهما، ابتسما لبعضهما، وكأنهما سعداء. لقد خجلت قليلا، وأدارت وجهها، واستمعت باهتمام إلى حديث ذلك الكاتب الممتع، وهو يحكي أشياء مثيرة للسخرية قابلوها قبل صعودهم الطائرة، فكانوا يضحكون بشدة حين يسمعون شيئًا مضحكًا. إنها تشعر أنه يسمع أيضًا باهتمام؛ فشعرت بسعادة بالغة، حتى أنها نست وجود أشياء تستوجب الحزن في هذا العالم. يا له من شيء ممتاز! لقد أدارت وجهها قليلاً، تجاه نافذة حجرة الانتظار المفتوحة، هناك رياح تهب منها، كما رأت النجوم تملأ السماء.

لقد وصلت الحقائب، واصطحب السائق مرتدي النظارة وذهبا ليتعرفا على الحقيبة، وبقي "لاو ياو"، وهي وهو، أمام النافذة الضخمة المواجهة لموقف السيارات، وتهب الرياح من خلفهم ببطء، وبدا "لاو ياو" مجهدًا من العمل، فلم يجد للحظة كلامًا يقوله. أما هي فلا ترغب في الحديث، فصمتت، وهو لا يتحدث كثيرًا في الأساس، فصارت الساحة باردة. لقد شعرت بنظرات "لاو ياو" الطالبة

للمساعدة منها، لكنها ما زالت صامتة، لأنها تعتقد أن الصمت شيء طبيعي جدًّا، وليس أمرًا محرجًا، وكأنها تعرفه. أما "ياو تشانغ" فعلى النقيض، تحدث مجبرًا في تفاهات فبدا ثرثارًا أخرق، فصمت مذعورًا. لذلك، تبادل الثلاثة نظرات ودية، وابتسموا بمزاج سعيد، هكذا فقط. لقد رأت خلفه ساعة كبيرة وطويلة جدًّا، يشير عقربها إلى التاسعة والربع. نظرت إليها طويلاً، ونظرت إلى التاسعة والربع كثيرًا، حتى تحرك العقرب الكبير دون إدراك، وقتها أنزلت نظراتها. في هذا الوقت، أخذوا الحقيبة وتبادلوا التحيات: "لنمش!"، وقالت هي أيضا: "لنمش!". وبعد الانتهاء من القول جنت خصرها لتسحب حقيبته البرتقالية المتروكة على الأرض، لكنه لم يتركها، وأمسك بالحزام، وهي أيضًا لم تتراجع، فوقعا في مأزق. وفي النهاية أمسك بيده الأخرى يدها الساحبة للحزام، وأزاحها من فوق الحقيبة. إن يده كبيرة جدًّا، احتضنت يدها بالكامل، فبدت يدها صغيرة جدا في يده، كالساذجة. لم يكن بوسعها سوى إطاعته، ولكنها شعرت بالخجل. هكذا، لقد ساروا وعبروا حجرة الانتظار الشاسعة المهيبة، ومروا أسفل تلك الساعة الكبيرة.

صعدوا العربة، وجلس الكاتب ذو النظارة بجانب مقعد السائق، وهو وهي ولاو ياو جلسوا في الخلف، وجلست هي بينهما. سألها هل يمكنه التدخين، فلم تجبه، ومدت يدها فقط لتفتح الطفاية بالجوار، فبدأ بالتدخين، وتطاير الدخان جانب خدها كالرياح الخفيفة، وحرك شعرها. فتأثرت فجأة، وابتل إطار عينها، فتنفست فجأة نفسًا طويلا. لقد شعرت بسعادة بالغة، فعلى الرغم من أنها ليلة واحدة فقط، فإن كل شيء تغير فجأة، ليست الحياة فحسب، بل هي نفسها أيضًا. أين ذهب قلق وتوتر وضيق الأيام الماضية؟ لقد تلاشى وكأنه لم يكن. إن قلبها صاف كالبركة العذبة. ثم تنفست مرة أخرى، فأدار لاو ياو رأسه بغرابة ليراها؛ فشعرت بالخجل، ولامت نفسها على حماقتها بسبب تباهيها. أما هو فلم يُدر رأسه، ولم يشعر بغرابة، وكأنه يفهمها جيدًا. ولم تتمالك نفسها وأدارت وجهها قليلا ونظرت إليه، كان يطفئ عُقب سيجارته في الطفاية، ونظرت إلى رقبته المتصلة بعظام خديه. لقد تذكرت أنها قرأت قصته من قبل، فبدت القصة قريبة فجأة، وبها بعض من الغموض.

سارت العربة على الطريق المظلم، ومرت ظلال الأشجار بسرعة على الجانبين. لقد اتكأت على مسند المقعد الخلفي، تنظر إلى المناظر المظلمة خارج النافذة، منعزلة عن كتفه، وقلبها مليء بشعور خيالي. وتكاثفت الأضواء تدريجيًّا، ودخلت العربة المدينة، وسارت بطريق جبل جينغقانغ بشارع تشنغان الواسع الطويل. كان النصب التذكاري لانتفاضة الأول من أغسطس يقف طويلا صامتًا، وهناك نجوم براقة جدًّا بأعلى نقطة، لكنها لا تضيء، فتنير نفسها فقط، وكأنها تشع نورًا من جسدها. قللت العربات من سرعتها، ودخلت وسط طابور من السيارات يشبه انسياب النهر.

أخبرته أنهم سيذهبون إلى جبل لو شان غدًا. فسمعها بسعادة. كما قالت إن رياح جبل لو منعشة جدا، كالمصيف تمامًا. وقالت أيضا إنه على الرغم من مرور وقت طويل جدًّا على بداية الخريف، فإن الطقس ما زال حارًّا، فقال إنها مناطق الموقد، سيتحسن الوضع في جبل لو، وقالت: "علينا ارتداء الملابس الثقيلة آجلا أم عاجلا، فلا بد من الاحتراس"، ونظرت إليه. إنه يرتدي قميصًا رياضيًّا بنصف كم، وسروالا قصيرًا، فتظهر ساقه من أرجل السروال القصير،

بها شعر أسود ملفوف يحيطه العرق، فحولت نظرها وكان شعورا بالقرف قد أصابها. قال إنه أحضر معه ملابس الرياح، وأشار بيده إلى حقيبته في الجانب الخلفي من العربة. في هذا الوقت، عاد لاو ياو مرة أخرى، وبدأ يتحدث عن أساطير لو شان، فقص عدة أساطير في نفس واحد، حتى توقفت العربة أمام باب الفندق، وفتحوا الأبواب بالتتابع، هنا قال إنه استعار خصيصًا كتاب "أساطير جبل لو". وكان لاو ياو قد ركض بالفعل خلف العربة ليخرج حقائبهم، ولم يسمعه، هي فقط من سمعه، وضحكت له، فضحك هو أيضًا، وانسجما كثيرًا.

لقد شعرت بسعادة عارمة وراحة كبيرة بجسدها الممدود، الجميل للغاية.

عادت للغرفة في الساعة الحادية عشرة، وكانت زميلة الغرفة تلك الكاتبة التي تشبه الفتيات الصغار مستغرقة في النوم، وخافت من إزعاجها، فلم تشعل الضوء، واستغلت نور القمر الذي ينير الستائر الخفيفة وصعدت على السرير بهدوء. لقد استلقت على الفراش مواجهة للسماء، ومدت ساقيها، كما مدت ذراعيها بخط مستقيم. وشعر جسدها الممدود براحة كبيرة. كان جسدها جميلا للغاية وطويلا، فأناره القمر، ونظرت بنصف عينيها وأخذت تقيس نفسها بدقة، وتأثرت بجسدها الناعم الجميل، وحبست صوت بكائها. ثم استرخت ولفت جسدها المحبب داخل غطاء الفراش الجاف، وبدأت تتذكر مضمون هذا اليوم الغني، وفي الوقت نفسه، بدأت تراجع تصرفاتها اليوم، مثل الطلاب الذين يتفحصون سلوكهم، وكانت النتيجة مرضية بالنسبة لها، فيما عدا ذلك الصوت الغريب الذي صدر منها في العربة، فتصرفت بشكل أخرق، وشعرت بالإحباط، لكن بغض النظر عن أي شيء، كان يومًا جميلا جدًّا، كما أنها ستقضي العديد من الأيام الجميلة، من المحتمل أن تكون أجمل من هذا اليوم. فلا بد أن تقضي العشرة أيام هذه بصورة جيدة، وألا تترك أي أسف. لقد اعتقدت تقريبًا أن المؤتمر الفني المقرر عقده عشرة أيام لن ينتهي، ولن تنقضي العشرة أيام، وكأنها أبدية. لقد نامت بحماسة وهدوء. وصعدت القطار ثانية في الحلم، وكان القطار يسير دون انقطاع، ويمر بين السماء الشاسعة والأرض الواسعة، تاركًا ظلا طويلا جدًّا، وأحيانًا يدق صوت الساعة.

ووصلوا إلى جبل لو في الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم التالي. وسكنوا بمصحة على طراز الفيلات، تواجه بحيرة زرقاء صافية، وخلفها جبال شاسعة. في هذا الوقت، تدفق جميع الصحفيين ووصلوا إلى هنا، ولم يعد هناك طريقة لدى دور النشر لعزل الكتاب ثانية، ولم يسعهم سوى اتباعهم، فشعروا بمرارة، فاللحظة حرجة، ولا يمكن تسريب المسودة لتقع في يد شخص آخر، فيخرجون هم الأموال ويسمحون للآخرين بالحضور، إن هذا هو حقًّا ما يسمى بصنع فستان الزفاف لشخص آخر! هي الوحيدة التي لم تستعد، فهي معهم وكأنهم ملكها. لكنها لبقة جدًّا، ولم تعد تتحدث مع الكتاب في أمر المسودة، علاوة على ذلك، من الصعب عليها في تلك اللحظة تذكر أمر المسودة. فأخذت تجمع المسودات، وتنظر فيها، وترسلها، وتعدل جميع الرموز الخاطئة. إن هذا شيء بعيد للغاية، أبعد حتى من الجيل السابق. كما أنها لم تعد كسابق عهدها، وكأنها تغيرت تمامًا، واختلف مزاجها بالكامل، فصارت هادئة جدًّا، وتكبح عواطفها كثيرًا، وتقيد نفسها دون عمد، وقد جعلها هذا التقييد سعيدة، كما أصبح من أهداف حياتها اليومية. إنها ترغب بشدة أن تكون شخصًا هادئًا، لتسعد نفسها وتسعد الآخرين سعادة بلا حدود. لقد شعرت بانطباع الناس الجيد تجاهها،

ورغبتهم في البقاء معها، وعدم نسيانها في أي شيء، وأنهم دونها يشعرون بالنقص. إنها ممتنة جدًّا، وتشعر أن الحياة رائعة حقًّا.
حل الضباب فوق ذلك الجبل وقت الغروب، واختفت البحيرة في عدة ثوان فقط، وسط الضباب الكثيف، وتحولت إلى لغز، كما تلاشت الجبال بفعل الضباب، ولم يتبق سوى قممها المدببة، فشابهت الجزر المنعزلة على البحار، وشابهت الشمس الروح، وسقطت تدريجيًّا وسط الضباب. كان الضباب ما زال ينتشر. وتزاحم الجميع في الشرفة، مستندين إلى السور يشاهدون ذلك الضباب الأبيض البعيد الذي يقترب تدريجيًّا. يشبه الضباب المياه التي فقدت جاذبيتها وتنساب في جميع الاتجاهات، وهي تُظهر أحيانًا الصورة الحقيقية للجبل، وتخفيه أحيانًا أخرى، فصارت تلك الصورة الحقيقية خيالًا. لقد ارتدى الجميع ملابس شتوية متعددة الألوان، أو ملابس الرياح، فقد شعروا فقط ببرد متفرق، لكنهم لم يتوقعوا مجيء الضباب، الذي عبر بينهم، وتردد، وعزل بينهم مهما بلغت درجة قربهم. وإذا تشابكت الأيدي، يمر الضباب بين ثغراتها ويفصل بينها. وأصبح الصوت خافتًا تدريجيًّا، وكأنه ينتقل من مكان بعيد، على الرغم من أنه بالجوار. كما انعدم وضوح هيئة البشر. يلفنا الضباب، كماء البحر العابر. وبوجود الظل الضبابي، فقد الناس قيودهم أكثر، فكانوا يتحدثون بصوت عال في الوقت نفسه، لذا لم يسمع أحدهم الآخر، وصاروا يسمعون فقط أنفسهم. لقد تسبب الضباب في تفرقة الناس، وانعزال كل فرد على حدة. وكل فرد يروي بصوت مرتفع الهيئة الضبابية التي يراها، ويتناقلون بأقصى جهد خبر ظهور الجبل وسط الضباب في لحظة، لكن لا يتمكنون من النقل أيضًا، فكل شخص غارق في مشهده.
لم تتحدث هي، فعلى النقيض قمعها ذلك الشعور بعدم التقييد، فجعلها هادئة كثيرًا. في الواقع، تحتاج الجبال والبحيرات الموجودة وسط الضباب إلى هدوء وصمت لتذوقها، فتلك الجبال والبحيرات المغطاة بالضباب تناسب العالم الصامت. تقف هي متكئة على السور، ولم تزعجها الضوضاء المحيطة بها، فلا شيء أكثر سماحة وكرمًا من هذه اللحظة. كما أنها اعتمدت على مزاجها الهادئ لتشعر بصمته هو أيضًا، حتى أنها شعرت بمداركه وسط الصمت، إدراكه للجبل، وفي الوقت نفسه، تقبل هو أيضا مداركها كاملة تدريجيًّا.
يقف بينهما شخصان، فلم يلمح كل منهما الآخر، كانا صامتين وسط الضجيج الحماسي، ومن خلال الصمت المشترك لاحظ كل منهما الآخر، وكذلك ملاحظاتهما وسط هذا الصمت. في هذا الوقت، شعرا أنهما بدءا يتحدثان، لا، إنهما في الأصل يتحدثان دائما. وتناقلا الأخبار في الوقت الذي لم يتعمدا فيه ذلك، تناقلا أخبار الجبل المحتجز خلف الضباب، وكذلك أخبار البحيرات، وأخبارهما بعد الحاجز الضبابي. ومن بين كل هذا الحشد من الناس الذين يتنافسون على الحديث، هما الاثنان فقط اللذان يتبادلان الحديث الصامت. إنهما حقًّا يتبادلان المساعدة، ويكمل كل منهما الآخر، وقد تعرفا على الجبال والبحيرات، فتجاوزت خبرتهما الطبيعية وتحصيلهما أي شخص هائج.
إنها فخورة بهدوئها، فخورة بفهمها للجبال، فخورة أيضًا بكونهما الهادئين الوحيدين وبفهمهما للجبال، لكنها ترتجف قلقًا وحيرة. تشعر شعورًا مبهمًا بأن هناك شيئًا سيحدث. فهي خائفة ومتأثرة بطريقة غامضة، وتشعر في الخفاء وكأن كل هذا مرتب منذ عشرات الأعوام، وظهر مع الميلاد، ملازمًا لهذا

المشهد، إنه المصير، إنه أمر طبيعي، ولا يمكنها الهروب منه في العموم، كما أنها لا تخطط للهروب.
لكن لم يحدث أي شيء.
أظلمت السماء رويدًا رويدًا، ونزلوا ببطء وحماسة لتناول العشاء الذي كان يحوي كنوز جبل لو الثلاثة: الحجل الرومي الذي يشبه الضفدع لكنه أسمن وأرق منه، وعيش الغراب الذي يشبه الفطر لكنه أغنى غذائيًّا، والسمك الحجري الذي يشبه السمك الفضي، لكنه أغلى منه. جلست هي وهو على منضدتين، جلست هي غرب المنضدة الشرقية، وجلس هو شرق المنضدة الغربية، ويفصلهما فراغ مساحته منضدتان، فيواجهان بعضهما من بعيد. أدارت رأسها ونظرت خارج النافذة، يواجه النافذة طريق بري لصعود الجبل، ليس به درج حجري، يسلكه المغامرون بأنفسهم وسط الأشجار المبعثرة والأحجار المتناثرة. نزل شخصان يعرجان من الأعلى في الظلام الدامس، معلقين فوق رقبتيهما إبريقًا، وممسكين بأيديهما عكازًا، ويثنيان سرواليهما حتى الركبة، وتوجد بساقهما آثار دماء منزلقة، وكأنهما نزلا متدحرجين، وسارا أمام الساحة، حيث يوجد بالأمام طريق مرصوف بالأسفلت، وتحيطه الأودية، وملفوف كالثعبان. لقد سمعت صوت الساعة القادم من بعيد يدق، ولم تعرف عدد مرات دقاتها. إنها لم ترتد ساعة، فقد نستها على حوض غسيل الوجه أثناء غسل وجهها. لم تحدث مشكلة بنسيانها إياها، فلم تشعر بصعوبة. تكاد تكون ليست بحاجة إلى الوقت هنا، فقدَ الوقت مغزاه، يوجد هنا نهار وليل، شروق وغروب، وهذا يكفي.
أظلمت السماء تدريجيًّا، ثم أضاءت النجوم السابحة الجارية وسط الضباب. لقد ظلت تحدق طويلاً في النجمة الأشد لمعانًا، وهي تتحرك معها، وتتبعها بنظراتها، لذلك وصلت تدريجيًّا لعينيها، وانتقلت من عينيها إلى قلبها، لكن قلبها قد قفز من جسدها، ووصل داخل الضباب البعيد، لينير بصورة خافتة. ورأت نظراته الغامضة من مكان التقائها بالنور؛ فتبادل قلباهما الأماكن، ودخل قلبها بجسده، كما قفز بموقع قلبه، أما قلبه فوصل إلى موقع الإنارة وأشرق؛ فقابل مصباح جسدها؛ فأنارت هي فجأة، واندفعت كتلة ضوء من صدرها إلى خارج جسدها.
لقد ارتجفت فجأة، وأدارت رأسها للخلف، ووُضع على المنضدة طعام جديد، تتصاعد منه الحرارة ببطء. دقت الساعة بصوت مرتفع. إنها تعلم أن هذا الشرود الطويل حدث في الواقع في لحظة فقط، كما تأثرت تأثرًا غامضًا. وبعبور الفراغ بين المنضدتين، واختراق حواجز الأكتاف المصطفة، نجده يشرب السيجار، ويتصاعد الدخان عابرًا الحرارة الدهنية ليصل أمامها، ولم يتلوث، بل ظل طازجًا نقيًّا كالعادة. لقد شعرت في قلبها بإشعاع قلب آخر صامت غير مرئي، وتحركت داخل هذا الإشعاع، وبسببه أصبح كل سلوك يصدر منها له مغزى، ويستوجب جهودًا مفرحة. في هذه اللحظة، وُلد في حياتها أمل جديد.
ستقام حفلة رقص بعد ساعة من انتهاء العشاء في المطعم. لقد تركت طاولة الطعام وعادت إلى الغرفة، وأغلقت على نفسها دورة المياه لفترة طويلة. ووقفت أمام المرآة تتفحص هيئتها طويلاً، فذاتها التي تظهر في المرآة تشبه شخصًا آخر، فأخذت تحدق بها، وكأن هناك ما تريد قوله لكن لم يُقل في نهاية الأمر، بل لمحت له بشكل كامل. فأدارت وجهها قليلاً، وتفحصت كل جزء من نفسها عن غير عمد، فشعرت أنها غريبة عن تلك التي في المرآة، وكأنها لا

تعرف نفسها، وتريد إعادة معرفة نفسها جيدًا ودراستها والاقتراب منها، ولكنها ما زالت غير قادرة على التعرف عليها. لقد أصبحت غريبة وبعيدة جدًّا، لكنها على دراية عجيبة للغاية أيضًا.
وبعد تفحصها الطويل أمام المرآة، دفعت الباب وخرجت. إنها لا تعرف كم من الوقت قد بقيت، لا يوجد أحد بالغرفة، كوقت دخولها تمامًا، فلم تعد الكاتبة الشابة التي تمكث معها بالغرفة، من المحتمل أنها أتت ثم غادرت. لقد استلقت وأغلقت عينيها لتستريح، في الواقع، هذا اليوم متعب كثيرًا، لكنها لم تشعر بالتعب. أغلقت عينيها وشعرت ببؤبؤ العين يتحرك بحيوية أسفل جفنها.
إن الغرفة هادئة لدرجة تدعو للقلق، فلا يوجد أي صوت بها، وكأن الغرفة بأكملها خالية من البشر. لقد استلقت بهدوء، وأذناها منتبهتان، فيوجد خارج النافذة صوت مياه، أيسقط المطر؟ قامت ونظرت خارج النافذة، هناك ظلام دامس بالخارج، فلا ترى أي شيء، يوجد فقط صوت للمياه يغطي على كل شيء. لقد فكرت، ثم وقفت وسارت للشرفة. يضيء نصف القمر الضباب، ويرن صوت المياه جانب البحيرة القاتمة، إنها الينابيع التي تعلو الجبل، وتتدفق بين الجدول، وتغطيها الغابات، فيثير صدى صوتها العظيم وسط الأودية.
إنها تستمع لصوت الينابيع وهي قلقة دائمًا، فتشعر أنها تنتظر شيئًا ما، وقد شرحت لنفسها بأنها تنتظر بدء الحفل الراقص. لذلك، انتظرته بحرارة. فقلقت وكأنها لا تتحمل الانتظار، قلقت بلا داع. لذا لم تسمح لنفسها بالقلق، واستلقت مرة أخرى على الفراش. عيناها لا يزالان يتحركان بحيوية أسفل جفنيها، وكانت غير هادئة على الإطلاق، فزادت ضربات قلبها. في هذا الوقت، يبدو أنها سمعت بصورة خافتة صوتًا جميلا يتردد لرقصة الفالس، فلم تستمر في الاستلقاء. وأخذت سترة وضعتها على كتفها وخرجت. كان الممر هادئًا بصورة غريبة، وكأن الجميع اتفقوا أن يختبئوا منها، فشعرت بالظلم والغضب، وازدادت تحفظًا. خرجت من نهاية الممر ببطء، وسارت إلى مدخل الدرج، ونزلت على مهل. كان باب المطعم مغلقًا، وبداخله إنارة قوية، ويظهر على الباب الزجاجي ظلال ناس تهتز، كما يوجد صوت موسيقى، لكنها ليست الحفلة الراقصة، بل هي رقصة الخطوات الأربعة السريعة.
كأن هذه الموسيقى تستعجلها، دبت البهجة فجأة في دماء جسدها بالكامل، ونفد صبرها بعض الشيء، فلم تتمكن من لملمة خطواتها، ووصلت أمام الباب بخطوتين أو ثلاث خطوات، ودفعت الباب، الذي توجد أمامه مساحة فارغة شاسعة، يرقص بها العديد من الغرباء، كانوا تقريبًا عمال المصحة؛ فذعرت وصار من الصعب دخولها أو خروجها. في هذا الوقت، فُتح الباب خلفها، وتزاحم الناس في الدخول، كانوا يصفرون، فملأت الضوضاء القاعة للحظة، بينما هدأ قلبها أخيرًا، وشعرت بالخجل من نفاد صبرها للتو. ورأته يقف بعيدًا يدخن كالعادة.
الرجال كثيرون والنساء قليلات، ولم تتوقف قدميها. لكنه لم يأت لدعوتها. وعليها الانتظار في طابور مع الرفقاء الرجال المصطفين أمامها، فكل رفيقة لديها رفيق يصطف في الطابور، فإنهما لم يصيرا رفيقي رقص في النهاية، كل منهم رقص مع شخص آخر، وكانا أحيانا يرقصون على جانبي القاعة، فلا يرى أحدهما الآخر، وأحيانًا يمرون جنبًا إلى جنب وتصطدم أكتافهم. وكادت تصطدم به أثناء دورانهما، ثم رفعا رأسهما واعتذرا مبتسمين، ابتسما بتفاهم حقًّا،

وبينهما انسجام تام، وكأن هناك سرًّا يحفظانه معًا. لقد شعرت بهدوء قلبها، وشعرت بسعادة بالغة، والتقطت ما ضاع منها للتو، فاستعادت ثقتها بنفسها. ومنذ تلك اللحظة أنارتها إشراقته الصامتة غير المرئية، ولم تدر رأسها ثانية، فقد اطمأنت. رقصت بجدية، ورفعت رأسها قليلا، ورقصت بأطراف أقدامها بحركات ساحرة. لقد نظرت إلى الحائط المواجه للشمال وبخلفه الجنوب، في أعلاه عُلقت ساعة كبيرة يشير مؤشرها إلى وقت ما، لكنها لم تستطع قراءتها، ولم تفهم مغزاها، فهي تنظر إليها فقط. لقد استدارت أسفل الساعة، ولمحته يدور أسفلها، فالكثير من الراقصين يدورون أسفل الساعة بالتناوب.
ولم يجدا رفيقًا إلا في وقت متأخر جدًّا، إنها رقصة الخطوات السريعة، سريعة لدرجة عدم ملامسة الأرجل للأرض، فليس لديهم وقت للتفكير، يفكرون فقط في خطواتهم، ليتماشيا مع اللحن بسرعة وتوتر، حتى أنه لم يكن لديهما وقت ليعرفا أنه يمكنهم الرقص أكثر بطئًا من هذا، كالكثير من المحيطين بهم يرقصون بهدوء. لكن لأنهما بدءا بخطوات سريعة، فلا يمكنهما سوى الإستمرار بهذه الخطوات. كما أنهما بدوا خائفين من التوقف في هذا الوقت، وكأنهما إذا توقفا سيحدث شيء ما.
انتهت الرقصة بسرعة كبيرة، وتركا أيديهما على الفور، وكانت قبضة يدها معروقة، وليس معلومًا أهو عرقها أم عرقه، أم عرقهما الممتزج. انفصلت أيديهما بسرعة، كان لا بد أن يشكرها، لكنه لم يفعل. وكان عليها الابتسام، لكنها لم تبتسم. لم يكن كل ذلك طبيعيًّا، لكن، انتهت المقطوعة، ولا مفر من إسدال الستار على هذا اليوم مهما كان صاخبًا ومقلقًا ومليئًا بالإشارات المبهمة.
لقد ارتجفت فجأة وأنزلت يدها، وانطفأ اللهب.
اليوم التالي هو يوم الذهاب إلى كهف الجنيات.
حين سطعت الشمس، تلاشى الضباب، وبرز شق الجبل الأخضر وأشجار الصنوبر وسط مشهد مبهم، واهتزت ستائر الضباب، وظهرت الشمس تدريجيا. وسقط الضباب مثل التراب وكأنه استيقظ وتحرك. سقط تدريجيًّا ببطء من الأعلى إلى الأسفل، حتى سقط في النهاية أسفل الأقدام، بمحاذاة الطريق الجبلي الملفوف. ابتلت الأرض، وعلقت على حافة الأعشاب قطرات مياه براقة لامعة. وانعكست أشعة الشمس الدافئة الجافة المنعشة على أجسادهم دون حواجز.
تحركوا بمحاذاة وادي جينشيو متجهين إلى كهف الجنيات. يشبه الوادي المسرح الدائري الاصطناعي، في وسطه ينفذ الضباب أعمالا خداعية، فيتجمع ويتلاشى ويكثر ويقل بصورة متواصلة، كما تظهر الجبال والأحجار والأشجار والأخشاب بالوادي بهيئات متنوعة غريبة نادرة. وانعكست الشمس الحارقة على الجبال فبدت مشرقة بصورة جذابة، وتسبح السحب البيضاء الرقيقة كالأحياء. تحجب السحب الوادي العميق دائمًا، فلا تسمح للناس بالنظر إلى حقيقته. وتزين عمق الوادي غير المرئي بصورة جميلة ونقية، لا أحد يعلم أن الدخول لنصف خطوة يؤدي إلى أرض الموت بلا نقاش. وفجأة أظهرت السحب - عن عمد أو غير عمد - زاوية، وبينت مشهدًا حقيقيًّا لا يمكن توقعه، لكنها لحظة، فلم يتمكن الناس من مشاهدته، وتمت تغطيته مرة أخرى، وامتدت إلى حافته التي تشبه البتلة البيضاء، مكونة تمويهًا يسعد الناس، ولم يتبق سوى بضع شكوك.

سارت هي بالطريق الجبلي الضيق، وصعدت بدوران تدريجيًّا بمحاذاة الوادي الجبلي الذي أصبح تحت قدميها رويدًا رويدًا، لقد شاهدت الضفة المقابلة للوادي. إن الطريق الجبلي الذي ساروا فيه للتو ضيق ومنحدر، يشبه الآثار البيضاء المرسومة على الجبل، وهو ممتد طويل، يشبه طابور النمل الذي ليس له بداية ولا نهاية. وعلى الرغم من أنه فصل الخريف وقد انتهى موسم السياحة، فإن السياح في جبل "لو" ما زالوا كثيرين. يزداد الوادي عمقًا، ولم تجرؤ مغادرة خطواتها، خشية من هوسها، وخطت على السحب البيضاء الساحرة التي تثير رغبة الناس في لمسها. لقد شعرت بالارتجاف الطفيف، ومدت يدها دون شعور لتلمس الجرف الذي بجانبها؛ فجرح الجرف يدها بقسوة، وتسبب هذا الجرح في شعورها بالأمان والطمأنينة، فهدأت قليلا. لقد أوقفت خطاها واستندت أسفل الجرف، ودَعَتْ المتعجلين من ورائها للمرور قبلها، ورفعت القبعة البيضاء الواسعة، وطوتها لتصبح أسطوانة دائرية صغيرة وضعتها في حقيبتها. في هذا الوقت، رأت جانبي الوادي الجبلي ثانية. يزحف على الطريق الجبلي الذي ساروا فيه للتو كفريق بأحجام النمل بصورة متواصلة، ويجاور الجرف الجبلي العالي، ويواجه الوادي العميق، ويتحرك هذا الفريق كعمال النمل. لقد وقفت لتتنفس، وانعكست الشمس على وجهها، فسال العرق.

وفجأة، سحبت يد حزام حقيبتها المعلقة على كتفها، فذعرت لكنها رأته، وتأثر قلبها قليلا، فإنها لم تشعر بغرابة، وكأنها تنتظره منذ هذا الصباح. لا، بدأت تنتظره منذ البارحة، أو أبكر من هذا، من قبل هبوط تلك الطائرة رقم 1157. لقد جاء وسط انتظارها وتوقعاتها، لذا لم تتفاجأ. لقد نزع حقيبتها، وحملها على كتفه، فلم يكن يحمل حقيبة، حيث يضع السجائر في جيبه، وهذا يكفي. وبعد حمله لحقيبتها، أصبحت مضطرة إلى السير معه، ولا مفر من التحرك معًا، لأن هناك داخل الحقيبة أشياء يمكن استخدامها دائمًا في أي وقت، كالمروحة، والمنشفة، وكيس النقود، وغيرها. لذلك، سارا معًا. إنه يفهم كثيرًا شعورها تجاه الوادي الجبلي، فتركها تسير بجانب الجرف، وسار هو إلى جانب الطريق، بحيث تفصل هي بينه وبين الوادي الجبلي. سبحت جانب ساقه سحابة كزهرة اللوتس، فلمست قدمه بتلتها، وسار بطريقة طبيعية، ورأت هي نقاط المياه الرقيقة البراقة فوق حذائه.

أشرقت الشمس عالية بالوادي الجبلي، واتضحت السحب البيضاء، وكأنه عالم خيالي، سراب، يظهر طبقاتٍ طبقات. ومدت الأشجار أذرعتها، ورفعت الصخور رؤوسها، بحرية دون قيود، ودون إزعاج البشر، فهم في منزلهم. راقبت نظراتها الأحجار العجيبة والأشجار الغريبة في ظل حماية منكبه العريض، وتساقطت رويدًا رويدًا لتصل إلى مكان عميق جدًّا، به نبات الزالية الذي يشبه كتلة الدماء، فهو أحمر بصورة لا يمكن تخيلها، إنه متفتح وجميل للغاية، واحترقت نظراتها بفعله، فلم يعد يمكنها المغادرة، إذ تعرض قلبها للاختراق، فسيطر النبات عليها، سيطر عليها بطريقة حارقة، فلم تتركه إلا بصعوبة، ثم سحبت عصا الخيزران إلى جانب الجرف، وتسلقت بصعوبة على مهل، إلى أن تسلقت الوادي الجبلي في النهاية. ومالت أشعة الشمس قليلا، وحجبت السحب ثانية.

لقد وقف وأراد التدخين فجأة. ووقفت هي أيضًا تنتظره. أخرج السيجار من جيب قميصه النصف كم المعرق. سيجارة عادية جدًّا، كما أخرج ولاعة من جيب

سرواله القصير، لكنها غير عادية، فهي ضيقة ومسطحة، لونها أسود مطعم باللون الذهبي. بدأ في إشعال السيجارة، فإن الرياح القادمة من الوادي الجبلية أطفأت اللهب. وحاول بجهد تغطية الولاعة، ولكن اللهب يهتز، كافح للحظة، وما زالت تنطفئ. فحين يحجب الجهة الشرقية بيده، تأتي الرياح من الغرب، وحين يحجب الجهة الغربية، تأتي الرياح من الشرق، وحين يحني خصره، تأتي الرياح من الأسفل، وحين يستقيم، تأتي الرياح من الأعلى، فتهب الرياح من جميع الجهات وتحيطه، وتطوقه، إنها رياح وادي جين شيو. فقرر ألا يشعل هذا العقب، قرر ألا يشعلها بنفسه. لم تقدر على الاستمرار في المشاهدة أخيرًا، وسارت خطوة واقتربت منه، ووقفت أمامه، ثم مدت يديها لتحيط بلهبه المهتز، إستمر اللهب في الاهتزاز داخل قبضة يدها، ولم ينطفئ أخيرًا، فسحب هو أنفاسًا متسارعة وبقوة، وأخذ السيجار يضيء وينطفئ، إلى أن اشتعل في النهاية. وفي لحظة الاشتعال، رفع عينيه، ونظر إلى عينيها. لقد اقتربا من بعضهما، اقتربت المسافة بينهما. فكادت غرة شعره المبعثر تلتصق بغرة شعرها، ونظرت عيناهما لبعضهما عن قرب، وشابهت نظراتهما الأسلاك المقطعة الشاردة، وتلامسا في الهواء، وتقابلا، واتصلا، وتواصلا، ثم نسجت البداية شبكة ببطء. أنزلت يديها فجأة، وانطفأ اللهب.

غير معلوم متى وكيف بدءا، واستمرا في السير ثانية، يلفون وادي جين شيو. لقد تحركا دون شعور. يشبه وادي جين شيو الدائرة، لا يمكن الخروج منها مهما مشيا تقريبًا، إن هذا الطريق طويل جدًّا! وقد جففت الشمس الندى، وأصبح الطريق جافًّا جدًّا، وأملسَ أيضًا، وتراجعت سحب الوادي البيضاء كانسياب المياه. خطت أقدامهما داخل الأعشاب الخضراء الجافة، ودقت الأرض. لفت وجهها قليلاً، ونظرت إلى الجرف المنحدر، أما هو فنظر إلى الوادي الجبلي جانبه، لقد أبعدا عيونهما، ومدّا خطوط العنكبوت المتصلة، لكن لم تنقطع. إنها تعلم أن الأمر المعد طويلا، سيحدث أخيرًا هنا، وتكاد تتولد إجابة للحدس القلق الذي استمر أيامًا عدة، ووجدت المصدر والوجهة. وعلى النقيض هدأ قلبها. لقد هدأت أخيرًا، وأدارت رأسها من الجرف الجبلي، ونظرت إلى الأمام، وجدت هرجًا ومرجًا فجأة في الأمام، والتف الطريق الجبلي، ووصلا إلى كهف الجنيات. صعدا الدرج المكتظ بالناس، والأصوات العالية، فشعرا ببعض من التوهان، فلا يتذكران ما هذا المكان. لقد توغلا جانب الحجر الأمامي للجدار، وجلسا، في هذا الوقت شاهدا أتباعهم تقريبا يحيطون بعدة أحجار، يشربون المياه الغازية الدهنية المصنوعة من ذلك النوع من العطر والسكرين، وحين رأوهم ألقوا عليهم التحية بحرارة تباعًا، وطالبوهم بالوقوف تحت شجرة الصفصاف خارج الجدار ليلتقطوا الصور على التوالي. وفجأة أدركوا أنهم عادوا لعالم البشر، على الرغم من الفوضى والضوضاء، وعدم إتاحة الفرصة لمعالجة الأمور، فإن قلبهما هدأ كثيرًا، ووجد الكثير من الأشياء الممكن التشبث بها. إنهما موافقان تمامًا على اتباع الناس، ثم التحدث معهم، وتناول اللب اللذيذ، لكنه شرب سجائر. ما زال من الصعب إشعال السيجارة، فإنها لم تساعده ثانية. لقد كانت تلك اللحظة التي استخدمت يداها لعقد الشعلة غالية ثمينة، وكأنها إذا تكررت ستدنسها. فكانت تلك الحركة ذات معنى مؤكد لكلاهما، ولا يمكن إساءتها، وأي إساءة ستفسدها، وتجعلها عادية، وستفقد مغزاها وقيمتها.

لا أحد يفهم ويدرك هذا سواهما، فهذه حركة تخصهما فقط، إنه سر. يجلسان وسط الجميع، لكنهما يملكان شيئًا سريًّا يجعلهما سعداء، وكأنهما أغنى شخصين في العالم. لذا ازدادت سماحةً وكرمًا عن السابق، وفهمت النية الجيدة للناس أكثر، فلم يتعامل أحد جيدًا أكثر منها في هذا التجمع، ولم يكن هناك من هو أسعد منها أيضًا. وتحدثا كل منهما مع رفيقه باستمتاع بالغ، ويستمع إلى حديث الطرف الآخر بانتباه شديد، فلم يتبادلا النظرات ثانية، لكن كل جملة وكل ملمح لهما موجه للآخر. وكأنهما يخططان ويحفظان مكيدة مشتركة، وبسبب عدم تمكن أي أحد سواهما من المشاركة، شعرا بفخر عظيم.
إن الشمس حارقة جدًّا، لكنها لم تطلب منه إعادة حقيبتها لتأخذ قبعة حجب الشمس من داخلها. فلا ترغب في كثرة الحديث والتعامل معه، وكأنها خائفة من كسر الانسجام الهش بينهما، ولا تجرؤ على إساءة استخدام هذا التناغم، من شدة حرصها على بقائه. وعلى ما يبدو أنه كذلك أيضًا، فلم يسر معها في الطريق التالي ثانية، لكن حقيبتها ما زالت معلقة على كتفه، وكأنها تحميه، ويحميها. لقد افترقا بعيدًا، ودخل كل منهما بين جموع البشر، وأصبح وادي جين شيو الكثير التغيرات حلمًا بعيدًا، هذا الحلم موجود بقلبهما في كل لحظة، يراجعهما أحيانًا ويراجعانه أيضًا. وتجاوز الأمر كونه استعراضًا للقصة ذاتها مع شخص آخر، إنها سعادة غامرة. يسيران الطريق الجبلي الضيق حاملين سعادة كبيرة، يسيران وسط مجموعات، ويثرثران معهم. وكأن هذه الجموع وُجدت لتشاركهم قصتهم في هذه اللحظة.
بعد الظهر في النصف الثاني من اليوم، تعقد مناقشات في قاعة المؤتمرات بالمصحة، ودائمًا ما يناقشون الأدب، ولا يهم تحديد الموضوع. لقد جاء المراسلون والصحفيون مبكرًا وملأوا القاعة ثلاث ساعات تقريبًا، ثم جاء الكتاب بالتوالي، وبدأوا المناقشة. بدا الهدوء في القاعة كالعادة، وظل حوالي نصف ساعة، بعدها الاعتذار المتواضع كالعادة، ظل نصف ساعة أيضًا، ثم بدأوا في التحدث تدريجيًّا. كان الجميع متحفظًا في البداية، لكنهم اندمجوا تدريجيًّا، وبدأوا بالتحمس، وإبداء وجهات نظر جديدة، والتحدث بلهجة قاسية، فقبل انتهاء الحديث، يظهر المعارضون بكثرة، ويتحدثون بحماسة مضاعفة. لكن، بالاستماع الدقيق لعدة جمل، نكتشف أنه لا يعارض حديث من سبقه، لكنه يعرض رأيه المعارض، فقد استغل الفرصة من حديث سابقه، وبدأ نشر نظريته. فتتداخل الكثير من النظريات غير المتوافقة وغير المتعارضة، فلا يوجد مركز للحوار، أو موضوع أساسي، فأنت تتحدث عن هذا، وأنا أتحدث عن ذاك. أما المراسلون والصحفيون فانكبوا يكتبون بسرعة خوفًا من الفقد، فكل رمز له صوت، وسيكون من المؤسف جدًّا فقد ولو القليل. ولا تستثني هي من ذلك، فتأثرت بشدة من هذه الأفكار المشعة، لأنها ذكية ذكاءً حادًّا، وماهرة في الاستيعاب، وغنية بالعواطف، فلا ترغب في الوحدة، ولا أن تكون عادية.
في هذه اللحظة، شكلت حياتها الهادئة السابقة وعملها تناقضًا حادًّا جدًّا. هناك مسودات لعدد من كتاب يجلسون هنا مرت عليها، وصححت أخطاء الرموز بها سطرًا سطرًا، ورتبت نسخها، وتفحصت الصور، ثم أرسلتها إلى المصنع، ليعيدها المصنع ثانية محولة إلى رموز مطبوعة، فتتصيد منها الناقص والرموز الخاطئة مرة أخرى. صنعت الأفكار مقالا، وانقسم المقال إلى جمل أدبية، ثم

تحولت الجمل الأدبية إلى رموز، هذا هو التحليل النهائي والعودة إلى الأصل، وفقد كل رمز منفرد مغزاه، إن عملها الطويل ممل جدًّا جدًّا، فتعمل بملل لسنوات عديدة دون أن تشعر. لقد شعرت أن هناك شيئًا ما داخل جسدها وعقلها أفيق، مثل تيار من المياه يتدفق طويلا، فبدا وكأنها تحولت لشخص آخر حقًّا.
لقد كان من الصواب مجيئها، فإذا لم تأت، لكان حظها سيئًا. في هذا الوقت، رأته يجلس بنهاية منضدة طويلة يعلوها مفرش أبيض، وبدأ يتحدث. لقد قال جملة واحدة ثم خفض رأسه ليشعل سيجارة، كان يدخن بحافة شفتيه، ووجهه عبوس قليلاً، وعيناه مغلقتان وكأنه حرق بفعل السيجار، أخذ اللهب يهتز قليلا، ثم انطفأ. وكأن هناك شيئًا لامعًا انطفأ بقلبها أيضًا، فشعرت فجأة بالاكتئاب. وتلاشت المشاهد السحرية بوادي جين شيو الساحر، ولم يعد هناك أثر لأي شخص بالغرفة الصاخبة وسط هذا الدخان المنتشر. وانقطع من أمامه فجأة الاتصال الذي شابه الحلم بوادي جين شيو، تقطع إلى أجزاء رقيقة شفافة، تتطاير بالمحيط، حتى تلاشت. لقد فرغ قلبها، ولم تسمع حديثه، ورسمت بقلمها نجومًا خماسية في الكشكول، واحدة تلو الأخرى حتى كونت سلسلة، سلسلة تلت الأخرى. إنها فقط تعلم أنها ليست منفعلة كأي شخص، فهي دائمًا متحفظة تحفظًا غريبًا، ولا تصدر صوتًا، فكلامها قليل لكن مضمونه غني. كما أنها تعلم أيضًا أن الجميع يستمع إليه بهدوء أكثر وتركيز، مما يوضح أن رؤيته أقيم. وتعرف أنه يملك قيمة مختلفة عن العادي، فهي تعلم جيدًا قيمته. خافت قليلا في هذا الوقت، خافت أن يكون ما حدث بوادي جين شيو في الصباح ما هو إلا وهم وخيال، فقلق قلبها بعض الشيء، وأرادت الإمساك به، وملامسته بيدها، والشعور به، بغض النظر عن تطايره وعدم ثباته، وارتباكه، وعدم إمكانية ملامسته.
في هذا الوقت ارتجفت فجأة، ودق صوت كبير منتصف رأسها من الأعلى، دق جرس تبعه صدى صوت من مكان بعيد خارج الباب، فتحيرت من أمرها، لكنها رأت الأشخاص داخل الغرفة تتحرك، وكان هو أيضًا يبدي إشارة الانتهاء. حينها تذكرت ونظرت أعلى رأسها، فهناك أعلى الحائط المستندة عليه ساعة كبيرة، أما الصوت القادم من بعيد فهو جرس بدء الطعام. رفعت رأسها لترى الساعة الكبيرة، فذعرت وقامت ببطء، وتبعت جموع البشر وخرجت من قاعة المؤتمرات. ما زال صوت الساعة يدق: "دانغ، دانغ، دانغ". يطفو هو داخل جموع الناس، كالجزيرة الوحيدة على المحيط، وكأن ليس له طموح، فيتقدم تدريجيًّا بفعل دفع الحشد له.
ما زال هناك حفل راقص بعد العشاء، حيث يكون المساء مقفرًا في أماكن البرية هذه. لقد اختفت الجبال مبكرًا خلف حواجز الضباب، وكأن هناك منزلهم. وعلى الرغم من وجود مدينة قولينغ في مكان ليس بعيد، فإنهم جاءوا من المدينة الكبيرة إلى هنا من أجل الجبال والبحيرات. لم تجذب مدينة قولينغ انتباههم، فما بالك بالسياح المتجولين من كل مكان دون مسكن ولا مأوى، فالأفضل الرقص هنا في هذا المكان الهادئ الحيوي. لم ترغب في الذهاب بشدة، ولكن عز عليها، وترددت وقتًا طويلا، وذهبت في النهاية. لقد وصلت في وقتها، فكان الحفل الراقص قد بدأ ومر خمس أو ست مقطوعات، ولاحظ الناس غيابها، فإنها وصلت. يتحرك الناس بقاعة الرقص بخفة ورشاقة، وسارت

هي بهدوء لجانب الحائط، وجلست جانب طاولة مربعة. توقفت الموسيقى للحظة، ودخل صوت المياه المتدفقة من الخارج، ناقلا أخبار الجبل. في هذا الوقت، سار هو تجاهها، نعم، دون أدنى شك، سار تجاهها. لكن، هناك شخص سبقه وسار ناحيتها، فقد تأخر نصف خطوة، اكتشف أنه تأخر نصف خطوة، فتردد، وأراد العودة. لا توجد طريقة، فلم يكن أمامها سوى الوقوف، والترحيب به، إذا ترددت لنصف ثانية أخرى، لكان تراجع. فسارت نصف خطوة للأمام وأوقفته. وبعد دخولهم ساحة الرقص، والسير عشرات الخطوات، أدركت أنها ترقص معه، والمسافة بينهما قريبة حميمة. في الأساس لا يوجد مغزى للمسافة والشكل بين رفقاء الرقص، لكن في هذه اللحظة ظهر الكثير من المعاني فجأة، مما أثر فيها. لقد احمر وجهها قليلا، ولم تتذكر كيف سارت معه لهذه الخطوة. فقد تحركت قدمها تلقائيًّا مع المقطوعة الراقصة، واتخذا منذ البداية إيقاعًا مناسبًا. لكنهم في النهاية ليسا مخضرمين في الرقص، ولم يكونا ماهرين لدرجة تمكنهما من الرقص تارة والحديث تارة أخرى. فغير قادرين على الاسترخاء، ولا يمكنهم تبادل الحديث، فإن قلبهما أيضا سعيد للغاية وليس بحاجة للكلام.
شعرت يداها بيديه وهي بينهما، وشعر تنفسها بتنفسه، وأحيانا تصطدم ساقها بساقه، لذا شعرت بساقه وسط هذا الصدام. فسعد قلبها وهدأ، واقتربت من جسده الحقيقي الملموس. تنظر عينها خلف كتفه، فلم تتواصل أعينهما مجددًا. فكان التواصل الذي تم بوادي جين شيو هو آخر تواصل بينهما، وأقدس تواصل أيضًا، فلم يرغب كلاهما في تلويث هذا التواصل المقدس بنظرات عادية. فتقابلا وسط الاختباء، وتبادلا النظرات وسط التجاهل. لقد شعرت فجأة بخفقان قلبه، فيدها اليسرى موضوعة على كتفه الأيمن، ومن خلال قبضة يدها شعرت بهذا الخفقان. إنها تعلم استحالة عدم مبالاته، مستحيل مطلقًا.
أوشكت المقطوعة على الانتهاء، وبدا شعور التوقف بالعبارات، وكأنهما يحلمان. سمعته وهو يتحدث، تحدث بأذنها، وكأنه في مكان بعيد جدًّا، لقد كان واضحًا، وفوضويًّا أيضا، وطبيعيًّا جدا، لكنه مزعج أيضًا كثيرًا. لقد قال إن الغرفة كئيبة جدًّا، والأفضل السير خارجًا والتحدث. إن ما قاله طبيعي جدًّا، وغير طبيعي جدًّا أيضًا، لقد قال:
"الغرفة كئيبة جدًّا، والأفضل السير خارجًا والتحدث".
بتذكر هذه الجملة بعد أيام قليلة نسبيًّا، تعد ذات مغزى ودلائل قوية.
الغرفة كئيبة جدًّا.
والأفضل السير خارجًا.
ثم التحدث.
ليس بحاجة إلى التردد مرة أخرى تقريبًا، فالرفض سيكون غير معقول وغير طبيعي. لقد أخذت معطفها من على ظهر المقعد، وأخذ هو سجائره وولاعته من على المنضدة وخرجا. لم ينتبه أحد إليهم، فدائما ما يوجد الكثير من الناس يدخلون، مما لا يثير انتباه أي أحد للدخول والخروج. لقد خرجا، وارتد الباب خلفهما وأغلق، وعُزل فجأة بين صوت الموسيقى والصوت البشري. إن الممر هادئ جدًّا، فتصدر أقدامهما أصواتًا رقيقة فوق الأرض المصنوعة من الحجر المائي. لقد تبادلا الشعور بالحرج قليلاً، ولم يجرؤ كلاهما على الصمت، حتى خطواتهما لم يجرؤا على تهدئتها. فسارا بعجلة، وتحدثا بسرعة، محاولين

تخفيف جو الحرج بالمحادثات المعتادة. إنهما يشعران بالحرج لدرجة جعلتهما يندمان، ويتوتران هكذا، خوفًا من تخريب بعض الأشياء. لكنهما لم يجرؤا على الصمت أيضًا.
لقد خافا، وبدآ بالتحدث في أحاديث مملة، تحدثا في تلوث الهواء داخل الغرفة، وانتعاشه خارجها، وقالا إن الليل بارد جدًّا، لكنه جيد، وتحدثا عن حلاوة ينابيع الجبل، الذي يُشرب منه الكثير، لكن هناك خوف من إضراره للجسد. لم يكن هناك مفر من الإعادة، كما يناقضان نفسيهما، ولكن ليس هناك فرصة ليفكرا، فأخذا يتحدثان بسرعة، خوفًا من الصمت. إنهما خائفان جدًّا من الصمت. إن الحجرة هادئة جدًّا، لكنها مضيئة جدًّا، فقد تركا الموسيقى خلفهما في مكان بعيد جدًّا جدًّا، ولا بد أن يفعلا شيئا ما ليحجب داخل الغرفة الفارغة المضيئة المكشوفة. لقد اخترق صخبهما هدوء الغرفة الفارغة، وكأن هذا الهدوء شيء مادي غريب، لقد شعرا بهذا الضغط المادي، كما يعد هذا الهدوء نوعًا من الموجات الصوتية المنخفضة، كقناع المياه فوق المياه الشفافة، فأزعج حديثهما تيار المياه الهادئ، وسمعا صوته يتحرك. لقد خطوا على درج المصحة بصخب، ورأيا الجبل فجأة، رأيا ظل الجبل المختبئ خلف حاجز الضباب؛ فيحيا الجبل بعدم وجود إزعاجات البشر، وكأنه يتحدث. لقد هدآ، ولم يثرثرا ثانية. في هذا الوقت، لم يعودا يشعران بوجود شيء غير ملائم أو صعب، فقد أحاطهما الظلام، ووجدا ما يمكن إخفاء جسدهما، ولم يعودا مكشوفين، فلم يكن هناك داع للخجل. كما أن الجبل يكشف حقيقة الأشخاص، ويتعرف على الناظرين إليه، ولم يعد هناك داع لتزييف أي شيء. فتخلصا من التزييف تدريجيًّا، وشعرا بالراحة، والحرية، وعدم التقييد. لقد وقفا أمام الدرج ولم يخرجا، ولم يدخلا وسط الضباب والظلام، وكأنه لم يحن وقت الدخول بعد، وقفا على الدرج بوعي ودون أي اتفاق مسبق. يبدو أن هناك عالمًا آخر لا يعرفه البشر داخل الضباب، ولم يملك أحد الشجاعة الكافية، والجرأة أيضًا ليحرك هذا المفهوم.
أضاءت النجوم أعلى وأبعد منطقة بالجبل، وتدفقت الينابيع غير المرئية، تتحدث مع أوراق الشجر والرمال داخل الرياح.
سطعت شمس اليوم كالأمس. لكن هما لا يشبهان الأمس. لذا، تغيرت الشمس أيضًا، وسطعت من مكان ليس بالشرق أو الغرب. منذ ذلك الحين، هدأت هي مهما كان البعد بينهما، ومهما كانت مسافة الدرج التي تفصل بينهما بالطريق الجبلي الطويل. ولم تتركها نظراته، وحين تشعر بإطلالة نظراته، تجتهد بسعادة وطيب خاطر، تجتهد لتفعل الأفضل. لقد ظهر بالحياة مغزى جديد، وكأنها ولدت ثانية، فتشعر أن العالم حديث، ومليء بالفضول والحيوية. لقد سارت على الدرج اللانهائي المكون من تسعمائة وست وخمسين درجة، سارت كل درجة من أجله، ولأجله لم يعد هذا الدرج يتعبها ويشعرها بالملل، حتى وإن تعبت تكون سعيدة أيضًا. لقد تضاعف توترها ثانية بسبب وجود نظرات تراقبها، والشيء الوحيد الذي تخاف منه هو حدوث مكروه أو تبدو بصورة قبيحة، لم تحم صورتها في قلبه بحرص وإدراك هكذا من قبل. فهذه الصورة جميلة جدًّا، جميلة لدرجة جعلتها غريبة. لقد حرصت على روحها الجديدة من أجل نفسها وأجله، فإذا حدثت أي خسارة، ستجرحها وتجرحه هو أيضًا، وتجرح نظراته، وكذلك مشاعره.

آه، لقد تذكرت كلمة "المشاعر". إن هذا شيء مر عليه فترة طويلة جدًّا، وأصبح ملمحًا غريبًا منذ زمن، فشعرت فجأة باضطراب عواطفها بذكر هذا. تواجه تسعمائة وست وخمسين درجة لأسفل، لقد سُمع صوت شلالات قريبة، وهي ترتد على الجبل المنحدر. وسارت هي للأسفل على نفس الوتيرة، وقد تحول الدرج المرتب إلى طريق مستو بسبب النظر إليه فترات طويلة، وشابهت عوارض السكة الحديدية المصطفة بلا نهاية. لقد شردت قليلا، فوقفت ورفعت رأسها ناظرة إلى السماء الزرقاء، فبدا دوران الجبل أمام تلك الزرقة كفوهة البئر. لقد نزلا إلى الوادي، وتعمقا فيه تدريجيًّا. نظرت إلى الجبل الأخضر أسفل السماء الزرقاء، وعادت نظراتها فجأة لأسفل قدمها، فارتجفت دون قصد، وكادت تسقط من على الدرج. واستقام الدرج الحجري المستوي بصورة عمودية في لحظة شرودها، استقام عموديًّا أمام أطراف قدمها، وامتلأت أذنها بصوت المياه، وكأن الجبل يغرد. يلتف أعلى الدرج الحجري حشد من الناس، يتحركون كالنمل، فرأت ظله الذي أشرق عليها. وبوجود ملاحظة هذا الظل فقط، نزلت بخطوات هادئة متزنة. واضح جدًّا أنهم تسعمائة وست وخمسون درجة، فإنها تبدو دون حدود، تظهر بلا حدود، لكن يمكن عدها تسعمائة وست وخمسين درجة. لم يكن لديها طموح تجاه الينابيع، فلم تعتقد بإمكانية وصولها إليهم، لكن عليها الاستمرار في السير هكذا، لا بد من أن تستمر في السير، وكأن هذا تسيير القدر، فهو نصيب تقريبًا. يمكنها رؤية ظله فقط، فقد اختفى كل شيء أسفل ذلك الدرج، لا يوجد سوى ظله، يرشدها مرفرفًا للأمام.
لقد ارتجفت فجأة من كونها تستطيع مواساته، والتأثير فيه.
وأثناء سيرها بإحباط، سمعت تهليل الناس، وفرحهم بالينابيع، وابتهاجهم بتسعمائة وست وخمسين درجة. حينها عرفت أن الينابيع ليست بعيدة، كما يمكن إحصاء تسعمائة وست وخمسين درجة. ورأت من خلال الأشجار الكثيفة رؤوس ناس تتحرك، وينابيع تتدفق، ثم رأت مساحة كبيرة بيضاء، إنه الوادي، وادي داخل الوادي، الوادي ليس له عمق منخفض. ورأت أخيرًا منحدرات حادة، وشلالات تتدفق بهدوء أعلى أجراف السماء الشامخة. وعلى النقيض، كانت تلك الشلالات العالية هادئة كثيرًا وسط صوت المياه الصاخب. فإنها فجرت صوت هذا الوادي كله، فجرت بهدوء وسلام الصوت الصاخب الذي يملأ بالوادي. كاد صوت المياه يهز الأذن، وسط صياح الناس الهائجة، فإنها لم تر سوى فتح وإغلاق أفواههم دون صوت، فقد ابتلع صوت المياه جميع الأصوات التافهة، فقد تحولت جميع الأصوات إلى تفاهات وسط صوت المياه. تدفقت الشلالات من أعلى السماء الزرقاء، ومرت بالمنحدرات الكثيرة بلطف كالمرأة العذراء. يغرد الوادي كله، وكأنه يصيح على شيء ما دون الشعور باليأس مطلقًا، وكذلك دون أمل أبدي.
نزلت الدرجة الأخيرة ، الدرجة التسعمائة وست وخمسين، واهتز ذلك الحجر الجيري المنحدر أسفلها، فظنت أنها ستنزلق، ستنزلق لحافة الجرف، ثم تنزلق أسفلها، لتجتاز هذا البياض، وتستمر في الانزلاق إلى ما لانهاية. لكن قدمها متشبثة بثبات على الحجر الجيري، فيوقف الحجر الخشن باطن قدمها، ويدفعها للسير خطوة خطوة، ومغادرة حافة الجرف. حنت خصرها لتلمس حجرًا، وجلست عليه، هكذا لن تتمكن من رؤية الوادي العميق، لكنها ما زالت ترى

السحب البيضاء فوق الوادي العميق، سحب واقفة لا تتحرك، فهي واقفة في الهواء دون سند مهما حدث، وكأنه سحر، لا بد وأنها ثابتة على شيء ما، ونحن لا نراه، إنه يشبه السحر حقًّا. لقد لهثت وأخذت تفكر. في هذه اللحظة رأت مجموعتهم يلعبون جانب المياه أسفل الجبل، ممسكين بمنشفة انزلقت بالماء، وبمجرد انزلاقها حيت، وكأنها سمكة، انسابت سريعا، واجتازت عشرات الأحجار، وعشرات الخلجان، وعشرات الأيادي التي تمسكها. لقد غطى صوت المياه على أصوات مناداتهم وتهليلهم، فلم تر سوى حركة أيديهم وأقدامهم. لقد بدوا صغارًا جدًّا جدًّا أسفل الجبل، وكأنهم أطفال، وحين رأتهم صغارًا هكذا، شعرت بأنهم يتحركون في مكان بعيد جدًّا. لم يشترك هو في هذه المطاردة، وجلس فقط على حجر جانب المياه يشرب السيجار، فبلت المياه المتدفقة حذاءه وملابسه، حتى شعره ابتل، كان موجهًا ظهره لها، لذا أدارت هي أيضًا رأسها، ووجهت ظهرها لظهره.
لقد وجها ظهريهما لبعضهما، وأخذا يتبادلان الأحاديث.
قال: "أنت هادئة".
قالت: "وأنت أيضًا".
قال: "إنك تناسبين هذا الجبل كثيرا".
قالت: "هذا الجبل يناسبك كثيرًا" .
قال: "يبدو كأنك جئت بناءً على ترتيب الجبل" .
قالت: "تبدو وكأنك من رتب لوجود هذا الجبل" .
قال: "لكن الجبل صاخب جدًّا".
قالت: "قلبي أيضًا صاخب".
قال: "وأنا أيضا".
قالت: "لقد صخب ثم هدأ".
قال: "شكرا".
تدفقت مياه الينابيع، واصطدمت بالحجر الجيري؛ فصدر صدى صوت رنان. وتدفقت المياه البيضاء في صمت على المنحدر المرتفع جدا، وأحاطت السماء الزرقاء بالوادي؛ فرأت قمرًا منيرًا وسط تلك السماء الزرقاء، ينير الوادي العميق بلمعان. إنه قمر الأمس الفائت، وكذلك قمر الليلة الذي لم يأت، لقد سار بالطريق وتحرك بالفعل.
لقد انكمشت أجسادهم جميعا في ظل إحاطة الجبل لهم؛ فقمع الجبل الضخم أجسادهم، وقمعت أجسادهم أرواحهم؛ فتضخمت أرواحهم فجأة وخرجت من غلاف أجسادهم، وتبعت الجرف الجبلي الصلب دون سند. لقد شعرت بارتقاء قلبها داخل جسدها، ارتقى، واستطاعت الشعور بخروجه من رأسها، حتى أنه يمكنها مسكه بيدها، لكنها لم تتحرك، فهي مخدرة، وليس لديها أي مزاج؛ فذهب قلبها للتجول بحرية، وتركها.
يشع ضوء الشمس والقمر بالوادي الفارغ بالتناوب، وكأن هناك عشرات الآلاف من السنين قد مرت هنا، إنها لا تعلم بما مرت به، فقطتشعرأنها تحولت في ظل تناوب الشمس والقمر، فتراجعت شخصيتها، واقتربت شخصية أخرى. فهي ذاتها، وليس ذاتها أيضًا، يا إلهي، إن هذا غريب حقًّا! لقد تحيرت، فلا مجال لتقييم شخصيتها القديمة والحديثة، لا تعلم أيهما أكثر مصداقية، لكنها تحب تلك الحديثة، الشخصية التي رآها هو. فشخصيتها القديمة قديمة جدًّا، فتشعرها

بالملل، وعدم الرغبة في الحفاظ عليها. لقد اعتمدت على شخصيتها الغريبة الحديثة، وجربت الكثير من المشاعر الغريبة الحديثة، أو يمكن القول إنها من خلال مشاعرها الغريبة الحديثة، اكتشفت شخصيتها المصنوعة حديثًا. لقد اكتشفت من خلال شخصيتها الجديدة قدرة خيالية وإبداعية لا حدود لها، فيمكنها تفحص أعمق نقطة بقلبه، وقدرتها على مواساته، والتأثير فيه. فقد استخدمت شخصيتها الجديدة لتوجيهها، وكأنها ولدت من جديد، إنها سعيدة للغاية، آه، إنها محظوظة جدًّا، فمن حسن الحظ أنها أتت، ومن حسن الحظ أنه أتى أيضًا، من حسن الحظ أنهما جاءا. إنها ممتنة كثيرًا له، وتحبه بشدة.
لقد تذكرت كلمة "حب"، فلم تتمالك نفسها وارتجفت كطالبة بالمرحلة الإعدادية، وقد عبر ارتجافهما الفراغ بينه وبينها، وتقابل أعلى صخرة بالمكان الفارغ. في هذا الوقت، شعرت فقط بأن قلبها عاد لجسدها، عاد بالكامل إليها، عاد قلبها كاملا. فقد تحول بالمحيط وجمع الفرحة بأكملها فعاد مليئًا بالسعادة.
لكنها شعرت بمرارة أيضًا، مرارة ظهرت تدريجيًّا وسط السعادة. فتحمل سرًّا نوعًا من الحدس المحزن، فسيسقط هذا الحب بمجرد وصول الحدس إليه. لقد ازدهر هذا الحب الذي سيسقط، ونما نموًّا لا مثيل له، وأخذ يتفرع وينبت في كل وقت، وتكبر أوراقه، فبعدما كان برعمًا بالأمس، تحول اليوم إلى شجرة شاهقة. وظهرت حياتها الجديدة تابعة لهذه الشجرة، فظهرت مستوية. لقد أقلعت عن جسدها بالكامل بسبب حبه، وتؤمن بأنه أقلع عن جسده أيضًا بسبب حبها. لا يمكنها التراجع مرة أخرى. هناك من يناديها هناك لتلتقط صورة تذكارية، فقد التقط الجميع صورًا بالتناوب، ولا يتبقى سواها. فذهبت ببطء وهي غير راضية، إن الصخرة أسفل قدمها منحدرة، منحدرة تجاه الجرف، فصعدت للأعلى خطوة بخطوة، وقلبها متعجل، وكأن الوادي أسفل الجرف أجبرها على ذلك، لقد سارت ووصلت جانب التيار، وأمسكت حجرًا بارزًا، واتكأت أعلاه، ففصل الحجر بينها وبين الجرف، حينها شعرت بطمأنينة قليلة. لكنها شعرت بمحنة بعد اطمئنانها. يُعد المصور الفوتوغرافي محررًا فنيًّا بدار النشر، ولديه إرادة وثقة في تحويل كل صورة إلى غلاف أو غطاء خلفي، كما يحمل تجاهها أملاً كبيرًا، فترجاها لتفعل جميع أوضاع النجوم، فشعرت بالفخر سرًّا لكنها في محنة شديدة، لأنه موجود، عيناه تنظر لتيار المياه، وما زال ظهره إليها، فإنه ضليعًا بكل شيء. لكن ليس لديها حل، فهي جالسة بالفعل على صخرة، ولا يمكنها النزول ثانية. لا يمكنها سوى الاستماع إلى تعليمات المصور.
جعلتها هذه المحنة خجولة ساذجة كفتاة في المرحلة الإعدادية، وجذبت انتباه زوار ليس لهم علاقة، لكنها لم تفكر بالاستمتاع بهذه النظرات الممتعة المحببة، وكأنها تتعرض للتعذيب، فتأمل بعمق أن تنتهي سريعًا، لا يوجد ما هو أجمل من منظرها هذا، لكنها لا تعلم، بل تشعر بإحباط شديد أيضًا. وأخيرا تمكنت من القيام من على الحجر، حينها فقط شعرت بالحرية، وكأنها عادت للحياة. قفزت من على الصخرة بحيوية، وسارت تجاهه، لم تفكر وسارت ناحيته. سألته إذا كان التقط صورًا من قبل أم لا، فقال إنه أذنب من قبل، ففهمت على الفور وضحكت. لكنه لم يضحك، نظر إليها فقط. فأحرجت من نظراته، وكان هذا الإحراج مختلفًا تمامًا عن الذي كان موجودًا للتو، إحراج به بعض من السعادة وخفقان القلب، وأرادت سؤاله عن سبب نظرته إليها، لكنها شعرت أن هذا كلام تافه وغبي، فصمتت ثانية، وحنت خصرها والتقطت أحجارًا صغيرة، ورمتها

تجاه تدفق المياه واحدة تلو الأخرى. فسقطت الأحجار الصغيرة دون صوت في المياه الهائجة، واجتاحتها بصمت. لقد شعرت بلمسة نظراته، فتَدَفّأ جسدها بالكامل وبرد أيضًا. انتهت من إلقاء الأحجار، وما زال هو ينظر إليها، فاستجمعت شجاعتها وواجهت نظراته، وفتح فمه سائلا: "حسنا؟"؛ فأجابت قائلة: "حسنا!". كان صوت المياه عاليًا يصم الآذان، لكنه هدأ فجأة، وظهر صوتهما بوضوح فوق صوت المياه الذي يملأ الوادي، فسمعا بعضهما بصورة أوضح، وصوت مدو.
كان هذا أكثر الحوارات قصرًا وأكثرها إدراكًا أيضًا في العالم، أقصر وأمتع الحوارات. فيبدو أنهما أودعا كل شيء لديهما بتبادل هذه الكلمات. وأثناء مغادرتهما لينابيع سان ديه، والبدء بالسير في مسيرة تسعمائة وست وخمسين درجة، كان مزاجهما نقيًّا نقاءً لا يقارن، كما كان ممتلئًا مشعًّا. لقد سارا جنبا إلى جنب بالطريق الجبلي الضيق، وأحيانًا يتفرقان بفعل القادمين من الأمام أو الخلف، فلا يسعهما سوى أن يتكئ كل منهما على جنب، منتظرين مرور الناس، حتى أصبحا في الوراء تدريجيًّا. تسعمائة وست وخمسين درجة منحدرة للأعلى، تكفي لجعلها تلهث بعد فترة قصيرة، فمد يده إليها، فسلمته يدها. سلمته يدها ولم تعيدها ثانية، ومنذ ذلك الحين، بدأ التحدث بالأيدي.
إنهما فاقا ما يقوله الأشخاص العاديون بأن الحب لا يحتاج إلى أسباب.
تخلفت الينابيع وراءهم تدريجيًّا، وتسلقا خطوة بخطوة جدار الوادي الجبلي. الدرج الحجري مرتب ترتيبًا لا مثيل له، وتتجه الدرجات درجة درجة للأعلى، فلا يوجد مكان للاستراحة، ولا يمكن التقاط الأنفاس تقريبًا، فلا بد من صعود التسعمائة وست وخمسين درجة مرة واحدة. لقد نسقا خطواتهما وأنفاسهما تدريجيًّا، ووجدا إيقاعًا، فشعرا بالاسترخاء، تحتاج أقدامهما فقط إلى رافعة آلية، أما أيديهما فتتحدث بتركيز. جاء الدور عليها لتسأل: "هل شعرت بالتعب؟" فأجابت يده: "لم أشعر بالتعب!" فقالت يدها بامتنان "شكرا!". فقالت يده: "عفوا". ثم صمتا، ولم يتقدما في النقاش والتواصل أكثر. إنهما في النهاية شخصان قاربا منتصف العمر، ويعرفان جيدًا كيفية الحفاظ على مشاعرهما، لجعلها ثابتة لا تتغير، يعرفان جيدًا أنه ينبغي تذوق المتعة بالعالم الرائع قبل فتح الستار، ليكون بعد فتحه هكذا. إنهما يملكان أكثر من تجربة عاطفية، فقد شكلتهما العاطفة من قبل، ويمكنهما أيضًا تشكيلها. فبينهما وبين العاطفة صراع منذ زمن، إنهما يعرفان أنفسهما ويعرفان بعضهما جيدًا، على الرغم من عدم قدرتهما على الاعتراف حتى الموت. لقد عزما بالفعل على الحب، يحبان بكامل قلبيهما، يحبان بصدق، يحبان بإخلاص، يحبان دون الاهتمام بأي شيء.
إنهما يعلمان أنه إذا فقد أحد الحب، سيكون قد فقد نصفه، لذا يفضلان التضحية بهذا النصف لإنقاذ النصف الآخر. إنهما شخصان متعلمان، وتلقيا تربية، ويملكان معرفة عميقة، ويعرفان جيدًا كيف يجب أن يكون الشخص، كما يجتهدان من أجل هذا الهدف. إنهما يحبان الدراما، وتأثرا كثيرًا بفعلها حتى أصابهما الأرق، فقد أحاطت تلك التفاصيل المأساوية بهؤلاء الذين أضعفهم عذاب الأرق، فتم أسرهم بسهولة وأصبحوا سجناء، منذ ذلك، شعرا بأن قلبيهما يعرقلان شيئًا ما، مما أوجد إزعاجًا بحياتهما الهادئة، كما أوجد بها نكهة. لقد تعطشا من قبل إلى حياة ذات نكهة، فهما ليسا كالأشخاص العاديين. فالحياة الروتينية تصيبهما بالتعب، فيرغبان بحياة مختلفة تمامًا. كل منهما يملك قدرة خيالية غير عادية،

فقد حصلا على تعليمهما ووظيفتهما بسبب هذه القدرة الخيالية، وشحذ تعليمهم ووظائفهم قدرتهما الخيالية، فنمت كثيرًا، وامتلأت بالطاقة، وبمجرد تشغيلها، يمكن ببساطة صناعة عالم، والأكثر من ذلك صنع تغيرات عاطفية ضئيلة، إنه حقًّا أمر سهل للغاية. إن روح التضحية لديهما وفيرة جدًّا، فيمكنهما عدم تقدير المقابل والعواقب من أجل كل ما يعتقدان أنه يستحق، فإنهما يعرفان جيدًا خلاصة كل شيء، فهما ذكيان للغاية. مستحيل أن يخربا أملهما مطلقًا، فيدركان أن الأمل أجمل من الحقيقة، يدركان أن الأمل إذا تحول لواقع سيكون مملاً أيضًا. لذا حفظا أملهما، ليجعلاه محفوظًا للأبد قبل تحقيقه. وبعد فترة طويلة، أصبح لديهما قدرة دون إدراك منهما، ألا وهي استرجاع الحقيقة إلى أصلها وتحويلها لأمل، استرجاعها إلى المثالية، هكذا يمكنهما القلق دائمًا، والتأثر أبديًّا، يتوقان للأبد كالأطفال، يقلقان، يتصوران ما هو ليس حقيقيًّا. لذلك، امتلك حبهما الصادق الحقيقي المخلص الأمان والحماية خفية.

لذا، لا يتوقف حديثهما عن التقدم مطلقًا، ولا بد من الاستمتاع به على كل درجة، حتى يتفتح على مهل، وكأنهما يكتشفان ثروات معدنية وفيرة، لا يمكن إهدار ولو القليل منها، فيجب عليهما استخدام أكثر المناخل نعومة لتنقيتها، ثم إعادة الحفر، وفتحها قليلا. لكن كل هذا في اللاوعي لديهما، فلم يكونا مدركين من قبل، ولن يعترفا، وإذا جاء اليوم الذي يوضحان فيه كل هذا أخيرًا، سيكون نهاية العالم الحقيقية بالنسبة إليهما. مستحيل مجيء نهاية عالمهما، مستحيل أن يسمحوا لها بالمجيء مطلقًا، إنهما أذكياء لدرجة امتلاكهما قدرة طبيعية بصرية، فلن يسمحا لنهاية العالم بالمجيء أبدًا.
الآن، يداهما متصافحتين، يحتاجان فقط إلى قبضة يد، وسيكون كامل جسديهما مرتبطًا. لا يمكن لأحد فهم هذه اللحظة، فكيف قويت مشاعرهما الرقيقة، وتبادلا الحب. إن الناس لا ترى سوى رجل وفتاة عائدين من ينابيع سان ديه، يتبادلان المساعدة بجدية لصعود التسعمائة وست وخمسين درجة. لقد حلت الظهيرة، وسقطت الشمس الحارقة أعلى رأسيهما، لكنهما لم يشعرا، فقد ركزا جميع مداركهما في أيديهما، يده اليمنى ويدها اليسرى.
لقد رأيا أخيرًا دخان قمة التسعمائة وست وخمسين درجة، يوجد هناك عائلة تملك كوخا صيفيًّا، بالإضافة إلى مطعم، وتواجه غرفة الموقد أعلى درجة، فعلما أن من معهم ينتظرون بالتأكيد داخل المقصف الأمامي. سارا للدرجة التسعمائة وست وخمسين، لقد صعد هو أولاً الدرجة الأخيرة، ثم سحبها لتصعد، سحبها بقوة كبيرة، حتى باتت بأمان أمام صدره، فقبَّل جبهتها بلطف شديد. كانت هذه القُبلة طبيعية جدًّا، في الواقع، قبلا بعضهما آلاف المرات بداخل قلبيهما، لكن هذه القبلة الحقيقية فتحت الستار رسميًّا، لقد فتحت الستار، ولم يعد يمكنهما الهروب، ولا يستطيعوا التغيير ثانية، ولا يمكنهما التراجع أيضًا، لا يمكنهما سوى الصعود للمسرح.
لقد تركا أيديهما، وكانت مبللة بالعرق، ولفَّا حول غرفة الموقد المدخنة دون أن تتلامس أيديهما مرة أخرى، وسارا ناحية المقصف الأمامي. وبالفعل، كان جميع من يجلس داخله هم من معهم، وقد شربوا للتو نصف كوب من الشاي البارد، وجُهّز الشاي لهما ووُضع على المنضدة، تقريبًا لم يلحظ أحد تأخرهما، لم يتأخرا

سوى خمس أو ست خطوات، لكن "الخمسة ستة" خطوات تلك كافية للفصل بين عالمين، والفصل بين فترتين من الزمن.
لقد جلسا ليشربا الشاي وكان حلو المذاق، ثمن الكوب خمسة قروش. هناك طفل في السابعة من عمره يجمع النقود ويسكب الشاي. تحدثت هي كثيرًا مع ذلك الطفل، فسألته عن عمره، وفزعت بمجرد سؤاله، فهو في العاشرة من عمره، ثم سألته إذا كان يدرس أم لا، وأين يدرس، وهل لديه إخوة وأخوات أم لا، إلخ. سألته بانسجام، واستمعت لإجاباته بإخلاص. أما هو فكان يجلس على منضدة أخرى، يتحدث مع الباقين حول ينابيع سان ديه، وهل هي حقًّا كما يقول عليها الناس "إن من لا يذهب إلى ينابيع سان ديه لم يأت جبل لو شان من قبل"، هناك من قال إنه ليس بالضرورة، لكنه أبدى إيمانه بتلك المقولة وأكد عليها، واستطرد موضحًا السبب، وهو أن مناطق جبل لو شان استوت بفعل الناس منذ زمن، وهذه هي المنطقة الوحيدة التي ما زال بها الملمح الحقيقي لمنطقة جبل لو. تحدث كل منهما في حديثه مع رفيقه على حدة، لكن في الحقيقة ما زالا يتحدثان لبعضهما، فاستغلا موضوعاتهما لإنشاء حوار بعيد قريب. أحيانًا، لا يحتاج الحديث إلى محتوى متقارب وشكل نسبي. بعد ذلك، أصبحا يتحدثان في كل لحظة، وتسبب حديثهما في جعل جميع الأحاديث ذات مغزى غير عادي، ولها مذاق جديد.
إن كل جملة تتفوها من أجله، بغض النظر عن وجوده بالساحة أم لا؛ وكل جملة يقولها أيضًا من أجلها، بغض النظر عن وجودها من عدمه. لكنهما لم يدركا أن حديثهما شابه كثيرًا حديث الندوات، فكلاهما يتحدث ويعبر بصورة سريعة، كلاهما غير مكترث بحديث وتعبير الآخرين، فهما مهتمان فقط بما يقولانه للآخر، ولا يهتمان بما يقوله الآخر لهما، إلا إذا كان ما يقوله الآخر هو ذاته الحقيقية، إذا كان الأمر هكذا، يضاعفان اهتمامهما، ويستمعان دون كلل، حتى أنهما لا يسمعان شيئًا آخر. إنهما مهتمان فقط بنفسيهما، ومنتبهان لنفسيهما فقط، فهما في الحقيقة يتحدثان لنفسيهما، وكأن الأطراف الأخرى جميعهم مستمعون وهميون. لذلك، لم توجد طريقة للتواصل بينهما أكثر من التواصل بين الآخرين، وانعزلا عن بعضهما أكثر من انعزال الآخرين، بسبب أن كلاهما متسرع في الحديث للآخر، كما تقيدهم الآداب والتعاليم وهم أمام الآخرين. إنهما يتحدثان دائمًا، وينهون هذا الحديث دومًا. لكن، لا يهم كل هذا، فقلباهما حافلان كثيرا، وحيويان أيضًا كثيرًا.
لقد تبادلا أكثر المتواصلات الحقيقية الملموسة، ألا وهي تلك القبلة. فتشعر دائمًا بحرارة جبهتها، وكأنها وسمت بالمنتصف، ولا تجرؤ على لمسها بيدها، وكأنها إذا لمستها سيكتشف الناس أمرًا ما، وستفسد أيضًا شيئًا ما. لقد تأثرت تأثرًا لا يضاهى، وفي الوقت نفسه شعرت بألم مفتعل، إنها ترغب في تحويل هذه العلامة إلى حرف A أحمر، كما بالرواية الشهير لـ "هو سانغ". أما ذلك الوشم فيحترق منفردًا بتأثر. بالنسبة له وسمت تلك العلامة على شفتيه. لقد استخدم الشاي البارد ليبرد تلك العلامة، لكنها سخنت الشاي. إنه قلق بعض الشيء، هذا الهادئ دائمًا قلق بعض الشيء. ولا يجرؤ على لعقها بلسانه، خوفًا من حرقه، كما يخاف التخلص من شيء ما بلعقه. وحين يدخن يستخدم فمه لشرب السيجار، لكنه يشعر بعزل بين عقب السيجارة وشفتيه. بدا الطرفان وكأنهما بمأزق، ويحملان شيئًا ما بالجبهة والشفاه، وتعبا من أجله، في الواقع

إنهما يخافان فقده، ويرغبان في الحفاظ عليه بحرص. وحين آوشك هذا اليوم على الانتهاء، وجدا فرصة أخيرًا للخروج من المصحة، والسير وسط الضباب الكثيف، يحتضنان بعضهما، وذابا واطمئنا بفعل آلاف القبلات الساخنة التي حفرت بعمق في قلبهما. إنهما يحتضنان ويقبلان بعضهما بارتجاف وعدم اهتمام بأي شيء أيضًا، في الواقع إن الضباب يحجبهما حجبًا تامًّا، فلا يمكن لأي عين اختراق هذا الحجب. لقد دخلا حاجز الضباب أخيرًا، وهناك خلف حاجز الضباب عالم آخر حقًّا .
همس قائلا: "يا للعناية الإلهية، جئت أنت أيضًا إلى جبل لو".
همست قائلة: "يا للعناية الإلهية، جئت أنت أيضًا إلى جبل لو".
يا للعناية الإلهية، لقد جاءا إلى جبل لو، جبل لو جميل جدًّا! فقد أعطاهما الكثير مما توقعاه ومما لم يتوقعاه أيضًا. أحاط الضباب بأذرعهما وأرجلهما، وعبر بين جسديهما المتلاصقين، فما زال هناك فراغ بينهما. التصق الضباب بالجلد، لكنه على العكس كان دافئًا. وبفضل الضباب تمكنا من الاستمتاع والبهجة هكذا.
همس قائلا: "منذ ذلك الحين، سأذهب إليك مرة كل عام".
وهمست قائلة: "منذ ذلك الحين، سأذهب إليك مرة كل عام".
منذ ذلك الحين، سيذهبان للمدينة التي يقيم بها كل منهما مرة كل عام، سيقضون حياتهما الباقية هكذا عام وراء عام. لقد تذكرا كلمة "بقية الحياة"، وحين تذكراها، شعرا بالاكتئاب الشديد والأسف الشديد أيضًا، لأنهما يعلمان جيدًا أنه من المحتمل امتلاكهما "بقية حياة" أطول من حياتهما الحالية، لذلك فكرا بجرأة وسماحة هكذا. في هذا الوقت، شابها الأطفال قليلا، على العموم، بوجود حُجب الليل والضباب، يمكنهما التحدث بتفاهات لا تتناسب مع خبراتهما العمرية دون خجل وعدم اكتراث، فأحيانا يفكر الإنسان كثيرًا في عذريته التي مر بها، بغض النظر عن عدم مناسبة الوقت. لقد تبادلا الاستفسار من الطرف الآخر عن ما يحبه في نفسه، ثم قال كلاهما إن الحب لا يحتاج سببًا. كرّرا جملة "الحب لا يحتاج سببًا" معًا مرات عدة، هكذا وجدا لنفسيهما حجة.
إن الحاجز الضبابي سميك جدًّا، فلا يرى أي منهما الآخر بوضوح، حتى أن ملامح كليهما مشوشة قليلا، لقد جلسا على الدرجة الحجرية الباردة جانب الطريق، واحتضنا بعضهما طويلا دون التزام، وملأ الضباب بكل فراغ بينهما، وعزلهما بتعرج، ثم اخترق جسديهما بالكامل، وشعرا أنهما ذابا، ذابا داخل الضباب، وانسابت الحركة والأحاديث، وكأنهما لم يعودا نفسيهما.
لم تسطع شمس اليوم الثاني، وذاب الضباب وتحول إلى أمطار خفيفة، وابتلت الأرض ليوم كامل. لذا، تناقش الجميع داخل غرفة المؤتمرات، ناقشوا الأحداث الأدبية. يبدو أن اللغة المميزة قد انتهت، فساد الملل دون شعور. حتى وإن وُجد اثنان أو ثلاثة من المجادلين الجيدين، لم يرتقوا في النهاية أيضًا إلى الذروة. سارع الصحفيون والمراسلون، الذين هرعوا إلى المصحة خوفًا من المطر، بالتحديق إلى أفواه الكتاب، آملين أن تخرج منها فجأة كلمات جيدة. لكن، مر الوقت رويدًا رويدًا. وتعرج المطر على النافذة الزجاجية، وأصبحت المناظر خارجها متعرجة مع تعرج المطر. إن الحرارة منخفضة جدًّا، فما زالوا يشعرون بالبرد رغم ارتداء المعاطف. تجلس هي أسفل النافذة، وحاسبها المحمول على ركبتيها ، وتحدق بعينيها للمناظر المبللة خارج النافذة. لقد حجبت الأمطار الجبل بعيدًا، فبدا باهتًا جدًّا، وكأنه غير موجود، يبدو الجبل البعيد حيًّا، مفعمًا

بالحيوية والنشاط وكأن الروح دُبَّت فيه، إنهما لا يتحدثان، فقط، من أجل إخفاء سر، ولا يتحركان، فقط، لأنهما ينتظران مغادرة الناس جميعًا. تأتي الناس للتنزه بالجبال، لكن في الحقيقة يعتديان عليهم، فلم يعلنا سرهما أبدًا إلى الناس، فيتعاملان بصمت. هذا هو الأمر. لقد أدارت رأسها وتركت الجبل بعيدًا جدًّا، وشعرت أن الجبل البعيد هناك بدأ يتحرك خلفها. يجلس هو على حافة طاولة طويلة، ويبدو أنه حُجب بالكامل، ولم يظهر منه سوى يد واحدة، بأصابع تتخللها سيجارة، ويلعب إصبعاه الإبهام والبنصر بعلبة السجائر، فيضعها بصورة عمودية ثم أفقية، ثم عمودية، ثم أفقية، فتتقلب علبة السجائر على الطاولة. لقد رأت يديه، فارتجف قلبها دون عمد، فتذكرت أن هاتين اليدين احتضناها، إنهما هاتان اليدان، هاتان اليدان غرباء جدًّا، وبسبب أنهما غرباء، جعلوها تشعر بأنهما يدا رجل، إن ارتجاف قلبها هو تقريبًا نوع من الاستحواذ المبهج، كالفتاة الصغيرة التي تلامس الجنس الآخر لأول مرة.

إنها امرأة متزوجة، وبسبب كونها متزوجة، اعتادت كثيرًا على الرجال، لدرجة أنها لم تعد تشعر بالفرق واللقاء الجنسي. فقد عاشت تحت سقف غرفة ضيقة مع رجل طيلة حياتها، ولم يعد هناك غموض بينهما منذ زمن، فكشفا كل شيء، ولم يعد هناك سرّ يمكن قوله. لقد فقدت هي وهو الاختلاف الجنسي مبكرًا، تبعه فقد الارتجاف الفضولي الناشئ عن هذا الاختلاف أيضًا بينهما. لقد نست من فترة ذلك الارتجاف الفضولي وأصبح غريبًا، وعند مجيء هذا الارتجاف ثانية، تولد لديها شعور الحب الأول. وكأنه أول جنس آخر لها. لكنه في النهاية ليس جنسها الآخر، فقد دفنت ذلك الارتجاف الذي مرت به في أعمق مكان بذاكرتها وجسدها، واستعادت تجربتها تلك كالشبح، ورحبت بدعوتها تلك المرة، لذلك، تجاوزت هذه الهزة جميع هزاتها السابقة. واقتلعت عدة حبال، فشعرت بقوة هذه الهزة، لكنها لا تعرف خفاياها. لقد تحمس شعورها النائم طويلاً تحمسًا شديدًا، بسبب راحتها الكافية، وبسبب وحدتها الكثيرة أيضًا، ويحتاج فقط إلى حركة قليلة ليحفز السعادة الملموسة بكامل جسدها. لقد استغرقت في النوم لفترة طويلة بعد زواجها، وانكشفت جميع أسرار الجنس الآخر، فلا تحتاج لاستهلاك الخيال والفضول لاكتشافه ومعرفته. لقد كُشف كل شيء بين الزوجين، ولا يحتاج إلى بذل الجهد الكبير، ولا يحتاج أيضًا للخجل، بل هناك الكثير أو القليل من الشعور بالراحة يصاحب الخجل، فإذا لم يوجد الخجل، سيصبح كل شيء مملاً رتيبًا.

أحيانًا، تتذكر بعقلها الكسول أول تلامس بينها وبين ذلك الرجل، لكنها لا تتذكر وإن بذلت جهدها، ولا يمكنها التخيل أيضًا، ما سبب إصابة هذا الرجل لها بالخجل، يبدو أنه ولد معها وخرجا كالتوأم. إنها لا تشعر أنه رجل، وفي الوقت نفسه لا تشعر بأنها امرأة. الآن، قد عبرت نصف الغرفة، ونظرت إليه وهو يدخن سيجارته، وإلى يده الممسكة بعلبة السجائر، واكتشفت رجلا مرة أخرى، وأدركت ثانية أنها امرأة، واستعادت الجنس ثانية. آه! كيف حضنها وقبلها بحماسة بالأمس! ما أسعد أن تُحب المرأة من قبَل رجل!

لقد امتلأ قلبها بشعور جامح، ببساطة لا تقدر على الجلوس، ولا بد من أن تتحرك. سيطرت على نفسها، لأنها تعلم أنه ينظر إليها، ينظر إليها بيده عبر الفراغات بين أكتاف الناس. فهما لم ينظرا لبعضهما بالعين فقط، مثلما لم يتبادلا الحديث بالكلام فقط. لم تتحمل وتنهدت طويلا. لقد تنهدت طويلا. ملأت السعادة قلبها، ولا بد من مخرج. شعرت فجأة بفقد اتزانها، وأدارت رأسها بخجل، وذهبت بعيدًا، لقد كانوا في الأساس يملؤون الخلف بالكامل. لقد بعدوا تدريجيًّا عن مرمى بصرها. وذهب نظرها بعيدًا مع الجبال، دفعت نظراتها الجبال بعيدًا، وكاد الجسد أن يبعد معهما وسط شرود الذهن. ظهرت شخصية جديدة وسط الجبال تدريجيًّا. وأدركت بوضوح تام خلال حياتها الجديدة ثانية أنها امرأة، امرأة، إنها محظوظة جدًّا بكونها امرأة، يمكنها حب الرجل، وأن تُحَب من قبَل رجل. لقد اعتقدت أنها أدركت النوع الجنسي اليوم فقط، ولم تكن تعرف أن هذا الإدراك واضح جدًّا بالنسبة إليها، فحتى إذا تم نسيان كل شيء لا يمكن نسيان هذا، إنها تتذكر دائمًا هذه النقطة، لكنها تشعر بوحدة وإحباط شديدين، بسبب غياب الفرصة، فرصة كتلك التي تتاح للممثل على المسرح، فرصة تمكنها من عرض نفسها . إنها تعلم جيدًا أنها امرأة، ولا توجد امرأة تعرف هذه النقطة أكثر منها، وتتطلب معرفة هذه النقطة أكثر، دلائل جديدة مستمرة على هذا الشعور، وأعمق خوفًا من فقدان هذا الإدراك.
لكنها تفهم الآن أنها لن تفقد هذا الشعور، فيبدو أنه لن يفارقها إلا بالموت. فشعور المرأة يدفعه ويقويه انتباه الرجل. من حسن الحظ أنها قابلته. ففكرت برضا أنها امرأة محظوظة. ولن تطلب أي شيء من الحياة ثانية، وستمتلئ بالرحمة والتعاطف تجاه الآخرين. من المحتمل أن تكون صديقة غرفتها تلك الكاتبة أصيبت بالبرد تلك الليلة، فقد مرضت، وأخذت تتقيأ وتسهل، فتعذبت طوال الليل، وكانت ترعاها الليل بأكمله، ترعاها بعطف وصبر، فكانت لطيفة معها بكل الطرق، واهتمت بها بكل الوسائل. فامتنت الفتاة لها وشعرت بالأسف تجاهها، ولا تعرف كيف تعبر لها عن مشاعرها. لكنها قالت إن هذا واجب عليها فعله. إنها تشكرها من أعماق قلبها سرًّا، تشكرها لأنها احتاجت إلى رعايتها وعطفها في هذا الوقت. وإلا لن يمكنها التنفس ببساطة، وستختنق. كانت ترعاها، لكن عينها تراه هو، فهو موجود في كل مكان وكل وقت، وكأنه يخبئ جسده داخل كل ما تلامسه، فتكون لطيفة وأليفة معه دائمًا. جاء الناس تباعًا ليزوروا المريضة، ويعبروا عن اهتمامهم ومواساتهم.
جاء هو أيضًا، وجلس على الأريكة المقابلة لسرير الفتاة، ويداه متدليتان على ركبتيه، وتحدث مع الفتاة حديثًا عاديًّا جدًّا. لقد ذُعرت بفعل سلوكه الهادئ، وارتابت بعض الشيء من أن يكون كل ما حدث بالأمس خيالا، أحدث حقًّا؟. إذا كان كل هذا من خيالها، إذن، إذن.. إنه مخيف جدًّا. تغيرت ملامحها تقريبًا، ولم يتحمل قلبها، ولم تنتظر حتى ينتهي من حديثه التافه، فتحتاج إلى فرصة لإثبات ما حدث بالأمس. لكن على ما يبدو أن الفرصة غير متاحة. فجلست على أريكة أخرى جانبه بصبر، تفصل بينهما طاولة الشاي فقط، واشتركت في حديثهما، لم تكن تشعر بحرية، فإنها تحملت. وأثناء الحديث، كانا ينظران لبعضهما أحيانًا بودية وهدوء، وكأن لم يحدث شيء من قبل، وكأن كل شيء قد فات، وكل ذلك لم يكن سوى إدراكها الخاطئ ورغبتها، فلم تتمالك نفسها في الشعور بالاستياء، لكنها لا تجرؤ أيضا على الاستياء خوفًا من تسببه في تراجعه، فلا ترغب في ذلك. تريده أن يتقدم. في هذا الوقت، وقف ليمشي. فوقفت هي وأوصلته للمدخل.

لقد قفز قلبها، وكادت ترتعش، ورافقته خطوة بخطوة إلى المدخل، وكانت تتطلع، لكنها لا تعرف إلى ماذا تتطلع، وتنظر الفتاة الصغيرة إلى ظلهما، فلن يخرجا عن مرمى بصرها مهما حدث. فتح الباب، وخرج منه، ثم أدار نصف جسده وأحضر الباب، وفي الفراغ الأخير قبل غلقه، حدقت عيناه بها. لم يكن تحديق هذه اللحظة عاديًّا، كان ممتلئًا بسرهم الذي لا يعرفه سواهما، فظهرت سعادة غامرة فجأة بقلبها، فسعدت لدرجة أنها لا تعلم ماذا تفعل، وفجأة أغلق الباب، وعزله خارجًا. لكن ظل تحديقه، فعادت إلى سرير الفتاة ببطء في ظل تحديقه.
قالت لها الفتاة "إنه ممتاز، أليس كذلك؟". لقد بدا عليها السرور بزيارته، أكثر سرورًا من زيارة شخص آخر، لذا تدفق الفخر بقلبها، فهي فخورة به، وفخورة أكثر بامتلاكها إياه.
وإستطردت الفتاة قائلة "إن قصصه تُكتب بشكل جيد، فيختلف عن الآخرين". فأجابت هي فقط "حقا؟" أو "نعم". كما قالت الفتاة حكايات كثيرة عنه، عائلته، عمله، فتبدو أنها تعرف الكثير جدًّا. سمعتها هي بصمت، ولم تتدخل في الحديث نهائيًّا، فتدفق بقلبها عاطفة لا يمكن إخبار أحد بها. إلى أن تعبت الفتاة من الكلام، واستلقت على الفراش تقرأ كتاب، فأخذت هي أيضًا كتابًا واستندت على الفراش تقرأه. يخفي كل سطر من الكتاب تحديقه المؤكد، فقد أكدت نظراته كل ذلك، وثبتته، فلا داعي للقلق ثانية. لقد تعبت من القراءة، فأغلقت الكتاب، لكن نظراته ترفرف وكأنها فقدت سندها. لا بد أن تتبع نظراته كيانًا ما حتى توجد. لذلك، اضطرت إلى فتح الكتاب. إن أصوات الينابيع والأمطار صاخبة جدًّا، وتملأ الأذن، فتمنت أن يمر الليل بسرعة، ويأتي الغد سريعًا، فالليل يعزلهما، ولا يمكنهما اللقاء سوى بالنهار.
حين أشرق النهار، كان صباح اليوم الخامس من صعود الجبل، وما زال هناك خمسة صباحات مشابهة أو مختلفة، وسينزلون الجبل. فمن حسن الحظ أنه يوم المنتصف، فكأنهم صعدوا لقمة الجبل، والقادم هو طريق نزول الجبل. لقد تذكرا تاريخ العودة معًا دون اتفاق مسبق. فكل يوم بعد ذلك سيتقدم تجاه تاريخ العودة. وقبل هذا، نسيت أنه ما زال هناك يوم نزول الجبل، ويوم العودة للمنزل، لقد اعتقدت في الأساس أن العشرة أيام لن تنتهي، لكنها مرت سريعًا على عكس المتوقع. لقد رغبا في الأصل الاستمتاع بكل جهدهم، لكن ليس هناك وقت، فستنتهي العشرة أيام وقد بدأت للتو، إنهما يتقدمان بصمت شديد وبغاية البطء. فقد تعرفا لهذه الدرجة في اليوم الخامس. كان يمكنهما زيادة السرعة، فلا يوجد وقت لكل شيء. لكنهما ما زالا غير متعجلين، فيعتقدان دون اتفاق أن عليهما ترك القليل من الأسف. فيعد القليل من الأسف أمانًا، فهما يحفظان جملة قديمة تقول "ينقص القمر رغم اكتماله". إنهما يعلمان جيدًا أن الحب لا يفنى إذا تم الحفاظ على المسافة. لذا سارا طبقًا للأساس والوتيرة المحددة، على الرغم من امتلاء قلبيهما بألم الفراق، ذلك الألم الذي غلف حبهما، فجعله يحوي الكثير من الأشياء التي يمكن مضغها. فقد حرصا على هذا الألم كحرصهما على الحب. وتعد الأيام الخمسة المقبلة في الحقيقة الخمسة أيام بعد فتح الستار رسميًّا، فلم يستمتعا بقدر كاف من بهجة اللقاء، وجاء ألم الفراق، فالتقت البهجة والمرارة في نقطة واحدة، فقد جمعت الخمسة أيام هذه جميع مذاقات الحياة تقريبًا، ولخصت جميع التجارب الحياتية. فقد مرا باللقاء والفراق في وقت واحد، إنه حقًّا امتزاج للمشاعر لا يوصف. إن هذا المذاق لم يتذوقاه

من قبل، كما حجب ذكاءهما الخارق، فجعلهما يعتقدان أن هذا حب حقيقي، وأن الحب الحقيقي الوحيد بالعالم صادفهم. ومن منطلق هذا المغزى لم يعد لديهم أي أسف. لقد امتلأ قلباهما بغرور الكبرياء، لأنه بغض النظر عن المستقبل، فقد أحبا بعضهما، فهما الرجل والمرأة الوحيدان اللذان أحبا بعضهما بجد. لذلك، حجبت الكآبة والفرح في الخمسة أيام هذه طابقًا من التألق المثالي. وقد أشرقهما هذا التألق، بالأخص حياتها الرتيبة، فهذا إشراق لم يسبق. فكل الفترة الفائتة كانت من أجل انتظار هذه الإشراقة، كلها من أجل الاقتراب منها. إنهما لا يرغبان أن يكونا أشخاصًا عاديين، فهذا الجانب يخصهما وحدهما.
لقد شعرا بانقضاء كل ثانية في الخمسة أيام هذه. فبدا الوقت وكأنه يتحرك ملتصقًا بجسديهما، ويمر عبر نظراتهما، ويدوسان عليه بأقدامهما، فسمعا صوت انقضائه الذي شابه الموجات الكهربائية، فيمكنهما رؤيته بوضوح، وسماعه، ولمسه، لكن لا يمكنهما الإمساك به، وإرجاعه، فشعرا بالقلق والعجز ثانية. لقد وجدا وقتًا للقاء منفردين أثناء الأنشطة الجماعية خلال الخمسة أيام هذه. فأتيا إلى ضفة البحيرة وقت الظهيرة، وجلسا على درج حجري جانب البحيرة، وانغمست أقدامهم المرتدية صندلا داخل المياه، ولم يشعرا مطلقًا بمرح الأطفال في المياه، ورذاذ الماء الذي غمسهم. بدأ في الحديث تدريجيًّا، كلما تحدثا زاد الحديث. فبمجرد انتهائه من الكلام، تتحدث هي، وحين تنتهي، يتحدث هو، يتحدثان في أشياء ليس لها علاقة بالحب. لم يرتض قلب كل منهما سرًّا بسماع الآخر يتحدث بهذه الأشياء، ولديه رغبة شديدة في تصحيح اتجاه الحديث، والتحدث عن المشاعر بينهما، حتى يمكن الحديث عن المشاعر بصورة عامة، لكن حين يأتي الدور عليه في الحديث، يبعد كثيرًا عن ذلك الموضوع. مرت بالفراغ بين قدميهما سمكة رقيقة كالإبرة، باردة ناعمة، تدعو الناس للارتعاش دون تمالك. أشرقت الشمس بقلب البحيرة، وأبحرت معدية صغيرة على المياه الذهبية، ولم تُر وكأنها ذابت بها، وبعد فترة قصيرة شاهداها تخرج من الأشعة الذهبية الساحرة. كما أنهما لم يتحدثا عن الفراق الآتي، على الرغم من وجود مفاهيم للفراق تحيطهما دائمًا، في الحقيقة جاءا إلى البحيرة بسبب الفراق. وكل منهما يأمل أن يتعرض الطرف الآخر أولا لهذا الموضوع، ومن خلاله يتطرقان إلى تلك المشاعر، إن هذا الجانب يخصهما هما فقط، هو طريقة الاتصال الوحيدة بينهما.
لكن لا يمكنهما التطرق إليه دائمًا، دائما يلفان بعيدًا جدًّا خارج الباب، ويتحدثان برتابة في أحاديث يشعر كل منهما بمللها. يتطلعان بكامل قلبيهما. لكن الوقت يمر، وانتقلت الشمس ناحية الغروب، وأظلمت البحيرة، واتكأت المعدية على المرسى، وعاودت البعد عنه ثانية، لتبدل ركابًا آخرين، ثم رست مرة أخرى. إن وقتهما ليس كبيرًا، لكنهما ما زالا يتحدثان بهذا الحديث الممل، وللحظة ارتاب الشخصان من حدوث ذلك الشيء بالفعل أم لا؟ إذا لم يحدث، إذا كان هذا إدراكهما الخاطئ، ولم توجد تلك الأشياء، لم توجد مطلقًا، فيمكنهما أيضا المجيء إلى البحيرة، كما يمكنهما الجلوس على الدرج الحجري، والتحدث في الأدب والفنون وجبل لو، حتى الجبل الأصفر الذي يبعد مئات الأميال. لقد تحدثا فقط في هذه الأشياء، لأنه لم يحدث شيء على الإطلاق! وما مر هو أمر الأمس فقط، وقد تضاءل، وكأنه حدث لأشخاص آخرين، ولم يكونا سوى ناظرين فقط، من المحتمل أنهما مرَّا فقط جانب الآخرين ورأيا هذا. لقد حجب الضباب والليل كل ذلك وأخفاه، ولم يجرآ على التأكد، وفقدا عقليهما. أصيب الاثنان بالإحباط

قليلا، ومن أجل التغلب على هذا الإحباط، وبسبب خوف قلبيهما من كشف الآخر له، ضاعفا الحديث بقوة. لكن شعر قلباهما بالتعب، وتمنا إنهاء هذا الحديث سريعًا، والعودة إلى المصحة. فإنهما لا يستطيعان إنهاء الحديث، فهما لا يعرفان كيف ينهيانه بصورة طبيعية. وبسبب ارتيابهما من التواصل بينهما، وفقد الثقة، لم يعودا يعلمان كيف يتعاملان، فقد شعرا أن التواصل العادي حتى أصبح صعبًا؛ لأنهما لم يملكا من قبل خبرة التعامل العادي، فمنذ البداية تواصلا بطريقة غير عادية جدًّا. وسارا إلى هنا بصورة غير عادية، وجلسا مستهلكين ما يقرب من الظهيرة، لكنهما اكتشفا فجأة أن الأمر في الأساس عادي جدًّا. وكأنهما خُدعا.

لقد استشاطا غضبًا في الخفاء، وشعرا بالإحباط الشديد، فإنهما غير راضيين كثيرًا أيضًا. لذلك، قررا المحاولة بجهد مرة أخرى، لإثبات الحالة الفعلية لكل شيء مضى. كما أن الوقت ليس كثيرًا، والشمس تغرب، وبعد ثلاث مرات أخرى من الغروب هنا أو هناك، سينزلان الجبل، وبعد نزولهما عليهما الافتراق. فنزول الجبل يعني الفراق.
لقد توقف الحديث فجأة، كان عن شكل القصة القصيرة، وأدار وجهه، ونظر إليها بقوة غاضبة، وقال: "تزوجيني، لتتزوجيني!" فشعرت بهزة كبيرة وكأنها هوجمت بصاعقة، وأصابها الدوار للحظة، ثم استقرت، ونظرت إليه بقوة أيضًا، وقالت بهدوء: "تزوجني، لتتزوجني!" قالا هاتين الجملتين وكأنهما يقرآن شعرًا، في الواقع، إنهما لم يفكرا من قبل، في الأساس، في أمر الزواج، فحبهما لا علاقة له بالزواج. لقد قالا هاتين الجملتين أولا، ثم أدركا المغزى منهما، فصححا خطأهما، وشعرا بأنهما تجاوزا بعض الشيء، وبعد تنهد كل منهما شعرا بالحرج، وصمتا. لكن بغض النظر عن أي شيء، فقد هدأ، وحصل كل شيء على تأكيد، وثبتا أنهما غير مخطئين. وما زال ما حدث في الماضي موجودًا، وسيستمر ويتطور. لا داعي لأن يتفوها بتلك الأحاديث عديمة الصلة مرة أخرى، فمنذ ذلك الحين بدأ في قول حديثهما. لكن، يصعب القول أيضًا.
لقد غربت الشمس خلف الجبل، وعاد الأطفال المرحين بالمياه إلى منازلهم، وانتشر الضباب رويدًا رويدًا من جهة الجبل، أما السمك فما زال يمر بين أقدامهم. ثم قالت ببطء: "لنغادر"؛ فأجاب: "لنغادر"، ثم أضاف جملة: "لا تنسيني". "وأنت؟"، ونظرت إليه بلطف وحزن، ومنذ ذلك الحين، شابه الحديث المياه الحية، وتدفق مع التيار بشكل طبيعي. سألها: "ماذا تفعلين الساعة الثامنة صباح كل يوم، وماذا تفعلين الساعة الثانية عشر ظهرا، وكيف تقضين المساء"، فأجابته، ثم سألته لِمَ يسأل، فأجابها، ليتمكن من تذكرها! وليكون أساسًا للاشتياق لها! فتأثرت، ووقفت للحظة، ثم سألته متى سيعطيها المسودة تقريبًا، فسألها: كيف تذكر المسودة، فأجابت قائلة: "حتى أدعوك لإصلاحها، فأصنع حجة لمجيئك". لم يتوقفا عن الإلهام، وأصبح الحديث غنيًّا بالمشاعر، ومليئًا بالحكمة. فلم يتوقف قلباهما عن إنتاج المشاعر، وتولد الإبداع أيضًا. وتسبب هذا الإبداع في سعادتهما الشديدة، وتحسنت حالتهما كثيرًا، فكل السبل ميسرة لديهما. كلما تحدثا انسجما، وأنتجا تدريجيًّا لغة خاصة بهما. لغة غامضة لا يفهمها سواهما. إنها في الأساس لغة عادية جدًّا، وأصبحت ذات مغزى خاص بفعلهما. سوف تظهر هذه العبارات في أيامهما المقبلة ولمدة فترات طويلة مغزى غير عادي، لذلك، سيفقدون لمدة طويلة جدًّا إتقانهما الحقيقي لهذه العبارات، فشعرا

بالارتباك، حتى أنهما لم يجرؤا ثانية على استخدامها في أعمالهما أو حياتهما اليومية.
غربت الشمس حقًّا بالكامل، وحجبهما الضباب باكرًا، وعامت هيئتهما قليلاً، وعلى الرغم من استنادهما بقرب شديد، وشعور كل منهما بقرب كيان الآخر، فإنهما كان شاردي الذهن دائمًا. إن هذا العالم ساحر بشكل لا يُضاهى، ساحر لدرجة عدم جرأتهم على الطمع خوفًا من إفساده، فيُحبطان، لذا رغبا في العودة دون اتفاق. لقد وقفا. وخطا الدرج، وكأن سرواله وتنورتها مبللتين من أثر الجلوس، وحين رأت سرواله مبللا من الخلف وعليه آثار متسخة من الطمي، شعرت بالحرج الشديد. لقد اجتهدت لكي لا تراها، لكن تلك الآثار المتسخة من الطمي أمام عينيها دائمًا، وكل شيء حولها مشوش، لكن تلك الآثار واضحة وضوحًا لا مثيل له، ففكرت في تنورتها، فحاولت السير معه جنبًا إلى جنب، ولم تدعه يسير خلفها ويرى المكان المبلل خلف تنورتها، ولا تسير هي بالخلف لكي لا ترى آثاره الخلفية. بدت هذه الآثار المبللة وكأنها قرضت شيئًا جميلا. فشعرت بالأسف بعض الشيء، وكأن قلبها ينقصه شيء ما. لكنه أقرب من أي وقت آخر مضى، فيده موضوعة على ظهرها بحميمية. مسنودة أسفل كتفها بحب، فشعرت أنها صغيرة ضعيفة جدًّا، تستند على جسد ضخم بضآلة شديدة، إنه لشعور محبب للغاية. وسارا عبر الملاجئ المظلمة للأشجار الشاهقة، ويدير رأسه في أغلب الأحيان ليقبلها، يقبل جبهتها، وجنتها، خدها، رقبتها، كتفها، فتدفقت حماسة كالنيران، في هذا الوقت فقط، شعرا بالفراق الحقيقي بعمق، آه، إنهما لا يجرآن ببساطة على التفكير الكثير.
لقد شعرا ثانية بمضي الوقت، يمضي بين ظلال الأشجار الخفيفة، يمضي وسط الظلام الذي يرتقي مع غروب الشمس وسطوع القمر، يمضي وسط قبلاته المتتالية، فشعرت تقريبًا بالسعادة والحزن لدرجة رغبتها في البكاء، ومسكت بأكمام قميصه وتحركت مشاعرها قائلة: "لا أريد فراقك"، فمسك أكتافها الصغيرة قائلا: "لا أريد فراقك"، فتذكرت بأسى وسعادة: ما ألطف الوجود أمامه! ما ألطف الوجود معه! فقد استعادت جميع مداركها أمامه، ونشطت، كما ارتقى أيضًا عقلها. تفحصت كل ما على جسدها بوعي ودون وعي، وأظهرت تلك الأجزاء الجيدة، وشعرت أنها تهديها، أما الأجزاء غير الجيدة فقد قمعتها. فهي دائما تظهر الإيجابيات وتخفي السلبيات بجسدها. لقد شعرت أنها تغيرت للأفضل، فقد جمعت الأجزاء الجيدة بجسدها وكونت شخصية أكثر مثالية وأكثر واقعية. إنها تعتقد أن هذه الشخصية أكثر واقعية، فهي تحبها، تحبها بشدة، وتأمل أن تبقى للأبد. يمكنها الحفاظ على هذه الشخصية أمامه، وعند التعامل معه، فهي واثقة أنها ستحافظ عليها بشكل كاف. لذلك، يمكن القول إن حبها لهذه الشخصية وهي معه يفوق حبها له. لكنها لم تكن تفهم في هذا الوقت، فهي تحبه فقط بشكل أعمى، وحزينة جدًّا لفراقه. لكنها أدركت تدريجيًّا بمرور السنوات بعد ذلك.
لقد حزنا حُزنًا حقيقي، فيوم الفراق كان يقترب منهما تدريجيًّا، وها قد جاء هذا اليوم أخيرًا.
ستعود إلى المنزل.
إنه صباح مليء بالضباب والغيوم.
وكأن الضباب انتشر من وسط الجبال ليوصلهما. تحركت السيارة ببطء، فلا يمكن تمييز أكثر من خمس خطوات بوضوح. إن الطريق مواز للجبل، متعرج،

فكل ثلاث خطوات تعرج، وكل خمسة خطوات دوران. نزلت السيارة من الجبل الجنوبي، وستستريح في منطقة شيوفنغ لتناول الغداء. لذلك، أصبحت شيوفنغ آخر نقطة ترابط بينهما. زحفت العربة ببطء، وتساقط العرق على رؤوس الناس، ولا يوجد سواهما بأمان، فهما يتمنيان أن تبطئ العربة، تسير أكثر بطئًا، ويزداد الضباب، يزداد أكثر، هكذا يمكنهما الوصول متأخرًا إلى شيوفنغ، هكذا سيقضون ليلة إضافية في حاجز الضباب. سيفصلهما الليل عن الآخرين، وبوجود العزل الليلي، سيبعد الفراق كثيرًا. في هذا الوقت، تذكرا الليلة السابقة، بكثير من الحنين والندم، فتلك الأيام السابقة غالية جدًّا، فإنهما لم يحرصا عليها، فأضاعا الكثير. سارت العربة مهتزة تجاه أسفل الجبل، وأنير جميع مصابيح الطريق، لكنها جعلت انعكاس الضباب الأبيض يزداد بياضًا. نسجت خيوط الضباب حجابًا، فأخفت الطريق الأمامي بكثافة. فتولد بقلبيهما فجأة شعور بمستقبل مجهول.
لقد أصابتهم الحيرة، فلم يعرفا إلى أين ستقودهما العربة، كما أنهما فقدا الطموح منذ فترة، وسارا مع الرياح. أصدرت العربة صوت البوق الذي لبد بالضباب، فلم ينتقل بعيدًا، ولم ينتقل قريبًا أيضًا. وكأنها تئن في عالم آخر. خارج نافذة السيارة كتلة من الغيوم، فهما موجودان وسط عالم من الغيوم، فإن قلبيهما هادئان، ويشعران بالتعب قليلا، وبهما بعض من شرود الذهن، وعدم الاستجابة السريعة. لقد توقف تفكيرهما، حتى الفراق لم يعودا يفكران به، فيحركان جسديهما، وعقلاهما مع حركة العربة فقط، وسمحا للعربة أن تأخذهما لأي مكان غير متوقع.
دارت العربة ببطء شديد للأسفل، نزلت طابقًا تلو الآخر، وخف الضباب أخيرًا، ورأيا ضوء العربة الأصفر القادم من الأمام، فسارت العربتان جنبًا إلى جنب بصورة عكسية، ثم رأيا ظلالا خافتة لناس تسير وسط الضباب، ومروا أمام نافذة السيارة، فابتسما ابتسامة ترحيب، وبدت ملامح ابتسامتهما بوضوح فجأة وسط الضباب، مما أشعر الناس بالمفاجأة والغرابة، وذعروا قليلا. كما سمعا أيضًا أصوات ضحك مختفية، لم يضحكون؟ بدءا تدريجيًّا في التفكير بصعوبة.
تلاشى الضباب، لكنهما وصلا إلى أرض مسطحة، تحيطهما مزارع لا حدود لها، طارت العربة على الطريق كالأغاني، وتُرك الجبل الخافت خلفهم. ظل الجبل خافتًا في الخلف، وسطع النهار، وأشرقت الشمس، ودقت طبلة الأذن، لتستعيد الوعي قليلا، وغنّى العالم وكأنه استيقظ، ورنت المزامير ترحابًا، وحك عجل العربة الطائر بالأرض، فأصدر رنينًا، وكان الناس جميعهم يتحدثون أساسًا بصوت واضح رنان. لقد ارتبكت قليلا، وفكرت بحيرة، إن الأصوات في هذه الأيام كانت تغطي في الأصل طبقة من الغشاء! أي مزحة يمزحها الجبل! كيف يتلاعب بمدارك الناس كما يشاء هكذا. تمزقت طبقة الغشاء فجأة، وظهرت الحقيقة، وبدا كل شيء واضحًا جدًّا على مسمع ومرأى. إن العالم هكذا في الأساس، والأصوات أصلها هكذا. لقد سمعت صوتها، ففي الأساس تتحدث مع الآخرين دائما دون وعي، وقد تغير صوتها بطريقة عجيبة، وأصبح غريبًا، ثم معتادًا، لكنها تعرف أن هذا هو صوتها، فهي تتكلم وتسمع صوتها عشرات السنوات. تبدو وكأنها استيقظت من حلم، وفتحت عينيها، وما زال النعاس لم يتبدد بعد، فيصعب عليها التحمل قليلا، وفمها به مرارة، فإنه واضح جدًّا. يوجد بالعربة ضوضاء لا تضاهى، فقد غطت الأغاني المنتشرة التي يذيعها السائق كل شيء: "واحد

بالإضافة إلى واحد بالإضافة إلى واحد بالإضافة إلى واحد يساوي أربعة، قلب بالإضافة إلى قلب يساوي أنا أحبك".
حركت جسدها قليلا، وتدفقت به حيوية جديدة. تجاوزت السيارة الجرار، والمقطورة، وعربة النوم الصغيرة، وسارت مباشرة تجاه شيوفنغ. وصلت إلى شيوفنغ عند الظهيرة، وقد انطفأت رغبتهما بقضاء ليلة في شيوفنغ مبكرًا، ونسياها. لقد عادا إلى عالم، تظهر فيه الأشياء بوضوح، فشعرا بالحيرة أحيانًا، وتبددت طاقتهما، فهم بحاجة إلى مرحلة للاعتياد، وكأنها فاقا من حلم فجأة، حتى أن كلا منهما نسي الآخر لفترة مؤقتة.
إن شيوفنغ هادئة بشكل غريب، والمياه العميقة نظيفة إلى حد عجيب، وتدفقت المياه من مكان بعيد ذهابًا وإيابًا. وجُرفت الأحجار بالقاع جانبا بفعل المياه، وأصبحت سلسة ناعمة، فخلع الجميع أحذيتهم وجواربهم، ورفعوا أقدام سراويلهم، ووقفوا داخل المياه، ولم يُستثنوا هما أيضًا. فركت الحصى الملساء باطن أقدامهما بصورة مريحة، ويمكن رؤية الرمال الرفيعة بوضوح من خلال المياه الصافية، حتى أنها أوضح من الحصى الظاهر على سطح الأرض، إن هذه المياه أنظف من الهواء، وأكثر شفافية، وخالية أكثر من الحواجز، وبمقارنة هذه المياه، يمكن الشعور بأن الهواء في الحقيقة خليط، لقد حدقت بقدميها داخل المياه، والحصى الموجود أسفلهما، وذرات الرمال بين الحصى. بعد ذلك، قال الناس إنهم يرغبون في رؤية آثار مشابهة لمكان قراءة لي، لكنها لا تود الذهاب، فقد عشقت هذه المياه، فبقت. هو أيضًا لا يود الذهاب، فبقي كذلك. ونصحهم الناس ألا يبقوا فترة طويلة، فعليهم الانتباه للوقت، فيذهبا إلى المدخل لصعود السيارة بعد مرور ساعة، ثم ساروا بصياح تباعًا. في هذا الوقت فقط تذكرته، وتذكرها هو أيضًا. واجها بعضهما بصمت للحظة، ثم سارا معًا عدة خطوات بالماء، ثم وقفا في مكان. يبدو وكأنهما لم يعتادا بعض الشيء، فشعرا بالارتباك. لقد فكرت بداخلها دون تصنع: "إذا كنت أعرف أنه سيبقى، لغادرت. وفكر هو أيضًا دون تصنع: "إذا كنت أعلم أنها ستبقى، لكنت غادرت". وبدا على ملامحهما متعة التسليم للأمر الواقع، دون تأنيب ضمير، هكذا، شعرا بالاطمئنان قليلا. ثم قال: "ما أروع هذا المكان، أرغب في البقاء أكثر". وقالت هي أيضا: "ما أروع هذا المكان، أرغب في البقاء أكثر". وكأنهما يصرحان بمشاعرهما الحقيقية.
المياه صافية جدًّا، لا تعكرها شائبة، أو قاذورات. تبادلا النظر إلى الخطوط الدقيقة بالجلد خلف أقدامهما، والشعر بأصابع أقدامهما، والتشققات على الأظافر. لقد وقفا مرة أخرى، فلا يمكنهما عبور ذلك الحاجز، فقد أغلق الباب الذي فتح بينهما دون أن يشعرا، حتى لم يعد هناك أي ثُقب، كما أضاعا المفتاح، ولا حول لهم ولا قوة. حتى أمر الفراق لم يعد لديهما وقت للتفكير به، فوقفا داخل المياه محبطين شاردي الذهن، وأضاعا عشرين دقيقة كاملة، ثم شعرا بالتعب، والتراجع بعض الشيء، ولم يعد أمامهما سوى الرغبة في التخلص من هذه المواجهة المتعبة عديمة النتائج. لم يستطع هو الاحتمال أولا. فتراجع خطوة، وجلس على حجر بجانب البركة، وبدأ في التدخين. واسترخت هي أيضًا، وتراجعت لجانب البركة، وغادرت إلى مكان يبعد ثلاثة أو خمسة خطوات منه. ثم لمس هو السيجارة والولاعة، وأشعل الولاعة ثم قربها من عقب السيجارة. وفي لحظة تلامس اللهب مع عقب السيجارة، هناك شيء أضاء فجأة، وارتجف قلبهما دون سيطرة، وتذكرا بالتزامن وادي جينشيو، ورياح وادي جينشيو الساحرة.

أشعل السيجارة بارتجاف قليل، وجلست هي ببطء على الحجر الذي يبعد عنه بثلاث أو خمس خطوات. جلس كل منهما على حجره بصمت، ينظران إلى ينبوع تان لونغ. مياه البحيرة العميقة عميقة جدًّا لدرجة تودي بالحياة. يمر الوقت ثانية ثانية، حتى أنها تسمع صوت سير الثواني، "كاشا كاشا"، فتدق كالمطرقة تمامًا، وتراجع كل شيء أمام أعينهما وسط صوت الساعة. إنها قلقة كثيرًا، فهي تعرف أن هذه هي اللحظة الأخيرة، وسينتهي كل شيء، فعليهما فعل أشياء ما مرة أخرى، في الحقيقة، لقد قيل كل ما يجب أن يقال، وعمل كل ما يجب عمله، لكنها تشعر أن كل ما قيل وكل ما عمل ليس معقولا، وليس حقيقيًّا، فلا يمكنها الوثوق بشيء، ولا يمكنها الاستناد إلى شيء.
ما زالت تحتاج إلى شيء ملموس أكثر واقعية ليمدها بقبضة محكمة. لكنها لا تعرف أيضًا ماذا يجب أن يكون هذا الشيء الواقعي الملموس، أهو جملة، وعد مؤقت، أم تذكار، تبدو كل هذه الأشياء رقيقة جدًّا. لقد صعب عليها الأمر فكادت تبكي، وتحملت بقوة، وخفضت رأسها. وخفض هو رأسه كذلك محبطًا. لم يتبق سوى عشر دقائق من وقت مغادرة العربة، لكنهما لم يجدا أي حل. بدأت تندم على ابتعادها الثلاث أو الخمس خطوات تلك، ففي هذه اللحظات، حركة صغيرة جدًّا يمكن أن تتحول إلى خطأ كبير. إنها لا تعلم ما إذا كانت ارتكبت خطأ، إذا لم تسر بعيدًا للتو، وسارت قريبة، على الحجر الصغير بجانبه.. لكن، أيوجد وقت الآن؟ إنه يرتدي حذاءه بالفعل، وتنزلق قطرات المياه الباردة على كعب قدمه، وتنقط داخل المياه، ولكن دون إصدار صوت. ثم ارتدى حذائه، الذي كان عبارة عن صندل جلدي عادي، لونه بني فاتح، لقد أصبح قديما جدا، ويعلو جلده البقري عدة تشققات سميكة. ثم وقف، وكاد يبدأ بالسير، إلى أين سيذهب؟ إن جسدها متوتر بالكامل، وقد توقف الدم، ولم يعد يتدفق. هناك عدة رجال عري يمرحون داخل البحيرة، لم يرى سوى فتحهم لفمهم، ورشهم للمياه عدة أقدام، فإن ليس لديهم صوت مطلقًا. حرك قدمه في مكانه الأصلي، إلى أين يريد الذهاب؟ ستصبح هذه الخطوة خطأ كبيرا للأبد، أم العكس؟ كادت تختنق. أما هو فسار ناحيتها، لقد سار حقًّا ناحيتها. سار جانبها وقال:
"لنمش، فقد حان الوقت وعلينا العودة."
لقد تذكرت هذه اللحظة ثانية بعد أيام عديدة، وقد تحولت هذه الكلمات إلى لعنة:
"لنمش.
حان الوقت.
علينا العودة!".
لكن في هذا الوقت، لم تفقد الأمل بعد، بل أحيطت بالسعادة. فشعرت بيده تضغط على رأسها. وتدفق الدم بكامل جسدها إلى قمة رأسها، لقد جربت بدمها، واستجابت لهذه اليد، وقبّلت قبضة يده بدماء جسدها. وشعت يداه برودة ودفئًا في الوقت نفسه، تغلغلا إلى رأسها، ودخلا دمائها، حينها تدفق الدم باردًا تارة وساخنًا تارة أخرى. وشعر جسدها بالبرودة أحيانًا، والسخونة أحيانًا أخرى، فلم تتمالك نفسها وارتجفت. بدأت في ارتداء الحذاء الذي لم يدخل قدمها دومًا حتى غادرت يده. لقد وقفت وسارت معه على الدرج الحجري، حتى صعدا إلى استراحة بمنطقة علوية. وقف كل منهما عند الاستراحة دون اتفاق مسبق، وأدارا وجهيهما لينظرا للمرة الأخيرة على لونغ تان. كانت هذه نقطة الوقوف الأخيرة لهما، فلن يتمكنا من المجيء هنا مرة أخرى في حياتهما الحالية؛ وإذا

جاءا مرة أخرى لن تكون لونغ تان كهذه، ولن يكونا هما. لقد أدركا هذا تدريجيًّا بعد فترة طويلة، في هذا الوقت، لم يمكنهما سوى الاشتياق بصمت، الاشتياق دون راحة، لكنهما لا يعلمان لِمَ يشتاقان أيضًا.
في الواقع، كل ثانية في حياة الإنسان وكل مكان لا يمكن تكراره، لكن ليس كل وقت وكل مكان ينبه الإنسان، ويوقظ هذا النوع من الاشتياق، لذلك لا يحرص الإنسان دائما عليهم، يحرص على اللحظة الحالية ولا يحرص على اللحظات الأخرى. لكن لا يمكنها فهم هذه النقطة إلى الأبد، برغم ذكائهم الفائق، فإنه من الصعب الإقلاع عن العادات دائمًا. يقفان حاليًا على الاستراحة، ينظران إلى البحيرة المليئة بالينابيع، بينما تفيض مشاعرهما، غير أنهما لا يستطيعان فهم طبيعة ما يمران به. حزن قلباهما، فمرت آخر دقيقة أيضًا. لقد اضطر إلى المشي، واضطرت هي أيضًا لذلك، سارا بسرعة كبيرة، كمن يلحق الطريق، ولا توجد طريقة لمواجهتهما ثانية، فقد سمعا بالفعل صوت بوق السيارة خارج الباب البعيد جدًّا.
سيعودان حقًّا.
لقد عادا إلى المدينة في الساعة السادسة مساء، أخذت أولا الخطابات المرسلة لها من زوجها ووحدة عملها، ثم تذكرة حافلة بعد ظهر اليوم الثاني. حينما اعترفت أنه حان وقت العودة. سألها زوجها ماذا حدث في نهاية المطاف، لما لم ترسل إليه أية خطابات منذ ذهابها. أما خطابات قسم التحرير فتتحدث عن أمور عامة، طالبين منها العودة بعمل أحد الكتاب، بسبب عدم وجود قصة قصيرة تتصدر عناوين الصحف حتى الآن تنشر في هذا العدد، كما وافق الكتاب من قبل على إعطاء قصة في المستقبل القريب. لقد شعرت بالأسف قليلا أن أحد الكتاب ليس هو، وإلا لكان لديهما حجة للمقابلة ثانية. فلقاؤهما يحتاج إلى سبب منذ هذا الوقت، وإذا لم يكن هناك سبب، لا يمكنهما الوجود معا. فهنا أسفل الجبل وليس أعلاه. فالحياة أعلى الجبل ليس لها هدف، وليس لها مركز أيضًا، فيمكن فعل ما تود، أما العالم أسفل الجبل، فكل شخص لديه مسئولية، وأهدافه محددة، ويستوجب وجود آلية معقولة وسبب. فهذا عالم محكم من الأسباب والنتائج، وكل سلوك لديه علاقة سببية واتصال، ولا بد أن يسير كل شيء طبقا لقواعد.
يمكن أعلى الجبل السير دون هدف، أما أسفل الجبل فالسير دائمًا يكون له وجهة، حتى وإن كانت الوجهة غير واضحة، يحتاج أيضًا إلى وجود وجهة غير واضحة. فلا يمكنهما البقاء معا طبقًا لرغبتهما، فلا يمكنهما سوى الانغماس وسط حشود الناس، ينظرون لبعضهما بعيدًا دون أمل، وتنقطع هذه النظرات غالبًا، ويتم إزعاجها، فلا توجد طريقة ليتواجها بإخلاص، حتى هما اشتركا في هذا الإزعاج. عادت مسئولياتهما مرة أخرى على عاتقهم، وأحيطوا ثانية بالكثير من الأعمال، فمستحيل لقاؤهما بأجساد نقية مرة أخرى، فقد تغيرا بفعل إحاطة الأعمال المتراكمة بهم. لقد بعدا فجأة عن بعضهما بصورة كبيرة بعد ثلاث ساعات فقط، وطريق طوله ثلاث مئات الأميال، فإنهما غير راضين، غير راضين تمامًا، فيريدان الإمساك بكل قوة، واستخدام كل الطرق العجيبة لتبادل إمساك تلك العشرة أيام على الجبل، فقد أضاعا الكثير من مشاعرهما وطاقتهما، وأضاعا الكثير من الارتجاف وسرعة ضربات القلب، وفجأة أعلنوا أن كل ذلك دون فائدة، فلم يعد كل ذلك موجودًا، إنه لأمر مثير جدًّا للسخرية، ومضحك جدًّا، وشعرا بإذلال كبير أيضًا. إنهما غير راضين بالاعتراف بهذه النقطة، ومن الصعب

جدًّا إيجاد سبب للوجود معًا، لكن من السهل جدًّا إيجاد سبب لعدم البقاء معًا. لقد اعتمدا على الغياب وعدم الحضور لإثبات مواجهتهما.
عقدت دور النشر المضيفة للمؤتمر حفلة شاي وسمر في المساء، واشترك الجميع بها، إذا جاء هو للساحة، يجب أن تتركها هي، ثم تأتي هي، ويتركها هو، وقد فهما سريعًا جدًّا هذا الحوار الغريب بينهما، كما تحركت مشاعرهما بعمق. لم يتقابلا ثانية، فافترقا بمكانين للأبد، لكن وسط هذا الاختباء، التقت أرواحهما، وتذوقا من خلال اللقاء دون لقاء نوعًا من السعادة المرة. حانت أخيرًا لحظة فراقهما، فغادر في الصباح، وما زال مع رفيقه القادم معه الذي يرتدي نظارة، وعلى النقيض لم تودعه. قبل قيادة السيارة، صافحهم كل شخص مودعين لهما، وصافحت هي رفيقه، ولم تصافحه منفردًا، فقد تصافحا بإحكام دون مصافحة، وتبادلا النظرات دون نظرات، وودعا بعضهما دون وداع، ثم ركب السيارة، وأغلق بابها، وغادرت.
كانت هي أول واحدة تدير نفسها من بين حشود المودعين، وتعود إلى الفندق، دخلت المصعد الكهربائي الذي صعد طابقًا طابقًا حتى وصل. خرجت من المصعد وسارت على السجادة شديدة الاحمرار، سارت خطوة بخطوة للعمق ودخلت غرفتها. لقد نظرت بكامل ظهرها إلى المكان البعيد خلف سيارته، فأرادت أن يكونا عكس بعضهما لكي يسيرا وجها لوجه، فكلما غادرا أبعد، شعرت بالسير أقرب. لقد رغبت في جعل كل شيء، وكل الوسائل تبقيه، وتبقي أيامه وانطباعه معها من قبل، ولم ترغب بشدة في بعدها، فأرادت الإمساك بها. لكنها شعرت بأن قلبها فارغ أكثر فأكثر، فارغ أكثر فأكثر. سمعت دق باب المصعد خلفها، وخرج عدد كبير من الناس متزاحمين، فامتلأ الممر بأصوات خطوات أقدام كثيرة لانت بفعل السجادة، لقد دفعت الباب ودخلت. رأت الحقائب المعدة التي جهزتها بالفعل، فتذكرت أنها ستغادر أيضًا بعد الظهيرة.
تغادر العربة في تمام الساعة الرابعة بعد الظهر، تراجع رصيف القطار خطوة بخطوة للوراء. وأرادت تذكر هذا الرصيف بشدة، فإنها لم تجد أية علامة، فهو مشابه تماما لجميع الأرصفة، حتى عمال القطار، الواقفين بمهابة على الرصيف، تبدو ملامحهم واحدة. لم يمكنها سوى النظر إلى الرصيف وهو يتراجع عن مرمى بصرها. وصل القطار إلى الحقول، وسار سريعًا وسط أشعة الشمس الغاربة.
منزل. تذكرت بيتها فجأة، فلم تعد قادرة على فهم مغزى البيت بالنسبة إليها. أخذت تحدق إلى المناظر المارة سريعًا خارج النافذة، وقلبها يمضغ كلمة "البيت" مرارًا وتكرارًا، يمضغها وكأنها تريد إخراج طعمه. تصطدم عجلات العربة بالقضيب، فتصدر أحيانًا صوت "دانغ دانغ" الهش، وكأنه صوت ساعة. إن قلبها مشبع بصوت الساعة، فلا مجال مطلقًا للتفكير. وبمجرد أن أظلمت السماء، صعدت على الفراش الأوسط بدوران، وقلبت رأسها لتنام، ونست طعام العشاء، فلم تسمع سوى إصدار بطنها لأصوات غريبة، فإنها لم تفكر أيضًا بمعنى هذا.
ستعود إلى المنزل وقد انقلبت جميع أحلامها.
سار القطار وهو يهزها، فتبعثرت جميع أحلامها، تبعثرت إلى أشلاء. فأخذت تجمعها داخل الحلم كلعبة الألغاز الطفولية، ولم تستطع تكملتها في النهاية. ولكن الحلم استمر، حتى وصل فجأة إلى لونغ تان، وسقط فجأة بوادي جينشيو، وسار فجأة على التسعمائة وست وخمسين درجة، سار حتى تعب جدًّا، وتوتر أيضًا. تلاشى الدرج بمجرد ظهوره، وتبعثر بفوضى في كل مكان. لقد توترت

وأخذت تجمعه في حلمها بقوة، وحاولت فهمه بكل جهد، حتى أنهكت. وحين أنهكت وسقطت من التعب، سمعت فجأة ثرثرتها. فهي في الأساس تتحدث من الرأس إلى القدم، تخبر بشيء ما، وتشتكي من شيء ما، تتحدث بتوتر شديد، وحماسة كبيرة، تحدثت حتى تعبت. ما زالت تثرثر، ولا يمكنها التوقف أيضًا. لا تعلم سببًا لشعور قلبها بالغضب والقلق هكذا، وتحاول تفسير الأمر. فتحمس مزاجها كثيرًا، وتعب بشدة أيضًا. ظلت صاخبة هكذا طوال الليل، وتضايقت بصخب ذاتها، وكادت أذنها تصم، ويبكم صوتها، ويتضخم عقلها. فأصيبت بالصداع منذ استيقاظها صباحًا.
وقف القطار في محطة صغيرة، ونظرت إلى الأشخاص المتحركين ذهابًا وإيابًا بالمحطة الصغيرة وفمها يحوي مرارة، هناك من نزل أمام بركة المياه برصيف المحطة ليغسل وجهه وأسنانه، ودفع عامل القطار المرتدي معطفًا أبيضَ عربة الطعام وسار بلا مبالاة، وبعد القضيب هناك جمع من الناس يضحكون بلا داع عند بوابة فحص التذاكر تلك، والجرس يدق. يدق الجرس "دينغ لينغ لينغ" دون توقف. وكأن هناك شيئًا ما أوقظ بعقلها المقفر، ينتظرها لتفهمه، لكنه تلاشى ثانية. تحرك القطار في لحظة توقف صوت الجرس. فظهر أمام عينها مشهد جري زوجها وهو يلاحق عربة القطار. نظرت إلى رصيف المحطة وهو يبعد بسرعة تدريجيًّا، وكأن ظل زوجها يقترب رويدًا رويدًا. في هذا الوقت، فهمت قليلا شيئًا ما. وتذكرت تدريجيًّا وقت نظرتها إلى زوجها وهو يركض بجهد، فتدفق القلق بقلبها، وكذلك ما أرادت قوله لزوجها فجأة قبل تحرك القطار، لذا قالت له مسألة ذوبان اللحم المثلج بالفريزر، وهناك أيضًا، شجارها مع زوجها دون سبب قبيل صعودها للقطار. بدأت الإذاعة تعلن أن المحطة القادمة هي الأخيرة لهذا القطار. ستصل إلى البيت، وبرز البيت تدريجيًّا بقلبها كالنحت. لقد تحمست قليلا، وزادت ضربات قلبها، واضطربت بعض الشيء. إنها لا تعلم إذا كانت مسرورة بعودتها للمنزل، أم حزينة لذلك، كما لا تعلم إذا كانت اشتاقت للمنزل في الاثني عشر يوما خارجه أم لا، فهي متحمسة تحمسًا مجهولا فقط، فكلما اقترب القطار من المحطة الأخيرة، تحمست. وتدريجيًّا لم تستطع التحمل. دخل القطار المدينة، وازدحمت العربات والناس الذاهبين لأعمالهم خلف الحاجز. لم يدخل القطار المحطة بعد، وترددت مسيرة حماسية بين العربات من فريق عاد منتصرًا. لقد قلقت قليلا. وشعرت بالندم فجأة بسبب عدم إرسالها برقية لزوجها ليأتي لاستقبالها في محطة القطار. نعم، كان لا بد من إرسال برقية. كان بمكتب الاستقبال بالفندق وكالة بريدية، لكنها لم ترسل. في هذه اللحظة تذكرت هذا الشيء، وكأنه في العالم السابق وليس أمس. فلن توجد مثل هذه الليلة ثانية، يمكنها فصل أمس عن اليوم فصلا شديدًا هكذا.
وقفت العربة أخيرًا، ببطء، وقفت ببطء. وبمجرد وقوفها، تكاسلت هي عن الحركة، لكن لا بد من تحركها. رتبت بهدوء ملابسها وشعرها المبعثرين بفعل النوم، توجد مرارة بفمها، فلم تغسل أسنانها، ولعابها لزج ومريب. فعلقت لسانها بحلقها باشمئزاز، تجنبا لصنع مذاق. ثم سحبت حقيبة السفر من أسفل الفراش، وزاحمت مع حشود الناس، تتحرك وكأنها لا تتحرك لتنزل من العربة.
سطعت الشمس عاليًا، لكن الرياح باردة جدًّا، وبدل الناس وقت ذهابها ملابس الخريف العميق. لقد استجمعت قواها وسارت على رصيف المحطة الطويل، ناحية بوابة فحص التذاكر، وجاءت عربة الحقائب فجأة من خلفها، فازدحم الناس جانب الطريق، ومروا بعدة مسارات، هناك قطار سيتحرك أيضًا، فدق

الجرس، والصفارات أيضًا. إن هواء الصباح نقي جدًّا، وأناس الصباح نشيطون كثيرًا، وملامحهم رائعة، فشعرت هي بقذارتها وهزلها، لكنها لم تهتم، اهتمت فقط بالخطوات التي تخطوها للأمام كالآلة، عابرة الميدان الضخم. ثقلت الحقيبة على يدها، وكسلت عن تبديلها، وحركت أصابعها فقط، حركتها لقبضة يدها، سارت خطوة خطوة، ومرت بالميدان خطوة خطوة أيضًا.
سطعت الشمس فوق الشارع الصاخب أمام الميدان، وكأنها سطعت فوق النهر الكبير، هذا مشهد فكاهي بعض الشيء، لكنه يحوي مغزى كبيرًا. وقفت بجانب الشارع الذي تسير به السيارات دون توقف، لا تعرف كيف تعبر للجهة المقابلة، فذلك نهر كبير خال من المعابر حتى. أو إن الخط الأفقي هو المعبر، لكن السيارات تأتي مسرعة، فحتى الخط الأفقي غير آمن. لقد حاولت مرات عديدة، وفشلت مرات عديدة أيضًا، حتى استغلت لحظة قللت العربات فيها سرعتها تقريبًا، وعبرت. عبرت هذا الطريق، واستعادت الثقة تدريجيًّا، فقد جعلتها الضوضاء تستعيد ذاكرتها، لذا اعتادت سريعًا. سارت بالكثير من الخطوات الثابتة، واستمرت في السير للأمام، سارت لمحطة العودة للمنزل. حاليا تتمنى بشدة العودة للمنزل بخطوة واحدة، فهذه الملابس والملامح التي فصلتها عن الليل تدعوها للإحباط وعدم القدرة على التحمل.
حين وصلت إلى المنزل كانت الساعة التاسعة والنصف صباحًا، وكان زوجها قد ذهب إلى العمل، وهناك ورقة على الموقد الغازي، مكتوب عليها، من المحتمل أن تعود اليوم، يوجد في الثلاجة حساء الفول الأخضر المجمد، وهناك أيضًا خبز تم شراؤه حديثًا، وزجاجات المياه مليئة بالماء الساخن، فيمكنها غسل رأسها والاستحمام، كان التاريخ المكتوب أسفل الورقة هو تاريخ قبل يومين، فيبدو أنه انتظر لمدة يومين. لقد شعرت فجأة بالألم، كالطفل الذي ظُلم وعاد للمنزل. في هذه اللحظة، تدفق بقلبها تقريبًا حماسة لطيفة، لكنها غادرت الموقد الغازي والورقة أعلاه ودخلت الغرفة، فوجدتها فوضوية جدًّا، فأكواب الشاي التي احتُسيت من قبل موضوعة في كل مكان، في الخزانة ذات الأدراج، وطاولة الفراش، والمكتب، والمنضدة المربعة، وهناك واحدة واقفة كالطائر الواقف على الشجرة على هيكل الفراش الضيق. ويوجد أسفل الفراش كومة من الغبار كالقطن تخرج مع الرياح، وترقص بخفة تحت أشعة الشمس، ويبقي على المنضدة المربعة بقايا حساء الخضروات، وانتشرت رائحته الكريهة في الغرفة كلها. فتنهدت تنهدًا طويلا، ولملمت دموعها، وتزايد الاستياء بأعماق قلبها، وأرادت إيجاد شخص تتشاجر معه، لكن لا يوجد حل، فلا يوجد أحد في الغرفة غيرها، فالغرفة بأكملها هادئة ، فاضطرت إلى الهمس داخلها. جمعت أكواب الشاي بغضب، جمعت نصفها ثم أرادت غسل أسنانها، ففتحت حقيبة السفر وأخرجت أدوات الغسل، وبالمرة أرادت وضع بعض الملابس المغسولة في الدرج، لكنها لا تعلم ماذا حدث به، لماذا لا يُفتح، فسحبته بقوة، فلم تر سوى فوضى، كان ممتلئا جدًّا، والأشياء محشورة بداخله، ولا يمكن وضع المزيد به ثانية. حاولت ترتيبه، وبمجرد التقاطها لعدة قطع، شاهدت يدها المتسخة التي لم تُغسل ليلة كاملة، فأخذت أدوات الغسل وذهبت لغسل وجهها، لكن حوض غسيل الوجه مُلئ بالقاذورات، فانشغلت ثانية بالبحث عن مسحوق لغسل حوض الوجه، وفي لحظة أصبحت كلما تنشغل أكثر، تزداد الفوضى، فهناك شيء اخر لم يُكمل. لقد تعبت وغضبت، جاعت وعطشت، حتى أرادت الاستلقاء، لكن

الفراش مملوء بالأشياء، ولا يمكنها الاستلقاء. لقد تعبت حتى سالت دموعها، وزادت ضربات قلبها، وقفز وتر صدغها.
كادت تموت حقًّا من اللوم، كادت تموت حقًّا من اللوم! لقد انشغلت من ناحية، وغضبت من ناحية أخرى، وأخذت تنادي وتصيح داخلها، وكادت رئتها تنفجر من الغضب. وبدت الشمس وكأنها تتعمد إغضابها، فيزداد إشراقها أكثر فأكثر، تشرق لدرجة تقلق البشر، وتجعلهم يشعرون بالأسف لها مهما عملوا، فقد خيبوا أملها، لذا لا يكون لديهم الرغبة في عمل أي شيء. في هذه اللحظة، وُجد شخص بالأسفل ينادي على شيء ما، إنه في الأساس عامل البريد، ينادي على طوابع أحد سكان الدور الرابع، وهناك خطاب مسجل. تحرك قلبها فجأة، واعتقدت أنه من المحتمل وجود خطاب لها، نعم، من المؤكد أنه أرسل لها خطابًا. على الرغم من أنه ليس اليوم، وليس الغد أيضًا، لكنه بعد غد، أو بعد يومين، يحتمل أن يرسل خطابًا. يمكنها انتظار خطابه، فلن يضيع الخطاب، كما يمكنه تسجيل كل شيء، وبإمساكها إياه، يعطيها دليلا على الذكريات والمذاق المختلف، فلم يعد هناك ليل وضباب، يوجد فقط شخصان في الساحة ولا يوجد دليل، ففي غمضة عين تختفي القبلة والكلمات الهامسة. تذكرته، واعتقدت أنه من المحتمل أن يرسل خطابًا، فهدأ غضبها قليلا، كما شعرت بالخجل بعض الشيء بسبب استشاطتها غضبًا، وشعرت أيضًا أن قذارتها وتعصبها حماقة شديدة. ظهرت عينه خلفها مرة أخرى، فأرغمتها نظراته على الهدوء، واللطف، فهي لا تتذكر تقريبًا كيف كانت تهدأ من قبل. إنها مستاءة جدًّا، لكنها تشعر أن هذا غير مناسب جدًّا، كما تذكرت، أنها إذا لم تستطع الهدوء ثانية، ستكون قد أخفت عليه خلال تلك العشرة أيام، وخدعته. وهكذا عاقبت نفسها بشدة، وهدأ غضب قلبها تدريجيًّا. ثم هدأت هي، واستمرت في التنظيف، وأصبح العمل الذي تقوم به مرتب تدريجيًّا، كما أظهر نتائجه رويدًا رويدًا. وبعد غسلها لشعرها واستحمامها، هدأ مزاجها كليًّا. استلقت على الفراش، وأخذت تفكر متى سيصل خطابه، وتتخيل ما سيكتبه فيه. في هذا الوقت، يمكنها التفكير فيه بضمير مرتاح، تفكر فيه بنظافة وترتيب ونقاء وهدوء، فلا يمكنها إهانته، ولا يمكن أيضا إهانة علاقتها به. وإلا ستشعر بالحزن. فلا بد أن يتقابلا في بيئة نظيفة تكاد تكون مقدسة، ولا يمكن إزعاجها على الإطلاق بأشياء تافهة، هكذا فقط يمكنهما التحدث. الآن يمكنهما التحدث. لقد ابتسمت بحلاوة شديدة، واستلقت على الفراش براحة، وأغلقت عينيها. لكن، قلبها فارغ، فلا تعرف بماذا تفكر. أغلقت عينيها، وجمعت تركيزها، وأخذت تفكر بجهد، لكنها لم تزل لا تتذكر شيئًا، فهناك فقط انطباعات خافتة متناثرة تسبح، ولا يمكنها الإمساك بهذه الانطباعات، يمكنها فقط إضافة ملحوظات على الهامش، وكأنها تقص لنفسها قصة، قصة لا علاقة بها تقريبًا. إنها متعبة قليلا، في هذا الوقت، حل النعاس، وكانت الجملة الأخيرة التي تذكرتها هي: من المحتمل أن أحلم به. ولا تعرف أي شيء بعدها.
لا داعي لتحفظها ثانية، لقد شعر أن زوجته النائمة أروع من أي وقت آخر.
حين فتحت عيناها كان الظلام حل بالغرفة بأكملها، ودخلت الرياح الباردة من فراغات ستائر البامبو. فسحبت غطاء الفراش وغطت نفسها، وبجسدها آلام خاملة، لكنه هادئ كثيرًا. لقد سمعت صوت حفيف الأمطار، فعرفت أن المطر يهطل. لكنها لم تعد تخاف من هطول المطر الشديد، فقد وصلت للبيت! وشعرت في هذه اللحظة بأن المنزل جيد جدًّا، فهو حقًّا مكان آمن. هناك أصوات الرعد مملة في مكان بعيد، والغرفة تظلم أكثر، لكنها تعرف أن هذا

ليس المساء، لذا لا داعي للخوف. نزل المطر في الشرفة، وتسرب ضوء خافت من ستائر البامبو، فانعكس على مرآة التسريحة، فأصدرت توهجًا. أغلقت نصف عينها بدوار، فشعرت أن الفراش يهتز ببطء مترنحًا، يدللها حتى تنام. وكان الشعور الأخير لها قبل غلق عينيها، هو تطاير أوراق شجر صفراء خارج ستائر البامبو، وإضاءة الستائر في هذه اللحظة، من المحتمل أن تكون السحب بالسماء تلاشت للحظة.
وبعد عودة الزوج إلى المنزل، رأى زوجة أخرى تنام بهدوء، فأراد من أعماق قلبه إيقاظها، وتبادل الحديث معها حول الكثير من الأشياء المتراكمة في أكثر من عشرة أيام، فإنه لم يتحمل أيضًا؛ ذلك لأنه يشعر أن زوجته النائمة أروع من أي وقت، كما أنه لم يرها منذ فترة طويلة نائمة بهدوء هكذا. بدأ يحرك يديه وخطواته بهدوء شديد للطهي. فاستيقظت بفعل رائحة الطعام العطرة. فتحت عينيها، وشاهدت زوجها يقشر بصلة بغباء، فتأثر قلبها قليلاً، وأقسمت سرًّا ألا تغضب ثانية، ولا تثرثر مرة أخرى، لا بد أن تكون هادئة، وعليها الحفاظ على السلام بلطافة، كما كانت وقت وجودها بالجبل. إن الجبل بعيد هكذا، وأخذت تبحث عنه داخل ذاكرتها، لكنها لم تجده، فيظهر فقط ضباب. هناك أعين تجاوزت الضباب تشاهدها، ولا يمكنها تخييب أمل هاتين العينين، وشعورها بعدم معرفتها، والخطأ بها، فعليها الحفاظ جيدًا على بقاء صورتها في هاتين العينين.
إنها ليلة لطيفة مغرية، ولم يتوقف حفيف المطر الرقيق خارج النافذة، وأشرقت الغرفة المرتبة بفعل امتصاص السقف للهالة البيضاء كالحليب، وهدأت هدوءًا غير عادي. فلا يوجد من يطرق الباب، يوجد فقط رياح، وهناك صرير الباب الذي يدفع، ويذيع التلفاز مسابقة الكرة طائرة نسائية، تدخلت بعصبية وسط جو الاسترخاء والهدوء داخل الغرفة. أخذت تتحدث معه فيما رأته وسمعته في جبل لو شان ببطء، وعكس قلبها في الوقت نفسه مشهد وجودها معه، ظهر هكذا بطبيعية، دون أي جهد، ظهر طبقة خافتة ليست كثيرة ولا قليلة. ولم يتوقف الزوج عن التدخل وإخبارها بأشياء تافهة حدثت داخل المنزل وخارجه، سارت الساعة على خزينة الأدراج، وتنفست المياه على الموقد الغازي، فخرج لعقدها. دخلت المياه الزجاجة بصوت، ثم أخذ الممسحة من دورة المياه ليمسح آثار الماء على الأرض. وعاد بعد انتهائه من كل هذا، وجلس على مقعد من الخوص بمقدمة الفراش، واستمر في الحديث معها وهي مستلقية على الفراش، كل الحديث كلام تافه جدًّا، وليس له أي مغزى لا بد من أخذه في الاعتبار، لكنه نسج ليلة سالمة سعيدة. صعد الزوج على الفراش برضا تام، وأطفأ الأنوار. إنه لم يتخيل هذه الليلة حتى في أحلامه، في الواقع، هناك ثلاثة أشخاص يتبادلون العناية، ثلاثة أشخاص وليس شخصين. فسيصبحون ثلاثة أشخاص في فترة طويلة جدًّا قادمة، وليس شخصين يتعاملان معًا بسلام، ولن يكون هناك خلاف وجدال، فستختفي وتتلاشى جميع الخلافات والجدل بسبب ذلك الشخص الثالث.
شعر الزوج فقط بغرابة قليلة سرًّا، فقد أصبحت الزوجة هادئة فجأة، لكنه موافق جدًّا على طبعها الجيد هذا، ويحمل نوعًا من الشعور بالانتصار الذي ساقه الحظ، وأخذ يتمتع بمزاج زوجته الجيد، ولا يريد التفكير كثيرًا في أشياء أخرى.
في اليوم الثاني، خطت على ورق الشجر الذي يملأ بالأرض وذهبت للعمل، وعلى ما يبدو أنه تبعها أيضًا في الذهاب للعمل، فأخذ ينظر إليها دون أن يدير عينيه، حتى لم يترك ورقة شجرة تنزلق أمام جبهتها. يداها، قدميها، جبهتها، خدها، وكل مكان شعر برعاية نظراته، وكأن نظراته توجد مع أشعة الشمس،

وخلقا معًا باقة، عبرت كل شيء، حتى وإن كانت هناك حواجز ضبابية، فإنها تتحول أيضًا إلى ضوء ينتشر ويصب على جسدها. وبحلول المساء، يسلم نظراته كما تسلم الشمس إشراقتها إلى القمر، وبغض النظر عن نقص القمر، يستحيل أن تمد يدك ولا ترى أصابعك الخمسة. فإذا كان هناك خيط رفيع من الضوء في العالم، فهي رعاية نظراته.
هكذا، خطت على أوراق الخريف بسعادة وبهجة لتذهب للعمل. تمسك أشجار الأبنوس يد بعضها فوق رأسها على الجانبين، والأوراق ذابلة قليلا، فتظهر مفاصل جميلة قوية. وتومض السماء الزرقاء خلف الفروع المتشابكة ومضات مزركشة، فكأنها تسير في ممر طويل جدرانه ملونة. وأخذت تحدق يسارا ويمينا بنظرات جديدة فضولية، فيوجد بالجانب الآخر من الطريق أم شابة، تحمل طفلا، ويبكي الطفل وكأنه يغني: "لا أود الذهاب إلى الحضانة، لا أود الذهاب إلى الحضانة!" والأم تثرثر لتقنعه. بقي صوت البكاء طويلا في الشارع المبهر وسط أشعة الشمس خلف الأم والابن، أخذ يرن بقوة. نظرت هي إلى الأمام، إلى مبنى مكون من أربعة طوابق يشبه السفينة، وهناك آثار مياه تزحف على الحواط الصفراء، وكأنها شبح. تغسلها أشعة الشمس الخريفية الواضحة جدًّا ، فمحت آثار أوساخها، فلمعت بصورة رائعة هكذا، وعكست النافذة الدائرية التي تشبه نافذة الطائرة أشعة الشمس، كالمرآة اللامعة. يوجد داخل السياج الأخضر حوض من نبات القنا، يزهر الأزهار الحمراء زاهية. لقد وقفت قليلا أمام المبنى، ونظرت بعين غافلة قليلا إلى المبنى الذي تدخله منذ عشرة أعوام، وكأنها المرة الأولى التي تراه، ثم قالت داخلها: "لقد وصلت". ثم صعدت الدرج.
كانت تتحدث لنفسها طوال هذا الطريق، تتمتم سرًّا، فلا تقدر على أن تجعله يشعر بالوحدة الشديدة وهو يحيطها بالكامل، فتود الحديث معه في شيء ما، حتى لا تخيب آمال نظراته لها. يسود الهدوء الشديد داخل المبنى الكبير، وصلت متأخرة نصف ساعة، كانت تتعمد ذلك، كانت تتمنى من أعماق قلبها وجود أجواء احتفال صغيرة، على الأقل عليها أيضًا جعل الجميع ينتبه لرجوعها. لقد عادت، لقد عادت من مكان بعيد جدًّا، وبعد فترة طويلة جدًّا، لقد عادت أخيرًا. صعدت الدرج بخفة، وقفز قلبها، وبردت قبضة يدها قليلا، فقد شعرت أنها عادت من مكان بعيد للغاية بعد فترة طويلة جدًّا. لقد استندت إلى مسند اليد الأملس الموجود عليه آثار مياه، فمسحت آثار المياه، ودفعت المسند للوراء بيدها، فتبدو وكأنها تصعد الدرج بنفسها. سمعت صوت خطوات أقدام داخل الباب، لكنها لم تسر خارجه، فتدق داخل الباب فقط. لقد صعدت الدرج، ودخلت المكتب الواسع.
كان المكتب هادئًا هدوء يصعب الحصول عليه، الجميع موجودون، الكل يعمل في المكتب، يعملون بجد، وانسجام، وتغرد الطيور خارج النافذة. إنها لا تعرف كيف تعلن عن مجيئها، لكنها تري فقط كل المداخل أمامها، إنهم عدة درجات تؤدي إلى مكتب رئيس التحرير. آنذاك كان نائب رئيس التحرير يقف على هذا الدرج، وأخبرها بوجود مؤتمر فني سيعقد في جبل لو، فلتذهبي إليه! فاستاء قلبها، كسفينة صغيرة فقدت أمواج المياه، ثم استقرت. لقد قمعت قفزات قلبها، وسارت خطوتين للداخل، في هذا الوقت هناك شخص رفع رأسه، ألا وهو شياو تشانغ، لكنه خلفها، فرفع رأسه ليتحدث مع لاو لي المقابل له، وحين رفع الأخير رأسه، رآها قادمة من الأمام. وقف لاو لي، وقال: "لقد عدت!". ثم أدار شياو تشانغ رأسه، ووقف أيضًا لاو وانغ الجالس أسفل النافذة الجنوبية المضاءة بفعل

أشعة الشمس، وأدار الجميع رؤوسهم، وهزوا رؤوسهم على التوالي وابتسموا قائلين: "لقد عدت!". ثم ركضت شياو شيه من أسفل النافذة الشمالية، وسألتها: "أين ذهبت؟"، فنظرت إلى شياو شيه باستغراب، ولم تفهم قصدها، في هذا الوقت، أخبرها شخصان أو ثلاثة، أنها عادت من المشاركة في مؤتمر بجبل لو، فوجئت شياو شيه وقالت إنها اعتقدت أنها في إجازة مرضية! فتذكرت للتو حين مغادرتها، كانت شياو شيه تجري عملية إجهاض، وترتاح بالمنزل. فشعرت فجأة بخيبة أمل، وسارت على مضض أمام مقعدها أسفل النافذة المشرقة، كانت المنضدة نظيفة جدا، فكان شياو وانغ يمسحها معه كل يوم، والوثائق التي لم تنته من قراءتها حين غادرت موضوعة في المنتصف، والنصف الأعلى مفتوح إلى صفحة اثنى عشر، ومكتوب بحبر كربون بصورة شديدة السواد، ونوع من الخط المربع، لقد لمسته، ووُجد عليه أتربة ناعمة رقيقة. لقد سمعت الجميع يقولون: "بسرعة شديدة، إنه حقًا وقت إغماض العين".
لقد استعادت هدوءها بعد فترة من الهياج، وخفض كل شخص رأسه ليعمل. ما زال لاو وانغ فقط يتحدث إليها بصوت خافت، يقول لها من بحث عنها في هذه الأيام، ومن اتصل بها، وكيف أجابهم واستفسر منهم، كما سجل كل شيء في تاريخ ذلك اليوم. فشكرته، وأخذت تقلب في التقويم، وهي جالسة على المقعد النصف دائري، وقد نظفه لها أيضا لاو وانغ، لقد جلست دون قلق. وقلبت في التقويم للخلف، فقد دون لاو وانغ مجيء الأشخاص والاتصالات في ذلك اليوم بوضوح ودقة. قلبت حتى وصلت إلى تاريخ يوم سفرها، وكانت قد كتبت فيه بقلم الرصاص: الذهاب إلى جبل لو-لا تعلم لما رسمت خط طويل. تحمل يدها صفحات التقويم الرقيقة، وفكرت في أن هذا كل شيء، وهناك أيضًا الغبار القليل الموجود فوق تلك الصفحة من الوثائق، هذا كل شيء للعشرة أيام. لقد امتلأت بالحزن، وأعادت التقويم صفحة صفحة ببطء.
كان لاو وانغ قد خفض رأسه لقراءة المستندات منذ فترة، ويده ممسكة بقلم جاف، واليد الأخرى ممسكة بكوب من الشاي، والشاي معبأ في غطاء زجاجي لقنينة زجاجية، ولم يُغط، فارتفعت موجة من الهواء الساخن. لقد انتهت من التقليب في التقويم، وسحبت الدرج الأيمن، إنها تعلم أن في أيام غيابها يضع الاستقبال الخطابات دوما بأول درج على اليمين. وبالفعل يوجد داخل الدرج كومة من الخطابات. فتحتها بالتدريج، وشاهدتها خطابًا خطابًا. هناك ذبابة تزحف خارج النافذة الزجاجية، ويحمل عشبها الرقيق مئات الملايين من الأقدام البكتيرية القذرة تتسلق بغرابة على الزجاج الأملس. وتصدر صوت صرير، وكأن هناك مسمارًا رقيقًا جدًّا يرسم على الزجاج. وقف لاو وانغ بهدوء، وسار أمام زجاجة المياه الساخنة بزاوية الحائط وأضاف مياهًا للزجاجة الزجاجية.
يوجد خلف الذبابة، شجرة بولونيا كبيرة انتقلت من مكان بعيد بالشمال الغربي، وهناك أوراق متناثرة عبر البولونيا، ويوجد نبات لبلاب أصفر اللون بجدار الغرفة الأوروبية من الطوب الأحمر بالفناء المجاور، ومعلق على السور الحديدي للشرفة نصف الدائرية غطاء ذو أزهار صغيرة يجف، ومفتوح بالقبة العلوية للمبنى نافذة يظهر منها نصف ظل شخص، يشبه المرأة، وترتدي تقريبًا فستانًا بحزام أزرق اللون، خافضة رأسها لم تتحرك لفترة طويلة، وكأنها تقرأ كتاب. ينادي ساعي البريد خارج الباب الحديدي للساحة دون صوت، ثم عبرت فتاة مسرعة الساحة وفتحت الباب، فدخل ساعي البريد ووقف في منتصف الساحة، ورفع رأسه ينادي دون صوت أيضًا. وما زال الظل أعلى المبنى لم يتحرك.

لقد قرأت جميع الخطابات، وبدا قلبها وكأنه فقد الثقة، وأصبح فارغًا فجأة. إنها تعلم أنها تنتظر خطابه، على الرغم من أنها تعلم جيدًا أنه من المستحيل أن يرسل خطابًا بهذه السرعة. لقد شعرت بالتعب الشديد، كما شعرت بالإحباط، فاستندت إلى ظهر المقعد، وأخذت تحسب بصمت كم من الوقت يحتاجه الطريق لعودته للمنزل، وكم من الوقت يحتاجه الخطاب من مكانه إلى مكانها، وبعد حسابها، هدأ قلبها قليلاً، لكنه غير قادر على استعادة نشاطه. إنها كسولة، وشعرت بالكآبة قليلاً، فقد أُحبطت حين فقدت رعايته ومراقبته. دق جرس الاستراحة من العمل، فوقف الجميع أمام مكاتبهم، وتحركوا متتابعين، بينما تتحرك المقاعد على الأرض ذهابًا وإيابًا، وهناك بعض الأشخاص ساروا بجانبها، وسألوها عن هذا وذلك، فقمعت مزاجها نافذ الصبر، وحاولت بجهد تحميس نفسها، وأخذت تصف مناظر جبل لو شان. ولم يتوقف قلبها عن الضيق مع وصفها، فكل انطباع لها عن جبل لو مرتبط بذكرياته. لذلك، كل وصف لها يحتاج إلى انفصاله عن المشهد، وإبقائه وحيدًا بقلبها، يتردد بمناطق جبال وبحيرات قلبها. لم تتوقف عن افتقاده، لكن بغياب إشراقة نظراته، تحول افتقادها إلى فراغ، كحب من طرف واحد، مما يشعرها بالظلم والحزن.
خرج نائب رئيس التحرير من المكتب، ورآها، وطلب منها الذهاب إليه هناك بعد استراحة العمل لإخباره بالتقرير، ثم ذهب مباشرة إلى الشرفة، وحرك خطواته في مكانه بجدية مع الموسيقى.
جاء جميع سعاة البريد بالفترتين الصباحية والمسائية، ولا يوجد الخطاب الذي تنتظره، فوضعت أملها على المنزل. لقد أعطته عنوان منزلها قبل فراقهما، فمن الممكن أن يرسل الخطاب إلى المنزل. استعادت حماستها مرة أخرى عند انتهاء العمل، واضطرب الأمل بقلبها وتزعزع قليلاً، مما جعلها قلقة. ولحسن الحظ حل الغروب، وأظلم المكتب، فاسترضى مزاجها. دق جرس انتهاء العمل، لكنها تباطأت مرة أخرى، وكأنها متأكدة أن الخطاب ينتظرها في المنزل، كما ينتظرها هو تمامًا، فعليها ضبط النفس بصورة صحيحة. لقد أشرقت نظراته اللطيفة جانبها ثانية، وكأنه يخفي جسده داخل الغروب الشديد، ويتبعها بصمت. فشعرت بالسعادة. وأحاطها ذلك النَّفَس الموجود بالغروب، وسارت بمفردها في تلك اللحظات، لحظات الغروب، وبدأ قلبها في التحدث سرًّا، والتواصل مع نظراته. عبرت نظراته داخل جسدها، وشعرت هي بعبوره، وتمنت أن يبقى داخل قلبها، فهو دائما ما يخرج.
لقد دخلت الرواق، وأوقفت الدراجة باضطراب أمام صندوق البريد، وتسحبت بهدوء، حتى فتح في النهاية طريق صغير معرج، فأدخلت جسدها به بعنف، ووصلت أخيرًا أمام صندوق البريد، وأخرجت المفتاح لتفتح القفل، وأخذ المفتاح يتخبط بثقب القفل متحمسًا، فلم تتوقف عن الغضب والعجلة، وكأنها ستلحق موعدًا، موعد ينتظرها طويلا. فُتح صندوق البريد، ولم يوجد به سوى الجريدة المسائية الحقيقية. وكاد جسدها يضعف بأكمله، وأغلق الطريق خلفها فجأة، كما أغلقت الدراجة، ولم تعد هناك طريقة لتراجعها. وضعت الجريدة المسائية أسفل إبطها، وأغلقت صندوق البريد، وأعادت القفل. ثم أدارت جسدها بصعوبة، وانسحبت. لقد سحبت الدراجة بصورة فوضوية، وحجبت مدخل الدرج، ولم تعد تتذكر كيف كانوا مرتبين في البداية. فبذلت آخر قوة لديها ودفعت الدراجة، وتركت مدخلا ضيقًا، ولم تهتم ثانية بالكثير، وجرت خطواتها الثقيلة وصعدت الدرج. واضطرت للاستناد إلى مسند اليد الصدئ، وجرح الخيزران الخشن قبضة

يدها، فشعرت آن الحديد الصدئ قد سقط بفعل قبضتها. لقد صعدت طابقًا واحدًا ودخلت ممرا أسودَ داكنًا، لا ترى فيه أي شيء، وليس به ولو القليل من الضوء. لقد سحبت خطواتها ببطء، واعتمدت على حدسها واعتيادها حتى لمست مدخل منزلها.
يسود الظلام بالمنزل، فأضاءت المصابيح، وأثاث البيت متكئًا على الحائط، مظهرا نوعًا من العاطفة المقفرة. لقد ابتل إطار عينيها دون أن تشعر، فلم يعد لديها أية قوة جسمانية أو طاقة، فلم يكن أمامها سوى الاستلقاء على الفراش، ولم يكن لديها سوى طريق النوم. لكن، شكلت الحياة الطويلة مبكرًا نوعًا من القصور الذاتي، يدفعها هذا القصور الذاتي دون الكشف عن نواياه، فلم تجلس حتى، ووضعت حقيبتها والجريدة المسائية، ثم ربطت المريلة. لقد شكلت هذه الأعمال منذ زمن نظام آلي، فلا داعي لتشغيل العقل ولو قليلا، ولا حاجة إلى اتخاذ قرارات. لم تستغرق سوى دقيقة واحدة تقريبًا منذ فتحها لصندوق البريد إلى دخول الباب، فلم تقف وسارت بشكل متواصل دون راحة، أما قلبها المقفر سقط بالفعل عدة مرات، وكافح عدة مرات أيضًا، فقد مر مبكرًا بمراحل طويلة من السقوط والنهوض. لقد تعبت كثيرًا. وقلبها مقفر فوضوي، وفارغ قلق، إن هذا المزاج الفوضوي يرجع في النهاية إلى حلقات من شعور التذمر.
لا داعي لأن تتحفظ ثانية، ولا داعي للحفاظ على هيئتها مرة أخرى، فقد فقدت بالفعل طباعها الحسنة، وفقدت جميع الآمال. لذلك، بدأت في انتظار عودة زوجها. وإذا مر خمس دقائق أخرى ولم يدخل زوجها من الباب، سيعد تأخيرًا، وسيكون هناك سبب لاستيائها وغضبها. إنها تتطلع أن يمدها زوجها بسبب للغضب، لكن دائمًا ما يلمس مفتاحه القفل في الموعد المحدد، فلا يعطيها فرصة للغضب من لا شيء، فدائمًا يدفع الباب في ثانية غليان الطعام وجفاف المياه وانسداد الإناء، فلا تمسك عليه أية فرصة. لكنها قاسية جدًّا، فبمجرد وقوفه في الأمام، لا تحتاج إلى سبب، وتفقد السيطرة على طباعها السيئة وغضبها غير المبرر، فيتحفزان معًا، إنها ببساطة غاضبة للغاية، وتهاجمه بشراسة.
نضجت هذه الوجبة خلال ثرثرتها، وانتهيا من تناول الطعام وأكملوا أعمال النظافة. لقد تعبت من الثرثرة، كما أنها لم تخرج شكوى جديدة، وأخذت تتحدث باستمرار، ثم تدفق بقلبها ظلم ومرارة. فبدأت تشفق على نفسها، وندمت لأنها فقدت السيطرة ثانية، وفقدت الأمل أن تستعيد إنسانيتها مرة أخرى، فذرفت دموعها. لقد اعتاد زوجها على دموعها وضيقها، ولم يعتقد أن هذا أمر غريب منذ زمن، فنظر إليها بصمت فقط، وسألها إذا كانت متعبة، أو ما بها. فإنها بدأت تثرثر ثانية، ووضعت المسئولية بأكملها عليه. أراد أن يُهدئها أولا، فإنه اصطدم بغضبها العارم، فلم يكن بوسعه سوى التنحي جانبا وقراءة الجريدة المسائية، وفتح التلفاز في طريقه. يذيع التلفاز أخبارًا. لقد صاحت طالبة منه خفض صوت التلفاز قليلا، وقالت إن رأسها ستنفجر، وانتهى الحديث، وقام الزوج بخفض صوت التلفاز إلى الآخر، فلا يوجد سوى أشخاص تتحرك كالأشباح. لقد شعرت بالملل ثانية. إنها سئمت من كل هذا لدرجة لا تمكنها من التنفس، ووصل اعتيادها لأقصى مراحل الحياة، مثلها مثل الأرض المزروعة دائمًا التي استُنزفت بالفعل الأغذية الطازجة والأسمدة، ولا يمكنها طرح براعم قوية، ثم تحولت لأرض مهجورة.

إن الأرض المهجورة يمكنها إنتاج عناصر مغذية ثانية بعد وقت طويل جدًّا، لكن لا يمكنها جذب انتباه الناس مرة أخرى. كما أنها ليست مستكشفة شجاعة، وتكره الأراضي المقفرة، وتحب الحدائق العشبية المتشابكة، فلا يمكنها إبقاء أرض مقفرة، ولا يمكنها استكشاف أرض مقفرة ثانية. فقد زرعت أرضها، زرعت أرضها بإحكام عن طريق طاقتها الكاملة وفضولها، وسارعت في امتصاص المواد المغذية، لا تتقلب أرضها أربعة فصول في العام، لكنها تتقلب ثمانية فصول في العام، ثم فُقد الأمل، وتركت الأرض المقفرة هناك. إنها الآن تحمي هذه الأرض المقفرة، تبكي وتغضب وتشكو من أجل القفر.
تتحرك المناظر على الشاشة بصمت، وملأ بكاؤها الحجرة الصغيرة. يمكنها الخروج من الحجرة، لتغيير الجو وتعديل الحالة المزاجية، لكنها رفضت، وأصرت على الجلوس هنا، باحثة عن زوجها الذي يحرسها كالزرعة، فعليها إفساد مزاجها ومزاجه بصورة بشعة، وإلا لن تتمكن من قضاء هذه الليلة.
لا داعي لأن تتحفظ ثانية، فهما متماسكان هكذا، وقضيا عددًا لا يحصى من الأيام بهذا التماسك.
إن هذه الليلة بشعة جدًّا، ثم شعرت بالراحة قليلا بعد ذلك، وتقلصت بهدوء في زاوية الفراش، منتظرة مواساة زوجها. فجاء إلى جانبها في موعده تماما، وأخذ يواسيها ويواسي نفسه، ولولا هذه المواساة، لكانت حياتهما بالكامل لا تحتمل، أو كان الطرفان سيفكران في وقف نسيان خيبة الأمل للتو والخيبات المستقبلية القادمة. لقد تعلما النسيان، تعلما عيش حياة بائسة، تعلما العيش بصورة مزرية. لقد تماسكا هكذا، تماسكا لقضاء عدد لا يحصى من الأيام.
سطع أملها مع سطوع شمس الصباح. فجلبت أشعة الشمس الصباحية الزاهية رعايته. لقد استيقظ معها، وشعرت أن هذا اليوم لن يحبطها ثانية، فمدت خصرها الكسول، وأخذت تفكر بكسل. إنها تمتلأ بالأمل اللانهائي مع صباح كل يوم، وتنمو طاقتها وقوتها مع الأمل، ويعودان معًا داخل جسدها. كل شيء في الصباح يعد نذيرًا بالنسبة إليها، فإذا كان الجو صافيًا، تعتقد أنه يوم جيد جدًّا، وإذا كان مغيمًا، تعتقد أنه يوم مختلف تمامًا! إنها تخرج وتعود للمنزل بفرح وحماسة وكأنها تلحق موعدًا غراميًّا. لكن، دائمًا ما يحبط أملها، فلم يتحقق هذا الأمل في يوم ما. لقد سار بعيدًا رويدًا رويدًا ودون حاجز، وتحولت هيئته لصورة خافتة، وعامت آثار حركته، كما لم تعد تشعر باتباع نظراته وإشراقتها، وأخذت تتذكر جاهدة كل شيء يخصه، ولم تنس تفصيلة واحدة، لكن كل تفصيلة وكأنها من تأليفها هي. وتكاد تكون مزيفة للغاية، وليس لها أية أدلة، لكنها مُفصلة جيدًا أيضًا، ولا تتناسب مع كل شيء مزيف له. حتى هي لا تصدق إمكانية حدوث تلك الأشياء، حتى هي ترتاب. لدرجة أنها تمنت وجود نميمة، وندمت على الإخفاء المحكم في ذلك الوقت، فإذا كانت سربت بعض الأشياء، لكان هناك دليل على كل شيء، فهي تأمل حقًّا في وجود دليل، لكن لا يوجد. يبدو وكأنه اختفى تمامًا، تلاشى، لم يعد موجودًا، أين هو! آه، أين هو! إنها قلقة كالناموسة التي تعلو الإناء الساخن، كيف لا تجده، فبعدم وجوده، فقدت المراقبة والتدقيق، ببساطة فقدت الثقة بنفسها.
لكن الحياة اليومية شكلت نظامًا آليًّا، ودخلت المسار وكأنها كوكب صغير، لا يمكنها سوى التحرك وفق المسار، ولا يمكنها التوقف وإن أرادت، ولا يمكنها السقوط أيضًا مهما رغبت، لا يوجد أمامها سوى التقدم هكذا دون سيطرة على نفسها. لقد استيقظت في الصباح، جلست أولا على الفراش، غارقة في النوم،

وفمها به مرارة، ويتوالى تثاؤبها، ودموعها ملتصقة بعينيها، وتلف إحدى ساقيها على الفراش، وتنزل الأخرى فتلمس أطرافها الأرض، ناظرة إلى زوجها بطرف عينها، والزوج يستلقي على الفراش ممددًا قدمه على شكل رمز دا"大"الصيني، وجسده مغطى بلحاف رقيق، من الصعب على الشمس اجتياز الستائر القطيفة، فالحجرة مظلمة جدًّا، وتسير عقارب الساعة "تساتسا". ثم تحرك الزوج فجأة. وكأن هناك شخصًا طعنه، فانكمشت أطرافه، واحتضن اللحاف واستيقظ، وجلس على الفراش، تدلت جفونه في البداية، ثم رفعها تدريجيًّا، وأخذ يحدق حوله، حتى واجه عينيها تدريجيًّا. سارت عيونهما الضبابية بنصف الغرفة المظلمة، وواجها بعضهما بصورة ضبابية، ينظران دون رؤية أي شيء، مثل غرفتين منذ مئات السنين مواجهة لبعضهما بجانبي الطريق. أخذا يستكشفان بعجالة، وقد هدم كل منهما بلاط الآخر مبكرًا، وأزال طوبه بالكامل، لقد تبادلا الهدم بصورة كاملة جدًّا وسريعة للغاية، وتحولا منذ فترة إلى منطقتين مهجورتين، كما أنهما لا يملكان شجاعة وروح معاودة البناء، ولا يملكان أيضًا التخلي عن قرار الخروج، فلا يمكنهما سوى المواجهة المقفرة، أو تبادل الإهانة بصورة أسوأ.

ثم مد يده وأخذ يتحسس بتشوش، حتى لمس مُنظّفة الأذن، وأدخلها بأذنه، وعيناه نصف مغلقتين، فظهرت على وجهه تعابير تدريجية. إن قلبها شاسع جدًّا، واخترقت نظراتها جسده منذ فترة، واخترقها هو أيضا، فتبادلا الاختراق. لقد بقيا في مكانهما وهما يتبادلان الاختراق، وكل منهما يقوم بعمله. لقد هدأت تدريجيًّا، فقد فقدت الأمل مبكرًا، ولم يعد بقلبها سوى قطعة من الضباب حجبت كل شيء. لقد تذكرت كل شيء تقريبًا في هذا الصباح، إن هذا النوع من اللقاء الضبابي يعد قدر زواجها، إنه قدرها. لذلك، تفضل دفنه خلف الحاجز الضبابي، تفضل دفنها معه، وهي ملكه، خلف الحاجز الضبابي. فلا ترغب في إدخاله هذه البرية المشوشة، والتعب معه حتى يتحولا إلى إنقاض، والبقاء معه في أرض مستوية. وسيتبادلان الانطباعات المبهرة، يُدفنان خلف الحاجز الضبابي، يُدفنان وسط تجاعيد الجبل، يُدفنان في الوادي العميق بوادي جين شيو، مع السماح للسحب البيضاء بتغطيتهم بصورة ساحرة. من أين أتت، وإلى أين ستذهب! لقد فهمت هذا الشيء وسط صباح يشبه جميع الصباحات العادية جدًّا. وهدأت بعد فهمها، واكتشفت للتو أنها لم ترسل له خطابًا أيضًا، فقد ترك لها عنوانًا كذلك، ويمكنها أيضًا إرسال خطاب له، فعليهم في الأساس إرسال خطاب في الوقت نفسه، ذلك هو توافق قلبين حقًّا.

لقد تذكرت فجأة، إنه في الواقع لم يحدث أي شيء. يوجد فقط سلسلة من الأحاديث التافهة، قفزت داخل عقلها كالتنبؤات، وكبرت أمام عينيها، ألا وهي...

"لننس الأمر

ستغادرين

لن أتشاجر معك

الحجرة كئيبة جدا

من الأفضل السير خارجا...

بالإضافة إلى...

لنمش

قد حان الوقت

علينا العودة!".

لقد رتبتهم وأوصلتهم ببعضهم، فاكتشفت أنها هي المراحل برمتها، هذه المراحل برمتها.
لقد شعرت، في الحقيقة، حقًّا، بالتأكيد، أنه لم يحدث أي شيء، لم يحدث أي شيء، فقط، سقطت جميع أوراق الشجر بالكامل خارج النافذة.
إنها قصة لم يحدث بها أية قصة، وانتهيت.
لقد انتهيت من قصتي، لكني غير راضية، فما زلت أريد اتباعها، من المحتمل ألا يكون الأمر بسيطًا هكذا. لقد ارتدت ملابس الخريف بلون رمادي فاتح، مثلها مثل أية فتاة لم تتزوج بعد، ونزلت الدرج المتسخ بخفة، وبدت أشعة الشمس وكأنها شفافة، فعبرت خلالها، ورفعت وجهها لتسمح للرياح بتطيير شعرها للخلف، فأشرق مزاجها. هناك خلف الطريقين المغلقين: الأول باب الغرفة، والثاني باب الشرفة، يقف عصفوران على الشرفة، يقفزان ويرقصان، ويغردان، ويطيران وسط السياج.
لقد رأت أوراق الشارع تسقط مصدرة حفيفًا بين الطريق المشجر، وترشق فيها أشعة الشمس مرة أخرى لتتحول إلى اللون الذهبي، وأخذت تتقلب بتباهي، ولمَّعت الطريق بأكمله، وقد تساقطت أوراق الشجر جميعًا، وأصبح الفرع وحيدًا. تلك هي الورقة الأخيرة الخريفية.
لقد رأتها وهي تلاحق تلك الأوراق الذهبية بشقاوة بأطراف قدمها، ثم تدوس عليها بصورة مؤذية، وتذكرت أن لديها هواية منذ الصغر، ألا وهي: إذا خرب الشيء المحبب لديها قليلا، تدمره بالكامل، وكلما كان الشيء محببًا لديها، دمرته. وباستثناء ذلك، لا أتذكر شيئًا آخر، لم يعد أمامي سوى تركها، والذهاب بعيدًا، حيث أصبحت وحيدة، ليس لديها قصة.

الحكاية الثالثة

حب الجبل العاري

في ذلك الوقت، كان يمكن الالتحاق بتخصص الكمان بالمعهد المركزي للموسيقى عن طريق عزف مقطوعة "ربيع شينجيانغ".

يحمل شاب طويل نحيل حقيبةً كبيرةً على ظهره المقوس. كان قد جاء إلى شانغهاي مع أخيه الأكبر الذي غادر المنزل منذ سنوات طويلة، تاركًا خلفه مسكنًا ضخمًا مظلمًا.

آلمت أشعة الشمس عينه، تلك العين التي بقيت في الظلام طويلا، تلمع كالقطط في الأماكن المظلمة، فتضايقت وذعرت من وصولها إلى منطقة مضيئة. كانت الشمس قد تركت على وجهه شديد الشحوب، آثارًا غير متناسقة؛ فاحمر بصورة مرضية.

ينطلق الأخ الكبير طويل القامة قوي البنية للأمام مباشرة، وكأنه سيتنحى جانبًا من نفسه إذا سار حشد من الناس أمامه. فإنه يصطدم بالآخرين دوما، ودائمًا لا يكون هو الفائز، ففي النهاية يتم دفعه، ويتنحى جانبًا. لذلك لم يستطع السير مستقيمًا قط. يدير الأخ الكبير رأسه فلا يجده، وحين يعثر عليه يمسك بيده؛ فتُمسك أصابعه الطويلة النحيفة بإحكام بيد الأخ الكبير العريضة الدافئة؛ فيشعر بالأمان، وينظر لأخيه الأكبر بامتنان، وقلبه يحمل الكثير من معاني الشكر. لكن بسبب خجله لا ينطق بكلمة واحدة. لقد سعدت تلك اليد داخل قبضة أخيه الأكبر الدافئة؛ فشعرت بالسعادة والخجل أيضًا، وتعرقت قليلاً.

سحب الأخ الكبير يد أخيه برحمة، وبصورة مرهفة لكن قوية؛ فاستدار باطن أصابعه، وغلف يد الصغير بأظافره المقصوصة. لقد قال لنفسه: "إنها يد ماهرة في العزف"، ثم سحب تلك اليد بإحكام مرة أخرى، فلم تتمكن من التحرك بتواضع وخجل. لم يتمالك نفسه من التأثر. لقد تذكر ذلك المسكن الحصين ببلدته. كان جده يجلس دائمًا بمنتصف الغرفة المركزية، وتعكس عيناه ضوءًا شديدًا بجانب أنفه الطويلة المستقيمة، ويتحرك أبوه داخل الفناء المحاط بجدار عميق دون صوت كالرياح، وتحرك أمه ظلها المنحني بفعل التعب في أحلك الزوايا، أما أشقاؤه الصامتون أو الصاخبون فيملكون عيونًا تلمع بالليل كالقطط، وتكون داكنة بالنهار.

لقد أدار رأسه وسأل أخيه بصوت واضح جدًّا، أخفى الأصوات الضئيلة التافهة حوله: "هل أنت متعب؟".

فأجابه بخفة: "لست متعبًا"، فحلّقت لهجة القرية كأغنية.

فابتسم الأخ الكبير: "تحدث إذا تعبت".

فأجابه وعيناه متدليتان: "حسنا"، وكانت أقدامه المرتدية حذاءً أسودَ قماشيًّا، مقدمته مستديرة، تجاهد حتى يلحق بالأخ قوي البنية.

وحين ركبا الترام، سار صاخبًا محاذيًا لمساره. جلس هو وأخوه متفرقين، يفصل بينهما ممر، ثم فرغ بعد ذلك مقعد بجانب أخيه الكبير؛ فتمنى بشدة الذهاب والجلوس بجانبه، لكنه لم يتمكن من اتخاذ القرار، خوفًا من سير العربة قبل وصوله هناك؛ فخشي أن يسقط بسبب عدم اتزانه، كما أنه شديد الخجل. لقد كان في الثالثة من عمره فقط حين غادر أخوه المنزل، فهو يعرف فقط أن أخاه ذهب إلى شانغهاي لدراسة الفنون الجميلة، ولا يعلم كيف ذهب إلى شمال مقاطعة جيانغ سو، فقد ذهب إلى الجيش الرابع الجديد، ووصل إلى المجموعة السياحية شين آن، ثم ذهب إلى شانغهاي، لكنه أخذ في عزف الكمان. بعد ذلك عاد للمنزل،

ومكث به ثلاثة أيام فقط، وأحضره. فيعد الأخ الكبير غريبًا بالنسبة إليه، لكنه، من المحتمل بسبب صلة الدم بينهما، أحب أخاه الكبير من قلبه، وأراد التقرب منه، لكنه خجل. لم يجرؤ على النظر إلى أخيه، فنظر إلى المناظر خارج النافذة المقابلة عبر كتف أخيه الكبير. هناك أشخاص وأشياء كثيرة، تشتت العين، فلا يمكن لعينيه الإمساك بشيء، فقد امتزج جميع الأشخاص والأشياء مكونين نهرًا متعدد الألوان، يتدفق داخل عينيه، وتومض فيه أشعة الشمس بصورة مبهرة.
وعلى الرغم من مرور ليلة ونهار واحد فقط، فإن المسكن الكبير، وكل شيء داخله، يبدو وكأنه شيء من العالم الماضي. يبدو وكأنه تذكر رؤية أنف جده المعقوف بذهول ووضوح، وكأنه ينقر شيئًا ما دائمًا، إن أنفه يفصل عينين متقاربين بالفطرة، تتحرك كل عين منهما على حدة، فلم تعد هناك مودة بينهما. لقد رأى والدته، وقد علّقت كيسًا قماشيًّا صغيرًا على رقبته، بداخله خمسة جنيهات. لمست يدها عظام ترقوته الحادة، ولمست ترقوته الحادة يدها الناعمة. إنه لا يستطيع محو تلك اللمسات ثانيةً.
"لننزل من العربة". جاور صوتُ أخيه الكبير أصواتًا شابهت طنين الناموس، مما جعله يرتجف قليلا.
وقف خلف ظهر أخيه الذي يشبه الحائط منتظرًا وقوف العربة، وقلبه يخفق قليلا، خائفًا من ألا يتمكن من القفز من العربة قبل غلق بابها. ركّز نظره على باب العربة، ممسكًا بحزام حقيبة ظهره المعلقة على كتفه المنحدر بإحكام، وقد لمست أمه ذلك الحزام من قبل.
أغلق باب العربة خلفه، وما زال لم يلتقط أنفاسه بعد، وقد بدأ أخاه الكبير في السير بالفعل. لا يوجد أحد يمكنه إيقاف الأخ الكبير، لكن دائمًا ما يوجد من يصطدم به. وحين يرى مجيء شخص ناحيته مباشرة، يتخذ وضع التراجع أولا، فيدفعه ذلك الشخص جانبا بقوة وثقة. لقد سار في طريق متعرج متفاديًا، وما زال خائفًا من إضاعة أخيه. أما الأخ الكبير فيسير في الأمام دائمًا يزاحم البصر، حتى الأشخاص الذين يشبهون طوله، يبدون قصار القامة أيضًا. لقد انتظر الأخ الكبير عند مدخل أحد الأزقة، ينظر ناحيته، ويظهر من عينيه القلق والاهتمام. لكن هو حزين.
يوجد مدينة واقعة على خليج مياهه ضحلة هادئة بالنهر الأصفر المتصل بالنهر الشرقي. تواجه المدينة البحر، وخلف جبل ليس عاليًا ولا كبيرًا، لكنه يحوي قصة. فأهل المدينة جميعهم يعلمون أن هذا الجبل هو قرية سوندا شينغ برواية "رحلة إلى الغرب". وهناك أسطورة بالمدينة تقول إن ذلك العام، ذهب طالب للعلم إلى بكين للحاق بالاختبارات، لكنه فشل، وفي طريق العودة، شعر أخيرًا بالخجل من رؤية أبيه وأجداده، فاختبأ بهذا الجبل. يبدو ذلك الشخص قبيحًا جدًّا، فوجهه مليء بالندب، ويخجل من رؤية الناس، وكان يتناول كل يوم على الجبل الثمار البرية، ويشرب مياه الينابيع، ورسم بالحجر طاولة الشطرنج لكي يلعب ويزيل ضجره، لكنه ما زال غير قادر على إضاعة الوقت، وأخذ يتخيل أشياء رغمًا عنه، حتى صنع أسطورة لم يسبق لها مثيل على مر العصور، ألا وهي "رحلة إلى الغرب".
إن الكتب تُصنع على الورق، وتنتقل بعيدًا مع الرياح، أما الجبل فهو ثابت في مكانه، لا ينتقل ولو لقدم واحد. لذلك، يعتقد الناس في الغالب أن كهوف الثمار والمياه تلك من صنع المثقفين، ولم يتوقعوا أن الجبل هو جبل حقيقي، تُرك داخل حفرة صغيرة جانب النهر الأصفر، لا يمر به سوى مركب صغير. ولا بد أن يمر القطار بشمال شوتجو، حتى يخرج لكل الاتجاهات. القليل من الناس يخرجون، والقليل يدخلون، فيجاور أناس المدينة الجبال ويواجهون البحار، ويعيشون بحيوية

شديدة، يلدون كثيرًا، ويموتون قليلا. يربون البنين وكذلك البنات، فينمون كالأزهار. فقط ملابسهم ليست على الموضة دائمًا، فتكون زينتهم مغايرة تمامًا عن شكل الضيوف الذين يأتون إلى شمال شوتجو.
وُلدت فتاة في ميناء جينجو بشرق المدينة منذ سنوات، صوت بكائها رنان هش مثل الغناء. ووجهها كالسحابة الوردية، فقال الجميع إنه من النادر رؤية طفل جميل هكذا. كما قيل أيضًا، إن في مثل هذا المكان، ومثل هذه الفتاة، ليس من الغريب أيضا أن تولد الفتاة ساحرة هكذا. تبكي الفتاة فقط وكأنها تغني.
هناك مدينة صغيرة جديدة على بعد ثلاثمائة ميل غرب ذلك الجبل المثمر الحقيقي. صغيرة لدرجة تحسب أنها محافظة فقط، لكنها محافظة جديدة. يكثر بها الأجانب كثيرًا ويتحدثون الفصحى بلهجة غير صحيحة، فصارت الفصحى مختلطة بالعامية. إنها قريبة بوضوح من النهر الأصفر، وتسمى تشينغهاي، لا يمكن القول إن اسمها إعادة لمقاطعة تشينغهاي الكبيرة بالشمال الغربي، كما أنها لا تستحق هذا الاسم أيضًا.
يوجد بالمدينة مسرح، يُغنى به فن الكلابر الجنوبي، والطعام يكون على النفقة الشخصية، والمسكن ساحة صغيرة مُكدسة، فالعزف والغناء، والطعام والشراب والحمام، كل شيء بداخلها.
يوجد شمال الساحة الصغيرة المكدسة غابة، ويوميًّا داخل الغابة هناك الآلة الموسيقية آرخو التي تغني وكأنها تبكي.
يعلمه الأخ الأكبر نظريات الموسيقى وتدريبات الأذن والشعور لمدة ساعة يوميًّا. لقد حفظ نظريات الموسيقى بسرعة كبيرة، فلا ينساها بمجرد أن يقولها له، كما حفظ جميع المصطلحات بالحروف اللاتينية، مما أدهش أخاه الأكبر. واستماعه أيضًا جيد، فلم يهرب منه أي وتر على مدار شهرين متواصلين، حتى وإن فقد السيطرة على يده وسقط الإناء منه، يمكنه عزف نغمة عالية للإناء المكسور على البيانو. ولكنه يرفض الغناء، فيحمر وجهه، وتُسال دموعه، ولا يتمكن من التحدث أيضًا. غنى له من قبل لكي يعزف، ونصحه بلطف بالاسترخاء. لكنه ضاعف توتره. فغضب الأخ الكبير، وقال له، إذا لم تنجح في اختبار المعهد الموسيقي، لن يسعك سوى العودة للمنزل. فخفض رأسه، وانحنت أصابعه الطويلة النحيفة، وبمجرد تشكيلها قبضة، أرخاها مرة أخرى، وأنزلها. واحمر باطن أصابعه، ثم بهتت وأصبحت شاحبة. ثم اضطر للغناء بصوت منخفض، يحتاج إلى حبس الأنفاس والاستماع بهدوء. إن الصوت أبكم قليلا، لكنه لم يخرج عن اللحن، وبالاستماع طويلا يمكن الاستمتاع به.
ثم التحق بالمعهد الموسيقي، وتخصص بالكمان. وتَبع معلمة، يدها تشبه يد الرجال، وحنجرتها تشبه الرجال. فهو يشبه النساء مقارنة بها. لقد جعلته يجلس على مقعد، ويداها تربت أسفل ظهره، ما يعني أن يجلس مستقيما. إنه يجلس مستقيمًا الآن، أما يدها فما زالت ملتصقة على الظهر، ساخنة وتتغلغل دائما بالجسد. إنه مستقيم ولا يجرؤ على الحركة، لكن قلبه يحوي شعورًا بالحب، إنه يحبها كونها فتاة، ولا تشبه الفتيات. أعطته الكمان، ووضعته على ركبتيه. انزلق الكمان للأسفل، انزلق حتى النهاية، لكنها لم تسمح له بمسكه بيده، كما لم تسمح بأن يمسكه بركبتيه، سمحت لأصابع يده اليسرى فقط بدفع رقبة الكمان واللوحة الخلفية. لقد أخبرته منذ فترة ما هي رقبة الكمان. يدفع الإبهام رقبة الكمان بخفة، وتوضع أصابعه الأربعة بالترتيب: السبابة، الوسطى، البنصر، والخنصر، بخفة على لوحة الإشارة. ينزلق الكمان للأسفل، ولا يعرف ما يجب عليه فعله ليمنع انزلاقه. لكن، لم يعد الكمان ينزلق تدريجيًّا في اليوم الثاني والثالث والرابع. ولا يوجد

شيء يحجزه، فكل شيء كما كان في الماضي تمامًا، لكنه لم يعد ينزلق، واستند بصورة طبيعية داخل صدره. تنزلق يده المنحنية على الأوتار.
رنت أوتاره. وقالت المعلمة والزملاء إن رنينًا متميزًا جدًّا يصدر عنها، وأخذوا يشاهدون تدريباته على العزف تباعًا، ويبحثون في يده المنحنية وزاوية أوتار الكمان وقوتها. لقد أحس بالارتباك، فاعتقد أن كل شيء طبيعي جدًّا، مثل هبوب الرياح وتدفق المياه. إنه يحب العزف بشدة، حتى أنه إذا عزف أوتارًا فارغة، يكون ممتعًا كثيرًا. وكل صوت تصدره الأوتار، يُعد كنزًا له، وكأن الكمان يتحدث. فهو يعزف الكمان وكأنه يتحدث إليه. فكل سؤال له، لديه إجابة مقابلة، فلم يخب أمله من قبل. يعد هذا تقريبًا سره بالكامل. وكما يتعجب منه الزملاء، يتعجب هو أيضًا منهم، ولكنه لا يتحدث معهم بأي شيء.
إنه يذهب إلى منزل أخيه الكبير صباح كل يوم أحد. وأنجبت زوجة أخيه طفلا وسيمًا، وقال الجميع إنه يشبهه في صغره. لقد خصم من النقود التي يعطيها له أخوه للطعام، واشترى بها دفًّا صغيرا علقه على سرير ابن أخيه الهزاز، فبمجرد تحرك الفراش، يغني الدف برقة. إنه يحب أخيه وزوجة أخيه من قلبه، وكذلك ابن أخيه الذي يقول الجميع إنه يشبهه، لكنه لا يعرف كيف يعبر عن مشاعره. إنه شديد الحذر في منزل أخيه، فتكون معدته خاوية وتصدر صوتًا، لكن حين يوضع الطعام على المنضدة، يفقد شهيته تمامًا. ينظر إلى زوجة أخيه وهي تملأ الحصن بالطعام اللذيذ، حتى أنه يشعر بالغثيان. لكن حين تُزال المنضدة، يشعر بالجوع الشديد ثانية. كان يرغب كثيرًا في مساعدة زوجة أخيه في أعمال البيت، لكن لم يجرؤ على المبادرة. ويتظاهر بالذهاب إلى الحمام، ويغلق على نفسه الباب طويلا، وينظر إلى الحفاضات داخل الإناء مترددًا: يغسلها أم لا؟ إنه يرغب كثيرًا في غسلها، إذا تمكن من المبادرة لغسل الحفاضات التي تتخللها رائحة الحليب، سيكون سعيدًا جدًّا. لكنه خائف جدًّا من شجار المربية الخاصة بخدمة الوالدات. ولن يفوز عليها في التنافس، فتخيل أن هذا التنافس سيصعب عليه. لكنه يرغب بشدة في غسلها، فهو يريد فعل أي شيء ولو القليل ليرد فضل أخيه وأسرته عليه. لقد كان في صراع مؤلم تقريبًا. وإذا لم يأت أحد ليطرق على الباب ويستعجله في الخروج، لم يكن لينتهي أبدًا من مرارته هذه.
لقد كان بمحنة لا حل لها في منزل أخيه العزيز، وأراد المغادرة بعد الغداء، ومهما طلب منه أحدهم البقاء لا يبقى. فيخرج من الزقاق الذي يسكنه أخوه وكأنه يهرب، فيشعر بالراحة، لكنه حزين أيضًا من أعماق قلبه. ويتطلع بمرارة إلى السعادة المنتظرة بعد انتهاء أسبوع كامل بهذه الطريقة، فيبدأ التفكير بالمرحلة المقبلة ثانية. لقد تحولت السعادة التي يفكر بها ليلا نهارًا فور مجيئها إليه إلى حمل لا يمكن تحمله. إنه لا يتمكن من شرح كل هذا، فيشعر فقط بالاكتئاب الشديد، وحين يكتئب بشدة، يشتاق للمنزل.
إن المنزل عبارة عن مسكن كبير مظلم، فحين يتذكره، يخيم الظلام أمام عينيه بشكل تام. وظهر تدريجيًّا بمنطقة عميقة للظلام عينان حادتان كالصقر، عبرت الظلام واتجهت ناحيته مباشرة، فارتجف دون أن يشعر. أحيانًا يشعر بالوحدة وانعدام السند، فالقلب المليء بالدفء والعواطف، لا يجد مكان الأمان. أخذ يتردد بطريق خوانخاي الصاخب طوال مساء الإجازة. وأراد بشدة العودة إلى المعهد للتدريب على العزف، لكنه لا يحتمل أيضًا فراغ المعهد في الإجازة. فلا يوجد سوى حارس الباب المُسن، وبالتأكيد سيسأله: "لم عاد إلى المعهد مبكرًا هكذا؟"، فلن تكون لديه إجابة.

ء

تفوح رائحة كعك الزبد ومستحضرات التجميل في شارع خوانخاي بأكمله، رائحة عطرة تثير الأنف، وتفتح الشهية. سارت فتاة صغيرة تحمل بيدها حلوى منحنية على هيئة العكاز الذي تجاهه. تظهر بشكل أنيق وهادئ كالأميرات، فاضطر إلى التنحي جانب الطريق. إن السماء هنا زرقاء بصورة مذهلة، وأشعة الشمس مشرقة بشدة، فقد حماية الظلام التي اعتاد عليها منذ الصغر، وكأنه وضع نفسه في قارب صغير وحيد وسط المياه الواسعة، وقلق دائمًا من غرقه. كان يسير مهرولا برغم عدم وجود هدف له، وكأنه يريد أن يلحق شيئًا ما، وكأنه يهرب من شيء ما أيضًا. مر بعدة طرق، وفكر أن عليه العودة، لكنه خاف ثانية من أن تثير عودته المفاجئة شكوك الآخرين، لذا تظاهر بأنه تذكر شيئًا ما فجأة، وأدار جسده، لكن قلبه كان قلقًا دائمًا، خوفًا من رؤية الآخرين للخلل. لقد سار ذهابًا وإيابًا، ونقصت طاقة جسده، وأصبحت روحه أكثر توترًا.
لقد أظلمت السماء أخيرًا، وندر السائرون تدريجيًّا، لكن لم تنر المصابيح بالشارع. فهدأ رويدًا رويدًا، وأبطأ خطواته، وهدأها. وأحاطه الغروب كطبقة من الستائر القماشية الدافئة، مما طمأنه، وأشعره بالاسترخاء. حان وقت العودة إلى المعهد. في هذا الوقت، بالتأكيد سيكون المعهد صاخبًا جدًّا، وتتداخل أصوات العزف وتنسج مقطوعة واحدة. لكنه لا يرغب في العودة. فهو يحب هذا الشارع المظلم، فقد تحولت ملامح المارة إلى ملامح غير واضحة، والجميع يعود مهرولا، لا يوجد شخص هادئ سواه. يزداد الظلام تدريجيًّا، فكاد يتولد لديه شعور بالثمالة، ونسي كل شيء، فيسير فقط دون هدف.
لكن أضاءت المصابيح فجأة بقوة، فقد أضاءت مصابيح الواجهات، والمصابيح بين الأشجار، والمصابيح النيون التي تعلو لوحات الإعلانات في لحظة واحدة. فأضاءت الليل وحولته إلى نهار، فهذه مدينة دون ليل. وأصابه الذهول وسط هذه الأضواء الفجائية، فأسرع من خطواته، وهرول للمعهد.
ركض مباشرة لحجرة العزف، فهدأ حينها. يوضع الكمان على المقعد، وواجهته تومض بروعة أسفل المصابيح الفلورية.
يوجد جانب نهر اليانغتسي مدينة ليست كبيرة ولا صغيرة، يوجد جنوبها مسكن ضخم مظلم، يجلس داخله جد مُسن كبوذا. أنفه شامخة، وعينه حادة كالنسر. لقد صنع في حياته ثلاثمائة وستين مصنعًا، وفي النهاية بنى مصنعًا للحطب. ثم تحول مصنع الحطب من القطاع الخاص إلى القطاع العام، وقبل تحوله، لم يفعل شيئًا لنفسه سوى بناء مسكن، بناه بخشب جيد. ثم لم يتبق له سوى مسكن خشبي وأبناء وأحفاد لا حصر لهم. وفي كل صباح ومساء لا بد أن يطلب من زوجة ابنه أن تأتي إليه بالأبناء والأحفاد، ليتجمعوا أسفل قدمه، وينظر إليهم وكأنه يتفحصهم. لا يقول شيئًا، ولا يسمح بقول شيء. وبعد وقت طويل جدًّا، حرك عينه اللامعة، ولوحت زوجة الابن للأطفال بيدها، فتراجعوا جميعًا دون صوت في غمضة عين كالأرواح.
يحمل بيده عكاز رأس التنين، يضرب بها الناس، ويستند إليها أيضًا. لا يضرب ابنه، فالابن هو رب البيت خلفًا له، ولا يمكن إفساد كرامته، إنه يضرب الزوجة، حتى تكون قدوة لأحفاده وأبنائه، ويحذر أيضًا ابنه بصمت، فضرب ابنتك، يساوي ضربك أيضًا، وبالرغم من أنه فوق الجميع، لكنه لا يزال تحت الإمبراطور.
لقد دخلت الزوجة المنزل وهي في السادسة عشر من عمرها، وأكثر ما تحب سماعه صفارة السفينة بالميناء جانب النهر التي تنتقل من أو إلى مكان بعيد جدًّا، كانت تنتظر بهدوء، تنتظر نمو الأطفال، حتى ترسلهم بعيدًا. لقد أرسلت الكبير، وأرسلت الثاني. تزوج الكبير ونجح في عمله، أما الثاني فقد مات بسبب حمى

التيفويد. واليوم، دعت الثالث يذهب أيضًا. فقد أخذته الكبرى باليد وركبت به القطار، لكنها دائمًا ما تشعر بأن السير في الميناء وكأن نهر اليانغتسي الأبيض كالحرير هو فقط ما يجلب الناس للخارج.
تستطيع المدينة بأكملها سماع صوت الصفارة: "ووو".
ستحل أيام المجاعة، بعد الفترات العظيمة لصهر الحديد، وإطلاق القمر الصناعي، وتوافر الأطعمة.
أماتت هذه المجاعة ما يفوق عشرات الآلاف ، كما أجبرت الناس على ربط حزام الخصر بشدة. لكن هناك شخصًا مُسنا، عيونه كالنسر، لم يستعد لتقبل أية اختبارات إلهية، فما زال يتناول ثلاث وجبات يوميًّا، ويضيف الحلوى أيضًا. ووقعت هذه المهمة على أجساد الأبناء والأحفاد، فسنحت الفرصة أخيرًا للأبناء والأحفاد لرد عنايته لهم.
يرسل الأخ الكبير أكثر من نصف النقود للمنزل كل شهر، ولا يمكن سوى إعطائه إياها لكلفة الطعام المفروضة. إنها حقًّا فترة نمو عظامه، فقد ظهرت عظامه من جسده الذي يكاد يكون شفافًا، وانكمشت جميع ملابسه بوصتين، وظهر معصمه الحاد وكاحله. إنه يشعر بالجوع ليلا ونهارًا، فتشتعل نار الجوع داخله، ولم يتبق في فكره سوى كلمة واحدة: "الجوع". ولا ينسى الجوع قليلا إلا حينما يعزف الكمان فقط، لكن لا تمر سوى دقائق معدودة ويهاجمه الجوع بهيئة أخرى. إنه يشعر بالدوار، وأصابعه العشرة ترتعش، وقلبه يدق بسرعة كبيرة، حتى أنه لا يتمكن من الضغط على الأوتار للنهاية. تكاد الأوتار تقطع أصابعه، لكنه لم يتمكن من لمس اللوحة. إنه يستخدم قوته دون جدوى، فيتعب سريعًا جدًّا.
يدعوه أخوه كل يوم أحد لتناول وجبة، ويتم وزن الأرز بدقة في إناءين للطعام، ثم يُطهى بالبخار، وبعدها تقسمه زوجة أخيه بعناية إلى نصفين، كل شخص نصف. يأكل مع أخيه علبة، وزوجة أخيه مع ابن أخيه علبة. لقد أتم ابن أخيه عامين، لكنه يأكل أكثر من أي شخص كبير. ذات مرة، سكب حلة صغيرة من الحساء في بطنه. لقد تناول أفضل الأطعمة في هذا الأسبوع، لكنها أثارت شهيته. لقد خرج من بيت أخيه وسار في طريق خوايخاي، فهبت تلك الرياح العطرة بشراسة، ولا توجد طريقة لكبح شراهته، لكن عليه السيطرة عليها. لقد حبس دموعه، ومر عبر رائحة الزبد تلك، يتألم لدرجة أنه يرغب في رطم رأسه بعامود الكهرباء حتى الموت. لكن عامود الكهرباء يهتز أمام عينيه، فبمجرد اقترابه، يرتفع فجأة، وكأنه يتمسك بالسماء، ولا يتسع له الوقت للتراجع للخلف.
يقوم الزملاء بالمسكن بالتوبيخ والتنهد، حتى أنهم يبكون، فيعبرون بدقة عن جميع أنواع الشعور بالجوع، وهناك من يتذكر الأطعمة اللذيذة التي كان يتناولها في الماضي، فيرسمون خبزًا ويشبعون جوعهم. إنه لا يسمع كل هذا، وغطى رأسه بالغطاء، وسد أذنيه بأصابعه، محاولا بجهد ألا يسمع، ومحاولا النوم بكل جهد. لكن بطنه كأنها تمر بحرب، وأمعاؤه تتشنج، وتتضخم معدته أحيانًا وتتحول إلى حفرة فارغة كبيرة، تكاد تشتهي ابتلاع كل شيء، وأحيانًا تتقلص وتتحول إلى وحدة محكمة، واقفة على صدره كالصلب. لا يعرف لماذا تذكر أمه وهي تغسل أمعاء ورئة الخنزير في صغره، أمعاء طويلة جدًّا، فتتقلب جميعًا. لقد أصبح بصره وسمعه حادين بصورة لا مثيل لها، فقد دخلت جميع شكاوى الزملاء أذنه دون فقد أي كلمة، مما أثار شهيته القوية. لقد سال لعابه، وأخذ يبتلعه بشراهة، حتى شعر بالغثيان، وغضب فجأة دون عمد. إنه يكره بكاءهم هكذا بسبب الجوع، يكره ذكرياتهم للأطعمة اللذيذة، الصياح والتطلع. في الواقع إن هذا نوع من التنفيس والتخفيف، مثل صراخ الشخص حين يتعرض للضرب. كما أن الجميع يصرخ معًا،

كنوع من المواساة: فليس وحده فقط جائعًا. أنت أيضًا جائع، وهو أيضا جائع، الجميع جائعون، لذلك، يهدأ القلب. لكنه لا يفهم، فيصارع مع الجوع بمفرده فقط. إن ذلك الصراع صعب للغاية. لقد عض على أسنانه، وكبح غضبه، وقمع جوعه، وأخذ ذلك الجوع يعضه بطريقة أكثر شراسة.
ذات مرة كان في منزل أخيه. وكان أخوه يقرأ نوتة موسيقية للكمان، وزوجته تطبخ، وابنه يلعب المكعبات على المنضدة الدائرية الصغيرة. وينصب هو المكعبات، ويمضغ في فمه بسكويت، يمضغه بسعادة بالغة. موضوع على المنضدة قطعة أخرى لابن أخيه. هناك قطعة بسكويت ولعبة سميكة سوداء اللون، وهيئة عربة، سلكها دائري منخفض، معلق بحماقة بعجلتين سميكتين وعربة، لم تستطع عيناه التحرك ثانية، ثم مد يده ومسك تلك القطعة من البسكويت، ووضعها في فمه بصورة طبيعية جدًّا. لقد امتلأ جسده بالكامل برائحة البسكويت للحظة، لكنها تلاشت في برهة، إن ذلك في الحقيقة قليل جدًّا. في هذا الوقت، ذعر فقط، وتحول وجهه للون الأبيض. فوقف ليمشي، فنادى عليه الأخ الكبير وزوجته، لكنه لم يدر رأسه وقال إن لديه أمرًا ما، ثم خرج.
لقد سار خلف الباب الحديدي الكبير للساحة المجاورة، وبكى. فقد شعر بالعار والخزي، وشعر أنه منذ هذا الحين أصبح لديه وصمة عار. لكنه لا يفهم ماذا حدث للتو، فلم يرغب في فعل ذلك مطلقًا، فهو لا يستطيع فعل ذلك الأمر. لكن حركات مد اليد وأخذ قطعة البسكويت ووضعها بفمه، حُفرت في ذاكرته بوضوح، ولا يمكن مسحها ثانية. لقد ظن أنه تحول إلى شخص قذر دنيء، يشبه اللصوص. كما لا يمكنه الإصلاح مرة أخرى، فلن يعود الزمن. لقد بكى بجرح، فقد سالت جميع الدموع المتراكمة بسبب الجوع والغضب والاشتياق للمنزل والوحدة في هذه اللحظة. هناك من يدخل ويخرج من الساحة، يشاهدونه يبكي لكن لا يبالون، فلم يأت أحدهم ليساله، فأخذ يبكي بحرقة. وحين عاد إلى المدرسة، تناول وجبتي اليوم بتذكرة الطعام مرة واحدة. لمست شفتاه طعامًا ساخنا، فارتجفت ساقه فجأة رجفة سعيدة. ونسي تلك الآلام، فانغمس جسده بالكامل داخل سعادة الطعام. وبعد الانتهاء من تناول كل شيء، تولد لديه مزاج يائس بصورة غريبة، فقد أحبط بحيرة، فلا يعرف سبب إحباطه.
في الواقع، إن الجوع يشبه الشهوة، فتأتي السعادة بعد التعطش، وبعد السعادة يأس. لكنه لا يفهم هذه الأشياء، فهو يشعر فقط بالإحباط الشديد. نام على الفراش في المساء، وأخذ يفكر طويلا جدًّا، إنه لم يعد شخصًا نظيفًا. لقد اشتاق للماضي. فكانت الأيام الماضية جميلة هكذا، حتى الجوع كان نقيًّا. لكن كل هذا قد انتهى، فمنذ ذلك الحين أصبح مجرمًا، وسيقضي حياته حاملا ذنبًا. إنه يشعر أن الحياة طويلة جدًّا، ولن تنتهي.
وكأن السد يحوي ثغرة فوقه، فقد بدأ جسده يتحرك بالكامل واسترخى مع قوة صراع الجوع والتوتر. أصبح الجوع لا يقهر تدريجيًّا. ذات يوم، جمع عدة قطع من النحاس الفاسد من ملعب المعهد، وأخذهم إلى سوق الخردة، وباعهم بعدة قروش، وذهب لشراء فطيرتين محشوتين بالسكر والسمن ليأكلهم. لقد كانت غنية بدقيق فاخر مرن، وتكاد تحوي شعور سعادة اللحم أثناء مضغها، وقد ذاب شحم الخنزير، وتغلغلت تلك الرائحة العطرة جسده بالكامل، وبعد انتهائه من تناولها، تراجعت تلك السعادة بالتدريج، واستبدلت بمزاج مكتئب. لقد أقسم بألا يفعل هذا الشيء الحقير ثانية، وأقسم أن ينساه، ويولد من جديد، ويصبح طفلاً جيدًا نقيًّا. أخذ يبكي مختبئًا في مكان ليس به أحد، يضرب فمه، ويعض لسانه، فيشعر أنه من الصعب تغيير حياته للأفضل، فأحبط إحباطًا لا يُضاهى. لكن اشتدت

نيران الجوع مرة تلو الأخرى، ولا يمكن قمعها هكذا. ومنذ بدء ذلك الأمر، لم يتمكن من المقاومة عند هجوم الجوع كل مرة. في هذا الوقت نسي الخزي، وأخذ يبحث في الممرات والملعب والفصول عن أشياء يمكن استبدالها بالنقود. لقد جذبت هيئته المذعورة في المرة الثانية، حينما كان خارجًا من باب المعهد بحزمة أسلاك كهربائية، انتباه الحارس، فأوقفه. وقد اعترف بمجرد سؤال الحارس له.
لقد شعر أن السماء تواجه رأسه، وتغطيه مباشرة، فقد قُمع بفعل السماء، ووقع مستقيمًا داخل الأرض، تلك الأرض عميقة بلا حدود، وسقط إلى ما لا نهاية.
يقرأ أخوه النوتة الموسيقية أمام البيانو، وزوجة أخيه تزن الأرز وتصنع الطعام، وابن أخيه يجمع المكعبات.
استطاعت فتاة الكلام في درب جينقو بشرق المدينة، وبمجرد حديثها تمكنت من غناء مقطوعة قصيرة. لقد كانت سريعة البديهة، وتغني كل كلمة وكل جملة بفهم:
"أي شخص شعره الفاحم مبعثر فوق رأسه؟
لم تنقص قلادة الأذن واحدة؟
كيف رُطب مسحوق الوجه؟
من سيأكل أحمر الشفاه الموضوع على الفم؟".
ضحك الكبار حين سمعوا: "من أين سمعت مقطوعة الطاولة؟ تغنيها وكأنها حية!".
ضحكوا ثم حركوا فمهم غير مصدقين: "في مثل هذه السن الصغيرة يمكنها غناء هذا اللحن، كما تغني بعاطفة، من أي منطقة يمكن أن تكون؟ ابنة من؟".
لا تسمع الفتاة كل هذا، فهي تعتبرهم يمدحونها فقط، ويحبونها، فلم تفكر بغير الحب. يستطيع الأطفال الصغار اختيار صورة سطح الحذاء، ويختارون في الغالب زهورًا وردية اللون، ويكونون ضعفاء للغاية، وكأن يمكنهم الطير بفعل هبوب الرياح. وبعد الاختيار، تلحق بوالدتها لتطرزه لها، ثم تخطو بالحذاء الجديد خارج المنزل لإظهاره. إنها لا تسير بحيوية كالأطفال، فهي تسير خطوة تلو الأخرى، فتمتد أطراف أصابعها للخارج قليلا، وكاحلاها يخطوان بخط مستقيم، فتسير كالأشخاص الكبار العاقلين. يلتف جميع الأطفال الصغار وينظرون لحذائها، لكنها تظهر نفاد صبرها، فتضع يداها خلف ظهرها، وتستند على جدار، رافعة عينيها تنظر إلى الأزهار أمام نافذة أحد المنازل.
جاء أحد أعمامها من مدخل الطريق الحجري حاملا فواكه ونبيذ الزعرور البري. لقد تعرفت عليه عن بعد، وتحمست لدرجة احمرار وجهها، لكنها لم تظهر تعابير، وتظاهرت أنها لم تره. وحين وصل أمامها، بدت وكأنها تشعر بمرارة وحزن. ناداها عمها، فلم تبال، ناداها لتسير معه للمنزل، فذهبت دون رغبة منها، لكنها مسرورة بداخلها سرورًا كبيرًا. إن أعمامها كثيرون، ولا يعودون بيد فارغة، ويحضرون أشياء جيدة لها ولوالدتها: زهورًا مخملية، أوشحة حرير، معطفًا أحمر، ودمى مستوردة يمكنها تحريك أعينها. لقد صاحت وقفزت من شدة حبها، فحدقت فيها والدتها، ووبختها. فنظرت لأمها، وعلى وجهها ملامح متكاسلة دائمًا، ولم ترضها أيضًا الأشياء التي أهداها إليها عمها، وتعرضت للتوبيخ أيضًا. لكن والدتها انتظرت بعد مغادرة العم، ووضعت الأشياء واحدة واحدة في الأمام لتراها، ووجهها ضاحك. إذا لم يأت العم لفترة طويلة، يعبس وجه الأم، وتغضب في وجهها، وتقع، وكأنها مريضة، وبعد مجيء ومغادرة العم، تشفى من مرضها. لقد فهمت تدريجيًّا، أن مجيء العم أمر يستحق السرور حقًّا، لكن هذا السرور لا يمكن أن يظهر على الوجه، لا يمكنه الظهور على الوجه فحسب، بل لا بد من التظاهر بعدم الفرحة، هذا هو العمل النبيل.

ً ً

لقد جلب لها العم هذه المرة جوربًا مطاطًا ورديًّا من شانغهاي، يمكن تطويله وتقصيره، كما يمكن تكبيره وتصغيره. فاطمأنت حين رأت الأشياء، ومسكت حفنة من اللب وجرت. أخذت الذكية الصغيرة تقضم اللب، فيدخل اللب، ويخرج نصفين مرتبين، يقع على الطريق الحجري المرقش. ترن أسنانها الصغيرة بصوت هش عند قضم اللب. فيحدق الأطفال الصغار إليها من بعيد، ولا يجرؤون على الالتفاف حولها ثانية، فلا يسمح الكبار بهذا! إنها لا تهتم بكل هذا، فتفكر فقط في قضم اللب بصوت رنان: "بو بوبو"، كأنها تغني.
وبالذهاب ثلاثة أميال ناحية الغرب، يغني الكمان في الغابة الصغيرة وكأنه يبكي.
لقد عاد الابن الثالث لعائلتهم، وتوقفت المدارس الثانوية والإعدادية والابتدائية جميعها عن المحاضرات، وأخذوا يهتفون بثورة.
رنت صافرة الميناء بجانب النهر ساعة، ولم تتخيل الأم مجيء الابن الثالث لها. وقد تحول وجهه الأبيض في الأصل إلى خضار الخضروات، وتجويف عينه أسود، وجسده طويل لكن به منحنيات دقيقة، ويبدو كأنه سيقع إذا هبت الرياح. وتكاد تلك الحقيبة الكبيرة المعلقة على كتفه تقطع ترقوته الدقيقة سريعًا. وبمجرد أن رأى أمه، احمر تجويف عينه، وفتح فمه عدة مرات، لكنه لم يقل شيئًا. لقد علمه الأخ الكبير مسبقًا، أن يقول فقط إن الحالة الغذائية في شانغهاي متوترة، فأعادوا السكان إلى ديارهم. فالأمور التي تقلق من أجلها الأم كثيرة، ولا بد أن تكون قوية أيضًا، فلا يمكن مطلقًا الإخبار بأمر فصله من المعهد. لكنه حين وصل أمامها، لم يتفوه بأي كلمة. وحين رأت الأم هذا المشهد، دق عقلها، وبالرغم من أنها لا تفهم أي شيء، فإنها تفهم كل شيء. فلم تسأله، وقالت فقط: "اذهب لتغتسل".
كأنه تلقى أمرًا، فسار بطاعة جانبًا، ووضع أشياءه، وملأ حوض المياه، وبدأ في غسل وجهه. والأم تقطف الخضروات بهدوء جانبًا.
وبعد غسل وجهه، فتح حقيبة سفره، وأخرج منها علبتين من حلوى: "لقد جلبها الأخ الكبير، علبة للجد، وعلبة للأم".
نظرت الأم إلى الحلوى، وقالت: "أنفق الابن الكبير نقودًا ثانية". ولم تقل شيئا آخر.
انتهت مراسم العودة للبيت ببساطة وسهولة، لقد عاد للبيت مرة أخرى. بدا المسكن في العامين اللذين غادر فيهما أكثر ظلمة. يستلقي كل يوم بالجناح الخلفي يقرأ الكتب. وقد ارتفعت تلك الشجرة الكريهة الرائحة بالفناء ارتفاعًا شديدًا، فحجبت النافذة. ومن خلال الضوء الضئيل المتسرب من الفتحات بين الأوراق، كان يقرأ كتبًا سميكة، وهى "أسطورة جي قونغ" و"رحلة إلى الغرب" و"حلم القصور الحمراء". يخرج من الغرفة كل يوم فقط لتناول ثلاث وجبات وليلتقي بجده مرتين، أما باقي الوقت فيقضيه كاملا في الغرفة، مستلقيًا على فراش من البامبو، يقرأ الكتب ويفكر فيما داخل قلبه. إنه لا يملك تقريبًا بقلبه شيئًا يدعو للتفكير، فهو يستند شارد الذهن فقط، لا يفكر بأي شيء. يمر بجانب أذنيه صوت، إنه صوت عزف الكمان. دائمًا ما يرن صوت مقطوعة التدريب على الكمان في ذهنه ليلا نهارًا، تصعد المقطوعة وتنزل كالدرج. تتأرجح وكأنها تسير خطوتين وتتراجع خطوة. فحين تصل لأعلى منطقة تتراجع وتسير للأسفل، وما زالت تتأرجح بالسير خطوتين والتراجع خطوة، لا نهاية لها، ولا يمكن أن تنتهي للأبد.
فبغض النظر عما يفعله، يتناول الطعام، ينام، يقرأ، أو يمر بفحص الجد، تتكرر تلك المقطوعة التدريبية باستمرار. فهو يرغب بشدة في عزف الكمان، لكنه يشعر بالخزي ولا يجرؤ على التفكير، فيعتقد أن ليس لديه الحق في التفكير. كما أن

ذكريات عزف الكمان، يصحبها إذلال مؤلم وجريمة حقيرة، أو يمكن القول إن الإذلال المؤلم والجريمة الحقيرة هما المصاحبان لذكريات عزف الكمان. لقد تمنى عدم حدوث كل هذا من قبل، وأن يكونا مجرد حلم فوضوي. إنه يوهم نفسه أن كل هذا لم يحدث من قبل، هكذا من المحتمل أن يقضي بهدوء يومًا تلو الآخر.
لكن في الواقع، كل ذلك حدث بالفعل، والحلم الحقيقي هو عدم حدوث كل شيء من قبل. إن هذا الحلم يريحه فقط في الغرفة الخلفية، وسط حجب ظلال الشجر. وبمجرد خروجه وسيره في الشارع، تملأ الشمس جسده بالكامل، وتشرق بصورة مبهرة، وترن صفارة الميناء جانب النهر بصوت طويل تارة وقصير تارة أخرى، كما يأتي بعض الأشخاص المألوفين، فيلقون العديد من التحيات، فيفيق من الحلم. لذلك، يحتاج إلى هذا الظلام أكثر من السابق، يحتاج إلى حماية هذا الظلام، على الرغم من أنه يكرهه. فلم يستطع الخروج للشارع ببساطة، حتى لم يعد يمكنه شراء علبة من حطب، أو زجاجة من صلصة الصويا. وأثناء مقابلة الجد بأحفاده، يتعمد الدوران إليه، ويقول: "هل تتأمل؟ أم تقرأ الكتب الكلاسيكية؟ لقد قضيت عامين في شانغهاي، فهل قضيتهم بشرف؟ أم بصورة غير عادية؟" ثم يبتسم ابتسامة مبهمة بعد انتهاء القول. لقد شعر بنظرات أمه، نظرات قلقة، لكنه صمت، حتى رأسه لم يرفعها. فلم يحدث أي تغيير في العامين اللذين قضاهما في شانغهاي، لكنه لم يعد يقدر الجد، وهو نفسه غريب أيضًا. وهو الآن يحترم جده لأمه فقط، وبسبب العادات أيضًا.
تخيل من قبل خيالات جريئة، إذا وضع الجد المهيب وسط جموع الناس في شارع هوانهاي بشانغهاي، فبالتأكيد سيظهر الجد ضئيلا جدًّا. وفي الوقت الذي تعرف فيه على ضآلة جده، تعرف أيضًا على ضآلة نفسه، وأصبح لديه نوع من الحيرة، فلا يعرف كيف أتى لهذا العالم، ولماذا أتى بالتحديد؟ لقد شعر بفراغ داخل الغرفة المظلمة، ووسط الضوء الذي يظهر بين فتحات أوراق الشجر تارة ويختفي تارة أخرى، وامتلأ قلبه بالكآبة. اعتقد أنه ضئيل جدًّا، لكن في الحقيقة يرى نفسه عظيمًا جدًّا، ويكبر إذلاله، وحقارته، وظلمه، وكآبته بحرية واعتباطية وسط حُجب الظلام.
يتدفق صوت عزف الكمان دائمًا جانب أذنيه، فهو موجود في كل وقت، يغني مقطوعة التدريب نفسها، وتكون المنطقة المنخفضة شديدة العمق، والمنطقة المرتفعة ذات حماسة وقوة، وبينهم صفارة الميناء بجانب النهر. لقد أزعجه هذا الصوت، حتى الحلم لم يتمكن من فعله بأمان.
سمع في هذا اليوم أن جده ضرب أمه بعصاه ذات رأس التنين على ظهرها، وتأكد أن السبب كله هو فشله، فسقط على وسادته وأخذ يبكي بجرح. سالت دموعه كفيضان السد، فلا يمكن إلمامها مرة أخرى. امتلأ قلبه بخيبة الأمل، والإحباط، فهذا العالم مليء بسوء الحظ المخيب للآمال، فأين يوجد ولو القليل من السعادة. لقد بكى حتى كادت عيناه تخرج دمًا، ولم يتمكن من البكاء حقًّا، حينها أوقف البكاء تدريجيًّا. واستلقى بهدوء على فراش الخيزران، لكن قلبه مشرق، حتى أنه سعد بعض الشيء. اجتاح الشجر إطار النافذة مصدرًا حفيفًا، وأدخلت شمس الغروب الحمراء كالدم داخل النافذة شرقًا وغربًا. إن أطرافه الأربعة وهنة، لكن قلبه مشرق كثيرًا، وكأن الدموع غسلت كل الشوائب.
إنه ما زال في السابعة عشر من عمره فقط، فمهما كان قدر ضعفه، فإنه مليء بالحيوية الوفيرة المتجددة، إن الكآبة ما هي إلا لفترة مؤقتة، والأكثر هو الأمل، فعليه قبل إطفاء بريق الأمل قطرة قطرة السير في طريق طويل جدًّا، والاستمتاع بمرح كثير للغاية، وتحمل الكثير من الآلام.

تنادي صفارة الميناء جانب النهر سرًّا، وكأنه نوع من الاستدعاء الغامض.
التحقت فتاة زقاق جين قو بتلك المدينة بخليج النهر الأصفر بالمدرسة. وصنعت لها عائلتها حقيبة كتب من القماش، وطرزت الأم عليها زوجين من البط المائي، يمكنه التحرك بالنفخ به كأنه حي. ترتدي الفتاة جوربًا مرنًا وردي اللون، وحذاءً مزخرفًا قطيفة أحمر ، ومعطف بسروال مزخرف بالأزهار الصغيرة الصفراء، حواف المعطف أرجوانية ، وقدم السروال واسعة قليلا، بصورة جميلة لا مثيل لها. داست على الأرض الحجرية وسارت خطوة خطوة. لا ترغب جميع زميلاتها في الفصل في مرافقتها، يخشين المقارنة، فهي تبدو أبهى منهن كثيرًا، لكنها لا تهتم بكل هذا، وترفع رأسها قليلا، وضفائرها الصغيرة ليست طويلة وليست قصيرة، وتستخدم في أطراف ضفائرها "توكة مقص" فتصبح شبيهة بحزمتي ورد، تتدلى على كتفيها الصغيرين الدائريين. سارت خطوة خطوة بخط مستقيم ذاهبة إلى المدرسة.
الأطفال في الفصل ليسوا في أناقتها ولا جمالها، فوضعية جلوسها مستقيمة، وكلامها واضح أيضًا. فيحبها المعلمون بمجرد رؤيتها، ويعينوها رئيسة للفصل، تنادي للوقوف قبل كل محاضرة، وتخرج قائدةً للمدرسة. إنها ذكية بما فيه الكفاية، وتحفظ كل ما يقوله المعلم عن ظهر قلب. إذا قال المعلم إن عصا التعليم غير سلسة، تعود إلى البيت وتقصد عمها ليصنع واحدة جديدة، وتلفها بلفة زهور، وتعطيها للمعلم. ولا تتحدث كثيرًا عند إعطائها، فتقول فقط إن المنزل كان به عصا خيزران، فلفتها بخيط زهري وطلبت إرسالها للمعلم. يذهب المعلم يوم الأحد للحلاق ويصنع قصة الشعر جديدة، وفي اليوم الثاني يذهب إلى المدرسة بخجل ووجه أحمر، فتقول للمعلم بعد انتهاء المحاضرة: "إن قصة الشعر تشبه الأشخاص في الأفلام، سأفعل القصة نفسها حين أكبر". فيعتبرها المعلم محبوبته.
وفي العيد الوطني، تقيم المدرسة حفلا كبيرًا، ويقدم كل فصل عرضًا. فيدعو المعلم الطلاب للتسجيل بأنفسهم، فيتردد جميع طلاب الفصل، فيرغبون في التسجيل لكنهم يخجلون، خوفًا من سخرية الآخرين. هي فقط من رفعت يدها بتلقائية، فسجل المعلم اسمها، لقد سارت إلى المسرح خطوة بخطوة، ووقفت أولاً جيدًا، ثم ركعت، وبعدها وضعت يديها أمام صدرها، وغنت: "هافانا الجميلة، منزلي هناك". صوتها جميل هش، ولا توجد نغمة عالية لا يمكنها الارتفاع. أصر المعلم على إبقائها، وألف لها حركات خصيصًا، وتعلمتها جميعها من مرة واحدة، وفعلتها بصورة صحيحة، فقط تشبه أصابعها الصغيرة براعم البامبو، ترفعها عاليًا جدًّا. شعر المعلم بغرابة حين رآها، لكنه لم يقل أي شيء.
كان هذا أكثر العروض ترحابًا خلال حفل التهنئة. فقد رنت الصالة بالتصفيق الذي هز السماء، فركعت لهم مرة تلو الأخرى، وبعدها استقامت، وجرت خطواتها دون ذعر ونزلت. وقام الكبار والصغار وحدقوا إليها، فشعرت بالفخر، لكن لم تظهره على وجهها، وكأنها لا تتحمل هذا، لكن خطواتها ليست فوضوية مطلقًا، وعادت خطوة بخطوة إلى كرسيها، وجلست باستقامة، رافعة رأسها تنظر للمسرح، وكأنها لا تشعر بأي شيء.
بالذهاب ثلاثمائة ميل ناحية الغرب، ينير سيف الممارسة الوهمي بلمعان داخل الغابة الصغيرة، وتغني آلة الآر هو بصوت مرتفع وصوت منخفض وكأنها تبكي.
أعلن الحي والمدرسة وطريق شينغيان تسي ودونغجياقنغ، أنه قد تم تسجيله. وبعد أسبوع تمت الموافقة عليه، وركب القطار مائة شاب يعلقون زهرة حمراء كبيرة ، وغادروا. ترك القطار المدينة، وسار وسط الحقول الشاسعة، فتفتح قلبه

فجأة. فتح نصف نافذة القطار، وطار شعره الطويل مع الرياح، والزملاء يغنون في العربة.
ذهب إلى ذلك المكان المجاور لمقاطعة آنهوي، وباتجاه شاندونغ أيضًا. كان يزرع في الأساس القمح بصورة أساسية، والآن تم استصلاحه من الجفاف، شُمر السروال عاليًا للنزول بالحقل، وقطف شتلات الأرز بالسير على الحافة الرقيقة للحقل كعرض السيرك. إنه يعمل دون توفير طاقة، ويختار خصيصًا العمل الشاق، وانزلق عدة مرات من على الحافة، ولم يستطع القيام كسمكة نطاط الطين، فضحك الزملاء وهم يمدون أيديهم له بالتتابع، لسحبه، ودفعه للعودة للمنزل لتغيير الملابس. لكنه يصمم على عدم العودة، ويواصل السير بشجاعة. تلف الملابس المبتلة جسده، فارتجف بعد لحظة. ثم جفت تدريجيًّا بفعل أشعة الشمس وسخونة جسده، تنتزع تلك الملابس الساخنة للحظة الراحة الرائعة من جسده، حتى الثغرات بين عظامه تكون ساخنة.
ينام في الليل على الفراش، وجميع مفاصله تؤلمه، ولا يقدر على الحركة. لكن هذا الألم يجعله سعيدًا، فيشعر بالراحة داخله. وحين يستيقظ في الصباح يبدو وكأنه ذاهب للإعدام، فيسند جسده مضطرًا، وينزل قدميه الباحثتان عن الشبشب، ثم يقف أخيرًا. ويفتح خطواته. يعمل بقوة أكبر من اليوم السابق، وتصدر مفاصله صوتًا، يشعر بالسعادة عند سماعه. لقد جعل العبء الناس يسيرون بهيئة مقموعة، وسقط بعدة منحنيات. قال الجميع إنه يتلاعب بعمره، كما قالوا إنه شخص صادق. إنه يعيش بمفرده لكن لا يحتاج لصنع الطعام، فجميع المنازل بالمزرعة يعطونه أطعمة مالحة. الفاصوليا الكريهة، الثوم المخلل، والفجل. وحين يأتي ضيف لأحد المنازل، يصنعون اللحم والسمك، ولا بد أن يرسلوا له أيضًا، السبب الأول هو الشعور بالأسى لضعف جسده، والسبب الثاني هو مصاحبة الطلاب القادمين من هذه المدينة، مما يزيده شرفًا أيضًا.
إنها حياة جديدة، وقد تباعد كل شيء في الماضي هنا، واختفى وسط ظلال الذاكرة. لقد فرح بصحة قدومه، فالأوقات السابقة لمجيئه كانت مؤلمة. إن لديه نوعًا من الشعور بالحياة الجديدة، فنسي كل شيء مضى، وبدأ من هنا حياة جديدة.
لقد أصبح جلده أسودَ من الشمس، كما أصبح قويًّا أيضًا، ولم يزل يفضل الصمت على التحدث، فإن روحه ارتاحت كثيرًا. كان يعمل في الصباح، وفي المساء إما يتحدث مع الشباب في نفس المزرعة عن حكايات المدينة وما يشاهدونه ويسمعونه، وإما يذهب للزميل القائد للعب. وفي وقت العودة يكون نور القمر عاليًا، وتتدفق مياه القناة الكبيرة مصدرة خريرًا، وتستطيل القصبة، ويوجد بعيدًا كلب ينبح بصورة قاسية. لقد سار بالطريق الأبيض الكبير المنير بنور القمر، وتسلل الندى إلى الأرض، وشعر باطن القدم بمرونة وليونة من خلال قاع الحذاء القماشي. ولم يتمالك نفسه في الدندنة، دندن لحظة ثم أدرك ما يدندنه، إنها تلك المقطوعة التدريبية التي تُعزف بالكمان. فظهر الماضي فجأة داخله. لقد خفت ظلال الماضي كثيرًا في ليلة نور القمر هذه، فلا يوجد سوى مرارة طفيفة، اقترنت هذه المرارة بصورة إيجابية بمزاجه الهادئ. تصيح الضفدعة داخل الحقل، وأخذ يتذكر الماضي تدريجيًّا. وقد اختفى الخوف والإذلال فجأة بمواجهته للماضي، فلم يشعر سوى بألم خفي. لا يتمكن هذا الألم من جرحه، فقد أصبح أقوى كثيرًا من ذلك الوقت.
وأثناء قيامه بالأعمال الزراعية بمهارة كافية تشبه اللعبة، يفكر في أن عليه القيام بشيء إضافي، تجنبًا لإهدار هذه الحياة. ولحسن الحظ، ذهبت معلمة بمدرسة

اللواء الابتدائية مع الجيش، وتركت مكانًا شاغرًا، وطَلب منه شغله. لقد درّس للصفوف الرابع والخامس والسادس اللغات والرياضيات والطبيعة والجغرافيا. بعد ذلك اكتشف وجود أكورديون بثمانية وأربعين زر موسيقي منخفض بالمدرسة، فأحضر عدة كتب لمداخل الأكورديون، وبالفعل نجح في اللحن. لذا بدأ يدرس لجميع الصفوف محاضرة الموسيقى. وفي مساء كل يوم، بعد الانتهاء من تصحيح الواجبات، يجلس منفردًا في الأرض الفارغة أمام باب المدرسة يعزف على الأكورديون، وهذا هو الوقت الأكثر سعادةً إليه.
توجد طريقته الخاصة لعزف الأكورديون، فلا يتعمد تحريك المنفاخ، ويدعه يتحرك فقط بتلقائية. تتحرك أصابع يده اليمنى على أزرار الأكورديون وكأنها تداعبه، ترن كل نغمة بخفة، لكنها حقيقية، لا تخدع أبدًا. تلامس يده اليسرى أزرار النغمات المنخفضة، ولم تتحرك بفوضوية من قبل طالما لم تأت مرحلة اليأس. تصدر مفاتيح النغمات العالية لحنًا نقيًّا نظيفًا كالناي يستمر دون انقطاع، لكن يمكن إدخال لحن النغمات المنخفضة به على عكس المتوقع. ازدهر صوت الأكورديون تدريجيًّا، وجلب موجة من الحوافز التلقائية، هنا أصدرت مفاتيح النغمات المنخفضة لحنًا خفيفًا قويًّا. وحين تتدفق الحماسة، ولا يمكن قمعها، ولا يمكن ارتفاعها ثانية، يصدر صوتًا يهز الروح، وحين يتوقف ذلك الصوت، يهدأ المكان بالكامل، وكأنه مكتئب، وكأن لحن الاستياء والخفة التصق بالأرض مرة أخرى.
لقد وضع رأسه على مكبر الصوت، وأغلق نصف عينه، ولم يفكر بأي شيء، فقد أعطى تفكيره بالكامل للأكورديون. تخبر أصابعه مفاتيح الأكورديون، وترد عليه المفاتيح، حتى عمق الليل، ثم يرفع رأسه فجأة، ويستيقظ، وقد ذهبت ثلاثة نجوم للغرب، وكأن نجوم السماء البراقة تحيطه.
تمزح الفتاة الصغيرة مع الأولاد، وكل جملة تقولها يهتم بها الناس، كما أنها تعرف جيدًا الصواب والخطأ، وقال الجميع إنها جديرة بكونها فتاة زقاق جين قو، فهي متميزة.
لا يوجد سواها في خليج النهر الأصفر الكبير يمكنه التزين، حتى أن نموذج شمال شيويتشو لا يلقى إعجابها ، فتتعلم خصيصًا من الأفلام. تمشط ضفيرتيها للخلف، فيكادان أن يكونا معًا. تضفرهما حتى النهاية، وتستخدم حريرًا أحمر وتربطهما ربطة الفراشة الكبيرة، فتهتز على خصرها الدقيق، كالنمط الغربي. وبعد يومين تغير شكلها، فتفصل الضفيرتين، واحدة على اليسار، والأخرى على اليمين، كالجاريات في المسرحيات القديمة، وتضع يمينًا مشطًا أحمر، فتبدو جميلة. وبعد مرور يومين آخرين تغيرها ثانية، فتفرق شعرها، وتضع أعلاه شريطة حمراء، تنزل للأسفل متداخلة مع الضفيرة، وتنزل الضفيرتين يسارًا ويمينًا، ليست في الأمام ولا في الخلف، وهناك تسريحة مرتبة على جبهتها، كفتيات القرى، لكنها تبدو بريئة ورقيقة. لا تتماشى أعين الناس مع زينتها، فيشعرون أنها دائمة التغيير، فكيف لا تثبت على مظهر واحد، كالجنيات. لكن تبدو جيدة في كل الأحوال. يوبخها زملاؤها الصبيان في الفصل أمامها، يقولون إنها "مدللة"، "برجوازية"، لكن من خلفها يهدون إليها أشياء في الخفاء، قلم الرصاص كقصبة الزهور، مسطرة شفافة، ورقة للكتابة بيضاء كالثلج.
لا ترفع حتى جفنها قائلة: "لا أريد".
قال صبي: "لماذا لا تريدين؟ إنها جيدة".
"حسنا، أبقها لك".
"أعطها لك".
"لا أريد". جفونها لا تتحرك.

فغضب الصبي: "لا تريدين، لننس الأمر".
أدارت عينيها ثانية، بينما يلمع السواد داخلهما، ويتحرك وسط جفنيها، ابتسمت ابتسامة لا تنتهي: "لماذا تغضب؟". فشعر بالخجل.
لقد رأت هذا من والدتها. فوالدتها تكون هكذا مع العم. فالتعابير الجيدة تكون محببة، فلا يمكن إخراجها بسهولة، لكن لا يمكن أن يكون هناك تجاوز أيضًا، فيجب أن تلمع في هذه اللحظة، وإلا سيتحول الاهتمام إلى الإهمال، وتصبح عديمة القيمة. لقد قدرت الأم هذه اللحظة داخلها، فيجب أن تكون دقيقة جدًّا. وإذا أبلت بلاءً حسنًا، سيتحول الرجل بالكامل لخادم لها. لكن إذا غضبت بجد، وسارت بمجرد إفلات اليد، لا يمكن العودة ثانية. إن الأعمام جميعهم خدم للأم، وتضحك الأم تجاه العم تارة وتغضب تارة أخرى، وكل هذا بصورة متزنة. تراها فتشعر بالمتعة، وأحيانا ترغب في التعلم والتجربة. وفعلا يكون هناك تأثير إيجابي، فتسعد كثيرًا.
أخذهم المعلم في رحلة الربيع إلى جبل الأزهار والفواكه، وتسلقوا إلى جوف الشلالات، تضايق الجميع من كونه صغيرًا جدًّا، وغير شامخ، فأين يشبه قصر ملك القرود الجميلة. أما هي فجادلتهم بقوة قائلة: لقد حظر الجوف على الأجيال التالية، والداخل عميق وكبير، لأن هناك أشخاصًا يفعلون أشياء قبيحة مخجلة بالداخل، تلوث قدسية المكان كما تخرب الأجواء. لقد سمعت هذا من العم. وسأل الجميع بفضول عن ماهية هذه الأشياء التي يأتون بها داخل الجوف ، فضحكت بسخرية، سخرت من أنهم لا يفهمون هذا الأمر أيضًا. في الواقع، هي أيضًا لا تعرف. وهناك صبي صغير لم يصدق، وأخذ يجادل معها، فرأته ممتعًا، فقالت لندخل معًا ونرى، لنطرق على تلك الصخرة، إذا كانت مغلقة، فيجب أن يكون هناك صدى صوت فارغ، وإذا لم تكن هكذا، يجب أن يكون الصوت حقيقيًّا.
لذا دخل الاثنان، وطرقا تلك الصخرة. طرقت اليد الصغرى على الصخرة، فلم تحدث دويا قويًّا على الأذن بعد، حتى قالت: "اسمع، إنه حقا صوت فارغ". سمع الصبي الصغير بدقة، وتحير من أمره، فقبلت الفتاة فمه الضاحك فجأة ودون توقع، فشعر فقط بسخونة شفتيه ورطوبتها، ولم يفهم معنى هذا، أما الفتاة فاحمر وجهها، وتراجعت بسرعة من الجوف، ولحقت بالفريق، وقلبها يقفز بشدة، وتشعر بسعادة عارمة.
لا يحتوي جبل الأزهار والفواكه على أزهار ولا ثمار أيضًا، فهو جبل مقفر، حتى لا يوجد ظلال أشخاص.
بالذهاب للشرق ثلاثمائة ميل، هناك محافظة صغيرة جدًّا، تتبع جغرافيا حكومة مدينة جينان، لكنها تخضع لإدارة حكومة مدينة نانجينغ، إنها قريبة من البحر الأصفر بصورة واضحة، إنها تدعى تشينهى، ما يدعو الناس للضحك بشدة.
يوجد بالمدينة غابة الشجيرات الصغيرة، يتدرب بها الناس صباح كل يوم على الفنون القتالية، والحنجرة، والعزف، ويغني "الآر خو" وكأنه يبكي.
في ذلك الوقت، توقفت المدارس الثانوية والإعدادية والابتدائية عن المحاضرات، وهتفوا بثورة.
عاد الابن الثالث للبيت، وقبض المتمردون على الجد.
جاء خطاب للبيت: قبض المتمردون على الجد. ولا توجد أخبار لمدة سبعة أيام وسبع ليالي، والأب مريض على الفراش، وتحول عدة إخوة وأخوات بالكامل إلى التيارات الخمسة السوداء، ويتلقون التوبيخ يوميًّا بالمدرسة، كما لا توجد أخبار أيضًا عن الأخ الأكبر.. يتمنون عودته للمنزل. وإحضار ما يقدر عليه من فول الصويا، والذرة وغيرها. لقد كتب الأخ الرابع الخطاب من وراء أمه، ولم تقبل الأم القوية مطلقًا طلب المساعدة من الابن.

لقد وصل في تلك الليلة إلى شمال شيويتشو، حاملا كيسًا من الأرز والقمح (طعامه لنصف عام)، وسار بإيقاع لطيف على رصيف المحطة. وانطلق القطار مصدرًا صوتًا، واجتاز ضوء الفجر الرقيق، وذهب ناحية الجنوب. ووصل إلى البيت بمجرد حلول الظلام. حدقت الأم، فلم تتعرف عليه تقريبا، وحين تعرفت عليه تحرك الوجه قليلا. لقد كبرت الأم، وجف جلدها الأبيض، وظهرت به التجاعيد، لكن ملابسها ما زالت مرتبة جدًّا. وضع الكيس على الأرض، ونادى: "أمي"، لكن صوته مبحوح.
لم تقل الأم سوى: "اذهب لتغتسل!"، ولم تسأل كثيرًا، فبدت عودته طبيعية جدًّا، لكنه شعر أن أمه تفهم كل شيء فهمًا شديدًا. إن الأم حكيمة جدًّا، ولم تفقد كرامتها أبدًا بسبب ضربها بالعصا أمام الأطفال. فتلك الكرامة نابعة بالكامل منها. إنها تجتهد لمساعدة الأطفال على عدم ارتكاب أخطاء، وإذا ارتكبوا خطأ، لا تلومهم أيضًا دون سبب، فتشعر تقريبًا أن هذه فطرة لا يمكن تجنبها. إنها سند البيت كله، بما فيهم الأب والجد، فإذا لم يوجد مثل زوجة الابن هذه، كيف سينفس الجد عن غضبه ويوضح هيبته، فسيكون هناك شك كبير في هذا.
وعند تناول الطعام، فهم درجة الفقر التي وصل إليها المنزل، كما أن كيس الطعام الذي جلبه لديه مغزى الإنقاذ. عاد الجد إلى البيت، فقد أوصلته حراسة مساء أول أمس، وقد نحف وتحول لحطب، لكن عينيه تلمع لدرجة تحرق الناس، وأنفه ظاهرة بصورة حادة لم تكن موجودة من قبل، حاملا تعابير شرسة. وبعد عودته استلقى على الفراش ولم ينهض ثانية، لا يأكل ولا يشرب. نصحته الأم، لكنه ضرب ظهرها بالعكاز، وركع الأب على الأرض راجيًا له، لكنه تظاهر بعدم السماع، وأغلق عينيه، كأنه ميت. ولكن بسبب إلغاء اللقاء مرتين في اليوم، أصبح جو المنزل أهدأ بعض الشيء، ونشط مزاج الإخوة والأخوات كثيرًا بسبب عودته من القرية.
إن الحياة صعبة للغاية فقط، وتم إلغاء تلك الإعانة المحددة، وراتب الأب قليل في الأساس لدرجة تثير الشفقة، والأخ الأصغر والأخت الصغرى لا يعملان، ومن الصعب عليه المساعدة وهو في القرية، والأخ الكبير في شانغهاي لا يعرف حظه التعس. استعارت الأخت الخامسة اسم صديقها المقرب، ونزلت الشارع لتستلم وظيفة مؤقتة للصق علبة الثقاب. فلا داعي لأن تذهب للمدرسة، يلتف الإخوة والأخوات كل يوم حول المنضدة المربعة، يلصقون علب الثقاب بجدية. وبمجرد وصوله للبيت، يشترك هو أيضًا، واكتسب المهارة سريعًا، واعتمد على مهارة أصابعه المتدربة على العزف، ولحق بأخواته بسرعة وجودة.
إن لصق علب الثقاب ممل جدًّا، لكن الحديث ممتعًا للغاية. ومن أجل الحديث الشيق، أصبح لصق علب الثقاب جذابًا أيضًا. ففي كل يوم يقدم الجميع على فعلها، ولا يحتاج هذا العمل إلى التفكير، فكلها حركات آلية، ومن جانب آخر يتبادلون الأشياء الممتعة بجميع أنواعها. لقد هاجم الصراع العنيف الحياة اليومية الهادئة، وفي الوقت نفسه قضى على قوانين البيت والقواعد المحكمة، فبالنسبة للأطفال تسربت إليهم وسط تلك الأيام العصيبة سعادة في كل وقت ومكان. إنهم شباب هكذا، ولا مفر من القمع. يتحدثون عن أشياء ماضية ويضحكون عاليًا، فينتقل صوت الضحك بسعادة إلى غرفة الجد، ذلك ضحك لا يتماشى مع الحقيقة بأكملها. فيطرق الجد بعكازه غاضبًا، ويتذمر البلغم في حنجرته. فيقلصون رقبتهم ويقمعون صوت الضحك، ويصدرون صوتًا من أنفهم فقط. ولم يصدر تنفسه الثقيل لفترة طويلة. فلم يأكل منذ ستة أيام وست ليال، وكاد الجسد المستلقي على

الفراش يتلاشى، وبالنظر بعيدًا، لا يُرى سوى أنف شامخة كالصقر، وعينان لامعتان بصورة غريبة.
لكن لأنهم شباب، لا ترتبط أصوات ضحكاتهم الصاخبة بمقدار الفرح، فهم دائمًا ينسون الحمل، ينسون الأشياء القاسية جدًّا التي تحدث في هذا العالم المجنون، ينسون الشخص المُسن غير الراضي عن القدر، المستلقي في الغرفة الغربية. كما أن قلبه مليء بالدفء والعاطفة بسبب تركه للبيت منذ فترة طويلة وعودته أخيرًا جانب أمه وأخواته. علاوة على ذلك، وصلت الحياة لهذه الخطوة، ولا يوجد مستقبل يمكن التحدث فيه، على العكس يمكن القضاء على الآلام، ويمكن أخذ استراحة بالحياة. على الرغم من صعوبة الأيام، فإن الحمل قد رُفع عن المشاعر.
أحيانًا تغطي أصوات ضحكاتهم على صوت دق العكاز الغاضب بالغرفة الغربية.
لم يعد وجود الجد يجذب انتباههم. إلى أن أتى يوم نادى فيه المُسن فجأة على الأم بصوت رنان، وقال إنه يرغب في تناول الحساء. صنعت الأم حساء البيض بسرعة، ووضعت به أعشابًا بحرية، وبعض الجمبري الجاف، وملحًا ناعمًا، ومكسبات طعم، ثم سخنته وصبته. طلب منها وضعه جانبًا، ثم تخرج. وبعد مرور ساعة، تغيرت ملامح الأخ الرابع الجالس مواجهًا للغرب أولا، وتعثر في الكلام، فأدار الجميع وجوههم، ووقفوا عن غير عمد. وقف الجد عند مدخل الغرفة، ويداه ممسكتان بالعكاز يرتجفان. هناك عباءة طويلة مستقيمة حتى الأرض وكأنها معلقة في المنضدة. وبسبب النحافة، ظهر طويلاً بطريقة غريبة، وأنفه شامخة كالنسر، وتظهر هيبة لا تُضاهى. ومرت نظراته فوق رؤوسهم كالسكين. فرغبت الأم في الذهاب لسنده، لكنه أبعدها بالعكاز. لقد وقف لحظة، وخطى بخطواته تدريجيا، سار مباشرة تجاه الفناء. تنحى الجميع بصمت، وأفسحوا طريقًا. سار ببطء بمحاذاة الجدار، مر بغرفة تلو الأخرى، وعبر الساحة، ووصل للفناء. تبعه الجميع عن بعد، ولا يفهمون ماذا يريد. لقد سار بكل زاوية من زوايا الغرفة، ثم أدار جسده ببطء، وعاد للغرفة. في هذا الوقت حل الغروب.
حل الظلام بسرعة كبيرة هذه الليلة، فبمجرد غروب الشمس، أظلمت السماء بالكامل.
ساد ظلام دامس هذه الليلة، فلا يمكن رؤية أصابع اليد حين نمدها، حتى ظلال أوراق الشجر لا ترى، ولا يوجد أي ضوء، وكأن هناك عباءة سوداء سميكة غطت بكثافة. ذهب لينام وسط إحاطة العباءة السوداء، وقد قمعت العباءة السوداء الثقيلة عينيه. وفجأة خف السواد، وتلاشى، وأضاء، وتحول تدريجيًّا إلى اللون الأحمر، أحمر مثل الدم، أحمر لدرجة تفزع الناس وتخيفهم. إنه لا يفهم كيف وُجد هذا الظل الأحمر. فيحيط به من الأربعة جوانب جدران حمراء كالنار، حتى السماء احمرت. لقد كافح رغبة في الاستيقاظ من الحلم، لكن على عكس المتوقع فزع بصوت حاد يصرخ. إنه صوت صراخ الأم، إنه لم يسمع من قبل الأم تصرخ بفزع هكذا، لكنها تصرخ حقًّا: "نار!".
نار. تلتصق بالأرض، وترتفع بمحاذاة الجدران، وأحاطت الغرفة بأكملها، الغرفة بأكملها وسط النيران، وترتفع ألسنتها بشراسة وسعادة. قلب جسده ونهض، ودفع الأخ الرابع بجانبه للنزول من الفراش، وسحبه وركض. ووقع إطار الباب المتعفن بأناقة، لقد فقد حكمته بالفعل، واصطدمت رأسه، لكن أحيط بيدين قويتين، إنها الأم. تسحب الأم الأب، وتعانق بعض الإخوة والأخوات الصغار كالدجاج، يسقط إطار الباب وبه لهيب النيران بصورة جميلة.
دفعته الأم، فهرع. تحترق الغرفة التي تم دخولها لاحقًا أيضًا.

"أبي!"، صاح الأب بصوت حاد، إن باب غرفة الجد مغلق بالترباس، وقد حرقت النيران لوح الباب تقريبًا فجعلته شفافًا.
لقد نادوا معًا: "جدي!"، يرن لهيب النيران وكأنه يجيب.
تقلصت دائرة لهيب النيران وصغرت. شابهت الرافدة صفًا من مفاتيح البيانو الحمراء كالنار، يرونها قادمة من الأعلى، فسحبت الأم الأب دون تردد، وعانقت الجميع، وخرجوا من لهب النيران، ووقفوا أخيرا في الشارع، وكأنهم قفزوا من حفرة نيران إلى مخزن تبريد. إن الليل بارد كالماء، والجميع يرتدي قطعة واحدة من الملابس فقط، والإخوة والأخوات الصغار لا يرتدون سوى سروال، فيرتجفوا ككتلة واحدة، ناظرين إلى غرفة النيران.
لم تكن الشقة جميلة ومبهرة من قبل، وكأنها قصر. وفي اللحظة التي دفُنت فيها، تلاشى ذلك الظلام القاتم، وكأن أسفلها وأعلاها اتفقا على تدميرها، والظلام الذي دام بها عشرات السنين كان من أجل إشراقة هذه اللحظة، مسك لهيب النيران بإطار الغرفة، وتداخلت بالليل الأزرق الداكن، وتطاير بالمحيط رماد أسود، وكأنه شبح، يغني لحنًا حزينًا دون صوت.
بكى الأب قائلاً: "جسد الجد".
امتدت أقدام جافة عارية داخل كومة من الخشب المتفحم الناتج عن حريق المنزل القديم.
أصبحت تلك الشقة شفافة فجأة، كقصر من الكريستال، ثم سقطت بهدوء. انبطحت النيران أرضًا، ورقصت بهدوء. بدأت السماء تمطر بإيقاع، وأطفأت لهيب النيران تدريجيا قطرة قطرة.
إبتل الجميع وأخذوا يرتجفون حتى تصلبوا. وفتح الجيران على اليمين وعلى اليسار أبوابهم، وسحبوا الكبار والصغار للداخل على التوالي ليحتموا من المطر. لكن لم يرض أي أحد منهم بالدخول، ووقفوا وسط الأمطار، ينظرون إلى ذلك الرماد، إن ذلك هو حطام المسكن، حطام البيت، وبالنظر إلى تلك الأنقاض، فهم الجميع أن هذا المسكن مقدس وعظيم. فبكوا بصمت، وامتزجت دموعهم بمياه المطر، وتدفقت لتملأ وجوههم. سالت دموعه، واقترب من تلك الأنقاض، وعبر عتبة الباب، وسار للداخل. أحرق الرماد باطن قدميه العاريتين، وكأنه يودعه الوداع الأخير. لقد شعر بحب هذا المسكن، وأصدر أنينًا دون أن يشعر. سار أمام الغرفة الغربية، تمتد قدمان عاريتان جافتان من وسط كومة من الخشب المحترق. إنها مقبرة الجد، صنعها بيده، هذا الجد الذي لم يفقد هيبته حتى الموت. لقد جعلت الجميع غاضبًا لكن واستهم.
لم يشك أي أحد في أن الجد هو من أشعل النيران، إن هذه غرفته، ولديه الحق في وضع آخر شيء يخصه بنفسه، ولا يمكن لأحد لومه. لكن لم فعل هذا؟ أهو إحتجاج ضد ظلم العالم؟ أهذا لأنه فقد الأمل في أبنائه وأحفاده فينفذ عقابًا؟ لقد أغلق كل شيء داخل الرماد وتركه لأولاده وأحفاده. مثلما تأتي البشرية للعالم، فارغة اليدين، دون ملبس ولا مأكل، وتتوالى المخاطر عليها، لكن لا بد أن تستمر في البقاء.
اشتركت فتاة زقاق جين قو بخليج النهر الأصفر في فريق نشر فكر ماو تسي دونغ، لا يوجد شخص في الفريق يشبهها. فوجهها يشبه الطبق الفضي، وعيناها على هيئة مشمش، وتتجه للأعلى قليلا، بهما حدقتان كالزئبق، وشفتاها حمراوان مشرقتان، وملامحها جدية. حين وصلت لهذه الفترة، قصت شعرها، لكنه ليس قصيرًا جدًّا، فطوله ثلثا الأذن، ومفرود بصورة مموجة، وفوق رأسها طوق دائري، وبه جدايل، مع شعرها الأسود الداكن يبدو وجهها أكثر بياضًا، وعيناها أكثر لمعانًا.

ترتدي زي الجيش من القماش الأصفر الذي حاكته عائلتها ، بشكل يناسب جسدها تمامًا، وهناك حزام جلدي بجيوب على خصرها، وجميع الخطوط موجودة. وبالنظر إليها، يُعتقد أنها فتاة في الثامنة عشر من عمرها، لكن في الواقع لم تتعد الرابعة عشر. لقد تولت جميع برامج الليلة تقريبًا: الإذاعة، الإلقاء، الكلمة المناظرة، تمثيل الجملة، الغناء الفردي، الغناء الثنائي، رقص الثوار، رقص المتظاهرين. فكانت مشغولة بشدة، لكن قلبها لا يقفز، ولا تلهث، وبعد أيام قليلة أصبحت النجمة الأولى بالمدينة.
ناولها رجال فريق الدعاية ورقة، مكتوب بها كلام يعبر عن المشاعر الحقيقية، وقسم لا يمكن تغييره للأبد، مغلف بغلاف محبب، دليل على النظرات الأبدية. فأخذتها دون أن يتحرك حدسها، ووضعتها في جيب السروال، ولديها شعور بالفخر، وكذلك بالسخرية. على الرغم من أنها لم تمر بهذا من قبل، لكن شاهدت الكثير. فقد رأت بعينيها من ثقب الباب العم يركع للأم، فتقطع الأم الأشياء التي اشتراها العم، وتركلها إذا لم تكن محببة بشكل كاف، ولا تكن نفيسة بشكل كاف فتشبه التفاهات. كما رأت العم يبكي، إن رجل الساحة يمكنه أن يكون ضعيفًا أمام النساء الناعمات. ماذا تُعد هذه الورقة البالية، لكنها كُتبت بشكل شيق، فإنه بمقارنتها بمشاعر الأعمام تجاه والدتها، فتكون ضئيلة جدًّا. وبسبب رؤيتها للكثير، حين ترى هؤلاء الأولاد، حتى وإن كانوا أكبر منها بعدة سنوات، فإنهم كالأطفال في أعينها، لا يفهمون أي شيء، ولم يمروا بأي شيء. يمررون الورقة، ويشعرون بالخجل الشديد، وحين تلامس أيديهم، تحمر وجوههم، ويبدو عليهم الفشل وانعدام الأسلوب بصورة كبيرة. لقد رأت الورق عدة مرات، وأعادتها للولد مرة أخرى دون أن تحرك ملامحها، وقالت أمام الجميع: "لقد وقع هذا المنديل من يدك، لأعوده لك". لا يرى أي أحد في الساحة عيب، فهي تلقائية أكثر، لكن وجه الولد احمر تارة وابيض تارة أخرى، وكأنه تلقى سكينًا، ولم يستطع السير، ولم يستطع البقاء أيضًا. شعر قلبها بالفرح حين رأته وكأنه ارتكب جريمة. وبعدها كان الولد يختبئ حين يراها، حتى أنه لم يقل أي شيء. لكنها لا تفعل، فتبحث عنه للتحدث بحميمية وكرم، وكأن شيئًا لم يحدث ،. تولد لديه أمل، لكنه لا يجرؤ على الوقاحة ثانية، رأى هيئتها المدللة البريئة، فتألم قلبه من الحب، لكن ليس هناك طريقة. بدا وكأنه تجمد، فاصفر وصار نحيفًا، لكن مزاجه لم يتحمل. لقد نظرت إليه، وتألمت بعض الشيء، وتأثرت قليلا. وفي المساء نامت على الفراش، وتذكرت هيئة جسده الهزيل، فلمس قلبها. قلبت جسدها وعانقت الوسادة، احتضنتها كالمحبيّ، وشعرت بعدم وجود شخص أسعد منها في العالم، ولا يوجد من أوفر منها حظًّا. إنها سعيدة لدرجة رغبتها في التنهد.
انتقل ظل القمر أمام النافذة، انتقل داخل حلمها.
ترن صفارة الميناء جانب النهر. وتسير السفينة بعيدًا تدريجيًّا، لكنه يرى الأخ الكبير يلوح له بيده. وقد زاغت عيناه، ورأى نهر اليانغتسي يتحول إلى مياه بيضاء خافتة، وأصبحت السفينة نقطة سوداء، وما زال الأخ يلوح بيده. وأراد هو أيضًا التلويح بيده، لكنه خجل، فلم يعتد على فعل مثل هذه التعبيرات المبالغ فيها، امتلأ قلبه بالدفء ، وتأثر لدرجة أنه لم يعد يمكنه التنفس.
ذهب الأخ الكبير. لقد نحف كثيرًا في عودته هذه المرة، وكأنه كبر عشرات السنين، لكن صوته ما زال رنانًا. وبوجود هذا الصوت، شعر داخله بوجود سند. أخذه الأخ الكبير إلى وحدة عمل والده والحي لطلب الإعانة، لتأجير شقة، وشراء الأرز، ووضع أثاث وملبس بسيط، ونصح الكبار بعدم المبالغة في القلق، ونصح

الإخوة والأخوات بالبر وفهم الأشياء. ثم ذهب إلى الميناء. لقد أوصل أخيه الكبير، وسار في الطريق صامتًا، وقلبه مليء بالكلام، لكنه لم يقل أي شيء في النهاية.
قال الأخ الكبير: "لا داعي للتفكير فيما مضى".
فهز رأسه موافقًا.
قال الأخ الكبير: "فكر في الأيام الحالية، اقضي اليوم بيومه". رنت الصافرة في هذه اللحظة، ورفع الأخ الكبير يده ممسكًا بذراعيه، مسكها بإحكام، وإحكام شديد، وسار على الدواسة، فاندفع محاولا اللحاق، ممسكًا بأخيه، لكنه لم يتمكن من الحركة وكأن قدمه أنبتت جذرًا. لقد فكر، حين عاد أخوه هذه المرة للمنزل، لم يتحدث ولو بجملة واحدة عن نفسه، فما به بالضبط؟ لماذا نحف هكذا؟ لماذا لم يكن هناك أخبار عنه الفترة الماضية؟ رغب بشدة في السؤال، لكنه لم يتحدث في النهاية. زاد حب أخيه له كثيرًا، لكن هو لم يجرؤ على التعبير عن تحية ودية، فلم يمكنه سوى التحديق بأخيه وهو يسير، فقلبه حزين بشكل لا يوصف. ترددت نصيحة أخيه المقدسة جانب أذنيه. لكن، من المستحيل عليه تمامًا عدم التفكير فيما مضى، فلن يتمكن من نسيان لحظة كشف المسكن وشفافيته، لن ينسى الأقدام الجافة داخل كومة الخشب المتفحم، إن هذا المشهد هدأ من جميع الآلام التي مر بها من قبل. إن هذا المشهد وقع على أكتافه بثقل، ومنذ هذا الحين لم يتمكن من الاسترخاء ثانية. إن الوقت الحالي صعب للغاية وغير عادي، فيعتمد على الوهم لدعم المستقبل، ولكن ذلك الوهم لا يمتلك أساسًا واقعيًّا، وكأنه لا يوجد أي وهم.
تحركت السفينة، عانق نورس النهر السفينة وسارا معًا، ذهبت السفينة للنهر الشاسع، وتلونت المياه والسماء بلون واحد، حتى لا يمكن التفريق بين السماء والأرض.
لقد شعر أنه لا يوجد بالعالم من هو أتعس منه حظًّا، وحياته أكثر كآبة.
الماء والسماء غير واضحين، وأشرقت الشمس البيضاء بصورة خافتة.
هناك سيرك ومنزل مكون من طابق واحد يحيط بمنتصف ساحة التدريب، ويوجد بساحة التدريب باب شرقي وآخر غربي، ونافذة بالجهة الجنوبية والشمالية، ويسير بالخارج أشخاص متنوعة بشدة، فبالإضافة إلى من يرتدون زي التدريب، هناك أيضًا كبار السن، وأطفال صغار، وأنبوب المياه يقطر مصدرًا صوتًا، وعجلات عربات السحب تدخل وتخرج، ترش مياهًا كريهة الرائحة. يزحف أسفل النافذة الجنوبية أشخاص ينظرون للداخل بفضول. فذعر دون قصد، وأدار وجهه مواجهًا للنافذة الشمالية، لكنه رأى على عكس المتوقع غابة من الأشجار الكثيفة الخضراء، يوجد بها آر هو، يغني "الليلة الجميلة" وكأنه يبكي. في هذا الوقت سمع اسمه، فأدار رأسه بذعر، ووقف. ركزت جميع النظرات عليه، وحدق إليه الممتحنين خلف صف من المكاتب بنظرات صارمة مصطنعة، فأصابه الذعر رغمًا عنه. وسمع أحدهم يسأل قائلا:
"ماذا تمتحن؟".
فأجاب بهدوء: "الكمان".
وبعد لحظة، أمسكت يده بكمان كبير. وأسنده بعنقه الأملس بإحكام؛ فهدأ فجأة. إن شعور عنق الكمان داخل قبضة اليد غريب ومألوف أيضًا. إنه لا يعرف هل بإمكانه التقرب منه بعد البعد عنه فترة طويلة كهذه. وعلى عكس المتوقع أصدرت الريشة على الأوتار صوتًا تستسيغه الأذن، أدهشه ذلك الصوت، وبعد ذلك، سالت دموعه. أسند رأسه إلى عنق الكمان، وأغلق نصف عينه ضابطا للنغمات. مسحت يده اليسرى محور الكمان، وسحبت يده اليمنى النغمتين، وقد

نسقت النغمتين أكثر فأكثر، مما كون صوتًا جميلا متناسقًا، وغنت الأوتار. شعر قلبه بالحزن، وعض على شفتيه كاتمًا دموعه. وبعد تنسيق النغمات، أوقف يديه على ركبتيه قليلا، ثم حرك مفاصل يده اليسرى، ويده اليمنى توازن القوس بهدوء، وتحركه عموديًّا على الأوتار. رنت المقطوعة التدريبية التي كانت تتردد تصاعديًّا وتنازليًّا متقدمة خطوتين ومتراجعة خطوة، لتتدفق بصورة تلقائية دون أن يفكر، وكأنه فتح قناة مائية.
فهو يغني داخله كل هذه السنوات، واليوم يرن حقًّا هكذا، فلم يفاجئه، وتأثر فقط. إن شعور احتكاك الأوتار بالأصابع منعش هكذا، منعش لدرجة تسعد الناس، ويصافح القوس قبضة اليد بصورة طليقة، وكأنه حي، يتحرك بطبيعية. إن جميع المشاعر محببة هكذا، محببة لدرجة لا يمكنها الفراق ثانية. انتهت المقطوعة، ووقف، ووضع الكمان على المقعد بخفة، ثم أدار جسده وخرج من قاعة الامتحان. خرج من الساحة المنوعة، ولف حول جدارها، وسار ناحية الشمال، سار عبر الغابة المشجرة الخضراء، وأمسك بشجرة صغيرة، ثم بكى.
"آه، يا أماه". لقد بكى بينما يقول هذا داخله، اهتزت شجرة، وأسقطت بعض قطرات الندى، سقطت ببرودة على عنقه. إن قلبه حزين وسعيد كذلك، فيتدفق الحزن والفرح داخله، وهدأت المقطوعة التدريبية التي تحيط أذنه دائمًا، ولم تصدر صوتًا مرة أخرى، وكأنه وجد طريق العودة أخيرًا، وسار للعودة إلى المنزل.
بكى قليلا، ثم هدأ تدريجيًّا، وأخرج منديلا ليمسح دموعه، وتنهد تنهيدة طويلة. ثم رفع رأسه، ونظر للسماء، حجبت أوراق الشجرة الخضراء السماء الزرقاء، تسير السحب البيضاء بهدوء كلعاب الشمس. أغلق عينيه قليلا، وقد أصيب بالدوار بسبب البكاء، فرغب في إيجاد صخرة تحت الشجرة ليجلس عليها برهة. لكنه رأى دون توقع داخل الغابة ظلال قميص مزهرًا، فلم يسعه سوى الذعر، وأدار جسده وسار خطوة عالية وأخرى منخفضة.
لقد رأته فترة طويلة خلف الأشجار، رأته يبكي بمرارة، فرغبت بشدة في الذهاب لمواساته، لكنها فكرت ثانية: بما أنه أتى إلى هذه المنطقة وحيدًا في الخفاء ليبكي، فبالتأكيد هناك كلام داخله لا يقال، فالذهاب إليه وإزعاجه ليس أمرًا جيدًا. لذلك فكرت في المغادرة، لكن صوت بكائه مزقها، ولم تستطع التحرك ولو خطوة. فانتظرت حتى أوقف البكاء تدريجيًّا، وأرادت الذهاب، لكنه رآها فجأة، فأفزعته، لكن بدا قلبها وكأنه يعتذر منه.
خرجت من الغابة المشجرة ببطء، اعتقد أنه حان دورها في الامتحان، فسارت بمحاذاة جدار الساحة، ودخلت من بابها. استندت قليلا إلى مدخل ساحة الامتحان، ورأت اسمها. دخلت منتصف الساحة على مهل، ورمت ضفائرها المتدلية على خصرها للخلف بلطف، ووقفت هادئة بعض الوقت، وقالت: "سأغني مقطوعة من ألم يروي تاريخ عائلة". صوتها نقي جدًّا، وصاف للغاية، ثم بدأت في الغناء.
كان رداؤها في غاية البساطة. ترتدي فوق جسدها قميصًا بكم قصير مطرز بوردة حمراء صغيرة، وفي الأسفل سروال طويل رمادي داكن، وترتدي في قدمها صندلا أبيض، فكل شيء جميل جدًّا، مما يجذب نظرات كل من في الساحة؛ فاستفسر من في أعلى الساحة ومن في أسفلها على التوالي: "من أين أنت؟". وكانت نتيجة الاستفسار، أنها في الأصل من متعلمي نانجينغ الذين ذهبوا إلى القرى بعد انتهاء الثورة الثقافية، من منطقة شيلي بو غرب المدينة، وكانت في فريق الدعاية للثورة قبل نقل الكوادر إلى القواعد.
في هذا الوقت، فهم الجميع بعمق تقريبًا، أنهم يرغبون بتلك الفتاة بالتأكيد. حتى وإن كان هناك مكان فقط، فسيكون لها أيضًا. وإذا كان هناك مكان آخر، سيكون

لذلك الشخص الذي عزف "السلحفاة الكبيرة". إن من في هذا المكان معرفتهم ضئيلة جدًّا، ويطلقون على الكمان "السلحفاة الكبيرة"، لم يتوقعوا من قبل إمكانية عزفه بصوت مؤثر كهذا، فذهلوا مبكرًا.
لكن، كالمعتاد لا بد من ظهور انحراف في تقييم الجميع. لقد صدر خطاب قبول هذين الاثنين في النهاية، بسبب تعقيد عائلاتهم قليلا، لكن ذلك التعقيد لم يسمح للفرقة المسرحية بتغيير قرارها. حين جاؤوا للتسجيل على التوالي، كان أعضاء الفرقة الجدد الآخرين قد اعتادوا منذ فترة، فأخذوا يأكلون ويشربون كأنهم في منزلهم تمامًا.
لقد تقابلا أثناء شرائهما لتذاكر الطعام من عند المحاسب. عرفته بمجرد النظر إليه، لكن هو لم يعرفها، فخفض رأسه فقط بخجل، وجعلها تشتري أولا. وبعد مغادرتها بعد الشراء، أرخى رأسه قليلا. ذهب إلى غرفة تدريب الفرق الموسيقية مسرعًا بعد شراء تذكرة الطعام، وأخذ الكمان من يد رئيس الفريق الموسيقي. لقد أمسك بعنق الكمان، ولم يتركها ثانية، وتحرك القوس على الأوتار بتلقائية فطرية. تردد صوت الكمان المستساغ للأذن بعمق داخل هذه الساحة البالية، مما أدخل جوًّا نقيًّا دافئًا بالساحة.
صدح صوت الكمان صباحًا ومساءً، واختلط بشروق الشمس وغروبها على الغابة المشجرة. طالت الأيام، واعتقد الجميع إن ذلك الكمان ولد مع هذه الساحة الصغيرة، وهذه الغابة المشجرة، ولد مع شروق هذه الشمس وغروبها، فلم يعد غريبًا أو خاصًّا ولو قليلا.
احترق المنزل القديم، وأصبحت فتاة زقاق جين قو في علاقة غرامية.
أصبحت فتاة زقاق جين قو في علاقة غرامية. وذلك الذي يرقص بالعلم الأحمر ويلفه عشرات المرات بصورة متواصلة في فريق الدعاية، يذهب لزقاق جين قو دائمًا ليتحدث مع الفتاة، لكنها لا تهتم به، فيتحدث مع والدتها. اقتربت والدة الفتاة من الوحدة، فقد قل مجيء الأعمام الطيبين تدريجيًّا. السبب الأول هو اضطراب الأوضاع، فمكانتهم هي العليا، والسبب الثاني هو شيخوخة ملامح والدة الفتاة بعض الشيء.
شاخت ملامح والدة الفتاة، ولكن الابنة أخذت تشرق يومًا بعد يوم. طال شعرها ولم تقصه، بل سمحت له بالانسدال على كتفها، وحين كانت تشعر بالحر والانزعاج، تربطه بشريطة بيضاء، وتظهر رقبتها البيضاء كالثلج، وأذنها ناصعة البياض. وكان يوجد على خدها جانب أذنيها نمش أسود صغير أزغب. تجلس على مقعد صغير تقرأ كتابًا، في الحقيقة لم تر ولو سطرًا واحدًا، لكنها تظهر انتباهًا شديدًا، هادئة ورفيعة بصورة لا تسمح للناس بالتجرؤ على التفكير بالشر فيها.
جلس ذلك الولد من بعد الظهيرة حتى المساء، ولم يقل لها عدة جمل. فهو فقط يتحدث، وهي ترد فقط قائلة: "آه" أو "لا". وحين تقترب النهاية، ويوشك على المغادرة، ترفع رأسها وتقف، وتسير في الأمام، تدفع الباب له. تدفع الباب وتفتحه. لكنها تنظر للخلف وتضحك، تضحك ضحكة ذات مغزى كبير، لم يستطع فهمه، وخرج بارتباك، وأغلق الباب بالفعل، ولم يتحرك ثانية، مما دفعه للمجيء في اليوم التالي للجلوس، فالجلوس لوقت طويل بوجود هذه الابتسامة لا يعد خسارة.
فخورة وكأنها ابنة أسرة عريقة، هذه هي. حيوية كفتيات الأفلام الأجنبية، هذه هي أيضًا.
أحيانًا لا يوجد أحد بالمنزل، ولا تعرف كيف ترتفع معنوياتها، فتقف فجأة، وترمي الكتاب على الأرض، وتسير فوقه بارتجاف دون أن تشعر، وتمسك يد الولد فجأة،

وتضعها على الوجه الساخن، وتبكي، وتغمغم بكلام لا يفهمه أحد، وكأنها تحب حبًّا شديدًا، وتتألم لأقصى درجة. أما هو فيذهل بحماقة، ويفرك يديه الباردتين، ولا يفيق إلا بعد فترة طويلة، ولا يشعر بشيء سوى مجيء السعادة لتغطي الرأس والوجه، ويخفق القلب بشدة. يستقيم جسده، ويرغب في احتضانها بين صدره، لكن عواطفها تكون قد انقضت دون توقع، فتتراجع عدة خطوات، ناظرة إليه بحب ومرارة، وتمد إصبعها إلى جانب فمها، وتتنهد، فلا يمكنه التحرك وكأنه يطبق سحر ثبات الجسد، تاركا ذكريات مشوشة دافئة. لا يوجد مكان ليودع به عواطفه، فاضطر إلى الصعود لجبل الأزهار المقفر، والغناء بصوت طليق، غنى: "الأغاني الصفراء" قبل "الثورة الثقافية"، "ارتفع قمر الخامس عشر في السماء"، "مشاعر الأخ والأخت عميقة"، ماذا "تسطع الشمس في آخر تسعة أيام"، ماذا "الحقيبة المطرزة"... إنه بعيد تماما عن الحقيقة، فيُعتقد فقط أنه حيوان بري صغير يصيح.
تتتابع أصوات صفارة الميناء جانب النهر.
على الرغم من أن الحجرة المؤجرة حاليًا بالية وضيقة، فإنها قريبة من النهر، ويبدو صوت تلك الصفارة حقيقيًّا أيضًا.
يوجد أعلى صالة تدريب فريق الموسيقى مسكن الفتيات العازبات. يعزف الكمان داخل الغرفة، وحين تصل نغماته إلى الأعلى، يبدو وكأن مياهًا تدفقت أسفل أقدامهم. وحين تكون غير مشغولة، تحبس أنفاسها وتستمع بهدوء، تستمع لوقت طويل، فتسمع الكثير من العواطف. لقد سمعت كلامًا داخل هذا الولد وحزنًا لا يمكن قوله، امتلك ذلك الحزن الكثير من معاني الشعر بسبب تعبيرات صوت الكمان. أصبحت في الرابعة والعشرين من عمرها، ودرست حتى المرحلة الثانوية، وقرأت العديد من الكتب المسلية، هزت تلك الكآبة الخاصة مشاعرها الشابة النقية. وأثارت طبيعته الضعيفة النسائية أمومتها النائمة. إنها هكذا، تبدو من الخارج رقيقة هادئة، لكنها قوية جدًّا من الداخل، ولديها صدر واسع، يمكنه حماية جميع الأرواح الضعيفة. تلك المشاعر التي تملأ قلبها أهي حب أم حب أمومي، لا يمكن التفريق بينهما دائمًا، يمكن تلقيب ذلك الحب بالإخاء تقريبًا، فيملك عظمة التضحية بالنفس، هذه العظمة تدعو الناس أحيانًا للخجل والشعور بالنقص، وتتسبب في ألم كبير لهم.
غرق وسط صوت كمانه داخل حجرة التدريب، لم يتخيل أبدًا أن هناك فتاة أحبته بكل ما فيها. يرن صوت خطوات أقدام متناثرة فوق دماغه في كل وقت لتناول الطعام، فتنزل الفتيات واحدة تلو الأخرى، ذاهبات للمطعم لشراء الطعام، ودائمًا ما توجد فتاة تقف أمام الباب، تخبره: "لا تعزف، اذهب لتناول الطعام". إنه لا يعرف أن هذا أول تصريح بالحب، فيجيبها فقط ووجهه محمرًا قليلا: "شكرا، سأذهب في الحال". فغادرت، ولاحظت أنه لم يذهب في الحال، بل انتظر للنهاية، وحين وصل طابور شراء الطعام لنهايته، وأوشكت النافذة على الغلق، جاء ماشيًا ببطء، يشتري ثلاثة أطباق من الأرز أو رغيفين ، ويشتري طبق خضروات، ودائمًا ما يكون هذا الخضار الأغلى وأكثر الخضروات التي لا تلقى ترحابًا، ولا تباع. ذات مرة، قالت وهي واقفة عند مدخل حجرة التدريب: "لأساعدك في شراء طعام". ورفعت الإناء الذي يضعه على حقيبة الكمان فور انتهائها من القول وغادرت. فشعر بخجل شديد، ووقف ولم يكن هناك وقت لوضع الكمان فذهب لملاحقتها، لكنه وقف ثانية عند المدخل، وخجل من ملاحقتها مرة أخرى. إنه لا يعلم ما يجب أن يفعله، فليس من الجيد الوقوف في الغرفة وانتظار إحضارها للطعام، وليس من الجيد أيضا الركض إلى المطعم والوقوف معها في مكان واحد بالطابور، فجلس يعزف الكمان، ولكن دون تركيز، فالضيق يملأ قلبه. وضع القوس، وأخرج

من جيبه تذكرة طعام مطوية، ليعطيها لها بعد رجوعها. انتظر عودتها بقلق، وحين رأى ظلها يلتف خلف غرفة التدريب ذعر، ودخل بسرعة البرق. لقد جاءت، ودخلت الغرفة بهدوء، ووضعت الإناء المملوء بالطعام ببطء على حقيبة الكمان، وأدارت جسدها لتغادر. فقال مسرعًا: "أعود لك تذكرة الطعام". فأوقفت خطواتها ثانية، وأدارت رأسها بابتسامة قائلة: "ثلاثة أطباق من الأرز بقرشين". فأخرج تذكرة الطعام بعجالة، وأوقع عدة تذاكر، حتى عدها بوضوح. أخذت الطعام الذي سكبته لنفسها وسارت. فشعر أنه أمر مضحك، أن يتحول شيء عادي جدًّا إلى أمر محرج كهذا. سكب طعامه، وكأن رائحتها ما زالت موجودة جانب الإناء، فهدأ قلبه كثيرًا.
منذ ذلك الحين، لم تعد تفزعه ثانية. وأصبح أمر تفويضها لإحضار الطعام شيئًا عاديًّا وطبيعيًّا جدًّا. أحيانًا تجلب له الطعام وتبقى أيضًا في غرفة تدريب الفريق الموسيقي، تتناول الطعام معه، ويتحدثان قليلا. سألته كم عدد أفراد أسرته؟ وما ترتيبه؟ وسألها هو أيضًا ما إذا كان والداها موجودين بصحة أم لا؟ وكم عدد أخواتها؟ سألته في أي سنة تخرج؟ فأجابها بكل صدق، ولم يخبئ سوى فترة دراسته بمعهد الموسيقى بشانغهاي، سألها في أي عام التحقت بالفريق، فأجابته، كما أخبرته خصيصًا بمكان التحاقها بالفريق وبعض القصص المتفرقة. كان حديثًا عاديًّا جدًّا، لكنه حميمي جدًّا. إنها تملك روحًا هادئة وجاذبية، تجعل الناس تشعر بالهدوء والاسترخاء في حضرتها، وزادت رغبته في التقرب منها تدريجيًّا. إنه رجل ليس قويًّا جدًّا، فيعتمد منذ صغره على أمه، وعلى الرغم من حبه الشديد للأخ الكبير، فإن قوة وضخامة الأخ الكبير تخيفه دائمًا، ولا يتجرأ على التقرب. لم يلاحظ هو التناقض الفطري والتنافر ناحية الرجال، فلم يرغب في البقاء مع الرجال. ومنذ الصغر حتى المرحلة الابتدائية وحتى الآن، لم يصادق صديقًا من نفس جنسه يفهمه. لكنه يخجل خجلاً لا يمكن قهره تجاه الفتيات، لذلك دائما ما يكون وحيدًا، لكنه يفضل من داخله الفتيات. إنه بحاجة إلى فتاة قوية كهذه، يمكنها مساعدته في التغلب على الخجل، تكفي لجعله سندًا، لا ترغب فقط في حضن دافئ ناعم، بل تريد أيضًا أكتافًا قوية، تلك هي موطنه الذي يجعله آمنًا.
لقد اعتمدت على فطرتها لمعرفة كل ذلك معرفة عميقة، وأحبته أكثر من أجل ضعفه. في الواقع، على المرأة تجاوز قوة الرجل وحكمته، لكن بسبب عدم وجود ساحة عراك لهما، فلم يسعهما سوى تقويض حبهما. توافق على اعتماده عليها، فاعتماده يعطيها نوعًا من العبء السعيد الفخور، فبهذا العبء اكتمل حبها وحياتها. كما جعل اعتماده عليها لعاطفتها العميقة وحبها مخرجًا. لذلك، أصبح هذا الضعيف يعتمد اعتمادًا كبيرًا عليها. إنها تريده، ولديها ثقة على تمكنها من جعله سعيدًا، وهي أيضًا بالتأكيد ستكون سعيدة. لكنها تفهم جيدًا، أنه لا يمكنها إظهار الكثير من المشاعر الحقيقية، كما لا يمكنها التعبير عن هذا الحب الحقيقي بحرارة كبيرة، فذلك سيجعله يهرب فزعًا. إنه ضعيف وخجول، وبقلبه الكثير من الآلام، ما هي بالتحديد، إنها لا تعرف، لكنها تعرف أن معاناته وجرحه أقل كثيرًا من المعاناة نفسها عند شخص آخر. إنه يحتاج إلى حماية جيدة، والتعامل بعناية. كلما عرفت هذه النقطة، أحبته حبًّا مؤلمًا. لكنها فتاة في النهاية، لديها كرامة، هذه الكرامة أقوى كثيرًا من الأشخاص العاديين. ترفض أعماق قلبها بشدة إشعاره بفكرها، كما ترفض اعتقاد الناس في المستقبل بأنها هي من بادر، ويوجد حاليًا بالفعل مثل هذا الشبح الذي نقل الكلام دون معرفة. ومن أجل هذا غضبت بعض الشيء، غضبت لأنه غير مبال، غضبت من جبنه الذي لا يشبه الرجال، غضبت من سلوكه معها كالأخوات دائمًا. لذلك، حين اعتادا على بعض تدريجيًّا، ابتعدت على النقيض. لم

تناده لتناول الطعام عدة أيام متواصلة، كما لم تحضر له الطعام، وحين يتقابلان يبتسمان ابتسامة خفيفة ثم يبتعدان، لم يتسبب البعد في إشعار أحد بالحزن، فيعتقدون فقط إنها حقًّا لديها شيء لا يمكن تركه. لم تشعر أي أحد بالإحراج من قبل. إن بعدها وقربها طبيعيان بالمثل، عاديان، مما لا يصيب أحدًا بعدم الراحة.
حين تبتعد عنه، يشعر بالكآبة قليلا، وكأن هناك شيئًا ينقصه، لذلك بدأ البحث عنها. وحين يأتي وقت نزولها، لا يسمع صوت خطواتها. في هذا الوقت، اكتشف أن باستطاعته تمييزها من بين أصوات خطوات الأقدام الكثيرة. لقد خرج ونظر للأعلى مناديًا باسمها. فمدت رأسها، وسألته بابتسامة هادئة ما الأمر؟ فقال لها: لماذا لم تنزلي لتناول الطعام، هل تشعرين بعدم الراحة؟ فقالت إنها طلبت من فتاة بنفس الغرفة إحضاره. فقال إنه أيضًا يمكنه جلب الطعام لها. فضحكت وقالت: "المرة القادمة سأطلب منك إحضاره". ثم أدخلت رأسها، وتركت نافذة زجاجية تعكس ضوء الشمس المشرق. لقد سار ببطء، وكأن هذا الحوار القصير أراح قلبه قليلا، لكنه يشعر بالفراغ بعض الشيء، وكأنه ينقصه السند. ذهب لشراء الطعام بنفسه، وجلس جانب الكمان يتناوله وكأن ليس له طعم، تناول نصفه، ورآها تنزل، حاملة زجاجة، ووقفت تسأله إذا كان يريد ماء ساخنًا أم لا، ما زال في الزجاجة القليل، فإنها ذهبت لملئها بماء جديد. قال إنه يريد، وأخذ نصف إناء الطعام ليصب ماء ساخنًا. إنها لا تتعجل في الذهاب لملء المياه، فاستندت جانب الباب، تتحدث معه على مهل، قالت إن الشمس اليوم جيدة جدًا، وشتاء هذا العام دافئ بصورة خاصة، ولا يمكن أن يكون الصيف في غاية الحرارة، وغيرها من التفاهات. لا توجد جملة مهمة، جميعها وقعت في قلبه. لكن حين يسترجعها تفصيليًّا، لا يتذكر أي جملة، فإن هناك إشراقة دافئة تحيط جسده بالكامل.
إنها تعلم أنه لا يمكن جعل هذا الرجل يشعر بالإحباط كثيرًا، فهو رجل لا يمكن إحباطه، خشية من عدم إشعاله مرة أخرى إذا أحبط ذلك القلب الصادق، ولا يمكن إيقاظه ثانية. إنها تريد فقط وضع قاعدة، وتحديد موقع الطرفين. هكذا فقط يمكنها حبه بثقة، والتألم لأجله. إن هذا كل شيء بالتفصيل، وخططت له بعناية، لكنها قالت إن كل شيء حدث دون قصد، وبصورة تلقائية. وامتزج عقلها بعاطفتها هكذا، فحين تتحرك عاطفتها، لا بد أن يكون العقل هو المهيمن، وحين يتحرك عقلها، تكون العاطفة هي القائدة دائمًا.
منذ هذا الوقت، لم تحضر الطعام له فحسب، بل توجد أوقات كثيرة يحضر هو أيضًا فيها الطعام، وفي هذه الأوقات، دائمًا ما ينتظر مبكرًا عند نافذة المطعم، وحفظ الأطعمة المكتوبة على السبورة عن ظهر قلب، وقد فرغت تذكرة الطعام منذ وقت، ويمكن دفع واحدة واحدة بسهولة في أي وقت. تبدو هذه الملامح القاسية المتوترة وكأنها تحمل مسئولية كبيرة. لم تعد تذهب هي فقط للجلوس معه في حجرة كمانه، بل يذهب هو أيضا دائمًا لحجرة نومها للجلوس معها في الأوقات الخالية من الناس مساء. إنها تملك موقدَ كروسين، أحضرته من نانجينغ إلى شي لي بو حين ذهبت للقرية، ثم أحضرته من شي لي بو إلى هنا. كما يمكنها استخدام خميرة الأرز لصنع النبيذ، تتحدث وهي تطهو البيض بالنبيذ، وتضعه في إناء وتقدمه له ليأكله. إنه يشعر بأنه طفل شره أمامها، لكنه لا يشعر ولو بالقليل من الخجل. إنها المرأة الوحيدة بجانب أمه التي لا داعي لأن يخجل أمامها. يفرغ من أسلحته تمامًا وهو معها، كما يتحدث ويضحك، وكأنه شخص آخر، وكأنه غير طباعه أيضًا. تحيط به تلك الأجواء الدافئة المنبعثة حول جسدها، فيملك بالا هادئًا سالمًا للغاية.

وأثناء العيد الوطني، حصلت الفرقة على إجازة خمسة أيام دون زيادة أو نقصان. من في هذه القرية يكونون في المنزل تلقائيًّا، ومن هم من أماكن قريبة يخططون لزيارة أقاربهم، وأغلق المطبخ أبوابه، ولم يتبق في الفريق سوى عدد ممن يسكنون بعيدًا وغير قادرين على العودة، من بينهم هما الاثنان. استخدمت موقدها الكيروسين لصنع الطعام. رافق الاثنان بعضهما وذهبا لشراء كايوريا، وجمبري، وطبخاها على البخار بعد عودتهما، ومزجاها بالزنجبيل والخل الأبيض الطازج الحلو وتناولاها. واشتريا حساء الدجاج الحي، وسمكًا طازجًا مطهوًّا على البخار، فتناولا في الخمسة أيام عشرة أنواع مختلفة، وقضياها سعيدين جدًّا كأنهما بالمنزل. وفي آخر ليلة قالت فجأة، أنت من كان يبكي في الغابة المشجرة يوم الامتحان؟ فاعترف ووجهه احمر، وسألها كيف عرفت، فلمحت بابتسامتها فقط، فتذكر رؤية ملابس مزهرة تومض داخل الغابة ذلك اليوم، دون صوت. وهي أيضًا لم تصدر صوتًا، وبعد فترة طويلة قالت إن تلك الغابة المشجرة هادئة جدًّا وجميلة جدًّا، فهي مكان جيد. نبهه هذا الكلام، فاقترح السير معًا في الغابة المشجرة. كانت هذه الفكرة داخلها منذ فترة، وتنتظره فقط حتى يقول، فوافقت على الفور. ارتديا الاثنان ملابسهما على حدة، وخرجا من الساحة بالترتيب، وسارا بمحاذاة جدار الساحة، متجهين ناحية الغابة المشجرة. كانت ليلة مشرقة بنور القمر، وتضيء الندب فوق الأشجار الجافة بلمعان، وتتحرك الأسنان الحادة بحواف العشب مع حركة الرياح.

لقد بدأ الثرثرة فجأة، وتحدث عن أموره شيئًا فشيئًا، حتى الفترة المخجلة التي قضاها في شانغهاي، وهناك أيضًا المنزل المحروق، والهيكل العظمي وسط الأخشاب المتفحمة.. تألم قلبه قليلا مع استرجاعه الحكايات، وكأنه وخز بإبرة، لكن بمجرد إخراجه، يرتاح من رأسه حتى قدمه، ويتضح قلبه لدرجة يمكن معها رؤية أعماقه، فلا توجد أية شوائب. وبعد قوله لكل شيء، رفع رأسه ونظر للسماء، للقمر المضيء بها، فأشعته تكاد تكون مزدهرة، ثم خفض رأسه ونظر أسفل قدميه، حيث يفوح الندى والطمي المتسلل برائحة مرة جياشة. ثم رفع عينيه ونظر إلى عينيها. تظهر عيناها شفقة عميقة، وحبًّا دافئًا. فلم يتمالك نفسه وارتجف قليلا، وحرك شفتيه مناديًا باسمها، فردت عليه بخفة. ونادى ثانية، فأجابته ثانية. لقد رأى بوضوح الانتظار الحار داخل عينيها، لكن لا يمكن السير للأمام. لقد رأت خجله بوضوح، لكن لا ترغب في التراجع. تمسك كل منهما بموقفه، وفي النهاية استسلم هو بسبب تحفيز نظراتها، وبسبب ضعفه أيضًا، وحضن كتفها. حينها مدت يديها، وأمسكت برقبته، وحنت رأسه للأسفل بقوة، وشبكت يداها، وأخذت تداعب شعره، وغمغمت قائلة: "حقًّا، أنت، حقًّا، أنت!". لم يجرؤ على التطلع لمثل هذا الحب من قبل، لكنه ينتظره منذ ميلاده. أصدر أنينًا، وشعر بآلامه شعورًا مضاعفًا، كما شعر بالسعادة بصورة مضاعفة.

لقد أحبت فتاة زقاق جين قو عددًا لا يُحصى، وأصبحت شخصية مشهورة بالمدينة. هناك أسطورة تقول إنها تشنق الرجال، وهناك أسطورة تقول أيضًا إن الرجال مزقوها بالسكين. لا يهم ما تقوله الأساطير، فهي لم تقتل أحدًا، وعاشت بصورة جيدة جدًّا أيضًا. لم يعد زي الجيش الأصفر يُرتدى منذ وقت طويل، فترتدي قميصًا أزرق قماشيًّا بسوسنة، وفي الأسفل سروال الجيش الأصفر، سروال له أقدام واسعة، فكلما اتجه للأعلى فقد مذاق "الجيش"، يلف الساق والخصر بصورة مناسبة، وفي القدم حذاء أسود جلدي على شكل حرف "T"، إنه حقًّا جمال وموضة لا توصف. لقد أحبت مرات عديدة، لكنها لا تسمي هذا "علاقة حب"، بل تسميه "صداقة"، وبما إنها ليست علاقة حب، فلا مانع من زيادة الأصدقاء. لذلك

هي دائمًا واثقة وشجاعة. وتدع الناس يقفون في الخلف وراء ظهرها، وتسعد حين يجب أن تسعد، وتلعب حين يجب أن تلعب، فتغضب أجيال وراء أجيال غضبًا شديدًا. فهو غضب لا بد منه أيضًا، إنها تعيش بسعادة كبيرة. إنها تعرف جميع الأساطير التي تُقال بالخارج، ولا تهتم لها جميعًا كذلك. فقلبها واسع جدًّا، فما الداعي للغضب من أجل أشياء لم تكن موجودة من قبل؟ لكن يبدو أن هذا الغضب موجود حقًّا. بما أن الناس لديهم رغبة في صنع الشائعات، فما الفائدة من دحضها؟ هل يمكن نفيها بصورة واضحة؟ كما يشعر قلبها الصغير النبيه أن من يشير إلى ظهرها، جميعهم هم أكثر من يحسدها، يحسدون جمالها، يحسدون حب الناس لها، يحسدون حب الكثير من الرجال لها، وتصميمهم عليها، لكن لا يوجد من يحبها. فإذا لم يحب المرأة رجل، يكون هذا أكثر الأشياء أسفًا، وأكثرها ألمًا. لذا لم تكره هؤلاء الذين يصنعون الشائعات من قلبها فحسب، بل تشفق عليهم حقًّا، زاد هذا الأمر غضبهم، وصنعوا شائعات تثير الناس بصورة أكبر. فهناك من قال إنها أجهضت سبع أو ثماني مرات، وهناك من قال إن لديها دواء منع الحمل، أعطته لها والدتها، فمهما نامت مع الكثير من الرجال يبدو عليها أنها فتاة أيضًا.
لا يوجد أحد لم يراوده فكرة النوم معها.
إنها تعرف أمر النوم هذا، فلا داعي لقلق المحيطين. كما تعرف أيضا "علاقاتها الغرامية" أو ما تسميه هي "الصداقة". لا يوجد أحد معها لا تراوده هذه الفكرة، لكن لا يقدر أحد على تحريكها. إنها تعيش كسمكة، ودهاؤها كالعفريت. وبغض النظر عن مدى عذوبتها، لا يوجد طريق مطلقًا لتجاوز هذه العتبة. إن أكثر ما يعرفه قلبها الصغير أن هذا أغلى ما تملكه الفتاة، هذه كرامة الفتاة، قيمة الفتاة. كل شيء آخر ما هو إلا مزحة، هذا الشيء الوحيد الذي لا يمكن تركه. الأم جيدة تجاه العم، والعم أيضًا جيد تجاه الأم، لكن لا يجرؤ العم أن يكون رقيقًا تجاه الأم، محبًّا للأم، ويحترمها، فيحافظ على مسافة بينه وبينها. لقد فكرت من قبل، إذا أنهت الأم هذا، ربما كان العم برد مبكرًا، واعتبر الأم لغزًا تمكن من حله، وأصبح كثير التقلب. يبقى هذا الأمر غامضًا إذا أخفته الفتاة، ولا يمكن توقعه مطلقًا، وهناك أشياء لا تنتهي تحث الرجال على عدم الرحيل، وتجعل حبهم لا يكفي مهما أحبوها.
لقد اعتمدت على ذكائها وإحساسها لمعرفة أن أمها فعلت ذلك مع عم واحد فقط، هذا العم هو والدها، على الرغم من أنها لم تره من قبل، لكنها تعرف جيدًا أنه عم جيد عظيم بالتأكيد، معتمدة على إعطاء أمها ما تملكه الفتاة له، فهل يمكن ألا يكون جيدًا؟ بالإضافة إلى، إذا وجب على فتاة استخدام ذلك للحصول على الرجل، تكون أكثر الفتيات عديمة الفائدة. إنها تعتقد هذا. تفكر أنه لا داعي لأن تغير طريقة كلامها وسلوكها، حتى تتمكن من مسك الرجال بإصبعها، فيطول ويقصر حسبما تشاء. إن دلائل الأخلاق للمرأة كثيرة جدًّا، والحفاظ على ذلك هو الأكثر قيمة، ويمكن احتسابه أيضًا بدليل أخلاقي. إنها ليست من ذلك النوع من الفتيات قليلات الحيلة، فلم تستخدم هذا، وتجعل الرجال غير قادرين على تركها كالعادة. هذا، يجب عليها إبقاؤه، تبقيه للشخص الذي تريد إعطاءه إياه حقًّا. أين هو هذا الشخص؟ ليس لقلبها معيار، كما لم تفكر. فهي فتاة تهتم بالحاضر فقط، لأن الحاضر جيد، الحاضر جميل، الحاضر ببساطة رائع لا مثيل له. إنها لم تكتف من اللعب!
تشعر بأن أفضل لعبة لا تتجاوز الدوران مع الأولاد. إنها ليست فتاة سيئة، ويمكن القول إن قلبها طيب جدًّا من داخله. لكنها تحب اللعب، بل وتلعب بصدق بالغ، وانسجام شديد، وتنسى نفسها كثيرًا، وبمزاج كبير، وذلك شيء لا يمكن علاجه.

إنها لا تحفظ قلبًا يريد جرح الرجال، لكن هذا من أجل السعادة فقط. فحين تؤلمهم وتراهم غاضبين، لا تتحمل هي أيضًا، حتى أن دموعها تسيل. إن هذا الجرح وهذه الدموع يجعلانها سعيدة أيضًا، مثل الشخص الذي اكتفى من تناول الحلوى، ويريد أحيانًا تذوق المر والحار والحمضي كذلك. بالإضافة إلى أنها لا تحصل على حب الرجال ومشاعرهم هباء، بل تعطيهم دفئًا، تعطيهم حلاوة، تعطيهم نظرات حارة، تعطيهم جدالا ممتعًا. أحيانًا، يمكن أن تقابل رجلا يصعُب التعامل معه، كالعالم الذي يقابل مسألة صعبة، وهذا يثير حماستها وعاطفتها أكثر. فعليها التغلب على هذا الأمر مهما كانت الصعوبات، وتقريبًا لا يوجد من فشلت معه. ولأنها تعرف جيدًا طبيعة الرجال، يمكنها كشف ما لا يعرفه الرجال أنفسهم بوضوح، معتمدة على ذكائها، ومعتمدة أكثر على طبيعتها.
تعتقد الفتاة أنها كاشفة لجميع الناس، ولم تتوقع أن هناك شخصًا يراها بوضوح شديد أيضًا، ألا وهي أمها. كانت الأم في وقت شبابها أجمل من الفتاة، وفي تلك الفترة، كان نمط تزينها كثيرًا أيضًا، فلا تشبه الوقت الحالي، فالشخص حين يكبر ويصبح عديم القيمة لا يكون جميلا بالقدر الكافي. إنها تعرف أن المشي مع الرجال وقت شبابها أمر سعيد ويدعو للفخر. لكنها كبرت، ولا داعي للتجاوز أيضًا، فقد ارتخى جلدها جانب عينيها قليلا، وظهرت مسام أنفها المدفونة قليلا، وزادت التجاعيد على فمها بعض الشيء، واصفرت الكعكة خلف رأسها بعض الشيء، وأصبح هذا المشي متعبًا وصعبًا ومزعجًا. إنها تأمل أن تحصل الفتاة على عمل بمرتب أولا، ثم تحصل على زوج صادق، هذا ما يشغل بالها.
لكن الفتاة سعيدة جدًّا.
دائما ما تتقدم آراء الناس خطوة نحو الحقيقة. فحين قال من في الفرقة إنهما يحبان بعضهما، كانا في الواقع يتحدثان فقط في حجرة تدريب الفريق الموسيقي، وحين أذاع من في الفريق أنهما يتمشيان معًا في الغابة المشجرة يوميًّا صباحًا ومساء ويداهما مشتبكتان ، كانا يتناولان البيض بالخمر للتو في حجرتها. وحين أقر من في الفرقة بالفعل أن لديهما حياتهما الخاصة، ويجب أن يتزوجا، حينها ذهبا في الواقع أخيرًا إلى الغابة المشجرة في موعد غرامي. لذلك، حينما كانا مترددين وليس لديهما الجرأة لإظهار سلوكهما، ساعدهما العالم الخارجي لكشف هذه الطبقة من الغطاء، ودفع علاقتهما للتطور سريعًا. وبعد عرض استقبال عيد الربيع، منحت الفرقة إجازة للموظفين الذين يسكنون بعيدًا لزيارة أقاربهم، فعادا معًا للجنوب. ذهب معها أولا إلى نانجينغ، وقابل والديها، وبعد حصوله على القبول، أحضرها معه إلى منزله.
يسكن في عمق زقاق ضيق، تسكنه عشرات العائلات، ويحيط به فناء مربع، أرضه حجرية، وتنمو به طحالب سميكة. وهناك شجرة معبد كبيرة جدًّا وطويلة جدًّا، تحجب أشعة الشمس، مما يجعل الفناء مظلمًا رطبًا طوال العام. يتكون منزله من حجرتين مواجهتين للشمال. وعلى الرغم من حب أمه الطبيعي للنظافة، ومسحها المستمر كل لحظة، فإنه لا يمكنها منع الشوائب الخضراء الداكنة التي يحضرها الهواء الرطب على جميع الأشياء. وكلما غسلت بإتقان، نمت الطحالب بسرعة وكثافة. فبمجرد دخول الحجرة، تهب رائحة عفن باردة، وأصبح أثاث المنزل البسيط أبيض بفعل الغسل بالمياه القلوية، وظهر القماش الأصفر المخضر المتعفن بصورة بالية وكأنه تم تمزيق جلده. لقد شعر بالخجل لدرجة عدم جرأته على رؤيتها تقريبًا، وندم على إحضارها. لكن هذه خطوة لا بد منها، فبعدم وجود موافقة الأم، لا يمكنه اتخاذ القرار الأخير. إن هيبة الأم فاقت كل شيء، وحبه لأمه أيضًا فاق كل شيء. فقبل زواج الأخ الكبير الذي لا يقهر، كان

عليه إرسال صورة زوجته إلى أمه لتراها. فإذا لم يقم بهذه الخطوة، لن يكونا مرتاحين للأبد. تجلس الأم أمام المنضدة المربعة المتكئة على النافذة، قريبة من أشعة الشمس المنعكسة على النافذة الخلفية، تطرز الملابس. تسقط أشعة الشمس على ذلك الخيط القطني، فيلمع كخيوط العنكبوت. نادى: "أمي"، فأدارت الأم وجهها، ونظرت إليه بذهول لم تتمكن من إيقافه، وما زالت يدها تعقد ذلك الخيط الذي يشبه الخيط الذهبي، ويأتي من النافذة خلفها صوت مياه وضحك، إنها حجرة المياه العمومية، وقد مرت رأس شخص.
"أمي". نادت هي أيضًا، بتلقائية أكثر منه، وطبيعية أكثر منه أيضًا.
فتركت الأم إبرة التطريز وقالت: "لتغتسل".
ذهب لإحضار حوض غسل الوجه من أعلى الرف، وكانت قد حملته في يدها بالفعل، وحنت خصرها لجلب المياه من الدلو، كما أضافت القليل من المياه الساخنة ودعته يغتسل أولا؛ فغمس وجهه داخل المياه الدافئة، وحبس أنفاسه. التصقت المياه بوجهه بلطف، وكأنها تداعبه. لقد شعر بيدين يطوقانه، بدأتا أولا من خلف عنقه، ثم انتقلتا تدريجيًّا بمحاذاة الياقة حتى وصلت للأمام، ولمستا حلقه. كانت اليدان دافئتين وسميكتين، وأصابعهما بارعة؛ فسالت دموعه، وامتزجت بالمياه، وامتلأ قلبه بالامتنان.
في المساء، كان الوالدان نائمين في غرفة صغيرة ضيقة. ونامت هي على سرير واحد مع الأخت الخامسة، أما هو فتكدس مع إخوته على سريرين وحصيرة، بلا فاصل بينهما. اصطحب إخوته للتمشية في الفناء، إلى أن صعدت الفتيات للسرير ودخلن تحت الغطاء، وحين أخبرتهم الأخت الخامسة بصوت مرتفع أن البنات قد ناموا، دخل الأولاد الغرفة. غسلوا وجوههم وأقدامهم وصعدوا الفراش. على النافذة الخلفية قطعة من الزجاج الرقيق، ينفذ منها نور القمر المشرق للداخل، وتنير الغرفة لتجعلها براقة.
يستلقي مواجهًا للسماء، ويعرف أنها أيضًا مستلقية تجاه السماء، قلبه هادئ كثيرًا، ليس به أية شوائب أو خجل. ويحكي أصغر أخ قصة الحي المملة المضحكة. لقد ضحك، وهي أيضًا ضحكت، مثل الصفاء الطبيعي الذي كان بالماضي. انتهى الأخ الأصغر من الحكي، وتابعه الستة أخوة، لكنهم حكوا أساطير أكثر مللا. ونام الجميع قبل انتهائهم من السمع، وسمعوا في المنتصف صوتًا حيًّا مدويًّا. استيقظ في منتصف الليل، وأدار جسده، فراها على جانب الوسادة أيضًا، هادئة دون أي صوت، مستغرقة في النوم كطفل صغير. فهدأ قلبه، ونام. وحين فتح عينه ثانية، كانت السماء قد أنارت فوق النافذة الخلفية، بيضاء صافية. وقد استيقظ الإخوة والأخوات، وتقف هي بمفردها عند المدخل، تمشط شعرها ووجهها مواجه للفناء، وشعرها متفرق كالشلالات. اجتازت أشعة الشمس أوراق الشجرة الضخمة وسقط البعض منها، فأضاءت بلمعان. تمشط شعرها بهدوء، جزءًا جزءًا. هزت أشعة الشمس شعرها ، وانزلقت عليه كالزئبق. انتهت من التمشيط أخيرًا، ووضعت المشط في جيبها، وبدأت تضفر ضفيرة. وبدا الشعر وسط أصابعها البارعة كالسمكة الصفراء يتحرك بحيوية ويقفز بنشاط. وضعت الضفيرة التي صنعتها خلف رأسها، ثم لفتها لفتين، وأدخلت بها توكة، وهنا أدارت وجهها.
أصبحت الشمس خلفها، وسارت هي عكس الضوء. وأصدرت جبهتها العريضة، والأنف الطويل، والفم النموذجي ضوءًا غريبًا فجأة. حينها اكتشف أنها جميلة جدًّا، وبهذا الجمال مذاق مقدس. يستلقي على السرير شارد الذهن، ينظر إليها وهي تسير خطوة خطوة، وصلت أمام السرير، وابتسمت له، ثم ربتت بيديها على جبهته وقالت: "هل استيقظت؟".

"أين أبي؟" سألها بصوت خافت.
"ذهب للعمل".
"وأمي؟". سأل ثانية، وصوته مبحوح بعض الشيء.
"ذهبت لشراء الخضروات". أجابته.
مد يده واحتضنها، ووجهها تجاه حضنه، فالتصقت بصدره. لقد سمحت له بعناقها، وسقطت أمام صدره بهدوء، تسمع ضربات قلبه، وسارت أصابعها تدريجيًّا على ترقوته الحادة ذهابا وإيابا. فشعر وكأن هناك نملة تزحف بمنطقة عنقه، وتحكه بلطف. لقد قبل جبهتها وخدها وأذنها، وقال لها بهدوء مرتجفًا: "أغلقي الباب، حسنًا؟".
فوقفت وذهبت لغلق الباب، فتلاشت أشعة الشمس العابرة للشجرة الضخمة، وتلاشت الأرض الحجرية المليئة بالطحالب الخضراء، ونقلت النافذة الخلفية خفية أصوات مياه وضوضاء. ثم انتقل صوت الصافرة، لا يعرفان من أي جهة أتت. فتذكرا معًا نهر اليانغتسي الأبيض.
كانت فتاة زقاق جين قو تلهو في المنزل عامين، ولم تذهب للقرى أخيرًا، فحصلت على مزايا الفتيات الوحيدات، وتوزعت لتعمل بياعة بشركة الثمار. يوجد بالمنضدة المخصصة لبيع الثمار الجافة التمر الأحمر، العجوة، عين التنين، والزعرور البري، وبعض السلع الحلوة والحمضية التي تثير الشره. إن أكثر ما تحب الفتاة تناوله هو عين التنين، فحين تنزعج من الوقوف الكثير، تأخذ حفنة بيدها، وتقشرها ببطء، وتملأ بها فمها، فيتناولها الفم، وتخرج النوى البراقة، وتسقطها على الأرض، وتستدير.
تدخل البضائع بسلال كبيرة، ولا يمكن رؤية نقصها حتى وإن ملأت بطنها، علاوة على الخسارة الطبيعية للمجموعة. لا تعرف أتبدو مزدهرة يومًا بعد يوم بسبب إثراء عين التنين للدم، أم بسبب وصولها لسن الثامنة عشر وهو سن جيد للفتاة، فتشبه الزهرة في مهدها. إن التجارة بدولابها جيدة، ويحيطها الكثير من الناس، وحركة البيع أيضًا مزدهرة. هناك بعض الفتيان يستندون إلى المنضدة بسبب أو من غير سبب، ويجدون كلامًا من العدم. فتتجاهلهم فقط، وتلهو بقصتها مواجهة للمرآة المستديرة، ويتناول فمها عين التنين. فتثير حب الرجال جميعا لدرجة تفسدهم.
تراهن صبيان مجمع مجلس الثورة بالمدينة، إن من يتحدث مع بائعة الثمار المجففة ثلاث جمل، يذهب للجبل يوم الأحد للعب الدومينو الصينية وليس بحاجة لإخراج المال، والمياه الغازية، والخبز، فيأكل ويشرب دون مقابل، كما يضرب المسدس هباء، دون تألم مهما بلغت كمية الضرب. اتفقوا على هذا، واندفعوا تجاه الشارع، وذهبوا لمكان بيع الفواكه المجففة بشركة الثمار. في هذه اللحظة، لم تكن الفتاة مواجهة للمرآة، ولم تكن تتناول عين التنين أيضًا، بل كانت تدندن: "إن نيران الثورة هي الأكثر احمرارًا، وخرج أبطال في عصر ماو تسي دونغ...". تعرف كلمتين فقط، وبعدها لا يوجد، فتهمهم باللحن فقط. لحن الطبلة، الذي يحوي 81 منحنى، ولم تفوت أي منحنى منهم. دخل أولا ولد يرتدي زي الجيش الأصفر، إن زي الجيش ذلك ليس "بريًّا"، بل هو تقليدي جدًّا، وأصبح أبيض من كثرة غسله، وعلى كتفيه عدة حفر، مما يدل على خياطة شارات عليه في الأمام من قبل.
اقترب من المنضدة وقال:
"أيتها الرفيقة، زني كيلو من عين التنين".
"نار الثورة هي الأكثر احمرارًا...". أخذت كيلو من عين التنين وهي تدندن، ووضعته على الميزان، ووزنته ثم غلفته.

لكنه قال: "لا أريد عين التنين، كيلو من التمر الأحمر".
"خرج أبطال من عصر ماو تسي دونغ... ". سكبت عين التنين، وغلفت التمر الأحمر.
سألها: "كم تكلفته؟".
"لا لا لا لا...". تستبدل الأماكن الخالية من الكلمات بـ "لا"، أخذت تحسب الحبات على العداد، ثم أدارت العداد لتريه، واحد يوان وأربعة ماو وثمانية فن.
نفد صبره بعض الشيء، وأخرج خمسة يوان، رماها على المنضدة: "الباقي".
"لا لا لا لا...". أحضرت له الباقي. لم توقف الغناء مطلقًا، لكنها لم تقل أي جملة قط.
كان متعجلاً، جمع الباقي: "الفلوس ناقصة".
"نيران الثورة هي الأكثر احمرارًا...". ذهبت وأخذت تغني من رأسها، وجاءت بهدوء، أثنت ذراعها ووضعته جانب المنضدة، ليسند جسدها، واليد الأخرى تضع التذاكر، وضعت ثلاثة يوان جانبًا، وخمسة تذاكر بماو واحد جانبًا، وأقصى الحافة عملة معدنية بفنين. مهما تعمد زيادة الصعوبة لن يجد نبتة، فجمع المال بغضب، ووضعه داخل جيب زي الجيش. لم يخرج منها كلمة واحدة، وفقد يوانًا وأربعة ماو وثمانية فن، وبمجرد خروجه رمى التمر الأحمر.
حان دور التالي، فدخل واحد آخر. هذه المرة شاب يرتدي زي العمل المصنوع من قماش العمال، يمكن لزي العمال اليوم أن يحل مكان زي الجيش الأصفر بقوة، فهو تقريبًا علامة على تحول عصر الجيش الأحمر تدريجيًّا إلى قيادة كاملة من طبقة العمال، فلا يوجد شيء أكثر حظًّا من العمل كعامل في مصنع. ذلك بالإضافة إلى أن زي العمال عبارة عن سترة، فإذا لم يكن زي العمل، فهل يمكنك ارتداء السترة؟ دفع باب المتجر، وواجه الفتاة، وسألها بلغة فصحى مبالغ فيها:
"أيتها الزميلة، أين جبل الأزهار والثمار؟".
رفعت ذقنها ناحية الشرق.
سألها ثانية: "أي عربة أستقلها؟".
فرفعت ثلاثة أصابع.
"أين محطة العربات؟".
رفعت ذقنها ناحية الغرب.
"هل جبل الأزهار والثمار ممتع؟". سألها بعفوية، وهو متكئ على المنضدة.
لم تهتم به.
"جئنا للعمل هنا، ورغبنا في التنزه بالمناطق الأثرية، وكانت النتيجة عدم وجود شيء، لا يوجد سوى جبل الأزهار والثمار، ألا يستحق الذهاب؟".
لم تهتم به.
"أليس هذا جبل الأزهار والثمار في (رحلة إلى الغرب)؟".
لم تهتم به.
لقد غضب أخيرًا، ودفع الباب بقوة وخرج، على الرغم من أنه لم يخسر مالا، لكنه فقد ماء وجهه، وهذه خسارة أكبر حجمًا.
ترفع عينيها وتنظر لكل شيء داخل المنضدة، لا تحرك ملامح وجهها، لكن قلبها يضحك بسخرية. من لا يعرف هؤلاء الجماعة من الطبقة الأرستقراطية؟ لكن، من يحبهم أيضًا! إنها تلعب مع الأولاد لأنهم أولاد، بغض النظر عن كونهم أبناء الإمبراطور أو فقراء، فهي لا تلعب مع آبائهم. بالإضافة إلى، ما بهم الأباطرة؟ وما بهم الفقراء أيضًا؟ الإمبراطور يتزوج، والفقير أيضًا يتزوج. الإمبراطور ينجب أطفالا، والفقراء ينجبون أطفالا أيضًا. يرى الإمبراطور المرأة ناعمة الساق

والقلب، ألم تتلاعب المحظية يانغ بإمبراطور أسرة تانغ، وكاد يفقد دولته. إن جميع الرجال يتشابهون أمام المرأة. لقد رأت أولادًا كثيرين، جميع الأشكال والأنواع، لكنها تحتقر هؤلاء أصحاب الطبقة الأرستقراطية، فتشعر أنهم طائشون، مثل الديك الذي تعلم الصياح للتو، ولم ينم شعر ذيله بشكل كامل، إنها تحب الرجال الكبار، الذين عاشوا عمرًا، وعلى وجههم التجاعيد، وذقنهم صلبة سوداء، مروا بصعاب كثيرة، وتحملوا معاناة كبيرة. هذا ما يشبه الرجال.
إن زي هذا النوع من الرجال، يسمى زي المهارة، ويدعو الناس للحماسة. من وجهة نظرها، الشخص الذي يعتمد على سلطته لإغراء النساء، لا يعد رجلا في الأساس. إن الرجل الجيد يجب أن يكون أعزل، لا يعتمد على أي شيء خارجي، يعتمد فقط على كونه رجلا، للحصول على المرأة. كما أنها تحتقر هؤلاء الفتيات اللاتي يحطن بأصحاب الطبقة الأرستقراطية، وكأن كل منهن فخورة بشيء ما، رافعة الرأس، فهل أصبحت أميرة أم إمبراطورة؟ فالمرأة التي تضحي بنفسها من أجل المال والثروة والنفوذ والسلطة لا تعد امرأة في الأساس. من المحتمل أنهم يأكلون جيدًا، ويلبسون جيدًا، ويلعبون جيدًا، ويستمتعون بالشرف والثروة طيلة حياتهم، لكنهم أوقفوا مذاق استمتاعهم بكونهم نساءً حقًّا ولو قليلا. إن المرأة لا تحتاج إلى مذاق من يحبها فقط، بل تحتاج أكثر إلى أن تحب. وبالطبع حب أحد أصعب كثيرا من أن يُحب. إنها جميلة وأنيقة ومرحة، فحب الجميع لها هو أكثر الأمور طبيعية. إذا لم يحبها أحدهم، فمن الخوف ألا يعتبر رجلا. هكذا تعتقد. أن تكون محبوبًا أمر لا يعتبر صعبًا في الأساس، ولكن أن تحب أحدًا ليس أمرًا سهلا.
إنها لا تفهم نفسها، تحب أم لا تُحب. إنها تحب فقط اللعب مع الأولاد، البقاء معهم، وتشعر بالمتعة كثيرًا معهم مقارنة بالفتيات. يوجد جماهير لزينتها، وغاية أمام أعينها، وكأن هناك هدفًا لحياتها. لماذا منذ القدم وحتى الآن لا بد أن يستند الرجل والمرأة على بعضهما طيلة الحياة، لأن وجود المرأة مع الرجل هو الأمر الطبيعي، أمر فطري، أمر إلهي. لذا تشعر بعدم الارتياح والتقيد حين تكون مع الفتيات، فيما تشعر بالتلقائية فجأة حين توجد مع الفتيان، وكأنها عادت لمنزلها، يتولد الإلهام لديها فجأة، ويمكنها إخراج مهارات غير متوقعة، وتقلبات في التعابير، وبراعة في الكلام الغني بالمعاني. حتى هي لم تتوقع هذا، باختصار تتحول إلى صانعة الفنون. ويفرض اعتبار المغازلة نوعًا من الفنون أيضًا، فستكون هي فنانة من الدرجة الأولى.
لكنها تنزعج من حب الجميع لها، فهي ترغب كثيرًا في حب الآخر بجد، تحبه بشدة. لذلك ذهبت للحب بشراسة، الحب حتى النهاية، فشعرت بتعب غريب، وبعض من السخرية أيضًا، وكأنها تمثل، فتركت الأمر ولم تحب. إنها تشعر أن الحب الرقيق أفضل بعض الشيء. تعتقد أن هذا لا يعد تقريبًا حبًّا حقيقيًّا، فالحب الحقيقي لا يُفرط به حتى الموت. لكنها تشعر أنها تحب بجد أيضًا، وليس هناك ولو خيط رفيع من التزييف، فقد أحبت بمشاعر حقيقية، وبعد ذلك اختلط عليها الأمر أيضًا، فلم تعرف ما هو الحقيقي وما هو المزيف. على العموم، لا يمكن استغناؤها عن الفتيان، لا يمكن استغناؤها عن حب الآخر لها، وحبها للآخر كذلك، فلتقض حياتها بهذا الجد والتزييف! فمن جعلها تبدو أنيقة؟ من جعلها جذابة؟ من جعلهم يحبونها؟ عمومًا، ليس عليها أية مسئولية، فيمكنها الحب بسعادة .
لكن أم الفتاة تعرف أن الإنسان يمكنه حب شخص واحد فقط حبًّا حقيقيًّا، كما يسمح لشخص واحد فقط بإعطائه حبًّا حقيقيًّا. فحب شخص، والحب من قبل شخص، هو الأمر الواقعي. لكنها تعرف أيضًا، أنه من المحتمل استحالة مقابلة هذا

الشخص الوحيد طول عمرها، ومن المحتمل أن يتقابلا فقط في الحياة، ولا يعرف أحدهما الآخر، ويمضي الأمر. ومن المحتمل إيجاده ومعرفته، لكن ليس هناك إمكانية للسير معًا، حتى لا يمكن مصادفة وجهه، ويُنسى الأمر. إنها تتمسك بأمل وصبر لا حدود له تجاه الفتاة، فيجب عليها تحذيرها، فهي تثق أنه بمجرد مرور هذا الشخص أمام عينيها، ستلحق به في الوقت المحدد، ولن تدعه يمضي.
ترن صفارة الميناء جانب النهر بصوت طويل تارة وقصير تارة أخرى.
لا يوجد أحلى من شهر العسل. فينسى الماضي والمستقبل أيضًا، ويمتلئ بالسعادة الحالية. يحيطه اهتمام لطيف رقيق لم يتمناه من قبل. حينها اكتشف أن جلده قد جاع ثلاثة وثلاثين عامًا، وتعطش ثلاثة وثلاثين عامًا. إن حب الفتاة يحمس الشخص هكذا، ويسكره. "سأعاملك جيدا"، قال لها بهمس، "سأعاملك جيدا". غمغم بصوت متواصل. لن يرد جميل مداعبتها الرقيقة إلا إذا عاملها بإخلاص طول العمر. يشعر أن مداعبتها أنقذت حياته بالكامل. لقد قضيا الليلة بالكامل تقريبًا بلطف، ولم يشعرا أن الوقت مر سريعًا جدًّا. فلم يحل السواد على ستائر السماء الزرقاء بعد، حتى رق وتلاشى، وأظهر ظلالا شاعرية على النافذة.
مساحة الحجرة سبعة أمتار فقط، ففي الزاوية المنبثقة من حجرة الأدوات، جدار مبني، وباب آخر مفتوح. لكن هذه الحجرة هي الأجمل بالنسبة لهما. وبسبب ترتيبها لكل شيء، شعرت براحة وكأنها عادت لمنزلها، وبسبب النظافة التي نقلها عن أمه، مسح كل شيء بنظافة كبيرة، فبدا كأنه جديد، وبدت الأشياء التي لا مجال لإخفاء قدمها وعيوبها وكأنها ديكور ريفي، وأظهر تميزًا. كاد السرير الزوجي الذي يبلغ عرضه أربعة أقدام، الملتصق بالحائط الجنوبي يجعلهم يلصقوا القدم بالرأس، ومن الجيد أن وُضع كومة من الصناديق فوق الرأس. وعلى تلك الصناديق غطاء بلاستيكي، وعلى ذلك الغطاء البلاستيكي صف من النوت الموسيقية، وصورة صغيرة لهما. وموضوع بالحائط الشمالي دولاب كبير، وبسبب انعكاس المرآة المعلقة على بابه، تبدو الحجرة أعمق قليلا. يوجد بين الدولاب والسرير نافذة أسفلها منضدة مربعة، عليها مفرش أبيض نظيف، ومحشور أسفلها أربعة مقاعد مربعة. يواجه النافذة باب، وبجانب الباب موقد، ودولاب أطباق، وبعض أدوات تناول الطعام. لا يوجد عش صغير أدفأ وأعمق من هذا. لقد شعر أن الألم والذنب الذي تحمله ثلاثة وثلاثين عامًا تقريبا، يُكافأ عليه هذا اليوم.
لقد امتلك منزلا، فشعر بالأمان والراحة. وشعر في كل مكان وكل وقت بحماية المنزل الدافئ المعتمد عليه. تتبعه هذه الحماية، وتحيط به، ما جعله شجاعًا، ومتفتحًا. ولم يعد يخاف من التعامل مع الناس، ولم يعد يرهب من التواصل مع الآخرين أيضًا. ترك أسلحته تدريجيًّا، وتراخى حذره. لقد طوقه المنزل وسط هذا العالم الصاخب، لكن حياته تفتحت. ولأن لديه فرصة للاختباء والتراجع، جرؤ على التقدم والإجتهاد قليلا.
بدأ يكوّن أصدقاء، بعض من الأصدقاء الذين جاءوا من الجنوب ولا يدعون للفخر. يمكنه تقليل الشعور بالنقص وهو معهم، وبالتالي يكون أكثر حرية. كما بدأ في استضافة ضيوف بعشه الصغير، ويسحب المنضدة المربعة ويبعدها عن الجدار، فتتكئ على السرير، فيمكن للناس الجلوس على السرير أيضًا. إنها تستطيع صنع الطعام، جميعه له مذاق جنوبي، حساء الجيوسي بالبيض، والأضلاع بالصلصة، والخضروات المقلية الخضراء، والتوفو الأبيض المسلوق، أحضرتهم جميعًا على المنضدة، وتلقت مدح الجميع بهدوء وأمان، ثم حدقت له وكأنها غير متعمدة، ونصحته بلطف أن يعتدل في شرابه، فتلقاها عن طيب خاطر. إن مراقبتها له

جعلته يحبها حبًّا لا يُضاهى، ويوافق على الالتفاف داخل حضنها كالطفل المطيع، ويتلقى ضربها الحنون. فهو ممتن لها كثيرًا.
ظهرت بطنها بصورة غريبة، فصنعت قميص الحمل الطويل الرقيق، ووضعته على سترتها، فظهرت طبيعية ومهيبة. لقد أصبحت أكثر لطفًا ورقة مع ظهور بطنها يومًا بعد يوم. وكأنها في الوقت الذي تنمي فيه حياة الطفل، تنمي حب الأم أيضًا. لقد تعلم الشقاوة أمامها. في المساء تخلع حذاءها، وتستند على السترة الصغيرة والسروال الصغير بأشكالهما الجميلة المنسوجين على الفراش. فيخلع حذاءه أيضًا، ويسند رأسه على بطنها البارزة. "لا تنسي الزوج من أجل الطفل". قال هذا، فاستخدمت السروال والسترة الصغيرة المحبوبة نصف المنسوجة، وضربت جبهته وأنفه وخده، وما زالت يدها تنسج بإتقان. ويرفع هو بكرة الخيط، ويسحب لها الخيط واحدًا تلو الآخر، ويثرثران بجملة من الشرق وأخرى من الغرب، ويضحكان دون ملل. تجاهلته، وتركته يتحدث بتفاهات كما يشاء، وحين تراه يتحدث بسخافات، تبتسم وتنهض قليلا، وتخفض رأسها، وتمسح بذقنها على جبهته. لقد نظر إلى القمر الباهت خلف ستائر النافذة الزرقاء، وتذكر القصة التي كان يستمع إليها دائمًا في صغره، وكان قد نساها منذ فترة وتذكرها هذه اللحظة، فاستغرق في النوم. وحين استيقظ اكتشف أنه يستلقي في الأساس على الفراش الدافئ، وتحيط بكتفيه ذراعين ناعمتين متينتين، فشعر براحة لا مثيل لها وسعادة أيضًا.
ولد الطفل، إنها فتاة. لم يستمتع بسعادة الزواج استمتاعًا كافيًا تقريبًا، فلم يلحق تجربة الحب الأبوي. وبدا أيضًا وكأنه لم يتذوق حب الأم بشكل كاف، لذلك لم يكن متعجلا في أن يصبح أبًا. لكنه اعتمد على فطرته الرقيقة الطيبة في حب هذا الشيء الصغير المكوم الوجه، ورحب بمشاركتها في حياته. أما هي فلم تسمح له بالشعور بتجزئة الحب مطلقًا، كما لم تجعله يشعر بمشاركة ذلك الشيء الصغير له في عواطفها. بل جعلته يعتقد أنه منذ هذا الوقت هناك امرأتان يحبانه، فانتشى أكثر. لقد زاد الحب داخل قلبها ولم ينقص، وكأنه لن ينقطع أبدًا. لقد عانقت الفتاة، وجعلته يحتضنهما معًا بالكامل، أو تجعله يحمل الفتاة، وتحتضنهما هي مرة واحدة. وبسبب حبها العميق، نتجت تلك الرزينة المتحكمة بعواطفها أيضا أشكالا لا تحصى من المشاعر.
تعمق الليل وهدأت الناس، ونام الكبير والصغير، ونظرت هي إليهما، لا يوجد كلام يعبر عن سعادة قلبها ورضاه. إنها تعتبرهما أطفالها، فكلاهما يتصل بها جسديًّا ودمويًّا، لكن هذا الاتصال مختلف قليلا. الكبير مثل الصغير، ضعفاء دون سند، وهي حمايتهما، فهي مسئولة عنهما مسئولية لا يمكن التهرب منها. جاءت هذه المسئولية من الاتصال الجسدي والدموي، تسببت هذه المسئولية في سعادتها. تقبل الصغير، كما تقبل الكبير، وتشعر أنها أغنى شخص في العالم. "لا بد أن أعاملكما بصورة جيدة". التصقت بأذن الكبير وهمست بها: "لا بد أن أعاملكما جيدا". التصقت مرة أخرى بأذن الصغيرة وهمست بها. عليها معاملتهما جيدا حتى ترد اعتمادهما عليها وعواطفهما تجاهها.
أشرق القمر بالغابة المشجرة إشراقة لم تكن موجودة من قبل.
جعل أمر النوم فتاة زقاق جين قو تحب نفسها لدرجة الحيرة.
أحبت فتاة زقاق جين قو نفسها لدرجة الحيرة. لقد رغبت في إيجاد شخص يجعلها تحب بقوة، لترى ستحب إلى أي درجة بالتحديد.
في هذا اليوم، كانت جالسة على مقعد صغير أمام الباب تغسل الملابس، مرتدية سروال النوم القماشي المزخرف. وسمعت بالمصادفة زملاءها بالمتجر يقولون:

"هناك عدة أشخاص في الفرقة المنشأة حديثًا من شانغهاي، يرتدون في المساء سراويل من قماش البوبلين المزهر، ويوجدون في استراحة الفناء، فيفزعون الناس حقًّا، وكأنهم جنيات!"، فذهبت على الفور للمول التجاري وسحبت البوبلين، واختارت ذا النمط البسيط الأنيق.. اختارت واحدًا لونه أخضر داكن، والآخر أطرافه أرجوانية مزهرة، وسحبت من كل واحد أربعة أقدام، وصنعت ثوبًا ذا عنق دائري دون أكمام، لترتديهم بالتناوب. حاكتهم بعد عودتها للمنزل، حاكت السروال على الطراز الغربي، لكنه ليس على الخصر، وارتدت حزامًا ضيقًا، هكذا يكون جيدًا، ومقعد البنطال ليس متدليا كالأكياس. أما البلوزة، فتمسك على الخصر قليلا. والرقبة مفتوحة منخفضة، وأساور الأكمام طويلة قليلا، تغطي الأكتاف المستديرة، فلا تظهر الإبط، ليظهر خشنا هكذا. فحين ترتدي هذين الملبسين تلفت الأنظار حقًّا ولا يمكن أن تفزع الناس.

إن الأخضر الداكن هادئ أنيق، والأرجواني المزهر مشرق محبب. تبدل واحدًا كل يوم، ما حير الناس، فلم يستطيعوا تصنيفها ضمن أي نوع، فهي تحصل على مزايا أي نوع، وتتذوق مذاق كل الأنواع. كانت ترتدي في هذا اليوم الذي كانت جالسة فيه على المقعد الصغير تغسل الملابس، الملبس الأخضر الداكن. وفجأة سار شخص بالزقاق، رجل ضخم طويل، يرتدي زي الجيش الأصفر، لكن دون شارات الياقة. سار بخطوات قوية جدًّا، جاء خطوة خطوة. يملك ذلك الرأس وتلك الخطوات أسلوبًا مهيبًا، فلم تتوقف عن رفع رأسها للنظر إليه كثيرًا. لقد تعرفت هذه العين عليه، إنه الزميل في الصف الثالث الثانوي بفريق الدعاية، ذلك الذي يدق على الطبول، قيل إنه التحق بالفرقة الإنتاجية، ثم قيل بعد ذلك إنه تطوع بالجيش، ولم يكن متوقعًا أن هذا الشاب الشاحب النحيل يظهر بصورة مهيبة هكذا. ولم تتمالك نفسها في الشعور بالذعر قليلا، وحين وقف أمام إنائها الخشبي، ونادى عليها، حركت عينيها، وكأنها تضحك ولكنها لا تضحك، وتحركت الغمازات على خدها: "عدت للموطن؟!".

لم يجبها، واستفسر منها عن الفتاة في الساحة المجاورة. ففوجئت بعض الشيء، فجميع الرجال الذين يدخلون الزقاق يأتون من أجل البحث عنها، خاصة الذين يبدون بشكل مهيب هكذا، لقد كان فتى في فريق الدعاية من قبل، فسألته بتلقائية شديدة: "لماذا تبحث عنها؟" ندمت قليلا بعد السؤال، وشعرت أنها ارتكبت خطأ، وغضب قلبها بعض الشيء.

كانت السماء مظلمة، فلم يلحظ تعبيرات وجهها، وأجابها بتلقائية: "أخوها معي في جيش واحد، وطلب مني إحضار شيء".

"إذن فلتذهب"، قالت، وبعد قولها غضبت ثانية، فاعتقدت أنها كثيرة الكلام، فما علاقتها بذهابه أم لا، ما الداعي لقولها هذا؟

دخل تلك الساحة، وبعد قليل أظلمت السماء أكثر. انتهت من غسل الملابس مبكرًا، وعليها الذهاب إلى حجرة المياه لشطفها، لكنها تشعر بكسل ورغبة في عدم الرغبة، فما زالت جالسة، ترغب بداخلها انتظاره حتى يخرج، للتواصل معه مجددًا، لعلها تعيد ماء الوجه، وتهزمه تحت قدمها أيضًا. لكنها لا ترغب في الاعتراف بهذا المفهوم، وتعبت من الشكوى سرًّا، إن الناس في حجرة المياه كثيرون جدا، ويستوضحونها.

وبعد قليل، أظلمت السماء قليلا ثانية، فخرج، لكنه لم يرها، وسار بخطوات مباشرة. فحزن قلبها، وتعكر مزاجها. وفي المساء، استندت إلى وسادة صغيرة من الغطاء الخارجي للفول الأخضر، وأخذت تتقلب من الأرق. في الواقع، لم يجرؤ رجل على معاملتها بهذه الطريقة، فعلى أي أساس يفعل هذا؟ أيكون عظيمًا

لارتدائه الزي الأصفر، إذا كان موهوبًا، فكيف لم يرتق إلى قائد كتيبة، كيف يتحكم في الناس؟ لكنها ترى بوضوح أنه يرتدي أربعة شرائط. لكن مستحيل أن يكون أكبر من قائد السرية. فإذا كان أكبر، لكان انتقل منذ فترة، كما فكرت فجأة، لقد أصبح جنديًّا في شانغهاي، يُقال إن تلك الكتيبة تغلغلت في شوارع نانجينغ، ولعله رأى الكثير من الفتيات الجميلات بشانغهاي، ولم يهتم. وتفكيرها هذا لم يمكنها من الهدوء فحسب، بل زاد من غضبها. لفت جسدها، وفكرت بغضب: "كيف تبدو فتيات شانغهاي! هل وجوههن كالأزهار؟". في أي نقطة لا تضاهيهن هي؟ كما أنها رأتهن من قبل، فالفرقة الراقصة الجديدة بها عدد منهن يرقصن، وجسدهن نحيف كعود الثقاب، وصدرهن مستو لا يوجد به شيء، وأردافهن كالصبية الصغار، وجلدهن أبيض، لكنه أيضًا من النوع الشاحب. أما جلدها، فهو أبيض وبه حياة وحيوية. وجميعه من إمداد الطبيعة، فتستخدم دائمًا مياه الآبار فقط لغسل الوجه، وبعد غسله تضع القليل من العسل. يُدهن "مسحوق الوجه" و"كريم الوجه" ومثل هذه الأشياء على الوجه فيجعله شاحبًا، وكأنه ينزلق للأسفل. أما هي، فمشرقة وكأنها تحمل قطرات الندى. لقد قررت فجأة قهر ذلك الرجل. ليس من أجل قهره فحسب، وكذلك من الصعب قول إن هذا الرجل أثار الكثير من اهتمامها، بل لأنها تريد التنافس مرة مع فتيات شانغهاي. يقف خلفه تقريبًا أجمل وأكثر الفتيات مرحًا وأكثرهم موضة في شارع نانجينغ بشانغهاي. لقد امتلأت بالإرادة والعزيمة لمواجهة الجيش وحدها، فتشعر أنها عظيمة جدًّا. وبمجرد تقريرها هذا، أصبح قلبها مرتاحًا، واستعاد السعادة مرة أخرى.

تظاهرت باستعارة سترة مزخرفة، وذهبت إلى الساحة المجاورة للبحث عن تلك الفتاة، وسألتها: "جاء جندي مسرحنا مساء أمس للبحث عن منزلك، هل وجده". فأجابتها الفتاة في عجلة: وجده. كما دعتها للجلوس بحرارة. إن تلك الفتاة مثلها مثل جميع الفتيات، تكرهها من وراء ظهرها كرهًا شديدًا، وتوبخها آلاف المرات وتصفها بـ "الحذاء البالي"، لكنها تخاف قليلا أمامها. يمكنها المبادرة بالذهاب لها والتحدث معها، كما تكون سعيدة وفخورة. لا أحد يفهم عاطفة النساء. أخبرتها الفتاة سريعًا، إن أخيها الأكبر في كتيبة واحدة مع ذلك الشخص، عاد ذلك الشخص بعد تسريحه للعمل في الهيئة الصناعية... قاطعت الكلام وسألتها: "دعيني أرى السترة البنفسجية التي إرتديتها ذلك اليوم، لأسجل شكلها". فوجئت الفتاة تقريبًا بهذا التدليل، وفكرت: أستقدر تلك الفتاة التي تهتم بالموضة سترتها فجأة، وهرعت للبحث عنها، منذ ذلك الوقت وهي تعتبر تلك السترة الأكثر قيمة. رسمت بجدية عدة غرز وأشكال، ثم غادرت، وقد عرفت كل شيء. إذا كان ذلك الشخص يعمل في الهيئة الصناعية، إذن، فسيذهب للعمل كل يوم، فإذا غيرت الطريق، يمكنها مقابلته. إن وقت بدء العمل في شركة الثمار هو نفسه في الهيئات الحكومية، كما عرفت الجهة التقريبية لمنزل ذلك الشخص. فصممت طريقًا جيدًا في الخفاء، واطمأنت. لقد قالت ما يجب أن يقال، وضحكت حين استوجب الضحك.

بعد مرور يوم، قابلته حقًّا في طريق الذهاب للعمل، سارت متظاهرة بأنها لم تره. كانت ترتدي في هذا اليوم تنورة زرقاء وسترة بيضاء، تعلم أنها كلما ارتدت بصورة بسيطة، تمكنت من إظهار جمالها، لكنه لم يرها، فسار مسرعًا بالعربة، ولم يسترح للحظة. فغضب قلبها بتلقائية، لكنه لم يحبط، على العكس، ازدادت روحها حماسة. لقد فكرت، حين يلتقي زميلان قديمان في الشارع بعد عدة سنوات لم يريا فيها بعضهما، من الطبيعي أن يتحدثا، وعدم حديثهما لا يعد أمرًا طبيعيًّا، بل ويُظهر تصنعًا، والتصنع يعني أن هناك شيئًا بالقلب مختبئ. إنها تعرف أنه جيد جدًّا

وجود شيء بين الرجل والمرأة، حتى وإن كانا سيئين للغاية ويشبهان الأعداء لا بد أن يكون هناك شيء أيضًا، وإذا لا يوجد شيء، فلا يعد أمرًا جيدًا أو سيئًا، يكون غامضًا، ليس قريبًا ولا بعيدًا. لقد قررت أن تبادر بإلقاء التحية حين تقابله غدًا في الطريق؛ لتشعره أنه بالنسبة إليها شخص عادي جدًّا، مجرد زميل قديم. كما أنه يبدو بخيلاً، متوترًا، ماكرًا، لم يمر بأحداث عظيمة بالمجتمع. لقد ذهب إلى شانغهاي، وتعرف على رجال ونساء شانغهاي. كتمت فمها وضحكت.
لكن في اليوم التالي، وقبل أن تفتح فمها، ساق العربة ووصل أمامها، لكنه لم ينزل أيضًا، أوقف العربة جانبًا فقط، وأنزل قدمًا وعلق الأخرى، وقال: "هاي، يا للمصادفة". لقد فزعها ذلك الوسيم، ولم يتوقف قلبها عن الإعجاب: لقد ذهب إلى مكان كبير في النهاية. إن ابتسامته لطيفة جدًّا، وحماسية للغاية أيضًا، لكن ليس ذلك الشيء مطلقًا، فحزن قلبها. حصلت على ميزة منه، لكنها تشعر بالكره. كانت مفاجأة بعض الشيء، ولم تلحق إبداء التحية، فابتسمت ابتسامة حانية جدًّا: "نعم، إنها مصادفة".
سأل: "أين تعملين؟".
فأجابته: "في شركة الثمار".
"أنا في الهيئة الصناعية، بالمجموعة المنظمة، تعالي حين يتوافر لديك الوقت". رفع ذقنه وأشار للأمام.
شعرت للتو أن الأمر ممتع قليلا، لكنه أضاف جملة أيضا: "من الجيد أن يجتمع زملاء فريق الدعاية". وبعد انتهاء كلامه، شغل العربة وغادر.
لم يعد أمامها سوى السير للأمام في طريقها، تنظر إلى القميص الوردي الجديد والتنورة المزهرة، وشعرت بالظلم قليلا، ورغبت في البكاء.
طار بسرعة كبيرة، ثم أبطأ، وتمعن قلبه فيما إذا كان هجومه هذه المرة له تأثير أم لا. لم تتحرك وظلت هادئة، لم تقترب ولم تبتعد، كانت تلقائية جدًّا، وأكثر رزانة من وقت صغرها، وأصبحت أكثر جمالاً طبيعيًّا. لم ير أفكارها. لكنه تأكد منه، فوجب عليه هزيمتها. إن شعوره ناحيتها لم يولد في هذه اللحظة، بل منذ وقت طويل، فهو يحبها منذ كانا في فريق الدعاية. لكنه لم يعرف آنذاك أن هذا حب، فكان يعتبره كرهًا فقط. إنه يكره غطرستها، يكره تدليلها، يكره إحاطة الكثير من الرجال بها، يكره تلاعبها بالرجال كتلاعبها بالقرود. الجميع يسترضيها فيما عداه. الجميع يتصارع من أجل حبها، لكن هو لم يتحدث حتى معها. وحين لا ينجح أحدهم في إقامة علاقة معها، يصفها بالمتشردة والحذاء البالي، لكنه لم يلحق بهم. بعد ذلك، دخل الجيش، وأحيانًا يعود للمنزل، فرآها عدة مرات في الطريق أيضًا، يراها تزداد جمالا، فتولدت داخله رغبة بها، ودائمًا ما يذهب في الأماكن المحتمل سيرها بها، لينتظرها ويراها. لكنه لم يتحدث معها مطلقًا، كان يعلم أنه سيتم تجاهله في حديث المرة السابقة. حتى وإن أجابت بكلام حسن آنذاك، سيظل سيئ الحظ فيما بعد. إنها متغطرسة حقًّا، ودائمًا ما يفسدها هؤلاء الرجال عديمو الشخصية بحبهم.
بعد ذلك، التحق بالجيش، ووصل للسن الذي يجب أن يتزوج فيه، بالأخص حين علم بتسريحه وعدم تمكنه من البقاء، أخذت تتحرك أمام عينيه كل مساء، وتلمع عيناها كأنها تتكلم، وتحرك غمازاتها كأنها تضحك، أو تعبس كأنها توبخ الآخرين، وتغضب كأنها تنوح. بوجود ظلها، تكون جميع الفتيات الأخريات خارج المقارنة، يكون جميعهن مصطنع ومزيف، لا يشبهن الرجال ولا النساء، كما لم يحركن قلبه. فقرر سرًّا أن يتزوجها دون محالة. إن قلبه يفهم أنها مختلفة كثيرًا، وقد رأت الكثير من الرجال ولم تكترث بهم، لذا عليه جذب انتباهها، لا بد أن يفعل شيئًا

مختلفًا عن من بجانبه. كما يجب عليه القضاء على غطرستها ودلعها. من الصعب تمييز صحة وكذب الشائعات الخارجية، إذا كانت كاذبة لكان أفضل، أما إذا كانت حقيقية، فقد مكث في شانغهاي عدة سنوات، وقرأ عدة قصص أجنبية مترجمة، ويمكنه القيام بالتضحية النبيلة. لكن لا بد أن تنتمي له وحده حقًّا. فيكون جمالها ودلالها له وحده، تمده هو فقط بهما ليتمتع. آه، إنها جميلة بصورة لا تضاهى، وتجذب الآخرين بصورة لا مثيل لها. لا بد من القيام باستعدادات فكرية من أجل كل شيء بالمستقبل، والكفاح كفاحًا صعبًا طويلا ومؤثرًا أيضًا. إنهما متنافسان متعادلان حقًّا.
ولدت الابنة الثانية، وقالت الفتاة للأم إنها تريد الزواج.
عندما وُلدت الابنة الثانية، حرب حينها الحب الأبوي .
إنه يشابه جسديًّا وروحيًّا الأطفال الضعاف للغاية، ويحتاج إلى ضِعف أو أضعاف ما يحتاجه الآخرون من حب الأم كي يكبر وينضج. إنه كالطفل الرضيع، يرضع حبها الممتزج بأمومتها، وهكذا يقوى تدريجيًّا. بدأ وعيه الرجولي يقوى، واستيقظ معه الحب الأبوي. فحين نادته الطفلة الصغيرة بغير وضوح: "أبي"، غمرته الفرحة، وربتت يد الفتاة الصغيرة على خديه، فسعد لدرجةٍ دمعت لها عيناه .أما الابنة الكبرى، فعلى الرغم من أنها تكبر الثانية بعامين فقط، فبسبب فقده للحظة الأولى لتنمية الحب الأبوي، شابهت الأولى صديقة صغيرة محببة جدًّا .بدت هذه الفتاة مساعدة لأمها، صورة مصغرة من أمها، تقع في مكانة مختلفة عن الأم بالنسبة له، تحيطه بحب الأم العطوف. وللإنصاف، اكتملت مسئوليتها أيضًا وسط إثارة حبه الأبوي.
تولد الفتيات حاملة غريزة الأمومة، لكنها تظهرها بطريقة طفولية دون عمد. وعندما يتقارب الأب مع الأخت الصغرى بحنان، تنظر الكبرى جانبًا، دون غيرة، بل تضحك بسخاء وسعادة، وتكاد تنظر بعطفٍ لتدليل الأب للأخت الصغرى. أثرّت فيه هذه النظرات، لكنه تأثرٌ مختلف تمامًا. وقد نما الشعور بالمسئولية في نفس وقت الحب الأبوي.
إنه يحب الفتيات، ولم يشعر بالأسف مطلقًا لعدم امتلاكه فتيانًا. بل على العكس، فرح قلبه كثيرًا لأن طفله الثاني لم يكن ولدًا. هناك ثلاث فتيات - زوجته وابنتاه - في هذا المنزل يحبونه هو الرجل الأوحد، فأوشك أن يفسد تدريجيًّا بفعل تدليل الفتيات.
إزدادت الحياة صعوبة يومًا بعد يوم مع ولادة الأطفال، ولم تعد الغرفة ذات السبعة أمتار تسع لوضع فراش آخر، فتجمع الأربعة أفراد على فراش صغير مساحته أربع أقدام، فيمكن دهس الأطفال إذا انقلب جسده دون حرص. وبسبب سماعهما الكثير من القصص المخيفة عن موت الأطفال بفعل حركة الكبار على الفراش، لم يجرؤا تقريبًا على تقليب جسديهما، ولم يجرؤا على الحركة. لقد زادت رغبته وهو يقوى تدريجيًّا عن الأيام العادية، وعلى الرغم من عدم شعور الأطفال، فإن ذلك النفس الهادئ، والوجه الصغير النقي، يجعل الناس تشعر أن القيام بذلك الشيء جريمة ورخص، فيقمع دوافعه، ويظل طول الليل غير مرتاح، وحين يستيقظ في الصباح يكون في غاية القلق.
إن مرتبهما يكاد يكفي للحفاظ على نفقات هذه الأسرة المكونة من أربعة أفراد، ويمكن حدوث أزمة مالية، إذا لم تكن مدبرة جدًّا، فدائما ينتابها الخوف من ألا تأتي وجبة كسابقتها. كيف توازن الميزانية، وتبقي منها القليل أيضًا لاستخدامه في الطوارئ، أصبح الحديث اليومي صباحًا ومساء، فيصيب الناس بالإحباط وقلة الحيلة.

إن أكثر شيء ألمًا هو الانطلاق لعرض. فإذا انطلقت الفرقة، تكون لمدة ثلاثة أو خمسة أشهر، فيضطرون لإحضار الأطفال في طريقهم. يجوبون في الأرض بائسين، وأحيانًا يبدلون خشبة المسرح في يوم واحد. إن ظروف المسرح جيدة بعض الشيء، ويمكن توزيعهم في مسكن مستقل، هناك الكثير من الأماكن تقسمهم: مسكن للرجال وآخر للنساء، فتحمل هي الطفلتين، ولا يتمكن من مساعدتها ولو بالقليل. أحيانًا يصيح الأطفال في الليل، ويبكون بكاء مستمرًا، فينزعج كل من في الغرفة. يعذرنها من تزوجن وأنجبن من قبل، لكن من لم يتزوجن بعد لا يتفهمن هذا الشيء، ويشكون دومًا. فلم يكن أمامها سوى التردد خارج باب مسكن الفتيات، فيسمع صراخ الأطفال وتذمر الناس المعلن، فيقلق ويتمزق قلبه بعجز.
انتهت فترة ازدهار العروض، وبسبب إدارة المسرح وبنيته التحتية، ما زالوا يستعيدون أوبرا كلابر. إنها من نانجينغ، ولم تتمكن بعد من قول عدة جمل بأوبرا بكين، كما لم تستطع التحدث بلهجة أهل مقاطعة خنان، ففقدت على الفور الدور الرئيسي، فاضطرت لتمثيل أدوار ثانوية. لا تهتم أوبرا كلابر بوجود الكمان من عدمه، كما أن ما ألفته الفرقة الموسيقية ليس سليمًا، ولا تمتلك ألحان الأوبرا نوتة موسيقية، وتعتمد بالكامل على الارتجال. فيستخدم الكمان باعتباره عودًا، ولا توزع نوتة موسيقية فيعزف كما يشاء، فيمكنه عزف القوافي، ويمكنه عزف الموسيقى الأولى لكل فصل، ويمكنه ألا يعزف أيضًا، دائمًا ما يمر العرض بسلاسة. وفي هذه اللحظة، لم يعد هناك وقت للتفكير في الوظيفة والمستقبل، فينظرون فقط للأيام الحالية، ويقضون كل يوم بسلام، فخلو الكبار والصغار من الأمراض والكوارث يعد انتصارًا.
لذلك، على الرغم من صعوبة الحياة، وعدم راحة الكثير بها أيضًا، فإن روحهم ثرية للغاية، ومتوافقة كثيرة أيضًا. وأصبح قضاء كل يوم هو هدف كل يوم. وبسبب صعوبة الحياة ومحنها، وبسبب ظهور المشكلات والصعوبات فيها بصورة مستمرة، فإن حبهما يحوي محتوى حقيقيًّا، يحوي وقائع يمكن فعلها، بل ازدادوا حميمية أيضًا. يعانق الأربعة أشخاص بعضهم بإحكام ليصبحوا كتلة واحدة، وينسون كل شيء، ويقضون الأوقات تدريجيًّا. ظهور سنة صغيرة جديدة للطفلة، وأول أغنية حفظتها، وشراء سمكة حية وشويها بطريقة لذيذة أحيانًا، والذهاب لحجرة صغيرة مستقلة أحيانًا في أحد الأماكن، كما أضافوا سريرًا صغيرًا آخر، كل هذا أرضاهم وجعلهم يشعرون بسعادة بالغة.
بالأخص أنه دائما يناضل منفردًا مع الحواجز التي لا يراها، ويكافح وحيدًا وسط آلام مجهولة. وفي هذا الحين، أصبحت صعوبات الحياة مادية، يمكن لمسها، ولا داعي للذعر، وقد قل العذاب. كما لم يعد يكافح وحيدًا، بل أصبح له سند ورفيق. لذا، على الرغم من مرارة الحياة، فإنها نقية، وقلبه مرتاح وهادئ.
كبر الأطفال يومًا بعد يوم، وأصبحن جميلات وعاقلات. يجلس الأخوات على الفراش، يمكنهم اللعب مع العروسة القماشية يومًا كاملا. أحيانا تذهب والدة الأب، وأحيانا تذهب والدة الأم. فيسترخوا لأيام عدة، ويقضون أيامًا حلوة، وتُحل المشكلة الاقتصادية أيضًا قليلا، ويتمكنون تلقائيًّا من التفكير في أمورهم. إن الاثنين في الأساس ليسا أشخاصا عاديين، فقد تعلما من قبل، وهناك ما يسعون إليه، والآن يرقصون في فرقة مسرحية بالمحافظة، ولا يعد هذا حلا للأبد. في هذا الوقت، أخبرهم صديق بخبر، ألا وهو تكوين فرقة فنية جديدة بالمدينة الواقعة بخليج البحر الأصفر على بعد ثلاثمائة ميل شرق المحافظة، ويبحثون عن قوى بشرية عاملة من كل الأماكن، وينقصها عازف كمان، فبإمكانه الذهاب للتجربة.

اعتقد في البداية استحالة وجود أي مخرج، فتضايق بشدة، والآن تولد أمل، فتراجع قليلا. إنه شخص كسول جدًّا ولا يبالي كثيرًا، ولا يرغب في وجود منافسة مع العالم، وإذا لم يصل لطريق مسدود، مستحيل أن يخطو خطوة. وتذكر الجهد الذي يجب بذله حين يذهب هناك، وهناك احتمال وجود نقص بذلك الجهد، فخاف في البداية. ومن أجل تجنبه، لم يعد يشتكي، ولم يعد يتضايق أيضًا، كما تظاهر بمظهر سعيد، ليوضح رضاه.
كل هذا لم يُخف عن عينيها، فهي ترى هذا الرجل بوضوح تام، وبداخلها سخرية وحب. لكنها لا تكشفه، لأنها تعرف أنه على الرغم من ضعفه، فإنه حساس جدًّا ويحترم ذاته، فيحتاج إلى تعامل خاص. في الليل، داعبت شعره الناعم بحنان كامل، وفي الصباح صنعت ألذ الأكلات، واهتمت به اهتمامًا شديدًا، وأراحت جسده بالكامل. ثم قالت: "لنذهب إلى هناك". كانت طبيعية جدًّا وكأنها تدعوه للذهاب لسوق الخضروات، فلم تجعله يستثير ولو القليل. وتابعت كلامها قائلة: "على سبيل المثال نذهب لنتنزه، فنحن لم نذهب إلى هناك من قبل!". على الرغم من قولها هذا، فإنه يشعر في النهاية بأمر ملح، فلم يصدر صوتًا، واستدركت قائلة: "من المؤسف حقًّا أن يكون كمانك هنا". إنها تشعر بالأسف حقًّا لأجله. في الواقع هي أيضًا كذلك، ففي الأساس لم تتلق تعليمًا مهنيًّا، فتلعب فقط، ولم تفكر من قبل أن هذا سيكون عملها، وقد غادرت الريف، ولم تتوقع أكثر أنها ستعرفه بسبب ذلك، وستملك زوجًا محبوبًا كهذا. إنها تعلم أنه يعزف الكمان بطريقة غير عادية، فهو موهوب، كما تعلم أنه يحب الكمان كثيرًا، فبسماع صوت عزفه، ورؤية هيئته وهو يعزف، يمكنه فهم هذا. إنها ترغب من أعماق قلبها أن يتطور بشكل جيد، وتأمل أن يملك مستقبلا إن لم يكن رائعًا لا يكون قاتما أيضًا على الإطلاق. لكنها لم تشجعه من أجل هذا فحسب، بل من أجل حصول الفتاتين على تعليم جيد نسبيًّا، إن المدينة هناك كبيرة، ومحاذية للبحر، فيمكن القول عن بعد، إن هناك إمكانية للتطور. كما يوجد أيضًا جزءًا صغيرًا جدًّا من أجلها. لقد كبرت في المدينة منذ صغرها، ولم تعتد على حياة المدن الصغيرة وعادات سكانها، فدائمًا ما تتطلع داخلها لحياة المدن. كما أن لديها باستمرار روح لتحسين البيئة، وعلى الرغم من إيمانها بالقدر، فإنها تعتقد أيضًا، أن من الممكن بذل ولو القليل من الجهد، حتى وإن لم توجد نتيجة، فلن يفقدوا أي شيء أيضًا. على الأقل يمكنهم التجربة. لذلك، عليها تشجيعه.
وبالطبع، لا يمكن أن تخبره مرة واحدة بجميع أفكارها، فهذه المسئولية كبيرة جدًّا، ويمكن أن تخيفه قبل سحقه. فلا يمكنها إفزاعه. لذلك، أعطته أولا مسئولية صغيرة فقط، لتجعله يتحمل حملا قليلا، لكن لا يمكن أن يكون ثقيلا جدًّا. لذا قالت فقط: "أعرف أنك تحب الكمان". وهذا حركه بالفعل. لقد انتُدب من قبل في الفرقة الفنية بشمال شوتشو لعزف المقطوعة الشهيرة "البطل الصغير للسهول" لمدة شهرين، وعلى الرغم من عدم اكتمال تلك الفرقة الموسيقية اكتمالا تامًّا، لكنها أوركسترا. أضيف صوت كمانه للداخل، فتداخل من قبل الآخرين، وتداخل مع الآخرين أيضًا، فتأثر حقًّا. بالأخص حين يكون الكمان منفردًا بعزفه للسولو، فتهتز الأوتار كلها مصدرة رنينًا من أجله، ويصدر البيانو أصواتًا تتابعية ترتد معه، وسمع صوت عزفه ينتقل عبر مكبرات الصوت، ويملأ القاعة بالكامل، والقاعة هادئة تمامًا، حينها يفخر بنفسه.
لقد غرق وسط ذكرياته، ولم تزعجه هي أيضًا، وخرجت بهدوء، وتركته، أما هو فلم يهدأ ثانية. وفي الوقت الذي وصل فيه للهياج، عانقته داخل حضنها، وشجعته بكلام رقيق جدًّا، وهدأته، وأمدته بالقوة والراحة أيضًا. قالت إنه لا يوجد شيء لا يقهر،

لنذهب ونجرب، وإذا لم ننجح فليس عليك شيء، نحن هنا سعداء، أليس كذلك؟
لقد فتحت الطريق الخلفي الواسع، وانتظرته حتى هدأ، لكنها سلمت له مسئولية صغيرة دون شعور: "إن الأطفال هناك سيتلقون تعليمًا أفضل". هذا أيقظ عنده شعور مسئولية الأب، وعلى الرغم من ثقله، فإنه يشعر بالفخر أيضًا. طمأنته ثانية، وخففت عنه، وفتحت له الطريق الخلفي، كما أنشأت خطًّا أماميًّا. لقد ملكته المسئولية كاملة أخيرًا تدريجيًّا، لكنها لم تفزعه. فقرر مترددًا:
"سأذهب مرة. أتذهبين أنت أيضًا؟".
قالت "بالطبع سأذهب"، "لنذهب معًا ونتنزه، قيل إن هناك جبلا يملك تاريخًا ضئيلا".
إنه يشعر بالملل، ولا يوجد لديه رغبة في التنزه، لكن ليس هناك طريقة للتراجع أيضًا.
وفي يوم العطلة، ذهبوا سرًّا دون إخبار أي شخص. خرجوا من الساحة، وعبروا الغابة المشجرة متجهين إلى محطة القطار. انعكست أشعة شمس الصباح واجتازت أوراق الشجر ودخلت، فأشرق مزاجه فجأة ، ودندن مقطوعة صغيرة.
لقد رأت كل شيء، وفكرت:
إنها بشارة خير.
دقت صفارة الميناء جانب النهر، وسألت الحفيدة الصغرى:

"جدتي، ما ذلك الصوت؟".
فأجابتها الجدة: "صوت السفينة".
سألت الحفيدة الصغرى: "أي سفينة؟".
فقالت الجدة: "السفينة التي ستعيد الأب للمنزل".
قالت الحفيدة الصغرى: "قالت أمي إن أبي سيعود بالقطار".
فوافقتها الجدة قائلة: "نعم بالقطار".
أخذت الحفيدات يلعبن لعبة الدائرة إكس الكبيرة على الأرض الحجرية المليئة بالطحالب، فرسمن دائرة بالساحة وحرف إكس كبيرًا.
إن الحب في الواقع حرب، تلك الحرب أبدية وشرسة حقًّا.
يتقابل الاثنان وجهًا لوجه صباح كل يوم، ووجهها طبيعي هادئ، ثم يمران جنبًا إلى جنب، فيصبح داخلهما صاخب. وبعد شهر، لم يتطور أي شيء ولو قليلا، إنه لا يعرف ما تحمله داخلها بالتحديد، وهل نجح التكتيك في النهاية أم لا؟ وهي لا تعرف أيضًا ما يفكر به. أي نوع من الرجال بالتحديد، حين يراها يمكنه أن يكون هادئًا هكذا على عكس المتوقع. إن قلبها يكرهه كثيرًا، لكن ليس به حيلة كذلك. فهو الرجل الوحيد الذي يثير كرهها ويجعلها دون حيلة طوال العشرين عامًا من عمرها. يعد هذا المزاج الكاره عديم الحيلة جديدًا بالنسبة إليها، فأثارها أكثر. لقد أقسمت عدة مرات على مضض، أن سيأتي يوم تجعله يركع تحت قدمها. ومن أجل هذا الهدف، فكرت ليلة كاملة، وغيرت الطريقة. وفي اليوم التالي، غيرت برودها المعتاد، وأصبحت لطيفة بعض الشيء. وحين ألقت عليه التحية، أبقت عينيها في عينه قليلا، فتركت بعضًا من المتعة، ثم أنزلتها وذهبا. كان هذا اليوم كالعيد بالنسبة له. فتمده عيناها كل يوم بالمتعة، وتراكمت يومًا بعد يوم، فلم يتمكن من تمالك نفسه، وحين يرى نظراتها ثانية، يظهر تجاوبًا، لكنها تعيد عينيها، وتبتسم له ابتسامة صريحة ومهذبة. أصبح هذا اليوم عيدًا بالنسبة لها أيضًا. فقد فازت في الجولة الأولى، لكنها تشعر أنها خسرت شيئًا ما أيضًا. فبسبب مبادرتها في هذا الشيء، فقدت وقورها، وكشفت عن عواطفها، وبعد أن فرحت أصابها الاكتئاب، فإما لا تفعل شيئًا ببساطة وإما تفعله للنهاية، فاستمرت وبدأت هجوم الجولة الثانية. رأى نظراتها في هذا اليوم تحمل حزنًا غير مفهوم، أثاره هذا الحزن أكثر من ذلك اللطف، وفرّحه أيضًا. وبسبب هذا الحزن القليل، شرب الخمر بعد عودته للمنزل. تنقل إليه يوميًّا القليل من الحزن، وأصبحت شاحبة تدريجيًّا، وجعلها هذا اللون الشاحب تزداد جمالا وتأثيرًا في الآخرين. فاكتأب هو أيضًا وكأنه يجيب على حزنها، ففرحت هي على النقيض، وامتلكت ملامحها ندرة لم تكن موجودة من قبل، وسارت للأمام بحيوية، وكأنها تريد اللحاق بموعد مع السعادة. تشبثت عيناه بنظراتها، فقضت اليوم الأول بسعادة بالغة حقًّا. وقد فازت بالجولة الثانية أيضًا. لكنها تذكرت أنها من بدأ الهجوم، فلم تجد مفرًّا من الارتياب الذي يلحق بمبادرتها، فاكتأبت مرة أخرى. ومن الجيد أنه أظهر في النهاية مشاعره ليعوض هذا، هكذا لم يصبح الأمر مهينًا جدًّا، لكن يمكن اعتباره تعادلا مع المنافس فحسب. إن متطلباتها قاسية جدًّا تجاه نفسها في هذه الناحية. لذا بدأت التكتيك لصراع الذهاب والإياب.
ما زال الأمر لم يتقدم تقريبا، فقط فهم قلبهما شيئًا ما، ألا وهو أنهما أصبحا منافسين. وبما أنهما أصبحا منافسين، لم تعد العلاقة بينهما عادية طبيعية

ثانية. وبتذكر هذا، يفخر الاثنان بعض الشيء. لكن حين يتذكرا أن الآخر كشف الأمر، يغضبان بعض الشيء. لقد فكر أن هذه الفتاة من الصعب الحصول عليها، لكن قلبه يحبها كثيرًا، ويحلم بها ليلا وهي داخل أحضانه، يعانقها لدرجة تصرخ لها عظامها. وحين يستيقظ يسمع أسنانه تتشاجر مع بعضها. وفكرت هي أن هذا الرجل نادر، وحرك قلبها دون شعور حقًّا، فكرهته بشدة، وعضت على شفتيها، عضت حتى تألمت، لكنها اعتقدت أنه يقبلها. واكتشفت فجأة أنه يقبلها، فغضبت كثيرًا، لكن لأن هذه القبلة في الخيال فقط، تضايق قلبها أيضًا. وحين تذكرت فمه المفلطح، وأسنانه المرتبة ناصعة البياض، قفز قلبها.
بعد ذلك، غير معروف ماذا حدث، فلم يعدا يتقابلان في طريق الذهاب للعمل فحسب، بل يتقابلان أيضًا بعد الانتهاء من العمل. بحلول الخريف أصبح اليوم قصيرًا، لكن الروتين اليومي لم يتغير. وفي وقت انتهاء العمل، تظلم السماء، كما أن ذلك الطريق خال من المصابيح، والناس به كثيرون. يمكنهم معرفة بعضهم بدقة، فإنهما يتظاهران بعدم المعرفة ويسيران. وبوصول الأمر لهذا الحد، فُهم كل شيء فهمًا شديدًا، ولا يحتاج سوى لجملة واحدة. هذه الجملة إما أن يقولها هو، وإما تقولها هي. لكنه لم يقل، وهي أيضًا لم تقل. فكل منهما ينتظر الآخر، كل منهما يجبر الآخر على قولها. تجمد الأمر هكذا، ويبدو عدم وجود أي أمل لحله، إلا إذا وُجدت فرصة إلهية.
في مساء أحد الأيام، سارا هما الاثنان فجأة على خط واحد مستقيم في طريق الانتهاء من العمل، وبسبب عدم الرؤية بوضوح، أو لأن قلبيهما لم يريا بوضوح، اصطدمت دراجته بها صدمة ليست خفيفة ولا قوية. وبمجرد اصطدامها، وبخها قائلا: "عاهرة"، وندم بعد توبيخها، فما الداعي لتوبيخ الناس، فإذا قال: "كيف تصطدمين بالدراجات وأنت تسيرين!"، لكان أفضل ويحمل معنيين. وكانت تخفي مشاعرها الحقيقية، وبمجرد توبيخه لها، ردت عليه على الفور قائلة: "أمك عاهرة، لقد ربتك عاهرة". وندمت أيضًا بعد توبيخها، فما الداعي لهذا الغضب السريع، وكأن هناك شيئًا يدور داخلها، فكان عليها الاتزان، فوقفت قائلة: "لم تصدم الناس بدراجتك؟"؛ فاحمر وجهه ورقص قلبه. لكنهما كانا يحملان داخلهما نارًا كبيرة جدًّا وطويلة جدًّا وساخنة جدًّا. لم يكن هناك وقت للتفكير، فنفسا عن غضبهما، ووقفا وسط الشارع يشتمان. وبسبب غياب الحكمة، وانعدام السبب، وعدم إيجاد كلمات مناسبة، شتما بعضهما بكلام بذيء. فالكلام الذي لا يقال عادة، لا يعرفان كيف تذكراه كله في هذه اللحظة، ووصل إلى فمهما، وشتما به بصورة متواصلة، فاندهش كل من في الشارع من الرجال والنساء والكبار والصغار. فقد ارتبك الجميع حين رأوا شابًّا مثقفًا جدًّا وأنيقًا، وفتاة جميلة يشتمان بعضهما بكلام يفزع الآخرين. ولم ينصحونهما بالتوقف عن الشجار، بل حدقوا بهما فقط. ظلوا يشتمون بصورة غير متوقعة! لقد ضربها على وجهها، فاحترق خدها، لكن تولد شعور بالسعادة، وردت عليه هي أيضا بألم. حينها فقط صاح المتفرجون استهجانا، وتقدموا لحجزهما؛ فدفعتهم صارخة: "في أي شيء يضركم ابن العاهرة! لتغربوا عن وجهي بسرعة!"، وفتح يداه وأمسك بها، وقال للجميع: "إنه أمر زوجين، فما شأنكم أنتم؟". ارتجف قلبها فجأة، ولا تعرف كيف سالت دموعها. فتفرق الجميع وهم يضحكون ويشتمون، وقد حل الليل تمامًا. لا يعرفان متى عانقا بعضهما بارتجاف وأصبحا كتلة واحدة، ولا يوجد أي كلام. هنا سطع القمر.

وفي المساء، عادت الفتاة إلى المنزل بزقاق جين قو، وقالت لأمها إنها تريد الزواج. ففزعت أمها، ثم بكت، دون أن تعرف لماذا تبكي. فلم تدعها الابنة تبكي، وأحدثت ضجة لتسحب غطاء اللحاف، وتصنع زيًّا جديدًا. فمسحت الأم دموعها، وفتحت باب الخزانة ودعتها لترى. إنها في الأساس خزانة مليئة بالستان والحرير، وفرتهم الأم طيلة حياتها، في البداية كانت توفرهم لنفسها، وبعد ذلك لم يعد لديها أمل، فوفرتهم لابنتها. فعانقت الابنة الأم، وبكت فرحًا.
في ذلك اليوم، حين سطع القمر، أرادت فتاة زقاق جين قو مغادرته.
لم يكن الأمر سهلا على الإطلاق كما تخيلوا، لكن التحرك لم يكن مؤلمًا إطلاقًا، كما استعدوا له فكريًّا. فبعد المرور بشجارات طويلة مستمرة، أصبح هناك تقدم تدريجيًّا. عينته الفرقة الفنية، أما هي فتواصلت مع شركة سينمائية بتلك المدينة. لقد فكرا جيدًا، إن هناك واحدًا فقط منهما يمكنه العمل في فرقة مسرحية، والآخر يبقى للاعتناء بالمنزل. كما أنها درست في البداية أوبرا بكين، فلن تفعل شيئًا سوى الغناء في الفرقة الفنية، وإن غنت سيتحول الغناء إلى لهجة أوبرالية بكينية. لقد أعطته فرصة العمل. فهي مستعدة للتضحية بأي شيء من أجله. فأي تضحية تتحول لسعادة غامرة لها. ولأن الفرق المسرحية بالمحافظة هي وحدات مملوكة جماعيًّا، فقد دفعت الكثير من التقلبات من أجل تحويلها إلى ملكية للشعب بالكامل. فأصدرت تعديلات اقتصادية تدريجيًّا، كما أصدرت تعليمات بنقل الأعضاء بالتدريج، نقلته هو أولا، ثم نقلتها هي. أقامت الفرقة حفلة وداع، وساعدهم الأصدقاء لربط الحقائب، لم يتبق سوى آخر ليلة، وفرش الاثنان على الأرض عدة ورقات من القش، ليصنعا بها فراشًا. استند هو على وسادة من الجرائد القديمة الملفوفة، وأخذ يفكر في حياته الجديدة التي ستبدأ. وبسبب عذاب النقل، فقد الكثير من الراحة والحماسة، ولم يتبق سوى أشياء تافهة فقط يفعلها هو كلها: المسكن، ترتيب أثاث المنزل، مدرسة الأطفال وحضانتهم، وغيرها. بعد الانتهاء من مناقشة هذه الأشياء، قال: "لولاك لما كنت انتقلت". وقالت هي أيضا: "لولاك، لما كنت انتقلت أنا أيضًا". كل ما قالاه كان كلامًا حقيقيًّا، فبعدم وجود الآخر، ما كانا نجحا. وبعد هذا النضال، أصبح لديهما سند. تبادلا العناق، ونظرا فلم يجدا ستارة، فاستخدما جريدة قديمة مؤقتًا لحجب النافذة الصغيرة. أنار نور القمر الجريدة، برموزها السوداء سطرًا سطرًا. لقد سمعا تقريبًا صوت حفيف أوراق الشجر التي تحركها الرياح بالغابة المشجرة خلف الساحة، وهناك آر هو يغني. حينها فقط أدركا الصعوبة البالغة لافتراقهما.
غدا، حين تسطع الشمس، سيغادران هذا المكان، سيغادران تلك الغابة المشجرة التي تحوي الكثير من الذكريات.
بدا شهر العسل وكأنه في حالة سكر. على الرغم من أنها اختلطت بالأولاد سنوات كثيرة، فإنها لم تتعد الحدود مطلقًا. واليوم، تقطعت جميع الحدود، ولم تتخيل من قبل أن داخل المنطقة المحظورة عالمًا ساحرًا هكذا. هذا هو الحب، هذا هو مذاق المرأة. ببساطة لقد عاشت كل هذه السنوات هباء، اختلط الفراغ بالأولاد كل هذه السنوات، صنعت نصف امرأة دون فائدة. وفي الوقت الذي شعرت فيه بألم حاد، شعرت أيضًا بسعادة لا تنسى، تقريبًا هذا هو الكشف عن جوهر الحب. وكأن هناك كونًا جديدًا فُتح، وعالمًا شاسعًا. إن لديها دورًا لانهائيًّا ومعركة ممتعة. سحرها لا ينتهي، ولم تتمتع بسعادتها تمتعًا كاملا.

يمكنها إظهار خدع محببة لا تحصى، تمدها هذه الخدع الناجحة بالفخر والغطرسة النهائية. اعتقدت في البداية أن هذه إجابة ولغز يمكن حله، ولم تعرف أنه لغز متصل لا نهاية له، واحد يليه الآخر، واحد متصل بالآخر. يوجد هنا الكثير من الحكمة، على سبيل المثال، فُتحت آبار حيوية جديدة، مياه حياتية، لا تنقطع أبدًا، وتملأ كامل جسديهما. إنها ممتنة كثيرًا لهذا الرجل، إنه الرجل الذي حطم على الفور خط حدودها، وجعلها تتذوق هذه السعادة. وإذا كان الوقت مبكرًا، لكان أصدر الجسد الذي لم ينضج بعد مقاومة تلقائية، وإذا كان الوقت متأخرًا، لكان القلق المفرط متعبًا جدًّا، ولا يمكن الاستمتاع بالسعادة بشكل كامل. فقد جاء في وقته، وكرر صحوتها حين بلغت الثانية والعشرين من عمرها. فالسماء تحبها حبًّا قويًّا. اندهش هذا الرجل من امتلاك هذه الفتاة لحياة حيوية وجريئة هكذا، يمكنها تقدير السعادة ومنحها إياه، كما تمتلئ بالإلهام، فدائمًا تمتلك طرقًا صغيرة غير متوقعة تشعر الناس بالنشوة. ووسط ذلك الوضع الساخن، فقد الاثنان التظاهر، وأظهرا مشاعر حقيقية. إنه يحبها حبًّا شديدًا، ولديه رغبة في تناولها، فكاد يكسر عظامها، فصرخت متألمة لكنها سعيدة فأثارته أكثر. لم تذهب مرارة عام كامل هباء، فقد وجد المقابل، لقد فكر متأثرًا. حتى في أكثر أوقاته إثارة، ما زال يملك عقلا باردًا. بدأ وضع خطة الخطوة القادمة، يسعى لجذب الفتاة. إنه يعلم جيدًا أن جذبها ليس سهلا كثيرًا. لكن جذب الفتاة بسهولة ليس له طعم إطلاقًا، فلا يثير الحماسة، كما لا يثير الحكمة.

إنه يحب هذه القوة التي ليس من السهل جذبها. إنه ليس من النوع المسالم من الرجال، فهو يملك طاقة وحكمة كبيرة جدًّا. وتعد الفتاة الماكرة مخرجًا جيدًا لهذه الطاقة والحكمة. ومن المحتمل أن يقضي حياته القادمة في هذا الصراع. وحين تذكر ذلك، تأثر كثيرًا، وهدأ أيضًا كثيرًا. لقد اعتادت على الحرية، فمنذ صغرها وهي تختلط بالأولاد، وحتى إن كان خارقًا، لا يمكنه أيضًا تقييدها وحيدًا. لذلك، لا بد أن يعطيها حرية، هذه الحرية كافية لجعلها سعيدة، مرحة، ولن تشعرها بالملل. يعلم إنه إذا تركها بإهمال شديد ستهرب، وإذا مسكها بقوة، ستكافح للهروب، فالأمر الوحيد هو عدم الإرخاء أو الإحكام، فيطلقها كما تشاء، ولن تهرب، وسيكون هذا جيدًا. لقد رسم لها عالمًا داخله في الخفاء، ونطاقًا محكمًا دائمًا، فيجعلها تمتلك أصدقاء رجالا كثيرين كالسابق. هناك الكثير ممن يحبون امرأته، لكن هذه المرأة ملكه هو فقط، فيعد هذا فخرًا كبيرًا جدًّا كذلك. فحصوله هو الوحيد عليها، وحب الكثير من الناس لها يعد فخرًا، لذلك، عليه المراقبة عن كثب وعدم السماح لأي شيء خارج ولو قليلا بالحدوث. أما هي فتراه سخيًّا جدًّا، وتشعر أنه رجل غير عادي، فتحترمه كثيرًا، وعلى الرغم من تقييدها بعض الشيء، فإنها موافقة على ذلك. كما أن السعادة التي كانت تملكها حين كانت فتاة، موجودة جميعها تقريبًا، بل وزاد عليها السعادة التي لا يمكن للبنت الحصول عليها. إنها تتزين، تتدلل، تغمز، فانتصر وحده تقريبًا على عشرات المتفرجين والمنافسين، عاشت معه برضا وأمان أيضًا. وفي السنة الثانية أصبح لديهما ولد صغير. لا يمكن أن تقول إنها تحبه، أو لا تحبه. تتألم حين تسمعه يبكي، وتسعد حين تراه يضحك، حين يمتص لبنها، يثار قلبها، فتطعمه لبنًا لا ينتهي، ويغلق عينيه فلا يسعها سوى تقبيله حين ترى شكله المسكين الخفي. لكن دائمًا ما تكره تعبها بسببه، فلم تسعد بشكل

كاف، لقد تزوجت للتو، ولم تكتف من كونها زوجة جديدة، وأصبحت أمًّا، فهي تكره انشغالها بعض الشيء، لذلك تقدر على التخلي عنه. فلا تشتاق إليه حين تحمله والدة الزوج عشرة أيام، ولا تذكره حين تحمله أمها نصف شهر. وحين تتطلع إلى صدرها الذي كبر بفعل الرضاعة، تتضايق قليلا، وتخاف من فقد جسدها الجميل.
شابهت في هذا الوقت، ببساطة، ثمرة ناضجة، كل من يراها يريد قطفها. تقف كل يوم على منصة الثمار الجافة، وتجذب الكثير من الحمقى والمتشردين. كان الرجل قلقًا كثيرًا، فقال إن هذا العمل شاق ومتعب كثيرًا، ويريد تغييره لها. ومن حسن الحظ أنه يعمل عملا تنظيميًّا، ويألف الناس بالمكان، ولا يعد تغيير العمل أمرًا صعبًا. وبعد وقت قليل، خلعت السترة البيضاء، وذهبت لقصر الثقافة للتسجيل، عملت فيه كاتبة. إن العمل بقصر الثقافة مريح ومشرف، فتكتب في كل يوم عددًا قليلا من الرموز، ثم تنسج الملابس. وعلى الرغم من عدم وجود عين التنين لتأكله، فإنه يمكنها ارتداء ملابس جميلة أنيقة يوميًّا. طلب الرجل من صديقه من شانغهاي أن يحضر له دراجة ذات عجلات صغيرة، حمراء اللون، ووضع في الأمام مرآة صغيرة، وثبت بها سلة صغيرة براقة، ووضعت هي أرنبًا صغيرًا قرمزي اللون، حين تركب الدراجة يهتز هزات متتابعة. ذهبت بعد انتهاء العمل إلى سوق الخضار، واشترت كرفسًا أخضر، ووضعته داخل السلة، مر الشرفاء على طول الطريق.
إنهم شرفاء المدينة، وفاسدو المدينة أيضًا. كلهم ينظرون إليها، فشعرت بالخجل قليلا بعد نظراتهم، وبصقوا عليها، فشعرت بالنقص المرير بعد البصق، ولا تعرف لما تشعر بالنقص.
لكنها لم تسأل عن هذه الأشياء، فتأتي صباحًا وتذهب مساء بجمال وسعادة، مثل الشمس تسطع في الصباح، وتغرب في المساء.
انتهى زخم عرض "عصابة الأربعة"، ثم انتهت قوة الفرقة الفنية أيضًا. لقد انتقل إلى هذا المكان نصف عام فقط، ثم انحلت الفرقة. فكانت مدتها منذ إنشائها حتى حلها ثمانية أعوام، فلم يكن لديها عمر "عصابة الأربعة" الذي بلغ عشرة أعوام. تفرق من في الفرقة الفنية في كل مكان، من لديهم الفرصة يبحثون بأنفسهم، ومن لم يملكها يتبعهم. وعلى الرغم من عدم وجود فرصة لديه، فإن سُمعة عزفه على الكمان انتشرت، ورغب قصر الثقافة في تعيينه؛ فذهب للعمل فيه مسئولا عن الفنون الشعبية.
يجلس داخل المكتب، ناظرًا إلى تحرك أشعة الشمس في الساحة الفارغة خارج النافذة، ويفكر، لقد مر بالكثير من المتاعب، وانتقل إلى هذا المكان، وكان ذلك من أجل قصر الثقافة.
ولدت الفتاة الثانية، وتبادل الأصدقاء المساعدة.
يوجد بقصر الثقافة أكورديون يحوي مائة وعشرين نغمة منخفضة ماركة "أحمر الشرق"، موضوع في زاوية لم يحركه أحد. فأخذه إلى مكتبه، يعزف عليه حال عدم وجود أحد. قدم الكمان، وأصبح صوته أبكم، كما خرب المنفاخ، وتداخل صوت الرياح بشكل كامل مع صوت الكمان الأبكم، وكأنه يتنهد. ضغط على مفتاح الكمان بخفة، واعتمد على فتح وغلق المنفاخ تلقائيًّا، فأصدر صوت صفير، فحزن قلبه. لقد انتهت علاقته بالكمان، هذا هو القدر، كما لا

يوجد حل. وما كان يعزيه هو بعدهم عن البلدة، ووصولهم لهذه المدينة متوسطة المستوى، وكذلك الوحدة المملوكة للشعب. تعمل الفتاة في مجموعة الدعاية بالشركة السينمائية، وبعد ثلاثة أشهر، وزعت الشركة سكنًا مكونًا من غرفتين وصالة. ولم يحصل الكثير من الموظفين الذين عملوا عشرات السنوات على مثل هذا التعامل من قبل، مما يوضح أن عملها وحظها كلاهما ممتازان.
التحقت الابنة الكبرى بالمدرسة الابتدائية، والتحقت الصغرى بحضانة الشركة السينمائية. وعلى الرغم من انعزاله عن الكمان، فإن عمله في قصر الثقافة مريح وآمن، فلا يحتاج إلى الخروج، تجنبًا لمرارة انفصال الزوجين. فبالحديث عن نفسيته، يمكن القول إنه راض جدًّا. إنه رجل لا يملك طموحات عالية جدًّا في الأساس، فنادرًا ما يفكر بما ليس لديه، فيكفيه العيش بسلام. دائمًا ما تراوده فكرة التراجع. وعلى الرغم من عدم وجود الكمان، فإنه غالبًا ما يلمس الأكورديون، فيشعر بالرضا أيضًا.
إن قصر الثقافة عبارة عن شقة مبنية حديثًا، أمامها مسرح قصر الثقافة، خارجه شباك التذاكر، ووُضع لوحة إعلانية كبيرة ولوحة صغيرة تعلن عن الأفلام. يوجد أسفل الإعلان باب حديدي صغير، معلق عليه علامة كبيرة تدل على أن هذا مكان قصر الثقافة، وبسبب نشر الإعلانات، دُفنت هذه العلامة الخشبية ولم تعد تُرى. وبالدخول من الباب الحديدي نجد ساحة عريضة كبيرة، ومبنى من طابقين. يوجد بالمبنى مكتبة، وغرفة اللعب، وغرفة للتدريب وغيرها، كما يوجد عدة مكاتب للمسئولين. وبالمرور بباب صغير أسفل المبنى، ومرورًا بالمطبخ وغرفة البواب، نجد ساحة صغيرة جدًّا، وهناك جناح صغير بالشمال مواجه للجنوب، عبارة عن مكاتب. والمجموعة الفنية الجماهيرية التي يعمل بها هي واحدة من ضمنهم، وبه شخصان هو واحد منهما. إن المكاتب وُضعت في الأصل مواجهة لبعضها، لكنه لا يحب الجلوس بقرب شخص غريب وجهًا لوجه، فتحجج بمشكلة أشعة الشمس، ووضع مكتبه ناحية الغرب، واضطر ذلك الشخص أيضا لوضع مكتبه ناحية الجدار الشرقي، ومنذ ذلك الحين أصبح الاثنان في ظهر بعضهما، يجلس كل منهما مواجهًا للحائط، حينها شعر بالراحة والاسترخاء. يوضع أسفل الجدار الغربي زاوية شبيهة بمنزله، وعلى المكتب رف صغير من الكتب، وحبل صغير مسحوب، ومنشفة للتجفيف، ويوضع على النافذة علبة من الصابون، كما يقوم بزراعة نبات الهليون في وعاء. ومضغوط أسفل اللوح الزجاجي لوحة من المناظر الطبيعية، مرسوم عليها حقل ورعاة، تدل على عالم شاسع. إنه مواجه لكل هذا، فنسي كل شيء خلفه.
إن العمل هنا موجود إذا أردت فعله، وغير موجود إذا لم ترد، لكنه يفضل قلة العمل على كثرته، فيفضل مرارة الملل، ولا يفضل البحث عن شيء يفعله. لذلك، لا يوجد لديه عمل سوى تدريب شخص أو اثنين ممن يهوون عزف الكمان في أوقات الفراغ التي لا أمل منها. إنه لا يفهم تقريبًا ما هي مسئوليات منظمة الفن الجمهوري. ويقول له زملاؤه: "لا تنظر لفراغ هذه اللحظة، فستنشغل عند عروض الجماهير". لكن هذه العروض لم تُر ولو مرة من قبل. فحاليًا، تلاحق المصانع الريفية كلها الإنتاج، فهذا ليس موسم الفن الجماهيري، وهو أيضًا سعيد بذلك الفراغ، وغالبا ما يعزف على الأكورديون.

يشبه صوت الأكورديون البكاء، لكنه ينتقل عن بعد. بالأخص عند الظهيرة الهادئة، فيسمعه كل من في الساحة تقريبًا.
توضع آلتها الكاتبة بغرفة صغيرة ناحية الشمال بالمبنى الثاني، ونافذتها مواجهة للساحة، فتسمع صوت العزف بوضوح. تجلس هي على مقعد مرتفع أمام الآلة الكاتبة تنسج الملابس، وحين سمعت صوت عزفه، أدارت رأسها لتنظر. أحيانًا يُفتح ذلك الباب، فترى رجلاً نحيفًا شاحبًا يجلس مواجها للجدار، إن وضعية عزفه غريبة جدًّا، فتنام رأسه تقريبًا على المنفاخ، وكأنه مستغرق في النوم، ولا يتحرك. يرن الكمان، وعلى الرغم من صوته الأجش، فإنه رقيق جدًّا. أدارت المقعد الطويل، وواجهت الساحة، وكأنها ترى مسرحية. وما زالت يدها تنسج سترة بسرعة كبيرة، ولا تخطئ أبدًا في الغرزة، كما تنسج رسمة معقدة، وبعد عدة أيام أصبحا سترة. وحين ترتدي شكلاً جديدًا، تقطع القديم إلى خيوط، وتغسلها وتجففها، ثم تبدأ بنسج شكل جديد مرة أخرى. لكن بعد أسبوع، تستبدل واحدة جديدة. هكذا ترتدي ملابس جديدة بلا انتهاء، وتغير أشكالا لا تنتهي. سقطت "عصابة الأربعة"، وكان هذا أسعد شيء بالنسبة إليها، فتزينت وعبرت الطريق الشاسع. تسريحة شعرها، ملابسها، زينتها، غنية بالألوان، وتتغير يوميًّا، مما يدعو الناس لملاحقتها دون القدرة على التنفس، حماسية وقلقة أيضًا. لقد تضاعفت حماسة حياتها، كما اكتملت حكمتها وحيويتها. إن لديها حساسية خاصة تجاه كل الأشكال الجديدة، كما أنها تفهم كثيرًا كل شيء، ولديها جرأة للابتكار، لذا على الرغم من الموضة الراقية، فإنها تجعل الناس لا يعرفون مطلقًا أي موضة تتبعها. فهي متجددة دائمًا، ولا توافق أن تشبه أحدًا على الإطلاق. هناك من نسج من قبل ملبسًا مشابهًا للملبس الذي نسجته جديدًا، فقامت على الفور بفك ما نسجته للتو. وبعد قطعها لسترتها، شعر الآخرون فجأة بقبح ملبسهم ومللهم حين ينظرون إليه. إن النساء تحب الملابس، تحب دائمًا ارتداءها على الآخرين، وليس على أجسادهن. لكن لديها ذكاء يختلف عن الآخرين، مثلما يقرأ الأوركسترا النوتة الموسيقية، فيرن صوت الموسيقى جانب الأذن، حين ترى قطعة من القماش، يظهر أمام عينيها فجأة ملبس تحول من هذه القطعة القماشية، وكذلك وضعية مناسبة لارتدائه على جسدها. أما في ناحية تعليم المرأة، فتملك قوة خيالية كبيرة. فدون تجديدها، لكان من المحتمل تراجع هذه المدينة تراجعًا كبيرًا.
لديها شعر طويل جدًّا، نصف مُصفف. وفي الوقت الذي كان شائعًا فيه ترك الشعر على الكتفين في الشارع، كانت هي تقسمه من المنتصف، وتضفر ضفيرة بإحكام ملتصقة بجلد رأسها، ومتدلية خلف ظهرها، فتظهر بسيطة ولطيفة، كما تظهر جمالها الزاهي وسط من حولها. أما تلك الشعور المتروكة بالشارع فتظهر بشكل فوضوي عبثي، وكأنهم خارجون من غرفة الاستحمام. تُدلي ضفيرة خلف ظهرها، وترتدي سترة صوفية بترولية، وسروالا طويلا بترولي اللون، وحذاء جلديًّا بترولي، وترتدي في رقبتها التي تظهر قليلا عقدًا بخرز أحمر. إن الخرز الأحمر بالعقد زجاجي ورخيص، لكنه يظهر على رقبتها جميلا لافتا للأنظار، ويقوم بدور اللمسات الجميلة النهائية. إن الأشياء التي ترتديها لا يمكن حسابها بالمال مطلقًا، بل يمكن حسابها بمعيار واحد فقط، ألا وهو: جميلة أم قبيحة. تنسج يدها سترة صفراء اللون، وتستمع أذناها لصوت

الكمان، وتنظر عيناها للرجل الذي يقف عند باب الساحة ويشبه الحالم، وتشعر أنه شيق جدًّا، فتفكر داخلها، لمَ لا تذهب خلسة، وتفزعه. فسعدت قليلا بهذا التفكير. ولفت خيوط السترة، وغلفتها معًا، ووضعتها تحت إبطها، وخرجت من الباب ونزلت. مرت بالمطبخ وغرفة البواب، وعبرت الساحة الفارغة، وسارت تجاه ذلك المكتب.
أبطأت من خطواتها حين وصلت أمام الباب، وما زالت تفكر كيف تفزعه، فلم تفكر في طريقة بعد وقد وصلت بالفعل عند المدخل. لم يشعر بها مطلقًا، فرأسه متدلية، وأصابعه تلمس مفاتيح الكمان وكأنه يسبح بالحلم، يلمسها ويصدر أصواتًا متتالية، فتكونت مقطوعة جميلة. أما هي فلم تتحمل إفزاعه، فاتكأت على إطار الباب، وأخذت تنسج في الخيط الموضوع أسفل إبطها غرزة تلو الأخرى.
وقف قليلا، ورفع رأسه، فرآها، واندهش قليلا، وسألها: "تبحثين عني؟".
فهزت رأسها بجدية: "نعم أبحث عنك".
فوقف، وهو يغلق الحزام الجلدي للمنفاخ.
لقد أدخلت الإبرة التي انتهت من نسجها في شعرها مرتين، ثم أخرجتها، ولفت خيوط النسج لفتين بإصبعها الصغير، وقالت: "سمعت عزفك".
فجلس، وفتح الزر ثانية، فتدلى المنفاخ على الفور، فلمه وضغطت يده اليمنى على لوحة المفاتيح، وقال: "أعزف بعشوائية".
"أستمع إلى عزفك العشوائي". قالت هذا وخطت عتبة الباب، وسحبت مقعدًا بنفسها وجلست.
"هكذا لن أجرؤ على العزف بعشوائية". وضع لوحة المفاتيح، وكأنه تعب، كما وضع الحزام الجلدي على كتفه.
قالت: "متواضع".
فضحك: "ليس متواضعا. أنا لا أعزف الأكورديون في الأساس. فقد درست الكمان".
قالت: "أعلم". وقعت الكتلة الخيطية، وتدحرجت أسفل المكتب، فاضطرت للذهاب لأخذها. ركعت نصف ركعة، ومدت ذراعها الطويل أسفل المكتب، وحنت رقبتها، وأنارت أشعة الشمس المنعكسة غرب النافذة نصف وجهها الجانبي، وعكست المحيط الخارجي بصورة جيدة. التقطت كتلة الخيط أخيرًا، ونفخت فيها بفمها، ونفضتها بيدها، ثم جلست وواصلت النسج.
"تنسجين سترة صوفية؟" سألها، إنه يبحث عن كلام يقوله، ولم يبدو عليه التوتر، وقد عنفته على غير المتوقع:
"ألا يمكنني نسج السترة الصوفية وأنت تعزف؟".
فسارع للتفريق قائلا: "لم أقصد هذا"، لكنه حين يتذكر كلامها يشعر بالتعسف حقًّا، فقد قالت كلامًا غير معقول بثقة تامة، فببساطة لا يمكنه لومها على شيء. فشعر بالسخرية قليلا، وخاف أن يضحك فيغضبها، لذا خفض رأسه واستمر في العزف. يرن صوت العزف على نحو متقطع. إن المكان حولهم هادئ جدًّا، ولا يوجد أحد بالمكتب المجاور، فقد خرج الجميع.
قالت: "إذا عزفت فاعزف بشكل جاد، لا داعي لتكون هكذا، وكأنك تتشنج".
فطوى المنفاخ، وبدأ عزف مقطوعة ثانية عزفًا جديًّا. فكر داخله أنها تتحدث وكأنها تُصدر أوامر. تلك الأوامر تقولها بطريقة طبيعية جدًّا، فتجعل الناس غير

قادرين على مخالفتها.
تنسج السترة الصوفية بسرعة كبيرة، وتحدق ليده. تنظر لليد اليسرى واليد اليمنى، ثم تنظر لليد اليمنى بعدها اليسرى، ولم تتحدث كثيرًا. وبعد انتهاء المقطوعة، قالت: "أعتقد أن الأكورديون هو أصعب الآلات الموسيقية".
سألها: "لماذا؟".
فقالت بلا جدال وكأنها حقيقة: "فكر، تعزف اليد اليمنى، كما تعزف اليد اليسرى أيضًا، كما يجب سحب ذلك المنفاخ. فاليدين يقومان بثلاثة أشياء، لذا هو الأصعب".
لم يتمالك نفسه من الضحك. فينظر إليها ويدها تنسج بسرعة فائقة، وبعد انتهائها من نسج غرزة، تدخل الإبرة في شعرها، وتبدأ العد: "واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة...". وعلى الرغم من أنها لم تره، فإنها تعرف أنه بالتأكيد ينظر إليها. وعلى الرغم من عدم إحصاء الرجال الذين قهرتهم، فإن النظرات المحببة تدعوها للفرحة، أخذت تعد الغرز ببطء: "أحد عشر، اثنا عشر، ثلاثة عشر، أربعة عشر...". تعمدت العد ببطء، حتى تبقي النظرات لفترة طويلة، فهذا نوع من الاستمتاع.
ولكن نظراته لم تجرؤ على البقاء فترة طويلة. فقد أضحكه كلامها الهزلي كثيرًا تلقائيًّا. إن التفوه بكلام هزلي يعد حكمة للمرأة، فالمرأة التي تتفوه بكلام حكيم دائمًا، تكون في الواقع حمقاء جدًّا. يخفض نظراته تارة، وينظر إليها تارة أخرى، وشعرها الأسود بفرقة بيضاء كالثلج المقسم على الجانبين، لم تتوقف عن إدراج الإبر الخيزران بشعرها دون مبالاة. وحين رفعت رأسها بعد الانتهاء من عد الإبر، تفادى عينه وعزف مرة أخرى.
ولكنها ليست من النوع الذي يمكنه الاستماع للعزف بهدوء. وسبب سماعها له في الأساس وهي جالسة أمام الآلة الكاتبة نابع من الملل ونفاد الصبر. أما الآن فيوجد شخص، يوجد رجل أمامها، فتريد التحدث. "من أين أنت؟" قاطعته، دون أدنى اهتمام بالأدب.
فأخبرها من أي مكان هو.
وسألته: "هل والداك على قيد الحياة؟".
اضطر إلى إخبارها.
"كم عدد إخوتك وأخواتك؟ هل جميعهم يعملون؟".
قال لها. ولأن إخوته وأخواته كثيرون جدًّا، فأخذ يتحدث وقتًا طويلا جدًّا، لكنها كانت تسمعه دون صبر، فقاطعته، وذكرت المسألة التالية. لم يعد أمامه سوى التحمل، فلم يعارضها، وشعر أن هذا أمر طبيعي جدًّا. وبسبب حيويتها، أصبحت الظهيرة الهادئة صاخبة بعض الشيء. انتقلت أشعة الشمس تدريجيًّا، ودق جرس انتهاء العمل، فوقفا، واستعد كل منهما للعودة إلى المنزل. سارت أمامه للخروج من الباب، سارت بسرعة كبيرة أمامه، وتعرف أنه خلفها بمسافة ليست بعيدة، وتعرف أنه ينظر إليها، كما تعرف أنه يحبها، فسعد قلبها كثيرًا. لقد تعمدت السير بعظمة، وكأن هناك مهمة طارئة تنتظرها، فلم تعد تهتم بحديثه، وصعدت الدرج مباشرة. لم يهرب اصطناعها الطبيعي الصغير هذا من عينيه، وظل بداخله شكلها الحيوي، مما جعله سعيدًا سرًّا أيضًا.
وبعد عدة أيام، انتهز فرصة خروج من معه بالغرفة، ولمس الأكورديون ثانية، وأخذ يعزف قليلا، فجاءت مرة أخرى. وبسماع مجيئها، جاء من في المكتب

المجاور، وأخذوا يتحدثون معها، فدارت أحاديث صاخبة جدًّا داخل المكتب. لم يتدخل في الحديث، فكان يعزف بخفة، لكن أذنيه تستمع لجدالها وحدها مع العشرات. لم يتعكر مزاجها، ولم تغضب، كما لم تقل شيئًا غير متوقع. قال الناس:
"طلت الأميرة ووصلت للعالم البشري!". يسمي الناس مكاتب المسئولين بالدور الثاني الطبقة العليا، والغرف في الساحة بالطبقة الدنيا. أجابته بتأن: "أريد المغادرة، ألن تسمح بذلك؟".
"كيف يمكن، أتريدين بسط سجادة حمراء، وهناك زهور أيضًا؟".
فضحكت قائلة: "أريد، هل لديك؟". ومن جانب آخر تنسج السترة الصوفية بسرعة.
فغير الحديث وقال: "كيف تصنعين ضفيرة كبيرة وتتزينين كأهل القرى، أهي رجعية؟".
فقالت: "أحبها، ألا يمكن؟".
"كيف لا يمكن؟ غدًا اصنعي سترة زهرية كبيرة".
سألته: "هل ستحضر القماش نيابة عني؟".
فعين ذلك الشخص فخًّا لها قائلا:" أريد إحضاره، لكن بأي صفة؟".
فقالت دون شعور: "لا بد أن يتبادل الأصدقاء المساعدة".
يثير المرأة بلذة، إنها تحب اقتراب الجميع منها.
لم تكن عدوانية مع الناس، كما لم تفعل أي شيء لم يسامح عليه، ولم تنتفع من أحد، كما لم تتكبر على أحد. يتعامل معها الناس من جانب، ومن جانب آخر يتمتعون بها أيضًا بطاقتهم وعقولهم، ويحبونها. وإذا وجدت حرب كلامية، ترغم الناس على عدم اللحاق على صدها، وعلى العكس، تهمل الأشياء الأكثر أهمية. كما تدفع الناس للتراجع. إنها لا ترغب في إرجاع الناس، لا ترغب في إبعادهم عنها، فهي تحب اقتراب الجميع منها. لذلك، لديها القدرة على المجادلة، والتعاطي مع مجريات الأمور، فيسعد الجميع، وينادونها أسفل المبنى لتجلس، فيعتبرونها برنامجًا.
لكنه لم يعتد تمامًا. فحين يرى الجميع يتلذذون بإثارة امرأة، وهذه المرأة تتلذذ كذلك، وتجادلهم وجهًا لوجه بجرأة وسعادة، يشعر بعدم الارتياح كثيرًا. لكن حين يراها بريئة هكذا، وطبيعية كهبوب الرياح وتدفق المياه، يلين قلبه ثانية، وكأنه غير قادر على كرهها. خفض رأسه أكثر عمقًا، وأخذ يعزف لحنه. لكن قلبه يشعر بظلم غريب، من الواضح أنها جاءت حين سمعت عزفه، والنتيجة أنها أسعدت الآخرين. إنه لا يفهم لما يشعر بهذا الظلم، فيشعر بسخافة كبيرة، فقمعه بكل قوة. وعند العودة للمنزل فور انتهاء العمل، وفي وقت العشاء، قال للفتاة إنها غبية، وغير مهيبة إطلاقًا، فيسخر الناس منها، وتسعد بذلك أيضا، إلخ. فشعر بالراحة حين انتقدها، وكأنه غير خجول جدًّا. سمعته الفتاة، فقالت باستخفاف فقط: "كل شخص له مزاجه، إذا لم تعتد على أحد، فيمكنك تقليل الاهتمام به". فشعر بالملل ثانية، وخفض رأسه ليتناول الطعام. وفي المساء صعد على الفراش، وعانق المرأة، وفكر فجأة بصورة غريبة: ماذا سيكون الشعور وهي في حضنه؟ وسال عرق خفيف بجسده دون شعور، ولم يعد ذلك الحضن طبيعيا ثانية. ومن أجل التغلب على عدم الطبيعية هذه،

عانقها بإحكام أكثر، فردت عليه المرأة بعطف أكثر. فهدأ تدريجيًّا، ثم استغرق في النوم.
وبعد ذلك، على ما يبدو أنها اعتادت على عتبة الباب، فدائمًا ما تأتي للجلوس، ومعها خيوط صوفية تتغير دائمًا وتنسج أنماطًا لا تتكرر دائما. تستمع إلى عزفه، وبعد قليل لا تتحمل الاستماع، فتقاطعه وتتحدث معه. وبمجرد انتقال صوتها، يجتمع الرجال من جميع الغرف وكأنه بوق، ويحيطون بها ويتحدثون معها. حينها يحصل على وقت لمواصلة العزف، فيتداخل صوت العزف مع صوت صفير المنفاخ ويجيبها بهدوء. إنها تشعر بالسعادة دائما بهذه الإحاطة، وما ينقصها هو عدم مشاركته في الإحاطة من قبل. لكنها لا ترغب في أي نقص، فتعمدت الخروج من الدائرة والذهاب للحديث معه:
"خبير في الأكورديون لا يتحدث مع العامة؟".
فقال: "أنا أيضًا من العامة". أجبر على هذا، ولم يعد أمامه سوى هذه الإجابة، وإلا سيبدو وكأنه خيب أملها.
"إذًا، كيف لا تتحدث معنا؟".
"لن ألاحقكم في الحديث". ما قاله هو الحقيقة.
"أنت متواضع! التواضع الزائد عن الحد يعتبر غرورًا". وتحدثت إلى ما لا نهاية.
لم يكن لديه كلام يعارضها به، فكان في محنة كبيرة، لكنه بدا وكأنه يشعر بشرف بعض الشيء. لأن الجميع يبحث عنها للتحدث، ولا تبادر للبحث عن شخص للهجوم عليه سواه. لكن بسبب عدم خبرته في هذه الناحية، وعدم وجود سياسة مقابلة، لم يكن أمامه سوى التراجع بأسف شديد. يصيح الجميع، فتشعر بالفخر، فإنها ما زالت لم تستمتع بعد، فتثير هجوم الجولة الثانية، وتترك الجميع في جانب. فشعر الناس بخيبة أمل، فوقفوا لحظة، ثم خرجوا على التتابع، وعادوا لمكاتبهم، ولم يتبق سواهما.
غادر الجميع، وشعرت هي بالراحة، وغيرت موضوع الحديث، وأخذت تسأله أسئلة عادية، سألته أين تعمل زوجته، وكم عدد أطفاله، أهم أولاد أم بنات، إلخ. هدأ هو أيضًا تدريجيًّا، ولم يعد يشعر بصعوبة، وتحدث الاثنان بهدوء بالغ. انعكست شمس الغروب داخل النافذة، وساد جو دافئ، وتأثرا دون أن يشعرا. دق جرس انتهاء العمل، فوقفا واستعد كل منهما للعودة للمنزل، ووقت الافتراق بدا وكأنهما يشعران بالحرج قليلا، ولم يتمكنا من قول أي مبرر.
وبعد يوم، جاء شخص إلى مكتبه يطلب منه سرًّا الحذر. فسأله دون أن يفهم، يحذر من ماذا، وكأنه لا يفهم، واحمر وجهه قليلا. فحكى له ذلك الشخص الكثير من قصصها، كلهم بالأسماء والزمان والمكان. بداية القصة لا تخرج عن حبها لشخص ما، والنهاية دائما تركها لذلك الشخص. باختصار، إنها تشبه الجنية التي تغري الناس، فإنها تعذبهم، وليست صادقة على الإطلاق، فيكون مجرد لعبة. فإذا دخل شبكتها، لن تكون هناك نهاية حسنة، لن نذكر تدمير السمعة، فسيكون هناك خطر كبير أيضًا على الحياة. كل تلك القصص ملتوية لكنها مميزة، حلوة لكنها ضارة أيضًا، فتصيب الناس بالقشعريرة. سمع لحظة، ثم سأل فجأة، بما أن الجميع يعرف عنها هذا، لما يحبون المزاح معها، ولا يتجنبونها بعيدًا. إن ذلك الأمر محرج جدًّا، وأوضح له مترددًا: لكن المزاح معها يفرح، لكن القلب يتوخى الحذر منذ وقت بالفعل. كما قال، أخبرك لمصلحتك، وهكذا. وبعد انتهاء الحديث، غادر غاضبًا.

جلس في ركنه، ونظر إلى صورة المنظر الطبيعي المضغوطة أسفل اللوح الزجاجي وسرح، وداخله فوضوي قليلا، كما أنه غاضب بعض الشيء، ولا يعرف لماذا هذه الفوضى، كما لا يعرف لماذا هذا الغضب. تحول الحقل المرسوم على اللوحة تدريجيًّا إلى وجهها الممتلئ، بانحراف ضئيل. وخطوط جبهتها جميلة جدًّا، وكوَّن حاجباها وأنفها صورة ظل جميلة، وفمها يتحرك قليلا، ويتفوه بكلام غير معروف وغير معقول. وعيناها يلمعان دائمًا ببريق يجذب الناس دون اكتراث. شعر بالغضب بعض الشيء، وتحركت يده بخفة على اللوح الزجاجي، تحركت ناحية ظلها، وكذلك الحقل الأخضر الموجود في الأساس. يعكس الحقل خلف اللوح الزجاجي ملامحه سرًّا، شاحبًا ونحيفًا، ويشعر بالوهن قليلا. مسح الوجه بقبضة يده، وتدفقت داخله مشاعر غير مرضية إطلاقًا، فاستاء بعض الشيء. انتقلت أشعة الشمس وكأنها لم تتحرك، وحلت الظهيرة دون أن يشعر، ودق جرس انتهاء العمل. فوقف وعاد للمنزل ليتناول الغداء، وفكر داخله، إن الحياة تتلاشى دون قيمة كبيرة. ثم سار للمنزل بحزن وعجلة. عاد إلى المنزل، وكان الأطفال قد انتهوا من المدرسة، وأخذوا يتقافزون على المطاط أسفل المبنى، وزوجته عادت للتو، تفتح باب المطبخ حاليًا. فغسل الأرز، وقطع الخضروات، وصنعا الطعام معًا، ثم نادى البنات ليتناولوا الطعام معًا. بعد الانتهاء من الطعام، أغلق عينيه قليلا، وحان وقت ذهابه. ففتح عينيه، وأغلق فمه بإحكام ليقمع التثاؤب المتدفق دون انقطاع، قمعه حتى سالت دموعه.
تشبه شمس الظهيرة إناء من النيران متعلق بقلبه، فقمع تعبه وسخونته، وسار مسرعًا إلى قصر الثقافة. دخل الباب، وعبر الحديقة، حتى وصل إلى الممر المظلل بالمبنى، حينها استرخى، وهب تيار هوائي على جسده، ودخل جميع المسام ببرودة. ففاق قليلا، ونظر مرة أخرى إلى الشمس الساخنة التي لا تتوانى بالساحة الأمامية، وأراد الراحة قليلا. في هذا الوقت سمع صوت دراجة تدق في الخلف، فأدار رأسه ليرى، فرآها توقف الدراجة، وتستعد لصعود المبنى. كانت ترتدي قبعة من القش واسعة الحواف، ووجهها أحمر يفعل أشعة الشمس أسفل قبعة القش، وترتدي قميصًا مزهرًا بالكامل، أكمامه ضيقة وتصل حتى المرفقين، فتغطي ترقوتها الدائرية الصلبة. تذكر تحذير صديقه بالصباح، فشعر قلبه بالقلق، وانتابه توتر قليل، وحين فتح خطاه ليسير تجاه الشمس، أدارت رأسها على غير المتوقع ، ورأته. وكأن نظراتها تملك سحرا يوقف الجسد، فلم يتمكن من التحرك ثانية، ووقف يتنفس، وابتسم بحرج. لكنها تكاسلت جدًّا، وفكت رباط قبعة القش، ثم خلعتها، وتنهدت:
"ألم يكن هذا منتصف الشهر الخامس؟".
فأجابها بعجلة: "نعم، إنه منتصف الشهر الخامس".
"إن حرارته كحرارة الشهر السابع". قالت وهي تحرك الرياح بالقبعة القش أمام صدرها، فلمست جسده، وصعدت أعلى المبنى. هبت الرياح عليه، حاملة نكهة خاصة، لم تكن صابونًا مطلقًا، كما لم تكن رائحة كريم التزيين، لكنها تريح الناس بخفة. وقف متصلبًا، لم يجرؤ على النظر إليها، ولم يجرؤ على عدم النظر إليها أيضًا. فهي تشاهد كل شيء بطرف عينها، وتضحك خلسة. صعدت المبنى خطوة خطوة، وأخرجت المفتاح ففتحت الباب ودخلت، جلست

على المقعد العالي واستمرت في تحريك الهواء. في هذا الوقت، رأت خياله من النافذة: نحيف، وحيد، يسير في الشمس، يسير تجاه المكتب. تسبب البريق الأكثر حرارة في انعكاس لمعة قميصه الأبيض، فأثارت العين ببساطة. سار لمدخل المكتب، وأخرج المفتاح. أخرج سلسلة، ووضع مفتاح، ثم أخرجه، ثم وضع الآخر، هنا وضع الصحيح، وفتح الباب، ودخل، ولم تره. وبعد قليل، ظهر ثانية عند المدخل، يسكب أوراق الشاي بالكوب خارج الباب، كما ثبت الباب بقطعة حجر، تجنبًا لغلقه بفعل الرياح.
"هذا شخص جيد"، قالت بكسل داخلها، "في الحقيقة، إنه ذكي"، فكرت، ثم أخرجت من حقيبة يدها حافظ صغير للحرارة، بداخله قطع من الأيس كريم، ذاب نصفه بالفعل. فمصته ببطء، وتذكرت فجأة: من الجيد أن تعطيه البعض ليتناوله. شعرت إن هذه الفكرة جيدة جدًّا، وممتعة كثيرًا، ولم تشعر أنها مضحكة. فارتدت القبعة القش، ولم تربطها، فدعتها على رأسها بشكل عشوائي، وكادت تسقط على عينها. ثم أخذت حافظ الحرارة، ونزلت، وعبرت الأرض المشمسة، وسارت ناحية مكتبه. رأت عينين ينظران إليها من داخل الأبواب والنوافذ، فشعرت أن الأرض المشمسة تلك تحولت إلى مسرح، فسارت بتأن، وكأنها لم تلحظ أي شيء. سارت إلى مدخله، ومدت يدها لتطرق على الباب المفتوح مرتين، ثم دخلت.
كان نعسانَ على المنضدة، فاستيقظ فجأة مسرعًا، فرآها واقفة عند الباب وكأنه يحلم، وسقطت قبعة القش المنحرفة، ونظرت إليه عينان براقتان بسعادة، وقالت له:
"لتتناول الأيس كريم".
نظر إلى حافظة الحرارة البرتقالية اللون، وحدث صراع داخله، فليس من الجيد أن يقبلها، وليس من الجيد أيضا ألا يقبلها.
وحين رأته متحيرًا هكذا، شعر قلبها بالسخرية والفخر، لكنها تظاهرت بعدم شعورها بذلك أكثر، وفتحت الغطاء، وأخرجت "بولة" من الأيس كريم، ووضعتها داخل كوب الماء المغلي الذي سكبه للتو، فذاب الأيس كريم بسرعة، ثم وضعت البولة الثانية. "يكفي، يكفي!" منعها بيده، فتصادمت بيدها، فتحرك قلبها، ورأت أصابعه الخمسة المفتوحة المغطية لفوهة الكوب، وفكرت: "يدي هذا الشخص تبدو جميلة"، فكرت ثم سحبت مقعدًا وجلست وتناولت آخر قطعة. غطتها بفمها، وهي تنظر إليه بطرف عينها. أنزل رأسه ليشرب الماء، وتذكر كلام زميله بالصباح، كما فكر بكيفية وجود شيئين اليوم، فقد أتت، ولم يأت أحد ليمازحها، ومن الواضح وجود ناس كثيرة بالجوار يمينًا ويسارًا. فقلق كثيرًا، وقرر أن يكون باردًا تجاهها، فمن الأفضل أن يطلب منها المغادرة. وأخرج من الدرج مستندًا أو ما شابه، ونظر إليه باهتمام، وأدار لها ظهره.
حين رأته قلق هكذا، فرحت أكثر، ولحست الأيس كريم ببطء، ولعقته بلسانها حتى ذاب تدريجيًّا وتحول إلى مياه حلوة باردة، وتسللت إلى حلقها، وفي النهاية تحولت إلى عصا خيزران صغيرة، عضتها بين أسنانها، تنتظر بصبر إدارة رأسه. إنها واثقة أنه سيدير رأسه بالتأكيد، فهي تحفظ الرجال عن ظهر قلب. وحقًّا، كما توقعت، أدار رأسه تدريجيًّا، ورأى وجهها مواجهًا للنافذة، وفمها يعض عصا خيزران صغيرة، واحدة واحدة. وحين كاد يخفض رأسه، أدارت هي

نظرها بخفة، فقيدته. فتظاهر أنه ينظر لشيء آخر، ودارت عينيه بالغرفة كاملة، ثم عاد للمكتب، ينظر للمستندات التي لا يقرأ بها شيئًا. نظرت إلى ظهره، يظهر من تحت قميصه الجيد حقًّا فانلة بيضاء، وهناك كمية من العرق عبرت الفانلة وبللت القميص، فألصقت ذلك القميص بظهره. توسعت آثار العرق بكثرة وبصورة ممتعة تدريجيًّا، توسعت كثيرًا. حينها وقفت برضا، وغادرت دون وداع.
إنه يعرف جيدًا أنها تتلاعب به، لكن لا يوجد حل، فشعر قلبه بالكره، يكرهها، ويكره نفسه. يكره أذاها، ويكره عجزه. لكنه لم يعد قادرًا على البقاء وحده داخل المكتب، فقام وذهب للمكتب المجاور ليتحدث مع زميله. شعر أن نظرات صديقه له بها غموض بعض الشيء، وكأنه يبحث عن شيء ما، ويسخر من شيء ما أيضًا، فشعر بالتقيد الشديد. إنه لا يتقن التعامل مع الناس بالفطرة، فدائمًا ما يكون قلقًا، فالأفضل وجوده بمفرده. لكنه ما زال صامدًا، ولا يرتاح لفكرة العودة لغرفته.
صعدت المبنى ببطء، وجلست أمام الآلة الكاتبة، ورفعت أصابعها لتضغط على الأزرار مرة وتعلقها مرة أخرى. ظهر أمام عينيها آثار العرق على ظهره، ظهرت بخفة، وانتشرت تدريجيًّا، وكأنه مسلسل كارتوني، فضحكت كاتمة فمها. لكن داخلها حالة من الفوضى، وكأنها تشتهي التلامس، فحدقت دون شعور. آثار العرق الظاهرة تلك، نشرت جوًّا ساخنًا جدًّا. سحبت زفيرها بخفة. قفز قلبها، وغضبت دون أن تدرك، كانت تريد أن تسعد في الأساس، لكنها شعرت بالضيق على عكس المتوقع، فغضبت أيضًا لشعورها بالتلاعب، لكن هي من يثير الآخرين أولا دون إدراك، طرقت على أزرار الآلة الكاتبة بعنف، وكأنها تسعى لإزالة حزنها بسماعها لذلك الصوت الصاخب، فوقفت ببساطة وأنهت عملها بنفسها.
إنه يجلس بمكتب آخر، لكن عينيه دائمًا ما تخترق الشمس ناظرة للطابق الثاني. رأى يدين ممدودتين من تلك النافذة، تسحب تقريبًا النافذة الزجاجية. وبعد قليل، رأى شخصًا بممر المبنى المقابل يدفع دراجة، على الرغم من عدم رؤيته بوضوح تام، فإنه تأكد من أنها هي. دفعت الدراجة وغادرت. حينها هدأ، وعاد إلى مكتبه، انتقلت الشمس قليلا، فتركت زاوية مُظللة من الأرض المشمسة. شعر قلبه بالفراغ، وكأنه فقد شيئًا ما، فشعر بالملل الشديد، فإنه لم يرغب في العزف. جلس مكتئبًا قليلا، وأعطى لنفسه إجازة أيضًا، وعاد للمنزل.
انتقلت الشمس مباشرة للغرب.
عاد إلى المنزل، وكانت الطفلة الكبيرة قد عادت من المدرسة، جالسة على المنضدة تكتب الواجب. كان الوقت مبكرًا على ذهابه لاستقبال الطفلة الصغيرة من الحضانة. فأراد البحث عن شيء يفعله. نظر إلى الملابس بالحوض، فوجدها كثيرة جدًّا، وخاف أن يحين وقت صنع الطعام وهو لم ينته من غسلها بعد، كما أنه يكسل عن الذهاب لشراء الخضروات، فلا يرغب في السير، وشرح ذلك لنفسه قائلا، ليس من الجيد مقابلة أحد بالشارع، فذهب ليستلقي على الفراش، كان لديه نية النوم في الأساس، وبمجرد استلقائه لم يعد له أثر، ولم يتمكن من غلق عينيه، وانتقل صوت الفتاة وهي تقرأ جدول الضرب: "ثلاثة *ثلاثة = تسعة، ثلاثة*أربعة = اثنا عشر، ثلاثة*خمسة= خمسة

عشر، ثلاثة*ستة= ثمانية عشر... ". فأخذ يحفظ معها سرًّا دون أن يشعر، وشعر بالسخرية حين أدرك، فتوقف عن الحفظ، لكنه شعر بالملل دائمًا، ففكر فيما يرغب به، لكن لا يوجد شيء أيضًا يفكر به. ما زال مذاق ذلك الكوب من الماء الساخن الذي ذاب فيه الأيس كريم المثلج في فمه، ليس حلوًا ولا مرًّا، يلتصق بلسانه، فشعر بالعطش. فوقف وذهب لسكب ماء يشربه. وبهذا العذاب المتواصل، وصل المساء تقريبًا. استقبلت زوجته في طريقها الطفلة الصغيرة وعادت للمنزل، حينها أصبح لديه شيء يفعله:
"أي أغنية درستها في الحضانة اليوم؟". عانق الفتاة على ركبتيه، وسألها.
فغنت الفتاة ليسمع، لم يفهم كلمات تلك الأغنية، حتى هي لم تفهمها بشكل كامل أيضًا. إن تعابيرها لم تكن ماهرة مثل أختها الكبرى، فتعض على لسانها بنفسها.
فسألها أيضًا: "وأي رقصة درستها؟".
فتسلقت الفتاة على ركبتيه، وقامت بحركات عجيبة جدًّا، فرفعت أطراف أصابعها، بإيقاع ما، فأحبها كثيرًا، وعانقها، أما هي فلم يكن لديها صبر كاف، وكافحت لتهرب، وذهبت مع الأخت الكبرى لمنزل جدتها للعب بالعروسة القماش. فلم يعد أمامه سوى الذهاب للمطبخ للمساعدة، لكن زوجته لم تجعله يساعدها، قالت إن المطبخ لا يسع لشخصين، علاوة على عدم وجود شيء بالمساء، فليس هناك عجلة كالظهيرة، وطلبت منه الاستراحة. لم يغادر، وتراجع للمدخل، استند إلى إطار الباب وتحدث مع زوجته. قالت الزوجة إنها تريد مغادرته، لكن بداخلها لا تحب أن يغادر، ويظل يثرثر معها، فحتى إن كانت مشغولة أو متعبة ترغب في سماعه أيضًا.
كما قال: "إن الفتاة الموجودة بوحدتنا حمقاء حقًّا".
سألته: "أي نوع من الحمقى؟".
قال: "تبحث عني للتحدث، وترغمني على تناول الأيس كريم".
مازحته قائلة: "تحبك، أليس كذلك؟".
"كيف هذا، إنها هذا النوع من الناس، وإلا كيف قلت إنها حمقاء؟". أجابها، ثم حكى لها تلك القصص التي قالها له زميله في الصباح بالتفصيل.
سمعت ولم تقل إلا: "إنها هذا النوع من النساء".
حين رأى رد فعلها باردًا، أصابته خيبة أمل، لكن أي رد فعل ينتظره بالتحديد، هو أيضًا لا يعرف، فاضطر إلى التراجع عن هذا الحديث، والتحدث بآخر.
كان يثير امرأةً بتلذذ، لقد حلم أنها تنام معه.
في الليل، لم يعرف كيف حلم بها تنام معه. ما زال يشعر بطبيعية كبيرة، وخيوطها بجبهتها الجميلة جدًّا تلتصق بخديه، ويستلقي بهدوء. وبعد يقظته، كلما فكر شعر بغرابة، وخاف جدًّا، كما تحمس أيضًا قليلا. أغلق عينيه وتمنى مواصلة الحلم ثانية، لكنه لم يتمكن من النوم باستقرار أيضًا. وكان صباح اليوم التالي مخصصًا للتعلم الجماعي، فتجمعوا في حجرة التدريب أسفل المبنى، وأحضر هو مقعده وجلس. نظر إليها على بعد عدة مقاعد، وتذكر الحلم، فلم يشعر بتلقائية كبيرة. لم تدر رأسها لتنظر إليه، فخفضت رأسها لتنسج تلك السترة التي لم ينته نسجها، وشعرها مربوط على هيئة ذيل حصان، وضع أمام صدرها، فأظهر رقبتها البيضاء، ترتدي على رقبتها عقدًا من الخرز الأبيض، يتناسب مع الفستان الأبيض القطني.

على الرغم من أنها لم تدر رأسها، فإنها شعرت بنظراته، شعرت بسخونة كبيرة خلف رقبتها، وظهر أمام عينيها آثار العرق المنتشر المتواصل ثانية، فشعرت فجأة بنوع من القرب، هاجم قلبها تدريجيًّا. لم تدر رأسها دائمًا للإمساك بعينيه، ومع انتقال نظراته على استحياء، انتعشت رقبتها، وكأن هناك قطعة من الفراغ. حتى بعد انتهاء الاجتماع، ما زال ذلك الفراغ باقيًا على رقبتها، كما جعلها تشعر بالاشتياق. وقفت وسارت ناحيته، وطلبت منه طلبًا عشوائيًّ: "أيمكن أن تساعدني في نقل المقعد للغرفة؟" تنظر عيناها إليه نظرة رجاء، فلم يكن من الجيد الرفض، فناب عنها في حمل المقعد للطابق الثاني، ودخل غرفة الآلة الكاتبة ووضعه. إنها غرفة صغيرة جدًّا، لا يوجد بها سوى نافذة، مقابلة لباب، ومعلق على الحائط تاريخ نجوم السينما، وبزاوية الغرفة حوض للوجه، وضع عليه منشفة وردية، وأسفل الحوض زجاجتين من البلاستيك للماء الساخن، واحدة خضراء، والأخرى حمراء.
سألته: "أتريد شرب الماء؟".
فقال: "لا أشرب".
"لم تأت إلى هنا من قبل، أليس كذلك؟".
فمازحها قائلا: "هنا الطبقة العليا".
فقالت: "تعلمت أنت أيضا الثرثرة".
فخجل قليلاً، وتأثر بصورة غريبة. في هذا الوقت دق جرس انتهاء العمل.
"انتهى العمل". قال وكأنه يتحسر.
"لنمش". قالت هذا ببساطة، وخرجت معه، تقابل رأسها عنقه، فقد شاهدت عنقه بقرب شديد. كما أن وجهه في رأسها، تعد هذه المسافة في الأساس نوعًا من الحميمية. وقفت خارج الباب، وقفلته. لقد تردد: أينتظرها لينزلا معًا، أم ينزل هو أولا ولا ينتظرها. في الواقع يمكنه فعل أي شيء منهما، فكلاهما طبيعي جدًّا، لكنه تردد، وقد أضاع التردد النزول في وقته، لكن في النهاية غادر هو أولا، لعدم قدرته على التحمل، وقبل مغادرته كان مذعورًا فلم يقل أي شيء، وتستر بعض الشيء، كان هذا غير تلقائي حقًّا. لقد أغلقت الباب، ونزلت، ودفعت العربة وخرجت من الباب الكبير، قادت الدراجة لمسافة للأمام، فرأت ظله وسط الحشد الكبير من الناس، رفيع وضعيف. وكان القميص كبيرًا قليلا، فتطاير كالعلم في الأمام والخلف، فلم يجد جسده مكانا داخل القميص الواسع، فشعر بوحدة مقفرة. لهذه الوحدة سحر غريب، وكأنها رسمت دائرة هادئة وسط عالم صاخب، فصلت بينه وبين حشود الناس، ورافقته بلطف للسير للأمام.
تبعته بالدراجة في الخلف ببطء، تبعته مسافة طويلة دون أن تشعر، واكتشفت فجأة أنها ضلت الطريق منذ فترة، فرجعت بالدراجة. وبداخلها تشتم ممتعضة، تشتم نفسها لفقدها الروح. عادت للمنزل، وسألها الرجل كيف تأخرت عن العادة، لم تقل سوى أنها كانت في اجتماع. تناولا الغداء معًا، وعانقا بعضهما وناما القيلولة. فهما يعانقان بعضهما حتى في القيلولة، فسال العرق تدريجيًّا، وبللهما. إن يدها ملتصقة بظهر الرجل المبلل بالعرق، وداعبته رويدًا رويدًا، فبل العرق قبضة يدها. تذكرت آثار عرقه، إن التفكير في آثار العرق تلك هذه اللحظة، له مذاق مقدس. إن هذا الرجل يختلف عن ذلك تمامًا، فسرحت تدريجيًّا، وفقدت رغبتها في النوم. وحين دق المنبه، فتح

الرجل عينيه بجهد، فرآها تنظر للسقف بكامل طاقتها، فلم يشعر بغرابة. سألها لماذا لم تنم، فأجابته قائلة: لقد استيقظت بالفعل. فنهضا الاثنان وغسلا وجهيهما وذهب كل منهما لعمله.
في هذا اليوم، حين كان يعزف في مكتبه، لم تذهب، وجلست في غرفتها فقط. في هذا الحين، شعر كل منهما بعدم وضوح، أن هناك شيئًا ليس عاديًّا حدث بينهما.
استيقظوا جميعًا، رجل وامرأة ناضجين، يمكن فهم ما يحدث بينهما دون كلام. إنه يعلم جيدًا أنها لم تأخذ الأمور بجدية وبرغم ذلك تحرك قلبها، إنها حقًّا لا تأخذ الأمور بجدية، لكن على عكس المتوقع تحول التزييف لحقيقة. إنها ببساطة لا تفهم على أي شيء اعتمد هذا الرجل لتحريكها. لقد اختلطت برجال كثيرين في نصف عمرها هذا، وقابلت جميع الأمزجة من قبل، كما مرت بجميع أنواع الحب الحقيقي. فكرت: ما يزيد لديه عن أي شخص آخر، فباستثناء تلك الكآبة، كل شيء مشابه تمامًا. أما هي فتحب الصخب دائمًا، وأكثر ما تكرهه بحياتها هو خفض الرأس والاكتئاب، واليأس. ولكن هذه المرة عكس العادة، فجعلها غاضبة وقليلة الحيلة كذلك. إنها تشعر فقط بأن النفس الهادئ لذلك الرجل به قوة كبيرة، تكفي لتهدئة غليانها. لم تجرب هذا النوع من الهدوء من قبل، لذلك أثر بها، وحرك بداخلها حماسة لم تعهدها من قبل. إنها ترغب في الأساس في إزعاج هدوئه لتسعد هي، وعلى عكس المتوقع أزعج هدوئه، كما أزعج هدوئها أيضًا. لم تستعد كثيرًا، لأنها تعتقد دائمًا أن الناس هم من تتحرك عواطفهم فقط، وعلى النقيض تحركت عواطفها هي أيضًا. إنها تستخف به جدًّا، فلم تستعد مطلقًا، من المحتمل ألا تكون هذه الأسباب مهمة، فالسبب المهم سهل جدًّا، ألا وهو أنها في هذا الوقت وهذا المكان، قابلت هذا الرجل، فاقترن بعواطفها ومزاجها في تلك اللحظة. في الأساس هي من حركت قلبها بنفسها، لكن على الرغم من تحرك قلبها، فإنها لم تنزعج، فتعد هذه التجربة غنية جدًّا بالنسبة لها، فهذه المرة مجرد تكملة لحبها. وبرغم اختلاف هذه المرة عن التجارب السابقة قليلا، فإنها واثقة من عدم وجود أي شيء بها، فباستثناء إمدادها بعاطفة وفيرة وسحر يعمل على قضاء وقتها وتدريبها، لن يجلب لها أي ضرر. ولا يزال القلب الهادئ به متعة ضئيلة. أما هو، فلم يتمالك نفسه عن الشعور بالضيق، وهذا شعور غريب جدًّا بالنسبة إليه، كما يشعر بالذعر تجاه جميع الأشياء الغريبة، لكن لا يقدر على كبح فضوله، كما أن عقله دائمًا ينبهه باستمرار، إنه لا يمكنه التخلي عن الشعور بالإثم مرة أخرى.
على الرغم من أنه لم يفعل أي خطأ من قبل، فإنه يضاعف جهده للتكفير عن جرائمه. فيسابق ليقوم بأعمال المنزل، ولا يسترخي مطلقًا، كما أنه ينتزعه بحماسة فائقة، مما يدعو الناس للشعور بضخامة الأشياء الصغيرة دون قصد. فغطاء الفراش المبدل للتو، يدعوه لغسل عدة أعواد من الخيزران بانتعاش. كما يجرف ويغسل الأرض المتسخة فتصبح خشنة، وتتغلغل الرطوبة الباردة داخل الفراش. وفي المساء حين يهدأ الناس، يأتيه فجأة دافع، فيحيط جسد البنات بإحكام، ويدللهم بما لديه من حماسة قليلة. بالأخص البنت الصغرى، فيصدر الكثير من الحركات اللطيفة فجأة، فيعانقها ويقبلها، فيجعلها لا تشعر بالراحة مطلقًا، وتصرخ كما تريد. فلم يعد أمامه سوى تركها، والسماح لها

بالهروب، لكن تُظهر عيناه تعابير حزن. فتندهش الزوجة داخلها سرًّا، وتشعر بعدم الارتياح بصورة غامضة، وفي مرة، سألته بطريقة عشوائية:
"أما زالت تلك الفتاة الحمقاء عندكم تضايق الناس؟".
فذعر، ثم قال دون رضا: "إنها هكذا، هي في الأساس لطيفة جدًّا مع الناس".
لم تسأل المرأة ثانية، وتحدثت في موضوع آخر، لكنه قال الكثير من الكلام الجيد عنها، قال الكثير، حتى هو لاحظ هذا، فتوقف على الفور، وظهر على وجهه الحرج. تظاهرت أنها لم تسمعه، وأخذت تتحدث في أحاديث عشوائية، فأنابت عنه في تغطية الموقف. حينها تحسن تدريجيًّا، وامتن قلبه لسماحتها، فشعر بالخجل دون قصد.
لكن في هذا الوقت، اشتاق كثيرًا لرؤيتها، ففي كل يوم حين يذهب للعمل، يجلس داخل مكتبه، وينظر إلى نافذة الطابق الثاني بالمبنى المقابل. إذا كان مغلقًا، لا يطمئن، وإذا كان مفتوحًا، يطمئن قلبه، لدرجة أنه يسعد. تفتح تلك النافذة التي تريح الناس كثيرًا، وتبدو وكأنها تشتكي من شيء ما، وتظهر بعض الأشياء، التي تأتي إليه عبر الشمس الحارقة أو الأرض المبللة بفعل المطر الطفيف، وتنقل إليه شيئًا ما بلطف شديد. أحيانًا، يتقابلان عند مدخل الممر، وبرغم عدم تحدثهما، فإن نظراتهما المتبادلة تحوي مغزى كبيرًا. فتتبادل تخمين شيء ما، وتتبادل تصديق شيء ما أيضًا. يبدو عليهما الهدوء من الخارج، لكن داخلهما صراع. فأصبح للعمل الممل متعة كبيرة فجأة. ففي مساء كل يوم يتم التفكير في الذهاب للعمل صباح اليوم التالي، فيتحمس قلبهما بعض الشيء، وتصبح حياتهما غنية جدًّا. وفي صباح كل يوم، دائمًا ما تكون الشمس لطيفة هكذا في طريق الذهاب لقصر الثقافة، ما يدعو الناس للهدوء الشديد. حتى وإن كان يومًا ممطرًا، تشعر تلك الأمطار الناس بحب عميق. وبحلول الظهيرة، يوجد من يبدأ بالعودة للمنزل مبكرًا، ولا يتبقى في الساحة دائمًا سوى بابه ونافذتها مفتوحين، وبقية الأبواب والنوافذ مغلقة كالصمت. يجلس كل منهما بمفرده وتفصل بينهما قطعة أرض فارغة، وأخيرًا يوجد شعور بالحرج، فدائمًا يتراجع هو أولا، ويغلق الباب ويعود للمنزل، حينها تشعر بالملل، وتتوقف بغضب، ثم تغلق الباب وتغادر. في هذا الوقت تحول الاثنان إلى جبناء للغاية، وخوفهما الوحيد هو أن يتقابلا، وإذا تقابلا يخافان من الكلام، وإذا اضطرا للحديث، يخافان من تقابل نظراتهم، فيتبادلان الاختفاء. في الأساس لا داعي للحرج، لكن ملامحه المرتبكة تلك، جعلت تلك الخبيرة تتبعه في الارتباك أيضًا.
هذا المشهد الطبيعي لم يكن بعيدًا عن أعين الجميع اللامعة، فظهرت جدالات قليلة، ينتظرون بهدوء وكأنهم ينتظرون رؤية مسرحية مضحكة، والنتيجة عدم حصولهم على شيء، كما أنهم لم يهدؤوا، فنفد صبرهم، وألفوا مسرحية بأنفسهم مسبقًا. لم تنتقل هذه المسرحية إلى مسامعهما مطلقًا، لكنهما شعرا بنظرات الجميع الغريبة والتباعد المقصود. إنه دائمًا لا يخاف البعد، فيخاف فقط من الصخب الشديد، وفي هذه اللحظة، بسبب المغزى المتوقع من هذا النفور، ذعر قليلا، وانتظر مبادرة الناس. أما هي فتحدت هذا النفور بنبل مصطنع. لكن مهما كان الوضع، يشعر كل منهما بآراء صامتة. تهدف هذه الآراء إلى الفصل بينهما، لكن في الحقيقة قاربت بينهما، فنقلت لهما ما لا يجران على كشفه. بدا هذا الشيء حقيقيًّا تدريجيًّا، وتوجد بينهما، ولم يسمح لهما

بالتراجع. لذلك، هناك شيء غريب نما وسط صمتهما المصطنع، ووسط نفورهما المتعمد.
وصل الحرج بينهما إلى هذه الدرجة، مثل السهم المشدود، قابل للانفجار في أي لحظة. أصبح مزاج الاثنين متوترًا جدًّا، وحماسيًّا جدًّا أيضًا. أما هو، فلعدم الخبرة، عُذب بفعل هذا المزاج لدرجة أرقه في المساء، أما هي، فلأنها تفهم أكثر، وذات خبرة أكثر، حصلت من كل هذا على شعور بالسعادة، فإنها ازدادت تأثرًا أيضًا.
يمكنها رؤية الحقيقة والتزييف أكثر منه في كل هذا. إنها خائفة بعض الشيء. فقد شعرت بخطر هذه اللعبة. لم يكن هذا خطرًا على الآخرين، فهي لا تهتم بالآخرين، فهي أنانية جدًّا، وهذه النقطة لا تخفى عليها ولا على الآخرين. إن الخطر الذي يخيفها هو الخطر عليها هي. إنها مدركة، لذلك تشعر بالفزع بعض الشيء. شعرت أن هناك ما أزعج النوم العميق جدًّا لروحها ورغبتها. لا تريد مطلقًا الاعتراف بهذا الإزعاج، فترغب في نفيه والتغلب عليه. وإذا كان لديها فرصة، تسمح لها بالتقدم أمامه مباشرة، والتحدث معه في سخافات، وتبادل العناق الساخن بينهما، والشعور بلذة المشاعر، والمعاهدة على الإخلاص، والاستمتاع بسعادة بهذا الحب غير العادي، من المحتمل أن تنفس عن هذه المشاعر التي لم تنضج بعد إلى نهايتها. ولكن الصمت المحيط، وخوفه، وذعرها هي، كل ذلك لا يمدها بهذه الفرصة، بل أضافوا جوًّا من الغموض، هذا الجو مفيد جدًّا لنمو هذه المشاعر.
إنها فتاة مدللة دوما، فكلما وُجد شيء ممنوع، انجذبت له، وأحبت فعله. زوجها أيضًا يعرف هذا، لذا يعطيها الحرية التي تعتقد أنها كاملة وسط ترقب صامت. وبوجود هذه الحرية تشعر بالنقيض بعدم المتعة، وهذا هو السبب الأهم لقضائها سنوات عديدة مع زوجها بهدوء. لذلك، في هذا الوقت، وبرغم ذعرها، فإن هناك فضولا قويًّا تملكها. رغبت في السير وتتبعه، لترى ماذا سيفعل في النهاية. يوجد هنا معنى للمغامرة، كما أضيف عليها طابع لم يكن موجودًا من قبل، لقد ارتجفت من الخوف، كما ارتجفت من السعادة. يملك هو أيضًا الفضول نفسه، على الرغم من قمعه بفعل جبنه والتزامه وصدقه، لم يشعر أيضًا من قبل. على ما يبدو، إن التناول من الشجرة المحرمة والعقاب بسبب ذلك هو طبيعة البشرية.
عزل بينهما كل عواقب البيئة الخارجية والنفسية، وقد عمل هذا العزل على إظهار خيال وفير للناس، ونمت هذه القدرة الخيالية الحب. على ما يبدو أنهما أكتشفا هذا في ليلة واحدة، فتدفق ذلك الحب، وأشرق كشروق الشمس الحمراء. ارتجف الاثنان. هو، يتراجع فقط، يختبئ، يرغب كثيرًا في إخفاء نفسه داخل صدفة صلبة، ليمر من هذه المحنة. مهما كانت درجة تعطش قلبه، يمكنه قمعه. وليس هذا بسبب الشجاعة بالكامل، بل بسبب جبنه وكسله فقط. أما هي، فقد وصلت لوقت ضرورة التحرك.
في هذا اليوم، عزف منفردًا بملل وكسل كبير، فتحركت أصابعه بكسل ذهابا وإيابا على مفاتيح الأكورديون، حتى هو لا يعرف بالتحديد ما الذي يعزفه. يتردد صوت العزف الأجش المتقطع في الساحة الفارغة. وفجأة، جاءت هي، حاملة في يدها خيطًا صوفيًّا أحمر زاهيًا، وقد نسجت أكثر من نصف سترة صوفية، بشكل معقد للغاية، فعلى ما يبدو أنه يحتوي على طبقات كثيرة جدًّا، فتظهر

متداخلة، وفي غاية الأناقة. ما زالت يدها تنسج دون توقف، فاستخدمت قدمها فقط في ركل الباب ودفعه، ثم دخلت مباشرة. فطوى المنفاخ بذعر غير متعمد، وأغلق الحزام الجلدي، وغلف الأكورديون. غلف منتصفه ثم شعر أن هذا غير مناسب، فرفعه ثانية، وفتح الحزام الجلدي، وواصل العزف. ولا يعرف أيضًا ماذا يعزف، فانزلق وفقًا للمنفاخ، الذي يتسرب هواؤه رويدًا رويدًا.
"هاي"، جلست على مقعد قريب منه، وقالت: "اعزف عزفك".
"آه". وافقها، وبدأ عزف مقطوعة تذكرها فجأة، عزف جملتين ثم تذكر، إنها المقطوعة التي تعلمتها الفتاة الصغرى في الحضانة، دائما ما تغني: يربي فريق الإنتاج مجموعة من البط الصغير.
"هاي، لا تعزف". قالت ثانية.
ضحكت، وانتفضت من الضحك مثل النهر الكاسر للسد، فلم يتمالكا نفسيهما.
توقف صوت العزف فجأة. جميع الأماكن المحيطة هادئة جدًّا، ولم يأت أحد لإزعاجهما، ولا يوجد أيضًا صوت حديث، فيسود هدوء خاص، هدوء يظهر صوت التنفس، مما يشعر الناس بوجود آذان ونظرات خفية في كل مكان. لكن، اليوم لا يُهتم بالكثير. إنه متوتر، تكاد أنفاسه أن تتوقف، ويقفز قلبه فقط بشراسة. اعتقد أنها سمعت ضربات قلبه بالفعل، فشحب وجهه من الخجل والحرج، ولم يجرؤ على النظر إليها، لكنه شعر أن هذا غير مناسب أيضًا، فيجب أن ينظر إليها، وصلت نظراته للمنتصف، ولم تقدر على الصمود، فتنازلت، وتدلت.
تنسج هي السترة الصوفية بسرعة فقط، ثم تضغط على طرف الإبرة بيدها اليسرى، وتخرج يدها اليمنى لتدخل الخيط، أدخلت البعض، ثم قالت: "إنها آلة بالية، فأي عزف تعزفه؟".
تنهد ببطء، وضحك رغمًا عنه: "أنا لا أعزف الأكورديون في الأساس، فقد درست الكمان".
"لماذا لم تشتر كمانًا بنفسك؟". واصلت النسج، وسألته:
"ما المتعة في شرائه؟".
فقالت غاضبة: "هل المتعة في عدم شرائه؟".
حينها ضحك: "عزف الكمان يحتاج لفريق، فلا أشعر بالمتعة إلا بالجلوس ضمن فريق موسيقي والعزف على الكمان".
"إذًا لتشتر فريقًا موسيقيًّا". قالت. ضحك الاثنان حين انتهت من القول. وأثناء الضحك، تبادلا النظرات، وشعر كلاهما بإشراقة قلبيهما، وكأن هناك تواصلا حدث بينهما، وكأن هناك انسجامًا وجد أيضًا.
"أنا سيئ الحظ حقًّا". استرخى، وبدأ يتحدث كثيرًا، "انتقلت إلى هنا بصعوبة، من أجل الالتحاق بفرقة فنية، لكن حُلَّت هذه الفرقة، وفي النهاية، كأني جئت خصيصًا من أجل قصر الثقافة."
"كيف، خيبت آمالك؟" اختلست نظرة إليه.
تجمدت الدماء بكامل جسده، وشعر بأن هناك شيئًا سيحدث، فخاف ثانية، وتطلع أيضًا قليلا.
إنها لا تتحدث، وتنسج إبرة إبرة. وبعد لحظة قالت ببطء: "قصر الثقافة جيد، وهادئ. إذا ذهبت إلى مصنع، يمكنك أن تجرب. كنت أعمل في البداية في

شركة ثمار جافة، أقف ثمانية ساعات في اليوم، كما كان علي التعامل مع الحمقى، هذا هو حقًّا سوء الحظ".
سأل بعدم فهم: "كيف يوجد حمقى؟".
نظرت إليه وضحكت: "حمقى! أي حمقى؟".
خجل من السؤال ثانية، وشعر قلبه بالحزن.
حينها شرحت تدريجيًّا قائلة: "كنت أقف هناك، وكان الكثير من الشباب السيئ يتعمدون المجيء لشراء ثمار جافة، والحقيقة لم يأتوا لشراء الثمار الجافة حقًّا، هل فهمت؟".
"فهمت". قال، لكنه شعر بالحرج ولم يجرؤ على النظر إليها.
"لا أبدو قبيحة، أليس كذلك؟" سألته فجأة.
فهمس ولم تكن هناك طريقة ليجيب بها.
فضحكت، ضحكت حتى تمايلت. وبعد الضحك قالت: "هل سترتي الصوفية منسوجة بصورة جيدة؟".
أظهرت نصف السترة الصوفية التي نسجت، ورفعتها، فحجبت وجهها، ودعته يراها. فاضطر إلى إدارة وجهه ليرى.
انعكست الشمس خلفها على السترة فأنارتها، فظهرت خطوطها العريضة بوضوح. إن طابع هذه السترة بسيط في الأصل، وبها الكثير من الفراغات، لكن تداخلها يعطي الناس شعورًا بالقوة. لكن في النهاية يوجد حجاب، فحدق ليرى الإطار الجميل المعكوس خلف السترة. أما هي فتراه بوضوح تام من خلف السترة. فرأت أخيرًا عينيه، وأيقن قلبها، فسعدت كثيرًا. لقد شعر فجأة بالبريق الغامض للعين خلف السترة. فلمعت كالنجوم في الليل. فذعر، وأدار رأسه، وهمهم قائلا: "جميلة".
حينها أنزلت السترة، وواصلت النسج.
في هذه اللحظة، لم يتحدث أحد، وصمتا قليلا، ثم سألته فجأة: "قلت للتو أنا جميلة أم السترة هي الجميلة؟".
رآها تتعمد التظاهر بالغباء، لتشعره بالحرج، فغضب بعض الشيء. لكنه شعر أنها محبوبة حقًّا، فلم يكن أمامه سوى إجابتها: "الاثنان جميلان". وبعد الإجابة، احمر وجهه ودق قلبه، وكاد يرغب في الهروب.
لقد شعرت بهذا تلقائيًّا، فتركته، وتحججت ببعض الكلام العشوائي، لتغادر. خرجت مباشرة، حتى أنها لم تنظر إليه، فأشعرته بالخيبة.
وبعد هذه المرة، بدت علاقتهما وكأنها ذابت من التجمد، وتواصلا معًا. وبرغم أنهما يتحدثان في كلام عادي، فإن له مغزى غير طبيعي. كما أنهما يتواصلان بانسجام بالغ. تكاد تجلس يوميًّا في مكتبه، ودائمًا ما يغادر زميله بالمكتب بذكاء، حتى يسهل عليهما. وبرغم قلقهما، فإن عقلهما ثمل، فلم يهتم بكل ذلك. وفي يوم، ذهب إلى حجرة آلتها الكاتبة. وكان بالجوار مكتب المدير، لا يجلس المدير في أوقات العمل، كما لا تفتح غرفة الترفيه صباحًا، فالمبنى الصغير فارغ بالكامل تقريبًا ولا يوجد به أي شخص. فيجلس الاثنان في تلك الحجرة الصغيرة الضيقة بالمبنى الفارغ، وفجأة لم يعد هناك كلام يقال. يجبرهم ذلك الفراغ الشاسع وتلك المسافة الضيقة، تجبرهم على التحدث بكلام ذي مغزى بعض الشيء. فالكلام العادي في الأيام العادية يظهر هنا مملا ومصطنعًا، فلم يتحدث أي أحد منهما. ظلا في صمت كثيرًا، فوقفت من على

المقعد العالي أمام الآلة الكاتبة، فانكمش قلبه فجأة وتحول لكتلة، وكاد يكتم تنفسه. شعر أنها قادمة ناحيته، لم يكن بينهما سوى خطوة، فلم يفهم كيف سارت كل الوقت الطويل هذا. فدارت رأسه، ودارت السماء والأرض. وقفت أمامه، لم يتحمل الصمود، حقًّا لم يتحمل الصمود، فمد يده إليها ، وكانت هي أيضًا تمد يدها له. وعانقا بعضهما، فإذا لم يعانقا بعضهما، لكانا انهارا انهيارًا تامًا. وحين تعانقا، استرخى قلبهما فجأة، وكأنهما تخلصا من شيء ما. لقد احتضن جسدها الساخن جدًّا، واحتضنت هي جسده البارد، ولم يتفوها ولو بجملة واحدة. يوجد بالسماء الزرقاء خارج النافذة عدة سحب رقيقة خافتة تسبح بها ببطء. أخذ يتحسس بأصابعه الطويلة الرقيقة رقبتها بخفة، وكأن هناك قطعة من الندى البارد تتحرك بلطف. لم تجرب من قبل هذه المداعبة الباردة، فأثارت حماستها التي تشبه النيران. وكأنه غُلّف بقطعة من اللهيب، وكاد أن يختنق. إنه اختناق سعيد، أوه، إنهما سعداء جدًّا جدًّا، أوه! يا إلهي! إنهما مذنبان كثيرًا كثيرًا أيضًا!
منذ ذلك الحين، وكأن النهر كسر السد، لم يتمالكا نفسيهما، وارتفعت رغبتهما المتبادلة، ولم يعد اللقاء بحجرة الآلة الكاتبة صباحا كافيًا لسد احتياجهما. وبدأ يتواعدان، مرة تلو الأخرى. فبعد تناول العشاء، يبحثان عن حجة للخروج، ويتقابلان في مكان بعيد جدًّا. ثم يقود هو سيارتها النسائية الصغيرة، أما هي فتركب خلف السيارة، ويذهبان إلى مكان بعيد، ودائمًا ما يذهبان خارج المدينة. ينسيان كل شيء، ولا يباليان بالخجل، أو الإهانة، يذهبان إلى الأدغال، ويتعانقان بجنون ليصبحا كتلة واحدة. وبجانب جميع التأثيرات وسعادات الحب، هناك أيضًا سعادة المغامرة، سعادة نبل المآسي، سعادة عظمة الخيانة... لا يكادان يشعران بها، انتقلت النجوم ناحية الغرب، فاضطرا للعودة. تكون لحظة الفراق هي الأكثر قلقًا، فمن الواضح الود بينهما، لكنهما يتظاهران بالغرابة، ويسير كل واحد منهما في طريقه وكأنهما لا يعرفان بعضهما، ويعود كل منهما إلى منزله.
دائمًا تنتظره زوجته، ولا تسأل كثيرًا. وهو ممتن كثيرًا لهدوئها. لكنه يتمنى أيضا أن تسأل بالتحديد، فيمكنه الشرح لها. واليوم هي لا تسأل، وكأنها تفهم كل شيء، ولا تعطي له فرصة للشرح. حتى أنه شعر بالاحتقار في نظراتها، فشعر بداخله بذنب كبير. لا تعرف الزوجة أي شيء، لكنها تبدو وكأنها تعرف كل شيء أيضًا. إن خروج الرجل في المساء بمفرده ليس أمرًا عاديًّا، علاوة على ذعره الدائم، حتى بعد عودته للمنزل يكون مذعورًا أيضًا، فينام على الفراش ولا يتحرك ثانية، وكأنه توفي، وكأنه أوقف النفس. فإنه ينتظر استغراقه في النوم، لكنه قلق جدًّا، فيقلب جسده عدة مرات، كما أن وضعه غريب، فيختلف تمامًا عن العادي. في السابق مهما كان متعبًا، لا يمتنع أيضًا عن الالتفاف بها، ثم يبدو كالقطط، يلتف مطيعًا وينام، هادئًا كالأطفال. حين تراه نائمًا، دائمًا ما تشعر بالحب. والآن، أين هو ذلك الهدوء؟ حين يكتم أنفاسه ويتظاهر بالنوم، تغلق هي أيضًا عينيها ولا تتحرك. يريد كل منهما إقناع الآخر بنومه العميق، نوم هادئ جدًّا، ومطمئن كثيرًا، وعدم وجود أي شيء. تنتظره حين ينام حقًّا، ويلف على الفراش، فتفتح عينيها، وتنظر للظلام أمامها، وقلبها مليء بالقلق. إنها امرأة ذكية جدًّا، لكن قلبها مقفر جدًّا. إذا كانت شجاعة قليلا، وانحنت قليلا أيضًا، لكان بإمكانها إيقاف الخلاف بين الرجل والمرأة التي قابلها زوجها. إن

حكمتها كافية لتجعلها تلاحظ كل شيء. لكنها ليست شجاعة بما يكفي، كما أنها تحترم ذاتها كثيرًا، لقد فكرت في جميع الأسباب، وهذا الشيء الوحيد الذي لم تفكر به. لكن، لأنها ذكية جدًّا، لم تقنعها جميع الأسباب. فما زالت تراودها الشكوك. ولكن بسبب عدم كفاية شجاعتها، وبسبب حبها الشديد له، لم تفكر من قبل في سؤاله. إذا فعلت ذلك، معتمدة على عزيمتها وحكمتها، لن ينتظر هو بضعفه سؤالها، وكان سيشرح لها كل شيء. لكنها لم تسأل، فتنظر فقط بقلق للرجل الذي يتحرك ويناضل وسط أحلامه، ولم تستطع النوم ليلة بعد ليلة.
إنه يرعاها وكأنه يكفر عن ذنوبه. فحين توجد أعمال منزلية ضئيلة جدًّا، يضاعف حرصه ومثابرته على انتزاعها. فتغسل الملابس إلى أن تصل للنهاية، وستنتهي بعد عدة دقائق، فيصمم على انتزاعها، وتغسل الأطباق، فيصمم أيضًا على غسلها، من الواضح أن بإمكانها أخذ الفتاة الصغرى في طريقها بعد انتهائها من العمل، لكنه يسير بعيدًا لتولي هذه المسئولية. كما ينظف الأرض المتربة ثلاث مرات في اليوم. ستلتحق البنت الصغرى بالمدرسة في الخريف، فلم تعد صغيرة، لكنه ما زال يحملها على ركبتيه، ويعانقها بقوة ويقبلها، يقبلها حتى تبكي وتصرخ بشدة موبخة إياه: "أب سيئ" حينها يتركها. تنظر إليه الفتاة الكبرى في صمت، لا تضحك ولا تغضب، وداخل عينيها نوع من نظرات المراقبة، لذلك، يرضي البنت الكبرى بكل جهده، فيسألها عن كل شيء معبرًا عن اهتمامه به. وحين تريد شراء قلم تلوين في المدرسة، يشتري لها أربعة وعشرين لونًا من ألوان المياه المنوعة. لكن مهما بذل من جهد، لا يستطيع خفض شعوره بالذنب، فينغمس وسط آلام كبيرة.
تشعر هي أيضًا بالألم؛ فتستخدم سلوكًا معاديًا للتعامل مع نظرات الرجال الشائكة. سألها زوجها: "الوقت متأخر، فأين تذهبين؟". فأجابته بغضب: "أذهب للبحث عن رجل البرية". ولأنها تقول الحقيقة، شعرت بضعف شديد، فارتجفت أولا. لكنها غضبت بسبب هذا الارتجاف، وسخرت من جبنها، فقالت كلامًا أكثر جرأة، لكنها زادت من حملها. إن الحمل شعور غريب جدًّا بالنسبة إليها، فلم تعرف من قبل جانب الثقل بالحياة، وجانب تحمل المسئولية. وبسبب هذه الغرابة وعدم الاعتياد، كان شعور الحمل هذا أكثر ضغطًا بالنسبة إليها عن أي شخص آخر. وحتى تتخلص من هذا الضغط الذي لا يمكن التخلص منه، أصبحت مجنونة جدًّا، حتى أنها تغضب دائمًا في وجه الابن الذي تحبه، لكنها لا تحبه بعمق، فتضربه حتى يتورم وجهه بسبب أشياء صغيرة، وبعدها تتألم وتغضب، فتضطر إلى معانقته وتبكي بحرقة؛ فيمسح الطفل دموعها بيده الصغيرة، فيكاد قلبها أن ينكسر. هناك أوقات تتنازل فيها من أجل الطفل، لكن يستحيل هذا مع زوجها. فدائمًا ما تعامله بقسوة، فلم تعطه وجهًا جيدًا بالصباح، وفي المساء لا تعطه سوى ظهرها، فإن قلبها لين جدًّا. إن الرجل لا يفهم، لا يرغب في الفهم بسبب غروره الشديد، فيدخن السجائر طوال الليل. لكنه في النهاية رجل قوي الجسد والروح، فسيتخذ إجراءات أخيرًا.
وفي ليلة شديدة السواد والرياح، وبعد خروجها بدقيقتين، ركب سيارته وتبعها. وسالت دموعه فجأة بسبب الإهانة. لو كانت قد رأت دموع هذا الرجل المغرور، لكان من المحتمل وجود بريق من الأمل لتغيير قلبها. لكن من المستحيل أن يسمح لها برؤية دموعه، لذلك قرر السير إلى الأمام؛ فتبعها من

بعيد. إن ظلها المرتدي زيا زاهي الحُمرة، واضح جدًّا وسط الليل، مثل كتلة من اللهب النشط. إنه يكرهها كرهًا ينكسر له القلب. سلمت له الدراجة عندما تقابلا، وسمحت له بركوبها، وحين صعدت خلف الدراجة، جفت دموعه فجأة، ودفع السيارة. إن صوت أزيز عجلات السيارة خارج الضاحية البعيدة خارق للأذن؛ فأدارت هي الذكية رأسها، وقفزت من السيارة على الفور، وقالت بصوت منخفض: "امش بسرعة"، ودفعته من على العربة، فكاد أن يسقط. في هذا الوقت، وصل الرجل للأمام، وأدارت هي جسدها بغرور، ونظرت إليه باستفزاز. لم ير لذلك الرجل ظلا، فأدار رأسه وصفعها قلمًا، ثم صفعها آخر، فلم تتحرك، حتى أنها لم تمنعه بيدها. غُسل عارها بألم، فشعر قلبها بسعادة تقريبًا. صرخت أذنها، وكأنها تغني. وفي لحظة الألم، أرجعت كل ديونها لهذا الرجل، لذا استرخت.
واليوم الثاني، بدا وكأنه عاصفة من الرياح، فانتقل هذا الخبر لقصر الثقافة، ولم تعترف عليه حتى الموت، لكن معروف أنه هو دون الحاجة للتخمين. لقد وضعت كل شيء على عاتقها، وقالت إنها من أغوته، هي من أحبته، هي من واعدته، كل شيء هي من قامت به، وكان جيدًا لها. لكن، المسئولية دائمًا تقع على الرجل، علاوة على أنه يكبرها سنًّا. لم يشرح هو شيئًا، فتلعثم فقط، فيمكن معاقبته، ويمكن فصله. لذا، ما زالت باقية في غرفة الآلة الكاتبة، أما هو فنقل إلى المسرح. كان يقوم على كل ما يتعلق بالمسرح؛ فيدير السماعات أثناء عقد حفلة كبيرة، ويسحب الستائر عند العرض، ويتفحص التذاكر عند إذاعة فيلم، ويكنس الأرض عند الانتهاء.
لم يخبر أحد زوجته، لكن حدث كبير كهذا يحدث في مكان صغير، كيف يمكن إخفاؤه. عرض اتحاد شركات الأفلام مجموعة أفلام بقصر الثقافة، فأحضرت الابنة لتشاهدها. رأته من بعيد يقف عند باب المسرح يتفحص التذاكر، ففهمت كل شيء فجأة. قالت للابنة، نسيت إحضار تذاكر الفيلم. لنعد للمنزل لأخذها. فلم تجدها بعد العودة، ومن الأفضل نسيان الأمر. اشتكت الابنة، وجلست لتبدأ بكتابة الواجب. كانت هادئة في البداية، واستبدلت الكيروسين المستخدم بالبيت، ووضعت عليه المياه، وجمعت الملابس الجافة بالشرفة، وحين كانت تنتظر صوت غليان المياه الموضوعة فوق الموقد، شعرت فجأة بضعف، فسحبت مقعدًا صغيرًا وجلست عليه، وعانقت ركبتيها. سرحت. وذهب هو بعيدًا لاستقبال الفتاة الصغرى وعاد للمنزل، وكانت الفتاة الكبرى قد انتهت من عمل الواجب ونزلت للعب المنطاد مع رفقائها، وأصدرت المياه صوتًا حتى انقطع، وحركت الغطاء فوقها، تجلس المرأة شاردة الذهن وظهرها للموقد. سكب المياه بسرعة، سكبها حتى ملأت نصف الزجاجة ثم انتهت. فقال بصوت منخفض: "المياه غليت".
ارتعشت وأدارت وجهها ونظرت إليه، وضحكت رغمًا عنها، وسندت ركبتها ووقفت: "يجب تنقية الأرز".
"سأفعل أنا". قال، وبدأ في وزن الأرز، وتنقيته، ووضعه على الموقد. ثم قطع اللحم والخضروات، فانشغل لدرجة عدم قدرته على لصق القدم بالأرض.
عادت لمدخل المطبخ، واستندت إلى إطار الباب تنظر إليه وهو مشغول، فشعرت بمرارة ولم تتمالك نفسها في البكاء.

لم يجرؤ على رفع رأسه، ارتجفت يده، والسكين تسير على اللحم ذهابًا وإيابًا، لكن لا تدخل بها. سالت دموعه، ولم يلحق مسحها، فنزلت واحدة واحدة على لوح التقطيع.
ضحكت، ضحكت حتى مالت، بكى الاثنان قليلا دون صوت.
بكى الاثنان قليلا دون صوت، هدأت هي أولا، وجففت دموعها، ودفعته بخفة من أمام لوح التقطيع، وقالت: "أقوم أنا به".
عاند قليلا، ولم يتمكن من عنادها في النهاية، وتراجع، وجمع دموعه تدريجيًّا وما زال لم يجرؤ على النظر إليها. دق السكين على لوح التقطيع ببساطة.
لم يتحدثا حتى المساء. وبعد العشاء، انتظرت الأطفال حتى استغرقوا في النوم على الفراش، ودخلت غرفتهم، فسار وراءها، ينتظر المزاج الحاكم، حزينا ومتوترا، يتعطش تقريبًا لأن تدير جسدها وتوبخه بصوت مرتفع، حتى إن ضربته على فمه بقوة. أما هي فقررت الصمت، ضغط عليه هذا الصمت أكثر من أية جريمة، فلم يستطع التنفس. إنها تعلم أنه واقف خلفها، ينتظرها لتبدأ بالكلام، لكنها تنتظره. ولا تنوي تعذيبه، ولأنه ليس لديها طريقة للتحدث، فلا يجب أن تعرف شيئًا. إذا اعترفت بأنها تعرف شيئًا، ألم يكن هذا اعترافًا بشكوكها، لكنها تمتلك هذه الشكوك حقًّا، ليس فقط عدم ثقة في زوجها، بل لأنها هي أيضًا فقدت الثقة. فأي شيء يثير الشفقة أكثر من فقد الثقة.
لقد تجمدا، وفي النهاية تراجع هو أيضًا. وقال بهمس: "أنا لست بشرًا". ارتجف جسدها بشراسة، برغم أنها تفهم كل شيء، لكن بسماعها ذلك من فمه، انطفأت لديها كل خيالاتها ، برغم أنها أكثر امرأة تملك خيالا. لا يمكنها الهرب الآن. حاولت الهدوء بجهد، وسألته:
"كيف لا تعد بشرًا؟".
يكاد يطلب المغفرة، لكنها لم تتراجع، منتظرة اعترافاته من البداية حتى النهاية. لقد اعترف مرة بالفعل للمدير، والآن عليه فعل المرة الثانية، وتعد كل مرة يعترف فيها عذابًا. وبسبب وجوب تعاملهم مع نظرات الناس الغامضة، لم يكن أمامهم سوى الإدراك في صمت، حتى وإن كانوا خجولين من إعلان كل شيء، والآن لا بد من قول كل ما حدث، امتلأ قلبه بالخجل والخزي، ولم يعد لديه أية كرامة.
يدها ممسكة بمقشة الفراش، وتتكئ على مقدمة الفراش بخفة، تنتظر. يحمل هذا الانتظار خوفًا.
اضطر لقول كل شيء من البداية للنهاية.
لم تدر رأسها أثناء مراحل حديثه. دخلت كل جملة بوضوح تام داخل أذنها، ووقعت بقلبها المقفر.
انتظر حكمها بهدوء بعد انتهائه من الحديث.
ضعفت أخيرًا، وأدارت جسدها، وجلست على الفراش بتعب.
هو أيضًا متعب، لكن مضطر للوقوف.
رفعت عينيها، ونظرت إليه بخفة من أعلى لأسفل، وسألته ببطء: "ماذا تقرران؟".
لم يتوقع هذا السؤال، فلم يعرف كيف يجاوب بطريقة جيدة.
انتظرت قليلا، ثم سألته: "هل تخطط للزواج منك؟".

اندهش، فلم يفكرا في هذا الأمر من قبل، لقد دخلا حياة بعضهما، دونما تحضير لهذا الاحتمال، لذلك، لا يملكان أي أمل به. أجابها بصدق: "نحن لم نفكر من قبل".
"نحن!" كررت، وضحكت بمرارة وخفة.
خجل لحظة، وتمنى أن يدفن رأسه في الأرض.
"أنا، أثق بك". قالت، "أثق أنك ستحرص على مشاعرنا، وستحرص على عائلتنا هذه". انتقلت نظراته تدريجيًّا بالغرفة، وتدفقت دموعها، "أثق إنك تغيبت لحظة. أتمنى أن تهدأ، لا توجد وسيلة لإعادة ما مضى، لننس الأمر. لكن بعد ذلك، أنا، أتمنى أن يمكنك ضمان...". لم تكمل حديثها. هذا الكلام، من الأفضل أن تقوله لنفسها على أن تقوله ليسمعه هو. إنها تجبر نفسها على عدم فقد الثقة، لا داعي للألم الشديد، والإحباط الكبير. لا يمكنها سوى إجبار نفسها، فهي وحيدة هكذا وسط هذا الصراع.
أما هو فلم يتوقع سماحتها بهذا الشكل، وشعر بالامتنان، واندفع داخل حضنها فجأة، وركع على ركبتيه، وعانق ركبتيها الباردتين. ما زال يمكنه الشعور بالارتجاف البارد لركبتيها من خلال السروال. انكسر قلبه، وشعر بعظمة حبها. وبالمقارنة، كان كل ذلك خزيًا ونقصانًا. دفن وجهه بين ركبتيها، وبكى بصوت مرتفع قائلا: "اعطيني فرصة، اعطيني فرصة".
عانقت رأسه، ورتبت شعره المبعثر بشفتيها. إنها تحبه هكذا، وتحرص عليه، لكن منذ ذلك الوقت نقص قلبها قطعة، ولا يمكن تعويضها ثانية. بكت سرًّا من أجل نقص قلبها.
شعر بالذنب، شعر بالإدانة، شعر بالخجل، وشعر بالنقصان، لكن كل هذا لا يعد شيئًا أمام عدم رؤيته لآلامها ثانية. في هذا الوقت، أكثر ما يتمناه هو رؤيتها، أكثر ما يشتاق إليه هي. في هذا العالم لا يوجد سواها يساويه، تشاركه آلامه، فجريمتهما مشتركة. إن تعطشه إليها هدأ من عذاب كل شيء. تذكر مرات لا تحصى عناقها داخل حضنه، دفء ذلك الجسد، حتى الروح. أصيبت رأسه بالدوار حين تذكر، ودق قلبه. وبسبب استحالة تحقيق ذلك، قلق مرة أخرى.
نحف يومًا بعد يوم، وأصيب بالاكتئاب، شعر أنه إذا تمكن من رؤيتها، لن يبخل في دفع أي مقابل مهما كان كبيرًا. لكنه ليس شجاعًا، ولا يملك حيلة أيضًا، فلا يمكنه سوى التخيل بمرارة، وتعذيب نفسه هباء.
ذات يوم، انتهى الفيلم الأخير بعد الظهيرة، وانتظر مغادرة الجماهير، وبدأ العمال في تنظيف الساحة. أخذ مقشة صغيرة، وكنس أول عشرة صفوف. المقشة قصيرة جدًّا، فيجب عليه ثني خصره بعمق. هذا الوضع لم يجعله يمتلك وسيلة لإزالة مشاعر الذل، لكنه سعيد بخفض رأسه بعمق هكذا ليتمكن من تجنب رؤية أي شخص. فأثني خصره كثيرًا، وتحرك ببطء، بدأ من اليسار إلى اليمين، كنسها كاملة إلى أن وصل خصره للصف الأمامي، وعمل من اليمين إلى اليسار. وحين انتهى من الكنس، استقام خصره وسار للأمام، وتوقف فجأة. فقد رأى الصف الأخير من خلال الساحة المليئة بالتراب، رآها واقفةً بصمت.
هذه هي المرة الثانية التي يراها فيها بعد الفراق القاسي بتلك الليلة المرعبة. لقد نحفت كثيرًا، وهدأت أيضًا كثيرًا. تقف هناك، بجو من الحزن والصمت الذي لم يكن موجودًا من قبل. رآها من بعيد، لكنه لم يتمكن من التقدم للأمام.

يكنس جميع العمال الأرض، ويصيحون بصوت مرتفع، وملأ التراب الناتج عن الكنس السماء والأرض، وتردد صدى أصوات النكات المبتذلة في الساحة الفارغة بشدة.
رأته من بعيد، لقد نحف وكاد لا يتبقى منه سوى روح. شعرت أن قلبها ينكسر قطعة قطعة، لم تجرب من قبل شعور انكسار القلب، فهي دائمًا تكسر قلوب الآخرين، لأنها صحية جدًّا، وقدرتها على الحياة قوية جدًّا، فقد أضعفها الألم، وحولها إلى بريئة أيضًا.
يفصلهما صخب كبير وساحة قذرة، ينظران لبعضهما بصمت. وقد خرجت روحاهما من جسديهما، واجتازت الحواجز، وتعانقا بقوة. شعر كلاهما بهذا الحضن، فنتج عنه نشوة لم تكن موجودة من قبل، إثارة جديدة. لقد جعلهما الألم والبعد يتواصلان، فالشيء الذي كان مصطنعًا في الأساس، أصبح اليوم أخيرًا حقيقيًّا، فقد أحبا بعضهما حبًّا حقيقيًّا.
لقد جربا فجأة: ما هو الحب.
في صباح اليوم التالي، جلس خلف ستارة المسرح، يعزف الأكورديون بحزن. وقد تدفق في هذا اليوم حزن وصعوبات نصف عمره. لا يملك أي طموحات للمستقبل، فليس أمامه سوى تذكر الماضي. لا يمكنه سوى تذكر الأشياء الحزينة حاملا هذا المزاج الكئيب، فجعله هذا التذكر أكثر حزنًا، وإحباطًا. إنه يعافر تقريبًا من أجل الحياة، فلم يعد لديه أي متعة للحياة.
أغلقت أنوار المسرح، وساد الظلام الدامس، وأحيانًا ينتقل صوت التحدث بجملة أو نصف جملة من أمام أو خلف الستارة. وفجأة فُتحت ستارة باب الخروج بجانب المسرح، ودخل ضوء، تبعه ظلام. ظهر خيال شخص يسير مسرعًا ناحية المسرح، وصعد خشبة المسرح، متلقيًا صوت عزف أجش وسار ناحيته، وقال بصوت خافت جانب أذنيه: "اصعد للجسر." ثم لصق حجابًا وسار بالجهة المقابلة للمسرح، واختفى وسط الظلام.
لم يوقف عزفه، لكنه لم يتمالك نفسه فارتجف جسده بالكامل، وتخبطت ركبتاه، وأصدرت أسنانه صوتًا. عزف قليلا، ولم يتمكن من الصمود في النهاية، فأوقف العزف، وترك الأكورديون بخفة، وتظاهر بعدم المبالاة، وسار جانب المسرح مرات ذهابًا وإيابًا، ينظر يمينًا ويسارًا، ثم صعد للممر المظلم للجسر.
يسود الظلام الممر الضيق جدًّا، وكل درجة من الدرج مرتفعة كثيرًا؛ فكاد يسند على يديه الاثنين للصعود درجة درجة، وكلما مر وسط المصابيح، ظهر خيط من الضوء. دائمًا ما يفزعه هذا الضوء حتى يخرج من جسده عرق بارد، يعكس هذا الضوء الخافت هيئته المتسلقة، شعر بالنقص لدرجة البكاء. لكنه لم يهتم بأي شيء، فليس هناك أمامه سوى التسلق درجة درجة. لا يوجد طريقة أخرى يمكنه بها السير فيه. لم يكن لديه هذه العزيمة من قبل، يوجد بالأمام شيء يناديه، ويجذبه، ولا يملك طريقة لمقاومته. وصل أخيرًا لأعلى طبقة، وأمامه ضوء شاسع. وقف على أحد حواف الجسر الضيق الطويل، وأسفله المسرح الفارغ بالكامل، وهناك أشخاص تتحدث، يثير حديثهم صدىً مدويًّا. تقف هي على تلك الحافة من الجسر، وسارت ناحيته ببطء. فحرك أقدامه دون أن يشعر. تتدلى الستائر طبقة طبقة أسفل أرجلهم، وكأنهم يسيرون فوق سحاب. لقد تقابلا أخيرًا، أيديهما سوداء جدًّا، ويلتصق التراب فوق وجوههم. تعانقا بإحكام حتى أصبحا كتلة واحدة، تعانقا بشدة، ورغبا في

التصاق جلدهما بعمق. بكت، بكت بصوت، فكتم فمها بيده بإحكام سريعًا، وشعر أنها عضت قبضة يده، عضت أسنانها الحادة لحمه. ثم بكى هو، وكتمت فمه بيدها أيضًا، ولم تسمح له بإصدار صوت. فأي صوت صغير يتردد بشدة في كل مكان وسط هذا العالم المهجور. تبادلا كتم فمهما، وبكيا. شعرا أن هذا العالم الكبير، لا يوجد فيه سواهما يتبادلان الاتكاء، يتبادلان المساعدة بقوة ضئيلة، مثلهما مثل المركب الصغير وسط بحر شاسع. لقد غيرها الألم تمامًا، فصارت لطيفة. كما غيره اليأس أيضًا، وأصبح حازمًا، برغم أن ذلك مؤقتًا. وقفا على الجسر المهتز، وقفا على المسرح الفارغ، يكتمان أنفاسهما، ويقمعان بكاءهما، فتعانقا، ونسيا الوقت.
بدءا التواعد ثانية، ولا يوجد طريق آخر أمامهما للسير به، فلا يوجد سوى ذلك.
بدءا التواعد ثانية. لقد فقدا الأخلاق بالفعل، وفقدا شعورهما بالخزي، فهما على أتم الاستعداد للسقوط، فلم يعتبرا نفسيهما شخصين لائقين، لا يملكان طريقا آخر يسلكانه، لا يوجد أمامهما سوى ذلك. لكن احتياجهما للاختباء عن مسمع ومرأى الناس يعتبر أكثر صعوبة. فقد عرفهم نصف الناس بالمدينة تقريبًا. إنها مشهورة في الأساس، وفي هذا الوقت عرفها الناس أكثر، كما اشتهر هو أيضًا. سارا بعيدًا أكثر، فصار مكان اللقاء أكثر بُعدًا، لكن وسيلة اللقاء متعبة كثيرًا. في ظهيرة هذا اليوم، ذهبا فجأة إلى جبل الثمار والأزهار ذلك. في الواقع إنه مقفر بلا أزهار ولا ثمار.
إن الأشجار رقيقة جدًّا، والأعشاب صفراء للغاية، فذلك يوم خريفي بارد. تهب الرياح فيطير العشب، ويصدر صوتًا مقفرًا. جلسا خلف الجبل الظليل، داخل قطعة من العشب. لقد سقط العشب الذي يبلغ طوله نصف طولهم بضغطهم عليه، وفُرش على الأرض، وتحول إلى فراش ناعم. تعانق الاثنان وتدحرجا فوق بعضهما، وأخذا يغمغمان بتفاهات محبطة. انتقلت الشمس تدريجيًّا ناحية الغرب، وذهبت خلف الجبل، وسقطت عليهما، وتحولت بالفعل لشمس الغروب.
لقد ناما تقريبًا، ثم استيقظا بفعل هبوب رياح الخريف، وكانت السماء قد أظلمت نصف ظلمة، حينها نزلا من فوق الجبل في عجالة. إن طريق نزول الجبل صعب السير، كما أنها ترتدي حذاءً بكعب عال. فأسندها، لكنه لم يتحمل ثقل جسدها، فيحتاج أيضًا إلى سندها. فتبادلا المساعدة، ونزلا الجبل بترنح. بلل العرق ملابسهما، وجفت أيضًا بالرياح. تهب الرياح ببرودة هكذا، ما يملأ الناس بشعور ينذر بالشر.
نزلا أخيرًا أسفل الجبل قبل أن تظلم السماء، ولم يجرؤ أي منهما على النظر للآخر؛ فافترقا بسرعة، وعاد كل منهما لمنزله. إن البيت جيد جدًّا، كما لم يحدث شيء أيضًا. ملامح زوجته دائمًا ما تكون بشوشة، فتملؤه بالندم، ويضطر كذلك إلى إحاطة القذارة التي بداخله إحاطة أكثر سمكًا. يرغب في القسم بألا يفعل هذا مجددًا، لكنه لا يجرؤ، فهو لا يصدق هذا القسم. لقد انهارت ثقته تمامًا، كما انهار طموحه بالكامل، فلا يقوى سوى على شيء واحد، ألا وهو علاقته المحرمة معها.
بعد قيامه بأعمال المسرح المختلفة فترة من الوقت، أعاده المدير مرة ثانية إلى مكتبه، ليظهر له مساعدته وعدم تحيز موقفه. لقد عاد إلى مكتبه، وزاد عدد رؤيته لها عند بدء وانتهاء العمل، كان يعتقد في الأساس أن الألم في عدم

الرؤية، ولم يفكر من قبل أن التظاهر بعدم الرؤية أكثر ألمًا. فحين يرى دراجتها الحمراء الخافتة، ينكمش قلبه. فكان قلقًا دائمًا من توقف ضربات قلبه فجأة، وينتهي كل شيء هكذا، كما فكر بكآبة بالغة أن النهاية هكذا ليست بالضرورة أن تكون شيئًا غير سار. لكن، تدريجيًّا، بدأ يسري في قلبه الخدر، ولم يشعر بالارتجاف، لم يشعر بألم عدم استطاعته على البكاء والتحدث. على العكس، بسبب رؤيته لها دائمًا، وقدرته على مواعدتها، شعر بالسعادة. نوع من السعادة المخدرة للضمير، نوع من السعادة المحرمة. توقف عقله أيضًا عن العمل، ولا يفكر إلا في قضاء اليوم بيومه. فقط في الليلة التالية للتلامس معها، يشعر بجوها الدافئ حين ينام مع زوجته، فيبدو قلبه وكأنه انقسم. يبرم شعره بيده ويشده بقوة، فيسقط من شعره الكثير. وحين يستيقظ في الصباح، ترى زوجته شعره المتساقط على الوسادة، فتكرهه وتتألم. إنها تعرف أنه لا يملك طريقة لتخليص نفسه، فعليها سحبه. كتبت خطابًا لقريتها وقريته، قالت إنها تريد العودة إلى الجنوب والاستقرار هناك، وتتمنى أن يساعدها أبواهما وأقاربهما والزملاء والأصدقاء. كما استغلت بعض العلاقات مع الزملاء القدامى، ليبحثوا لهما عن عمل في قريتها نانجينغ. إنها تعرف جيدًا أن النقل ليس سهلا، وتعرف جيدًا أن عليها السير في طريق طويل وصعب، وفي النهاية لا يكون النجاح مؤكدًا. لكن عليها التفرقة بينهما بموضوعية، إذا لم يكن كذلك، فتعرف بناء على شخصيته، أنه سيكون من الصعب التفريق بينهما ثانية. علاوة على أن تلك الفتاة عنيدة هكذا، وقوية أيضًا هكذا. لم يريا بعضهما من قبل، لكنهما مدركين تمامًا بوجود الآخر، وينافسن بعضهما بصمت. من أجل رجل ضعيف جبان، في الواقع، إن هذا الرجل لا يتناسب مع حبهما. لكن، لا تحب المرأة الرجل من أجل قيمته الذاتية، بل دائمًا يكون لأجل تحقيق حبها المثالي. من أجل هذه المثالية، يصارعن دون الانتباه لأنفسهن، ولا يبخلن بالتضحية.

إنها تحبه، ومستحيل أن يتغير هذا. فهذا حبها الوحيد، لم تحب شخصًا هكذا من قبل، أحبته حتى أن طباعها تغيرت. لماذا أحبته هو فقط، حتى هي لا تملك إجابات. من المحتمل أن بوصول حياتها لهذه الخطوة، استيقظ الحب حقًّا، وحتمت عليها هذه اليقظة البحث عن شخص فورًا لتحقيقها. وقد قابلته بالفعل. إن هذا من حظه السعيد، وحظه السيئ كثيرًا أيضًا. لكن، على أية حال، لقد أحبته حقًّا. حتى زوجها لاحظ هذا، لكنه لم يعترف مطلقًا بهذه النقطة. ولا يمكن أن يعترف بوجود رجل بالعالم يمكنه منافسته، كما لن يعترف أن هذه المرأة يمكن أن يمتلكها رجل آخر في العالم غيره. إنه يضربها، وتتحمل هي الضرب دون بكاء أو صراخ أيضًا، وفي النهاية غضبت من ضربه، فطلبت منه الطلاق. فأخذ سكين الخضروات من أسفل لوح التقطيع، وقال: "حسنا، ننفصل، وسأذهب لتقطيعه". كانت عين الرجل تلمع، والسكين أيضًا يلمع، فصدقت حقًّا، وخافت. كما أن قتله يفزعها أكثر من قتلها. فهي تحبه كثيرًا، ولا يمكن أن تنفصل عنه. منذ ذلك الوقت، لم تجرؤ ثانية على ذكر كلمة "الطلاق" أمام زوجها، ومن خلفه، تتحدث معه.

"لنهرب!". ترجته.

"إلى أين نهرب يا محبوبتي!". قلبه يشعر بمرارة وكأنه انغمس بالعصارة الصفراوية.

"نهرب لمكان بعيد جدًّا". عانقته.
"محبوبتي!" قبلها باستماتة، جعلتها هذه القبلة تفهم أن الهروب مستحيل، وقلبها يشعر بمرارة أيضًا.
هناك شخص اكتشف موعدهما، فذهب مرة أخرى للمسرح ليكنس الأرض. وضع ملف النقد الذاتي المطوي داخل ظرف ورقي، وقد امتلأ قلبه منذ فترة بالبقع. كثفت الزوجة إجراءات النقل، وهو يعلم أن مغادرة هذا المكان لا مفر منها، فكثف المقابلات. وكثف الزوج الضرب، وكثفت هي طلبها منه: "لننفصل".
بدأ اللقاء مجددًا، استلقيا معًا على الأرض العشبية الباردة الناعمة.
"لن يوافقوا يا حبيبتي!". لا يفهم كيف يمكن للشخص الوصول إلى وضع يائس كهذا.
"إذا أصررت على الطلاق يمكن أن ننفصل، الأمر يحتاج فقط للصمود". شجعته.
"حبيبتي، حبيبتي!". داعبها بجنون، جعلتها هذه المداعبة تعرف أيضًا أن الطلاق مستحيل.
إنه لا يقدر على تركها، كما لا يقدر على ترك زوجته وبناته. فأصبح بناته يفهمن أكثر، تخطت البنت الكبرى اختبارات أفضل مدرسة إعدادية بالمدينة كلها، والبنت الصغرى أصبحت جميلة كالورد. فحين يتذكر الابنة الصغرى، يضيق صدره رويدًا رويدًا. فعليه تحمل المرارة، ولقد قرر العيش بمرارة طوال عمره. لكن العمر طويل هكذا، فكيف يستمر في تحمل المرارة! إنه لا يجرؤ على التفكير في العمر كله، فيهتم فقط بالحاضر، يريدها في حضنه فقط، فأغمض عينيه، ولم ير أي شيء، ولم يفكر بأي شيء.
مرت الأيام يومًا بعد يوم، وتقدمت إجراءات النقل والمواعيد. فظهرت ملامح للنقل أكثر، ويحتاج لذهابه بنفسه، حتى يراه الآخر، ويتحدثان معًا. وفي ربيع هذا العام، قدم على إجازة لزيارة الأقارب مرة في الأربع سنوات. ذهب ستة عشر يومًا. لم تستطع الصبر ثانية، ففي الثلاثة أيام الأخيرة، كانت تذهب وتنتظره مساء كل يوم تقريبًا عند مدخل محطة القطار. وصلت العربة الوحيدة التي تأتي من المدينة في اليوم، ومشى الناس، غادروا جميعهم، حينها غادرت هي. وبعد ظهيرة اليوم الثالث، جاء أخيرًا من تنتظره، يمسك بيد ابنته، وفي اليد الأخرى حقيبة السفر، وزوجته تمسكه بيد، وتسحب في اليد الأخرى الأخت الكبرى، ملامحه شاحبة، ويده ترتجف، انتقلت تلك اليد المرتجفة من يد الابنة إلى يد الزوجة، فبدت شاحبة أيضًا. كما تعرف جيدًا أنها بالقرب، بالتأكيد موجودة بالقرب، فنظرت بثبات، ولم يمر أحد بالجوار. إنها تنظر إليه محدقة من خلف السور الحديدي للمخرج، تريد لفت نظره، لكنه اختبأ، وفي النهاية لم يستطع الاختباء، ونظر إليها نظرة رجاء. أوصلته نظراتها بكره وحب بعيدًا، وقد ملأت الدموع وجهها مبكرًا.
أخيرًا، جاء هذا اليوم، وأصدر قرار النقل، له بمفرده، قالت الزوجة، يذهب هو أولا، ومن ثم يوجد سبب لنقل الجميع. لقد أصدر القرار، ولم تعد أيامهما كثيرة. ليس لديه أي طموح، فيستمع إلى صراع المرأتين، ويستمع إلى ترتيبات القدر. من الواضح أن امرأته هي التي ستفوز، لكنها كثفت هجومها،

فتكاد تواعده كل يوم لتراه. يذهبان لمكان بعيد جدًّا، فدائما يعبرون خط السكة الحديد. ترجته: "لا تذهب، لا تذهب".
لم يفعل سوى عناقها والبكاء بحرقة.
اتخذ الرجل تحركات. في هذه الليلة، أحضر عشرات الأشخاص، وركب الدراجة وتبع مكان موعدهما، وأحاط الأماكن المحيطة به بشراسة، وأمسك به. لقد ضربوه، وشدوها، وجعلوها تدير وجهها لترى. في البداية لم تنظر، ثم نظرت ببساطة، وبكت بصوت مرتفع. قلب الرجل يبكي أيضًا، يبكي لبكائها، بكى من أجل معاقبتها بهذه الطريقة. إن هذا العقاب بمثابة اعتراف بخيانتها، لم يصدر أي صوت ودعاهم يضربونه، فلم يعد لديه شعور منذ زمن. يبدو صوت بكائها وكأنه ينتقل من مكان بعيد للغاية، فليس حقيقيًّا جدًّا، لقد بكت بصوت عال، ثم تلاشت دموعها تدريجيًّا، فحدقت بعينيها الجافة، تبدو تلك النظرات حماسية جدًّا، كما تبدو محبطة جدًّا، حتى الرجل شعر بالخوف. جاء قطار مصدرًا صوتًا. فاستراحوا أخيرًا، وتركوه.
سار بمحاذاة طريق السكة الحديد متعثرًا، حتى وصل إلى طريق أمامي مسدود، حينها عرف أنه سار في جهة معاكسة، فعاد ماشيًا متعثرًا. عاد إلى المنزل في الواحدة منتصف الليل. منظره الكئيب المحبط، جعل الزوجة تفهم بمجرد النظر إليه. لم تسأله عن شيء، ودعته يصعد الفراش. بدأ جسده البارد يرتجف، وكأنها قشعريرة الحمى، حتى الفراش يهتز بخفة. تحملت آلام قلبها وعانقته بحضنها، وقلبها ينادي عليه، وتوسلت إليه ليعيد روحه، وتمنت فجأة إعادته بدفئها. يرتجف جسده البارد داخل حضنها الدافئ ارتجافًا أكثر قوة، لم تدفئه، بل بردت هي. استلقى الاثنان ببرد طوال الليل، هو نائم دائمًا، أما هي فلم تغلق عينيها.
السماء صافية جدًّا، ولا توجد سحب على بعد آلاف الأميال، والشمس مشرقة بوضوح، إنه يوم الأحد. فكرت بارتجاف، إن هذا فأل حسن. استيقظ هو أيضًا، وجلس على الفراش سارحًا، جلس قليلا، ثم نزل، طوى الغطاء، ونظف الفراش. وأثناء تناول الفطار، سألته بحرص: "هل ستخرج اليوم أيضًا؟". هز رأسه نافيًا، ثم قال: "سأمسح الأرض".
تركته يذهب لإحضار ماء نظيف، غمس فيه الممسحة، ومسح تدريجيًّا الكثير من التراب السميك. وبعد الانتهاء من المسح، استلقى على الفراش ليقرأ كتابًا. تنعكس الشمس على النافذة - ليست باردة ولا حارة - وتنعكس على وجهه، لكنه لم يشعر. ذهبت وأنزلت الستائر. هدأ قلبها تدريجيًّا، وذهبت لغسل الملابس بنفسها، ثم تذكرت فجأة أنها لم تشتر الخضروات، فنادت عليه. أجابها على الفور، وسمع نصائحها، ثم أخذ النقود وسلة الخضروات وذهب.
نادته ليرتدي الملبس العلوي، قال إن الطريق قريب جدًّا، كما أن الجو حار جدًّا، فلا داعي، ثم ارتدى سروالا طويلا وفانلة وشبشبًا وغادر.
سار تحت أشعة الشمس، وكأن ما حدث بالأمس حلم، كان يرثي نفسه نتيجة ما حدث من تغيرات. لقد فقد الشعور والمزاج، وكأنه جثة تتحرك، يسير متخدرًا أسفل الشمس. لا يشعر سوى بضآلته، يسير وفقًا لدفع جموع البشر، لا يملك أي قدرة. سار في السوق الصاخب، سار من هذه الجهة إلى تلك، ولم يشتر عدة أشياء. في هذا الوقت، كانت تبحث عنه في العالم أجمع.

إنها تبحث عنه، لا بد أن تجده. خرجت منذ الصباح، ترتدي فستانًا أبيضَ مزخرفًا، وقد مزقت جميع الملابس الأخرى إلى قطع بالمقص. مزقتها ليلة كاملة، فلم يعد زوجها معها للمنزل ليلة أمس، أخذه أصدقاؤه. كانوا يخشون أن يحدث شيء يودي بالحياة، فأخذوا الزوج معهم، وتركوها وحيدة.
في النهاية، رأته أخيرا عند تقاطع قريب من سوق الخضروات، يحمل سلة الخضروات ويسير ببطء شديد. اعترضته. وقف، ونظر إليها بذهول.
قالت: "تعال معي".
لذا، ذهب معها، وما زال حاملا بيده سلة الخضروات.
"تعال معي". أدارت رأسها وصرخت باكية.
أسرع من خطواته بجهد، ويده حاملة سلة الطعام.
لم يعدا خائفين من رؤية أحد لهم، ولم يختبئا عن مسمع ومرأى الآخرين ثانية. وفي هذا الوقت، لا يعرفان كيف لم يعد يعرفهم أحد، ولا توجد مسامع ونظرات. الناس صاخبة، يقضون يوم أحد سعيد، عبرا الطريق وسارا ناحية الشمال.
زادت من سرعتها.
لم يستطع اللحاق بها، وفقد السلة دون أن يشعر، ووقع الطعام على الأرض، ولم ينتبه أحد.
بعدا عن جموع الناس، ووصلا لضاحية المدينة تدريجيًّا. بدآ في السير متقاربين، سارا في صف.
"هل أنت نادم بالمجيء معي؟!". سألته وهي تبكي، وقعت هذه الدموع وسط رموشها كاللؤلؤة.
هز رأسه مبتسمًا نافيًا. في هذا الوقت، شابه العشب الجاف الخالي من الجذور، وفقد رغبته، فيسير وفقًا للتيار.
"لا يمكن أن نحيا في الوقت نفسه، لنمت في نفس اليوم". قالت بإصرار، لمعت عيناها ببريق. لقد نحفت، ولم تعد مملؤة، وظهرت مفاصلها، لكنها امتلكت قدرة فجأة.
وصلا أسفل الجبل المقفر، وبدآ التسلق. ترتدي حذاءً أبيضَ أيضًا بكعب عال، فالكعب العالي يسهل صعود الجبل. لم يستطع لحاقها تدريجيًّا، فأدارت جسدها، ومدت يدها بلطف: "هيا" جذبته بلطف، وقد ذهبت روحه معها مبكرًا.
وصلا إلى ذلك العشب الذي استلقيا عليه من قبل، وما زال العشب أصفر جافًّا، ولا تصل الشمس إليه. سندته وجلسا، عانقته كالطفل الصغير. وداعبت خده بخدها. ولطفت الجو قليلا، وأخرجت من حقيبة يدها النسائية زجاجة صغيرة، وفتحت غطاءها، وشربته. فأطاعها وشرب، ولم يسأل ماذا يشرب. رمت الزجاجة الفارغة، وداعبت خده مشجعة. ثم أخرجت زجاجة وناولته، شرَّبته سبع زجاجات. ثم بدأت هي في الشراب، بدت غير صبورة وكأنها متعجلة كثيرًا، ففتحت الغطاء بأسنانها مباشرة، حتى اختلط بها الزجاج المكسور، وشربت سبع زجاجات أيضًا. وأخرجت حبلا من حقيبتها، صنعته من خيوط النسج متعددة الألوان.
"عانق رقبتي". قالت له بلطف جانب أذنيه.
عانق رقبتها، ولف ذراعيه اللينتين حول عنقها بإحكام؛ فشعر وكأن ذلك يحدث منذ وقت طويل جدًّا، وكأنه يعانق رقبة أمه.

لقد ربطت جسديهما. لفت حبل الخيوط الصوفية رويدًا رويدًا، وسألته بلطف: "هل تتألم؟".
هز رأسه دون طاقة نافيًا؛ فقبلته.
وصل الحبل لآخره في النهاية، وعقدت العقدة بإحكام مستخدمة فمها، ثم قالت بخفة: "مطيع، استلقي".
استلقيا معًا على العشب البارد الناعم. وبدأ ذهنه في الشرود، وظهر أمام عينيه أنف جده التي تشبه النسر، وعيناه اللامعتان كالثلج. تلمع تلك العين بفخر شديد، وتلطفت فجأة، وكأنها تناديه للذهاب، فذهب. كما يبدو وكأنه يسير مع أخيه الأكبر في شارع خوايخاي الصاخب، فتوجد رائحة كعكة بالزبد، أثارت الأنف بلذة. كما دقت صفارة الميناء بجانب النهر، رنت بصورة مدوية، يتخللها مقطوعة التدريب بالكمان، تتردد وكأنها تتقدم خطوتين وتتراجع خطوة، ثم تتردد. تنعكس أشعة الشمس داخل الغابة المشجرة، وتهتز تلك الأشعة، فتحولت لنور القمر. يداعبهما الضوء ببرودة شديدة، إنها ملامسة يد الابنة الصغرى. ثم غطى الحريق كل شيء، زاد الحريق تدريجيًّا، وتعمق لونه أكثر، وتحول في النهاية إلى سواد، تكون الحياة في جسد الأم بهذا السواد تقريبًا، فشعر بإحاطة الأمان والحماية، وابتسم.
بدأت هي أيضًا في شرود الذهن، وأمام عينيها جميع أشكال الملابس، فقط: أحمر، برتقالي، أزرق يميل للاخضرار، أصفر، أزرق، أخضر، بنفسجي، سترة الدانتيل المزهرة، وزوج الأحذية المائية المطرزة قليلا، وسروال ذو أقدام واسعة، وجوارب مطاطية قرمزية، والزي الغربي الفضي الضيق على الجسد، والتنورة الطويلة ذات الذيل الواسع المزهر. سالت دموعها على الوحمة المشعرة، وسقطت على الأرض كاللؤلؤة.
وبعد سبعة أيام وسبع ليالي، جاء مجموعة من الطلاب لهذا المكان لقضاء الإجازة، وصعدوا الجبل بصخب شديد جدًّا؛ فطارت جميع الطيور البرية بالجبل بفزع.
ظلوا يبحثون عن الجبل المقفر وكأنهم في غارة، ولم يجدوا منطقة ممتعة في النهاية. لكنهم جمعوا من الأرض المسطحة بالمنطقة الظليلة العديد من الزجاجات الصغيرة الكريستالية، ثم رأوا داخل العشب أربعة أرجل متداخلة، لذا، بدوا مرعوبين، ونزلوا الجبل وهم يصرخون بصوت مرتفع.
جاء الأخ الكبير من شانغهاي البعيدة جدًّا، ليقيم جنازة أخيه الأصغر، نظر إلى أخيه الصغير الملفوف بقماش أبيض، وفكر: إذا لم يأخذه من البداية للخارج للتعلم، من المحتمل أن يكون الوضع أفضل قليلا. كما فكر أن أخويه الصغيرين اللذين أحضرهما ماتا مبكرًا، الأول مرض، فهو أمر إلهي، ليس له يد فيه، وهذا، أيمكن القول أنه ليس أمرًا إلهيًّا؟ إنه لا يعرف، لكن قلبه يشعر دائمًا بالذنب.
لم تتمكن المرأة من البكاء، فداخلها كره ولوم وندم< إذا لم يأتوا لهذا المكان، فمن المحتمل عدم حدوث أي شيء، لكنهم أتوا بالفعل، فما الداعي لقول هذا؟
في هذا الوقت، وعلى غير المألوف، لم تكره تلك المرأة، على الرغم من أنها تعرف جيدًا أنه لولاها، لم يكن ليملك تلك القسوة. كما تعرف، أنه لن يملك هذه القسوة جبل في هذا العالم، هو لا يملك شجاعة، فهي تعرف هذا الرجل

جيدًا. كما أنها لا تكرهه، ففي هذه السنوات، في العشر سنوات تلك، تحمل مرارة كافية، حتى أنه لم يكن هناك وقت للألم.
وهنت أذنا الأم مؤخرًا بصورة شديدة، فلم تعد تسمع صوت صفارة الميناء بجانب النهر منذ وقت طويل. لكن في هذا اليوم، رنت الصفارة جانب الأذن اليوم بأكمله، واحدة تلو الأخرى، بجرح عميق.
بدت وكأنها حصلت على إشارة ما، فمنذ ذلك الوقت، لم تذكر أي شيء له، ولم تسأل أيضًا على شيء، فلا تحتاج لأن يعاملها الناس بقلق.
لم تبك والدة الفتاة. لقد فكرت، أن تتمكن الفتاة في عمرها هذا من إيجاد رجل وحيد لها، تنظر لوجهه، وتتحدث معه أيضًا، ويتبادلان الأفكار، ويذهبان معًا، من الصعب القول إن هذه نعمة.
في العام التالي، صار العشب بالمنطقة الظليلة لذلك الجبل شديد الخُضرة؛ فتحولت لمنطقة عالية الخصوبة.